الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية
قسم الآثار

# أســــواق مدينة الجزائر
# من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني
## من خلال المصادر – دراسة تحليلية



رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية.

إعداد الطالبة
بن كردرة زهية

تحت إشراف
د/ سعيدوني ناصر الدين

السنة الجامعية 2000/1999

# أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر

دراسة تحليلية

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل

إلى والدي الكريمين

إلى فريد الصغير وأخي علي

إلى عائلتي الكبيرة

إلى أصدقائي الأعزاء الذين لم يبخلوا

علي يوما بمساعداتهم المستمرة.

## كلمة شكر

بداية أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي المشرف على توجيهاته التي أسداها لي أثناء البحث وأشكر الأستاذ اسعيدوني معاوية بالمدرسة العليا للهندسة المعمارية للتصحيحات التي قدمها في المنهجية وأساتذتي بقسم الآثار الذين قدموا مساعداتهم في بداية البحث وعلى رأسهم الأساتذة : بن قربة صالح، فيلاح مصطفى، بويحياوي عز الدين، بلحميسي مولاي، لعرج عبد العزيز، عقاب الطيب، وصديقاتي الأستاذات اللائي وقفن إلى جنبي أثناء البحث وهن طيان شريفة، شريد حورية بمساعداتهن التي لم تنقطع وبن بلة نورة، راجعي زكية، كما أشكر الأساتذة حملاوي علي، نشار خديجة. بالإضافة إلى موظفي مكتبة المعهد.

كما أقدم شكري للأساتذ أندري ريمون بجامعة أكس والأستاذ يعقوب أوليال بمعهد اللغات القديمة بفرنسا على مساعدتهم لي ببعض الوثائق وتشجيعاتهم للموضوع.

أشكر أيضا موظفي المكتبة الوطنية، خاصة السيد أزميت ومحمد وعبد القادر بمصلحة المخطوطات وموظفي مكتبتي الأرشيف بولاية الجزائر وقصر الثقافة والمكتبة الأسقفية خاصة الأب صافوا. وسيدي بومدين عبد الغني بوزارة الثقافة والإعلام.

كما أقدم شكري إلى كل موظفي المتحف المركزي للجيش خاصة السيدتين تبان رشيدة وبليزاك حيزية، السادة لعواسة محمد، بن عيسى محمود، بوراوية سراي، جودي إسماعيل والآنسة جبالي ليلى والآنسة دحو سعاد. والأدقاء الذين جالوا معي في القصبة عند عملية الاستكشاف ميدانيا وهم اسعيد امهيبل وعيسى وسيد علي وذلك في الأيام العصيبة التي مرت بها البلاد. وصديقاتي السيدة جويدة لعرج، سامية جبلاوي وصونيا تومي وبديعة جبلاوي.

أخيرا، أقدم إمتناني الخالص وشكري الخاص إلى زملائي بالمتحف الوطني للآثار بدء بالمدير السيد درياس لخضر وأصدقائي الأثريين الذين ساعدوني ووقفوا معي عندما واجهتني المصاعب أثناء إنجاز هذا العمل وهم عائشة حنفي، حنان دوبابي، سجية عاشوري، سيد علي بن بلة، ليلى مرابط، كاتيا جاما، مصطفى دوربان، أوزناجي محمد، جميلة تكراتي، شرقي رزقي، الذين بفضلهم تم ترتيب اللمسات الأخيرة للبحث كما أشكر كلثوم أكلي، أحمد رفاعي، عبد الحق معزوز، طارق ساحد، وزملائي الآخرين بالإدارة سامية زوبيري، نعيمة حميدي، السيد درام، أقشيش، أعمر مخلوفي، بشيرة وكل موظفي المتحف لدعمهم ومساعداتهم المعنزية وكل الأصدقاء أن أشكر أصدقائي بوزارة الثقافة والإعلام خليفة عبد الرحمن، تستاني طيان، سليمة لارقم، سليمة موساوي. وفي الأخير أشكر عائلتي بن كردرة وحسين ماتيك.

مقدمة :

تعتبر الأسواق إحدى الجوانب المهمة في دراسة الحضارة الإنسانية كونها إحدى المعالم الرئيسية في تكوين المدينة الإسلامية التي نتخذ بها شكلها الثابت وإحدى المحاور الأساسية في دراسة السوسيولوجيا الاقتصادية لأي مجتمع كونها مظهر من مظاهر النهضة المدنية والحضرية.
ومن هذه الزاوية، تنطلق دراسة أسواق مدينة الجزائر أي من مفهوم التاريخ الحضاري ومن منهج علم الآثار العمرانيين للمدينة وطبوغرافيتها الاقتصادية. وهذا طبعا يؤدي حتما إلى البحث في تكوين المدينة وفي نشأة هياكلها الاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة.
وعلى هذا يبقى البحث علاقة بحيزها التاريخي والجغرافي لأن للسوق مجالات واسعة تتعدى الضيق الذي يحصر المدينة داخل أسوارها ليربطها بعلاقات اقتصادية وتجارية وبشرية، خارج حدودها برا وبحرا. وفي هذا الإطار، يتخذ مفاهيم متعددة.
فكمفهوم عام، يقصد بالسوق، تلك العملية التجارية والاقتصادية التي يقوم بها الإنسان في محيطه الواسع، لاقتناء حاجاته وسد مطالبه اليومية المتعددة.
وكمفهوم خاص، يقصد به، الهيئة المعمارية التي يتناولها البحث، داخل الفضاء العمراني للمدينة، كونه أحد الملامح الطبوغرافية الرئيسية لها، بالاضافة إلى الخدمات الاجتماعية التي تقدمها أهم المرافق المتفرعة منه وهي : القيسارية والفندق والرحبة والبادستان ...إلخ وهي معالم عمرانية أولية تدل على تطور المدينة وتوسعها، إلى جانب المؤسسات الأخرى التي تزيد من أهمية المدينة وتدعم اقتصادها كالأفران والمطاحن والمقاهي والحمامات وغيرها.
ويتعدى هذين المفهومين، بالاشارة إلى المجموعة البشرية التي تكونه وبها يجد اهميته وهي الفئات المختلفة من الطوائف الحرفية والتجارية التي تنشط داخل هذه المؤسسات في مختلف المهن والحرف والتي هي سبب منشأ هذا السوق الكبير بهيئته وشكله وطابعه ونظامه ووظيفته.
وتكمن أهمية الموضوع في أنه يكشف النقاب عن حقائق كثيرة كنا نجهلها عن المدينة رغم كل الأبحاث والدراسات التي تناولتها منذ فترة طويلة.

وتبقى الدراسات ناقصة في هذا الجانب، فيما يخص مدينة الجزائر التي لم تحظى بالاهتمام الكافي مقارنة مع مدن أخرى، نظرا للأهمية الثانوية التي أولتها لها المصادر الإسلامية وجل ما كتب عنها، يخص الفترة العثمانية بل وهي أبحاث وكتابات تاريخية تركز على الجانب السياسي والعسكري والاجتماعي بل وحتى نشأتها العمرانية نسبت للعثمانيين. وهذه هي الإشكالية التي دعت للبحث في هذا الموضوع. وفي غياب الآثار كشاهد الذي يؤكد أو يفيد أو يصحح ما جاء في البحث الذي وصل إلى أن السوق فيها قديم وهو سبب نشأتها وتكوينها وعظمتها وأن لمينائها دور عظيم وكبير في ذلك. فإن هذا الموضوع فتح ثغرة صغيرة لمواصلة البحث في هذا المجال.

ومن هذا المنطلق، كانت الأولوية للعصر الوسيط في البحث لأنه بداية نشأة السوق بالمدينة، رغم أنه ظاهرة قديمة بها حينما كانت سوقا صغيرا للفينيقيين الذين جعلوا منها محطة لعملياتهم التجارية ثم أصبحت مستعمرة رومانية تهتم بالزراعة والفلاحة. واستمر هذا النشاط حتى الفترة الإسلامية التي شهدت فيها المدينة تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية خاصة في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي وهو فترة الانتعاش الاقتصادي، أنجز عنه ظاهرة بناء المدن وإحيائها، كتعبير عن استقلاليتها. كما أنه نقطة تحول بالنسبة للمغرب وفترة إنقلاب الموازين على مستوى المغرب والمشرق وحتى أوروبا وتبرز فيه أهمية مدينة الجزائر من خلال مساهمتها من هذا التيار ومكانتها من الطرق التجارية العالمية البرية والبحرية.

لهذا، فالقسم النظري يشمل العصر الوسيط لأن فيه تظهر وضعية المدينة عمرانيا وتتميز تركيبتها السكانية من جراء توافد التجار عليها من مختلف البلدان وكانوا في معظم الأحيان يستقرون فيها لإجراء عملية التجارة التي تستوجب الأسواق والفنادق...إلخ. ويكون لهذا كله طبعا تأثير على المدينة في مختلف مجالات الحياة.

أما القسم التطبيقي، فيشمل العصر العثماني لأن عمرانها استكمل في هذه الفترة وكانت أسواقها قائمة كلها ولها طابعها المميز وتعددت وتطورت فيه أهم مرافقها الاقتصادية والاجتماعية الأخرى وأخذت شكلها الثابت وتحددت الوظائف وتعينت لكل هيئة مفهومها ووظيفتها وهدفها وتميز الوسط البشري بصورة واضحة وجلية بتخصص الطوائف الحرفية.

المنهجية :

اتبعت في البحث، المنهج التاريخي التحليلي معتمدة على المصادر العربية التي تناولت الجغرافيا الوصفية والتي أثرت الموضوع بمعلومات دقيقة ووفيرة وإن كانت متفرقة.

وقد استقرأت نصوصها باستخدام أسلوب البحث العلمي المتمثل في التحليل والاستنتاج بطريقة كرونولوجية بحتة لأنها شهادات تاريخية لرحالة وجغرافيين مسلمين كتبوا عن شاهد عيان أو عن تقارير سياسية أو نقلوا عن التجار أنفسهم، في فترات مختلفة متعاقبة وتركوا لنا أوصافا في غاية الأهمية، يعتمد عليها التوثيق في كتابة التاريخ في غياب الآثار.

واعتمدت أيضا على الدراسات المقارنة لبعض أسواق المدن الإسلامية الأخرى التي تعتبر نماذج مدنية من أوجه التشابه في التاريخ والبنية العمرانية والمعمارية على حد سواء وهو تكوين المدينة الجوهري والأساسي : مسجد جامع، سوق، أسوار، حمام، أبواب ومقبرة، باعتبارها مظاهر أولية وأساسية في نشأة المدينة.

ومدينة الجزائر كما سنرى في البحث، لا تخرج عن هذه القاعدة، فقد اتبعت تخطيطا إسلاميا بحتا، وفر لها كل متطلبات الحياة المدنية آنذاك وجهزها بكل المرافق الحضرية العامية ولمعرفتها، استبدل البحث ببعض الأحداث التاريخية التي تناولتها المصادر والدراسات الحديثة عربية وأجنبية.

فالمرحلة الأولى التي نشأت فيها المدينة وهي بداية العصر الوسيط، كان الاعتماد كما ذكرت، على نصوص الرحالة في إطار كرونولوجي دائما، يبدأ من القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي، حين زارها اليعقوبي سنة 265هـ/878م وهو رجل من بلاط الدولة العباسية في بغداد زارها حينما كانت تحت الحظيرة الأدرسية ليستطلع ويتجسس لحساب الفاطمين ألد أعدائهم وكانت الرحلة تشمل بلاد الأدارسة والعلويين والرستميين أي فترة استقلال المغرب عن الخلافة وذكر جل مدن المغرب تقريبا ضمن كتابه : "وصف إفريقية الشمالية" المأخوذ من "كتاب البلدان"، حيث وصفها وذكر مسالكها التي تؤدي إلى السودان في ظل الأمن السائد آنذاك، فكان كتابه تقريرا سياسيا وتجاريا أكثر منه تاريخيا.

ومن بين المدن التي ذكرها والتي كانت مدينة الجزائر تابعة لها، متيجة كإحدى الامارات العلوية تخضع لبني محمد جعفر بن الحسن بن الحسين العلوي فرع من الأدارسة الذين حكموا المغرب ما بين 149هـ/800م و297هـ/909م.

ويبقى كتاب إبن حوقل " المسالك والممالك والمفاوز والمهالك المأخوذ من صورة الأرض" المصدر الأساسي لأنه تتوفر فيه معلومات طبوغرافية دقيقة ومهمة جدا ومعلومات اقتصادية تخص الانتاج والتصدير أيام بن زيري الذي جدد بناء مدينة الجزائر.

وابن حوقل كما هو معروف تاجر وجغرافي عراقي، زار المغرب في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي أي سنة 291هـ/903م، ليستطلع عن أحوال الاقتصاد والتجارة بالمغرب ويتجسس للفاطميين أيضا.

وفي نهاية نفس القرن أي سنة 378هـ/985م زارها المقدسي ووصفها في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" وصفا نقله عن ابن حوقل مضيقا فقط، " أنها أصبحت مسلكا إلى الأندلس" وهذه ظاهرة سابقة لهذا العهد كما سيبين البحث ذلك.

أما في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي فذكرها البكري في كتابه "المغرب في ذكر إفريقية والمغرب" وهو جزء من كتابه المعروف " المسالك والممالك" وكتبه عن التقارير السياسية التي كتبت عن طريق ملاحظات وأقوال المسافرين والتجار الذين زاروا المغرب سنة 461هـ/1068م وهو رجل بلاط الدولة الأموية بقرطبة.

وبغض النظر عن الهدف الذي وصف فيه المغرب من أجله وربما هو الجوسسة، فإن نصه يحمل معلومات تاريخية قيمة وفريدة، إذ ركز على العناصر الأساسية في المدينة كالميناء والتجارة والتصدير وحتى الآثار الرومانية التي كانت مادة رئيسية في إعادة التجديد، فكان العمل لغرض سياسي واقتصادي وتاريخي في نفس الوقت لأنها فترة كانت الخلافة الأموية قد سقطت وبدأت نهاية عصر الطوائف بالأندلس وكان عصر الحماديين بالمغرب الأوسط واستيلاء المرابطين على سواحل المغرب والأندلس.

وأما في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، زارها الإدريسي وهو جغرافي ورحالة مغربي عاش بالأندلس بل نشأ في بلاط روجي الصقلي أو

ROGER DE SICILE وهو يستشهد في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" بما قاله البكري بأن لها أسواق قائمة" وهذا له مفاهيم متعددة سنعرفها في البحث.

وذكرها ابن الآبار في نفس القرن أيضا وهو من أهل مدينة الجزائر ودرس بالأندلس حيث تفقه في الدين وعلم النحو والعروض، ذكرها في كتابه : " كتاب التكملة لكتاب الصلة" حين يذكر ابن خميس الأزدي البلنسي الشاعر والفقيه، أنه توفي بمدينة الجزائر ويذكر عنصرا عمرانيا في تكوين المدينة وهو أحد أبوابها الذي كان يسمى "باب الفخارين" وهي معلومة تخص التبونيميا أو علم أسماء الأماكن الجغرافية.

ومع نهاية نفس القرن زارها العبدري وهو حالة وجغرافي مغربي ويذكر في كتابه المشهور : "الرحالة المغربية" مزاياها الطبيعية التي ستؤهلها لتصبح مدينة مهمة وعظيمة رغم فقرها من العلم والعلماء حسب قوله المبالغ فيه.

وأما ابن خلدون، فذكر "أنها من أعظم مدن المغرب الأوسط" في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي وأن قبيلة صنهاجة التي تنتمي إليها مزغنة، كانت تخدم الفلاحة والزراعة وتقوم بتربية المواشي وهذا في بداية الفتوحات الإسلامية وهي فترة غامضة جدا بالنسبة للمدينة، ألقي عليها ابن خلدون بعض الضوء، سمح لنا أن نفهم وضعية المدينة الاقتصادية خلال القرون الأولى للعهد الإسلامي.

ويبقى القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي، الصورة الكاملة التي يعطيها لنا حسن الوزان عن المدينة، عندما زارها سنة 921هـ/1515م في رحلة بدأها من فأس إلى إفريقية وكانت قد استكملت ظاهرة النشأة لتظهر مرحلة التطور حسب الأوصاف التي جاء بها في كتابه "وصف إفريقية" ولفت انتباهه، تفاصيل عناصرها العمرانية نظرا لمساهمتها الواسعة في التجارة المغربية والمتوسطة مع مدن البحر الأبيض المتوسط في هذه الفترة والتي استفادت منها المدينة كثيرا، مما أضفى عليها الثراء والرخاء والجمال، يجلب أنظار كل رحالة هذا العصر مثل الشيخ البلوي والتمقروتي وغيرهم.

**المراجع :**

لقد اعتمدت على ما توفر في مكتباتنا الجزائرية من مراجع مهمة اعتمدت هي الأخرى على مصادر قيمة لم تكن كلها في متناولي أو متناول الباحث الجزائري لنقصها في مكتباتنا وهي عربية وأجنبية تخصصت في إقتصاد المغرب الإسلامي بصفة عامة في العصر الوسيط وتشير ولو بصورة طفيفة جدا إلى مدينة الجزائر لكنها سمحت لي أن أفهم وضعية المدينة في هذه الفترة بما أنها كانت في بوتقة واحدة وخضعت لنفس الظروف التي عرفها المغرب آنذاك.

وأول هذه المراجع والتي تخص القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين هو كتاب جودت عبد الكريم يوسف بعنوان "الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط في القرنين الأولين للفتح الإسلامي" ، الذي اعتمد فيه على أمهات المصادر الإسلامية التي تناولت الفلاحة والصناعة والمالية والنقود والمعاملات التجارية والمسالك البرية والبحرية وحتى التركيبة السكانية.

والمرجع الثاني هو كتاب عز الدين أحمد موسى بعنوان : "النشاط الاقتصادي للمغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي" ويتناول أيضا، الأوضاع الاقتصادية لفترة المرابطين والموحدين معتمدا هو الآخر، على مصادر مهمة ووفيرة جدا، فتطرق فيه إلى كل الجوانب التاريخية والسياسية والثقافية والدينية للمغرب.

أما عن المسالك البرية والبحرية فقد اعتمدت على النصوص التاريخية السابقة الذكر، مثل اليعقوبي والبكري فيما يخص القرون الثلاثة الأولى للفترة الإسلامية.

وفي القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، اعتمدت على كتاب روجي إدريس "تاريخ إفريقية في عهد بني زيري" والذي ترجمه حمادي الساحلي لأنه اعتمد على مصادر قيمة نفتقر إلى معظمها واتبع في ذلك، منهجية برونشفيغ Brunschvig أي المنهجية التاريخية.

وابتداءا من القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي يصبح الاعتماد على الدراسات الأجنبية المعتمدة هي الأخرى على وثائق محفوظة بإسبانيا وإيطاليا وهي المعاهدات التجارية المبرمة بين أمراء المغرب والملوك المسيحيين. وهي الفترة التي بدأت القوات البحرية المسيحية تظهر تفوقها على المسلمين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وتناولها مستشرقون فرنسيون

خاصة، أذكر منهم : De Mas Laterie الذي درس العلاقات التجارية الإسلامية المسيحية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ونشرها في كتابه المعروف :

« Traités de paix et de commerce et Documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de L'Afrique Septentrionale au moyen age » Paris 1866.

معتمدا في ذلك، على الأرشيف التاريخي المحفوظ بإيطاليا وعلى أرشيف المغرب العربي بفلورونسا والذي نشره المستشرق الإيطالي Michel Amario في كتابه :

« Diplomi arabi del archivo Fiorentino » والأرشيف المحفوظ ببرشلونة المحفوظ ببرشلونة ونشره أيضا Campany في كتابه « Histoire du Commerce de Barcelone ».

كما ان كتاب برونفينغ Brunchvig : « La Berbérie orientale sous les Hafsides » والذي تخصص في تاريخ الدولة الحفصية بتونس لا يقل أهمية إذ يتعرض إلى أحوال إفريقية وكل ما يؤول إليها في القرنيين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع ميلاديين وإلى الصراعات السياسية التي عرفها المغرب من صراع حفصي مريني زياني وصراع زياني حفصي ومدينة الجزائر يرتبط مصيرها في كل مرة، بحكم إحدى هذه الدويلات.

ويبقى مرجع المستشرق الفرنسي ديفورك Dufourg : « L'Espagne Catalane » من اهم المراجع إ\ أمد البحث بوقائع وحقائق تاريخية مهمة، تخص المدينة، استشفها هو أيضا من أرشيف بالما ومايوركا وألقت الضوء على جوانب عديدة كنا نجهلها فيما يخص عملية التجارة بالمدينة وكيفية النزول فيها في الفنادق وكيف تتم بها عملية الشراء والبيع والتخليص وأهم الإجراءات التي تقوم بها دار الجمركة أو الديوانية والنظم السائرة بها وعن أهم الحمولات التي تشحن من مينائها وهذا ما يفسر وجود الرحبات والقيسارية والفنادق ودار الجمارك...الخ.

وأما ديستومب Destombes في كتابه « Cartes Catalanes » فيسشهد بالنصوص الملكية وأرشيف الـ A.C.A المحفوظ بإيطاليا دائما. ويبقى هذان المرجعان الأخيران مصدرين أساسين بالنسبة لموضوعي لأنني اعتمدت عليهما كثيرا في التحليل والاستنتاج من خلال المعلومات التاريخية المذكورة في كتابيهما وذلك فيما يخص القرن السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر ميلاديين.

وأخيرا وهي الفترة العثمانية، فالمصادر والمراجع كثيرة جدا وتمدنا بتفاصيل عديدة يأخذها البحث بنظرة نقدية لأنها نصوص رحالة أجانب فيها بعض التجاوزات وكانت لأغراض عسكرية وسياسية واستعمارية أيضا حيث وصفوا أسوارها وتحصيناتها من حصون وأبراج وقصبتها. وسواء كانت حقيقية أو متجاوزة إلا أنها ساهمت في إعطاء نظرة إجمالية وصورة ناطقة عن مدينة المدنية، استطاع البحث أن ينسج بها الموضوع.

أما القسم التطبيقي، فيشمل الدراسة العمرانية المعتمدة على المقارنة لانعدام دراسات في هذا المجال وانعدام الآثار والوثائق واستحالة إجراء الحفريات بها، فاعتمدت إذا، على كتاب أندري ريمون (A) Raymand « Grandes villes arabes à l'époque ottmane" الذي درس فيه منوغرافيات المدن الإسلامية في الوطن العربي في الفترة العثمانية التي حافظت فيها على طابعها المعماري المتشابه في أساسه في كل المدن.

وتشمل الدراسة كل الجوانب : التاريخية والاجتماعية والثقافية والدينية وكل الهياكل العمرانية التي تتركب منها.

وبدأ البحث بالدراسة العمرانية التي اعتمد فيها على بعض المخططات التي أنجزت بعد الاحتلال الفرنسي حيث تم رفع بيانات مخططات تقريبية لما بقي من منشآت، بعد عملية التهديم مثل مخطط أودال Eudel الذي يرجع له الفضل نوعا ما في إعادة تصور الحي المركزي للمدينة مستعينا بشيوخها، إذ جالوا معه في كل الشوارع للبحث عن بدايتها ونهايتها واستعان في ذلك، بخرائط مصلحة الهندسة المعمارية التي تركها ديفولكس Devoulx محفوظة بالمكتبة الوطنية حيث تمكن له أن يرفع مخططا موجودا في كتابه "الجزائر" وال<ي استلهمه من مخطط الجنرال لوفيني Luvini سنة 1831 الذي يعتبر أول هذه المخططات التي ساعدت الدراسات الحديثة، في البحث عن عناصر المدينة العمرانية ومخطط بولي Pelet الذي كان مهندسا معماريا عسكريا ومديرا للمشروع الرهيب الذي يتمثل في تهديم المدينة وبناء ساحة الحكومة ولهذا، قام بإنجاز مخطط لا يظهر فيه مركز المدينة سوى فراغا ثم مخطط أماريت Emerit الذي حاول إعطاء عرضا تخطيطيا لمركز المدينة التجاري، أخذه أيضا من تخطيط أودال ونشره في مجلة Alegria سنة 1952 حيث وزع فيه أهم الأسواق التي كانت تتمركز في قلب المدينة. ونشرت مصلحة الكوميدور [*] معظم هذه المخططات التي هي محفوظة بأرشيف الهندسة المعمارية بفرنسا.

---

[*] – COMEDOR, centre de la Rénovation et la Restructuration de la Casba d'Alger.

كما اعتمد البحث أيضا على الدراسة القيمة التي قام بها ديفولكس Devoulx عن طبوغرافية مدينة الجزائر « Alger, étude topographique » وذلك منذ نشأتها ابتداءا من ايكوسيم أي من العهد الفنيقي، لكنه ركز أكثر على الفترة العثمانية لأن المدينة حافظت نوعا ما على ملامح هذه الفترة ثم نشره في أعداد مختلفة من المجلة الإفريقية لسنوات 1875و1876 و ساعدته في ذلك، في الحفريات التي أجراها الباحثون الفرنسيون بعد 1830 وعلى الأشغال الهندسية التي قامت بها مصلحة الهندسة المعمارية إثر التهديم سنة 1830 و1831 و1832.

وعن الدراسة المعمارية، فتناول فيها البحث، الوصف المعماري الذي يبقى صعبا لأن المقارنة لا تعطي وجها حقيقيا للمدينة،لذا كانت الأوصاف تقريبية لأن هيئة السوق متشابهة في كل المدن والتي اتخذت من الرواق والقبو طرزا وشكلا معماريا موحدا ومنه استلهمت الأسواق المغطاة التي تطلق على الفنادق والقيساريات والرحبات...الخ وحوانيت هذه الأسواق لا تختلف أيضا ويجعل Raymond من حوانيت حلب في سوريا، النموذج وأن وصفها ينطبق على حوانيت مدينة الجزائر وكل حوانيت المدن الإسلامية من الخليج إلى الأطلس ويجعل من فندق الفرنسيين بتونس الذي وصفه Granchamp ونشر عنه مقالا في الكراسات التونسية، أنه النموذج الأول لفنادق مدينة الجزائر كلها وتنطبق عليها أوصافه وهو فندق بني سنة 1660 فقط في حين تتوفر المدينة على عدد كبير منها يذكرها Brunschving في كتابه السابق الذكر تعود إلى الفترة الوسيطة.

أما القيسارية فليس لها ذكر في المصادر، رغم أن البحث يعطي احتمالا لوجودها قبل العهد العثماني كما سيأتي في الفصل الأول وحاول أن يستلهم من الدراسات المقارنة كقيسارية تلمسان التي حظيت بدراسة ليست تفصيلية لكنها تطرقت إلى التصميم العام في الأسواق المغطاة. وأما الرحبة أو رحبة القمح فلا نجد لها ذكرا إلا في إيكنوغرافيات الرحالة الألمان من فترة مبكرة من الوجود العثماني مثل أطلس بروان.

وأما عن الوصف الفني الزخرفي لا أجد فيه الكثير لذكره لماذا؟

أولا : لا آثار للبنيان.

ثانيا : إذا كانت نشأة مدينة الجزائر أو جزائر بني مزغنة في العهد الزيري كمنفذ بحري فقط، لمنطقة أشير ومليانة والمدية، أي أن الغرض منها كان لمصلحة سياسية واقتصادية فقط، فالإهتمام بالجانب الفني، لم يكن يهم الأمراء أو منشئوها وإن حصل ذلك، فالفن في هاته الفترة، كان بسيطا جدا يستمد أصوله من الفن البربري المحلي مع بعض التأثيرات الأندلسية والتي نلاحظها في جل

البنايات والمنشآت المعمارية في المدينة نظرا لارتياد الأندلسيين عليها ومن خلال بعض المصطلحات المعمارية التي بقيت متداولة بين السكان مثل صاباط وامسيد وحومة وفي طريقة التسقيف الخارجي للبنايات وهو السقوف المنحدرة ذات القرميد الأخضر. وربما توفرت في وقت لاحق، عندما فتحها المرابطون ثم الموحدون ثم الزيانيون فيما بعد، وأصبح الطراز الأندلسي غالبا تقريبا على كل العمارات والمنشآت المعمارية في المغرب ابتداءا من القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي ونلاحظه في مدينة الجزائر من خلال زخارف المسجد الكبير.

وتتناول الدراسة في مجملها، عناصر أخرى كمواد البناء وهيئة الأقبية والعقود والأعمدة والأروقة والبواب وكيفية التسقيف والتبليط...الخ.

ومما لاشك فيه، هو أن أسواق مدينة الجزائر بكل أجهزتها(الحوانيت، الفندق، القيسارية الرحبة) كانت بسيطة في بدايتها وأن المظهر الخارجي الزخرفي اكتستهفي العهد العثماني حيث كانت التغطية بالبلاطات الخزفية معروفة ومبدأ السمترية يظهر في كل بناياتهم والأعمدة الحلزونية الرشيقة والتيجان الكورنثية كثيرة الإستعمال.

وأشير هنا إلى أنه فيما يخص العناصر المعمارية، تم رفعها من الصور والإيكنوغرافيات ثم قمت بتكبيرها، لعدم وجودها، في حين استلهمت بعض الأشكال من الدراسات المقارنة لأنها تتشابه وتتطابق أحيانا في الحجم، لهذا لم يكن ضروريا أن أستعمل مقياس الرسم.

والعنصر الأخير في الموضوع، هو التركيبة السكانية التي عمرت المدينة من فترة مبكرة وشغلت الأسواق باحترافها منها وحرفا متعددة ومختلفة وكونت بذلك، ما يسمى بالطوائف الحرفية التي تشعبت هي الأخرى مفاهيمها وخصائصها ووظائفها والتي انصهرت في مجموعات عرقية مميزة، وشغرت فضاءات معينة من المدينة وفقا لما يتطلبه فن العمران الإسلامي.

وفي هذا المجال، فالمراجع تكاد تنعدم فيما يخص الفترة الوسيطة، للأسباب المذكورة من قبل ماعدا نص ابن الأبار الذي اعتمد عليه البحث للإشارة بصورة طفيفة إلى التنظيم الطائفي الذي عرفه مجتمع مدينة الجزائر منذ فترة مبكرة. أما في العهد العثماني فإن المراجع كثيرة في هذا الموضوع بالنسبة لمدينة الجزائر لأن هذا النظام كان يميزها ويضبط أمورها وتعرف حرفيا به كإحدى السمات الرئيسية في الفن الحرفي.

ويبقى كتاب أندري ريمون مرجعا مهما في هذا أيضا، بما أنه تطرق إلى المجموعة البشرية التي تنشط داخل الأسواق إلى جانب مقال تواتي هواري فيما يخص تصنيف بعض الطوائف ومراجع كثيرة أخرى تشير إلى هذا الموضوع بصفة عامة، اعتمدت عليها للمقارنة.

وأخيرا تدعم هذا البحث، خرائط مختلفة المواضيع والفترات التاريخية أخ>تها من المراجع السابقة الذكر وتصرفت فيها حسب ما جاء في البحث من تحليل شخصي عن مدينة الجزائر وهي :

أولا : خرائط اقتصادية تبين أهم المسالك البرية والبحرية للمدينة ابتداء من القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي.

ثانيا : خريطة تبين المسالك التجارية المتعددة للمدينة مع العالم في العهد العثماني لأن علاقات المدينة في هذه الفترة لم تتغير ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي.

واعتمادا على أوصاف الرحالة المسلمين للمدينة في العصر الوسيط بالإضافة إلى ما قام به Devoulx حول الطبوغرافيا الاقتصادية لها، حاولت أن أخرج بصورة موحدة لهذه الدراسات وتقريبية نوعا ما، من حقيقة المدينة العمرانية وأرفقت معها مخططا كبير الحجم للمدينة قبل 1830، صححت فيه بعض الخطاء التي وجدتها في المخططات السابقة الذكر ووزعت فيه الأسواق وهياكلها الأخرى، بذكر الشوارع والدروب لأن ديفولكس أخطأ في مرات عديدة في توزيع وتموضع بعض الأسواق.

وفي نهاية الموضوع، يبين لنا البحث أن المدينة أخذت مدينتها وتكوينها تدريجيا ومرحليا بمعنى بتطور الزمن والتاريخ، تبعا للظروف التاريخية التي دفعتها في كل مرة، للإنطواء تحت لواء دويلة من الدويلات الحاكمة التي لم تنقطع فيها عملية التجارة بل تكثفت في مينائها البسيط آنذاك سواء داخليا أو خارجيا أي مع مدن المغرب الأوسط ومدن المغرب كله والمشرق ومدن البحر الأبيض المتوسط ومنها الأندلس وأنها وصلت إلى التطور الشامل والنهائي في العصر العثماني.

وإن كانت هناك نقائص، فإن البحث مازال متواصلا في سبيل الوصول إلى الحقيقة العلمية وإعادة النظر في بعض ما كتب عنها.

**خطة البحث :**

لقد اتبع البحث محورين أساسيين وهما القسم النظري الذي ركز على التحليل التاريخي كثيرا والقسم التطبيقي الذي يعتمد أيضا على المقارنة في غياب الآثار لأن خصائص المدينة الإسلامية متشابهة في وحدة تكوينها المعماري والعمراني ولا نجد الاختلاف إلا في بعض العناصر الصغيرة كالعدد والحجم والزخرفة والتحديد الجغرافي...الخ وينقسم البحث إلى :

**مقدمة :**

وتتطرق إلى الخطوط العريضة للموضوع وأهميته وأهم العناصر التي تكونه بعد أن طرحت فيها الإشكالية التي هي منطلق هذا البحث، الذي أدى بالموضوع إلى العصر الوسيط كبداية نشأة السوق بالمدينة ثم قدمت المنهجية التي اعتمدت عليها فيه والتي تنطلق من :

**المدخل :**

وهو فصل تمهيدي يتناول أهمية السوق في تكوين المدينة كعنصر نشأة وتطور في المدينة والتي تقوم أساس عليه وبينت فيه كيف أن السوق في مدينة الجزائر كان له الدور الكبير في نشأتها وبعدها انتقلت إلى الفصول وهي خمسة :

**الفصل الأول :**

يتناول الدراسة التاريخية التي تشمل نظرة تاريخية عن المدينة وعن نزوح قبيلة مزغنة إليها منذ بداية الفتح الإسلامي لأنه لا يمكنا دراسة الظاهرة التجارية بدون معرفة تاريخ المدينة في هذه الفترة وركزت كثيرا على بداية العصر الوسيط حتى القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي لأنها فترة غامضة للمدينة وقلما كتب فيها المؤرخون وهي مرحلة أساسية أيضا في تكوين المدينة لمعرفة أيضا إن كان السوق نشأ عفويا وفي أرض خلاء أم كانت هناك مؤشرات اقتصادية وسياسية أيضا خلقتها ظروف قد بينتها بالتحليل التاريخي لأن الظروف السياسية مرتبطة بالظروف الاقتصادية التي تنجم عنها التجارة وبالتالي نشأة السوق منذ عهد مبكر وبشروط معينة فرضتها ضرورات سنعرفها في البحث ولأن على عهد قبيلة مزغنة تم إحياؤها وازدهرت الفلاحة ثم بعد فترة قصيرة، لا يعود لها كيان في المدينة إذ ابتداء من 1153م أي مع غزوة بني هلال يختفي اسم مزغنة وتصبح مدينة الجزائر تذكر بدونها.

**الفصل الثاني :**

ويتناول المفاهيم المختلفة للسوق وأنواعه كمفهوم عام يقصد به تلك الحركة التجارية التي تقوم بها الجماعة في محيط معين وفي بضاعة معينة وكهيئة عمرانية قائمة لها طابعها وشكلها المعماري المميز وأوجه الشبه والإختلاف بين عناصرها ووظائفها التي تؤديها كل من القيسارية والفندق والرحبة والبادستان ...الخ وأهم التنظيمات التي تخضع لها في إنشائها وبنائها وأهم المعايير الأساسية والطبيعية التي تتحكم في تمركزها وتموضعها في المدينة.

**الفصل الثالث :**

يشمل هذا الفصل، الدراسة العمرانية للمدينة بمعنى التكوين العمراني لها، بما ان السوق هو الشريان الرئيسي فيها وبه تختط العناصر الأخرى وتحدد الشوارع والأماكن العامة والحارات أو كما يسميها المقريزي الخطط ولهذا تطرقت إلى دراسة الطبوغرافيا الاقتصادية لتحديد وتوزيع الأسواق داخل شبكتها المدنية وهذه أيضا تخضع لشروط مختلفة ودينية وثقافية وبشرية واقتصادية.

**الفصل الرابع :**

ويتطرق هذا الفصل إلى الدراسة المعمارية للسوق أي الوصف المعماري لكل من السوق والشارع والحانوت والفندق والقيسارية وغيرها، لما لهذه العناصر من أوجه الشبه والاختلاف، لاختلاف الوظيفة الدور أيضا، لأنها تتخذ شكلا واحدا في كل الحضارات.

وبالوصف الفني يتطرق البحث إلى عملية التأثير الملحوظ في تخطيط هذه العناصر وإلى مواد البناء وإلى الزخرفة إن كانت هناك زخارف تذكر. وتبقى المقارنة المنهج الأساسي لهذه الدراسة في غياب المادة.

**الفصل الخامس :**

يتناول هذه الدراسة الوسط البشري الذي ينشط داخل هذه الأسواق من أهم الطوائف الحرفية والتجار على مختلف أجناسهم ودياناتهم وحرفهم بالإضافة إلى تنظيماتهم المهنية وتعريفها كاختصاص مهني ومكاني وعرقي والوانين التي تخضع لها كالأمين والمحتسب أو ناظر السوق وإلى اللباس الخاص لبعض الطوائف.

**الخاتمة :**

وفي الخاتمة تتبين لنا أهمية السوق في نشأة مدينة الجزائر منذ العصر الوسيط نتيجة تنوع التجارة بها وكثافتها رغم بساطة بدايتها وأهمية العناصر الاقتصادية المتفرعة منها والتي أدت إلى جانب الأسواق دورا مهما في إقتصاد المدينة وكانت إحدى العناصر الأساسية في تكوينها في نشأتها وبرزت معها طوائف مختلفة تخضع لنظام واحد، بين البحث مزاياه ومساوئه وأسباب اندثاره وأسباب انحطاط الاقتصاد المغربي بصفة عامة ثم تطرقت إلى عملية طمس أهم العناصر المعمارية للمدينة من طرف الفرنسيين بذكر منظومة الشوارع التي تغيرت أسماؤها.

وأخيرا أدرجت قائمة لشرح المصطلحات التجارية وقائمة للمصطلحات العامة والأعجمية وفهارسا لكل من :

- الشوارع
- الفنادق
- المقاهي
- الحمامات
- الأفران
- المطاحن
- باعتبارها عناصر اقتصادية ذات دخل يومي، ثم فهارسا لكل من :
- المصطلحات المحلية
- الطوائف الحرفية
- المصطلحات المعمارية
- الأعلام.

**مدخـل :**

إن السوق نتاج حضاري توارثته الأمم توارث الحضارات لأنه مركز الحياة الاقتصادية وعصب المدينة الرئيسي والرابط القوي بين التجارة والإنسان وكان على مر العصور في خدمة الحاجيات المادية والروحية لسكان القرى المجاورة.(1)

فكان في المجتمعات الإغريقية الرومانية يقوم في الأقورا أو الفوروم أي الساحة المكشوفة المحاطة بالأروقة التي تعقد فيها اجتماعات التجار وتقام فيها الكنائس.(2)

أما في المجتمع الإسلامي فكان السوق في بدايته يقوم على شكل تجمع شبه مستقر في البوادي والقرى أو على طرق التجارة كمحطات للراحة ثم تطور ليصبح أماكن تجارية يقضي فيها الناس شؤونا مختلفة من حياتهم (3) يتبادلون فيها آراءهم وبضائعهم ويعقدون الصفقات التجارية في أيام معلومة من الأسبوع لأن في السوق تنشأ روابط العلاقات الإنسانية بين الأشخاص وبين القبائل حيث يقضي على الذاتية الفردية وتظهر المصلحة العامة للمدينة أو للقرية أو للقبيلة.(4)

وانطلاقا من هذا المفهوم، فإن مدينة الجزائر تستمد أهميتها التاريخية من سوقها وهو الهيكلة الأساسية التي قامت عليها وبها اكتسبت مدينتها في خضم المدينة الحضارية المغربية بصفة عامة والتي نشأت من جراء العلاقات التجارية الكثيفة التي عرفها المغرب منذ أن خلق الفينيقيون تلك الإسكالات العديدة على سواحله لإجراء مقايضات بذهب السودان الذي كان يأتيهم من صحراء المغرب عبر مدنه الداخلية إلى سواحله ليشحن إلى المشرق أو أوروبا. واهتم الرومان أيضا بكل ما ينتجه المغرب، خاصة الحبوب، حتى سمي بمخزن روما وبالصناعة الحرفية واللذان أهلاه لهذه الدرجة.(5)

الطلق في أمكنة معينة سواء يومية أو أسبوعية أو موسمية يجتمع فيها الناس لقضاء حاجياتهم. وكثير من الأربطة المغربية كانت أسواق معارض كالموناستير في الساحل التونسي وشرشال في الساحل الجزائري وساماط بالمغرب الأقصى.[1]

ولما اشتدت العلاقات التجارية أكثر وأصبحت مرتبطة ببعض، ربطت بع> المدن علاقاتها بأسواقها وه>ه الظاهرة نلحظها في المصادر العربية التي كلما ذكرت مدينة، ذكر فيها المسجد الجامع والسوق، نظرا لما للهيئتين من معنى قوي في ربط الروح بالمادة.[2]

ومع هذا التغير في الحضارة وفي المفاهيم وفي الطابع المدني ومع التطور العمراني، أصبح السوق قاعدة أساسية لاتخاذ مدينة والاستقرار فيها لأنه سمتها ويقوم على سنة المساجد التي ينتظم بها المجتمع الإسلامي حسب المقاييس العرقية والمهنية والجغرافية داخل هيئة عمرانية تشبعت خصوصياتها ووظائفها وأغراضها في ظل الحكم والقوانين المسننة على سنة الشريعة.[3]

ووجهت تعاليم الرسول(ص) نظام التوزيع الوظيفي للفراغات الحضرية، حسب مفهوم الوظيفة في الإسلام واعتبارا لحرمة الفراغات، بتخطيط شوارع تقوم فيها التجارة وسكك تربط بين التكوينات المعمارية [4] وتحدد بذلك، تنظيمات السوق وأصبحت تقام في الطرق المتوازنة وبالقرب من المسجد الجامع.[5]

اكتسبت مدينة الجزائر مدينتها الإسلامية منذ فترة من العصر الإسلامي أي منذ القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي وبدأت تتطور تدريجيا مع تطور المفاهيم الحضارية لأن هذا القرن هو الفترة التي ظهرت فيها المدينة كميناء مهم ومرسى ملمونا ترسو به كل السفن سواء الآتية من البلدان الإسلامية أو من البلدان الأجنبية، كما انه فترة صراع بين المذاهب الدينية من شيعية وسنية وإباضية..الخ وصراع اقتصادي وهو السيطرة على المسالك التجارية البحرية والبرية وخاصة المؤدية إلى ذهب السودان.

وبمساهمتها في هذا التيار التجاري الكثيف، أعيد اختطاطها حسب خصائص المدينة الإسلامية، مجهزة بكل وسائل الحياة المدنية في ظل الاستقرار والانتعاش الاقتصادي اللذان عرفتهما عبر مرور الزمن، فكان السوق والمسجد الكبير هما سمتيها الأساسيتين على غرار المدن الإسلامية

---

[1] – BRUCHVIG R, « Histoire des foires à travers l'islam », in. R.S.J.B, 1954, pp.50-52

[2]- عبد الستار، المدينة الإسلامية،ص.

[3]– دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 12، ص.380

[4]– بن يوسف(ابراهيم)، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، الجزائر 1991، ص.79

[5] – SOURDEL L, La Civilisation de l'Islam classique, Paris 1983, p.364

الأخرى وحسب الشروط الرئيسية من إقامة المدينة وتوزيع الأسواق بها مع المحافظة على التخطيط الروماني السابق بها وبعض عناصره العمرانية.
وتظهر أهمية المدينة، في العصر الوسيط من خلال أوصاف الرحالة والجغرافيين المسلمين الذين وصفوا في غالب الأحيان أسواقها فقط وذلك اعتمادا على "زياراتهم لها أو اعتمادا على آخرين، من خلال التقارير السياسية التي كانت تنجز للحكام آنذاك من باب الجوسسة. وكان علم البلدان في هذه الفترة، يخدم التجارة أكثر مما يخدم العلم، إذ جاء ليكون لها هاديا ومرشدا كما يقول الإصطخري. [1] في دولة إسلامية كبيرة.

وبما أن التجارة كانت العصب المحرك في هذه الفترة، فكانت الأوصاف كلها تتركز حول النشاط الاقتصادي وبالتالي حول أسواقها سواء كانت مفتوحة أم مغطاة. ومن هذا الباب، نالت مدينة الجزائر حظها من هذه الأوصاف ولو كانت وجيزة جدا. وكان ابن حوقل والمقدسي من السباقين في ذلك، حيث يذكر أن أسواقها كثيرة في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي.

وكثرة الأسواق، تعبر عن الشوارع المستقيمة التي أقيمت على جانبيها أروقة مغطاة ومرفوعة على أعمدة أي على هيئة الرواق وفتحت في حوائطها حوانيت ومخازن وسميت أسواق وهو ما وصفه البكري عنها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، في فترة الإحياء وتنظيمها العمراني/ مما أدى إلى ظهور السوق الحضري بها، فأصبحت الحياة داخل أسوارها منتظمة وتخضع لقوانين حضرية شرعها الفن العمراني والمعماري وفرضتها الأولوية الاقتصادية بحيث توزعت أجهزتها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل المدينة وما اقتضت الضرورة إلى إخراجه وراء الأسوار، قام في الأرباض.

ويعكس هذا التنظيم، الرخاء الاقتصادي ووفرة المال بفضل الضرائب المجباة على القوافل الداخلية إليها والمكوس أو الضرائب الجمركية المفروضة على البضائع الداخلية إلى الميناء، مما أغنى الخزينة وأدى إلى ظهور أسواق مغطاة كالفنادق والقيسارية وهي أسواق ذات هيئة معمارية معروفة، تتمثل في ساحة مركزية تحيطها اروقة، رصفت أرضيتها بالحجارة وغطيت سقوفها

---

[1] - الاصطخري (ابن إسحق ابراهيم بن محمد الفارسي)، المسالك والممالك، تحقيق، محمد جابر عبد العال الحيني، مصر، 1961

بالجملونات الخشبية لتقيها من الشمس والمطر.[1] وهي بنايات أقيمت للتجار الأجانب ظهرت ابتداء من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي حين بدأ يرتادها التجار الأوروبيون وكانت تخصص كل بناية لجنسية معينة، هي مديرة شؤونها بداخلها وفق التنظيمات الخاصة بها. وقامت مع هذه الأسواق، خدمات اجتماعية تدر بالخير الكثير على البلاد، نظرا لوظيفتها الاقتصادية التي كانت تقوم بها إزاء هذه المؤسسات، رغم بساطة هيئتها وشكلها، كالديوانية وبيت المال وشغلت فراغات معينة ومحددة داخل المدينة وفق شروط طبيعية، بحيث كانت الأسواق التي تمارس فيها حرف وتجارات ثمينة، تقام أما المسجد الجامع وتشغل الأسواق الأخرى، فراغات تقل أهميتها كلما اقتربنا من الباب.

ومن هذا التنظيم، أخذت بعض العناصر العمرانية، اسم الحرفة الممارسة فيها كالأبواب والشوارع مثلا، كباب الفخارين وشارع الصفارين ومسجد الشماعين وثكنة الخراطين وباب السمارين....الخ. ونسبت بعض الأسواق إلى جنسياتها كفندق الجرابة وسوق اليهود أو إلى تجارتها، كفندق الزيت وسوق الدكير...الخ.

وكانت للتركيبة السكانية، دور أيضا في هذا التكوين للمدينة من خلال مسامتها في النهضة الصناعية والتجارية والحرفية، على مختلف أجناسها كالجالية الأندلسية من مسلمين وأهل ذمة، التي أثرت المدينة بتجارتها الواسعة فيها وتفوقها في الفن الحرفي والمعماري وذكر A.Berque أن الطراز المعماري لمدينة الجزائر كان يشبه الطراز المعماري في الأندلس وتقريبا في كل من البحر الأبيض المتوسط.[2]

[1] - عكاشة (ثروت)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق الأولى، طبعة1994، ص.72

[2] – BERQUE I, L’interieur du Maghreb, éd. Gallimard, Paris 1978, P.208

# الفصل الأول

# دراسة تاريخية

**ـــةــ**

**1**-تاريخ جزائر بني مزغنة في بداية العصر الوسيط.

2- اقتصاد مدينة الجزائر

3-نشأة السوق بمدينة الجزائر

**1- تاريخ جزائري بني مزغنة في العصر الوسيط :**

قبل الحديث عن السوق ، وجب التطرق إلى الظروف التاريخية التي أنشأت مدينة الجزائرية الإسلامية لأن السوق وليد هذه الظروف، وكان له ولقبيلة مزغنة التي لجأت إليها في ظروف نجهلها، دور فضل كبيرين في هذه النشأة وربما السبب المباشر ثم تطور ليصبح هو ميزتها الأساسية. ويتبين ذلك، عبر هذا التحليل التاريخي الذي استنتجته من المعلومات المتفرقة التي جاءت في مصادر القرون المتتالية للفتح الإسلامي لأننا لا نعرف شيئا عن المدينة خلال القرنين الأولين منه وهما الفترة المهمة في بداية المدينة ومنطلق أهميتها التي اكتسبتها فيما بعد، لأنها الفترة التي لم تكن فيها سوى سوقا بسيطة ترتاده تجار القرى المجاورة الذين بفضلهم أصبحت المدينة تعرف بأسواقها الكثيرة التي كانت سبب توافد البحارة عليها سواء من إفريقية أو من الأندلس بمعنى التوريد والتصدير منذ فترة مبكرة كشف النقاب عنها من المؤرخين الأوائل، أي في القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي، اليعقوبي عندما زار المغرب الإسلامي سنة 265هـ/878م وعرج على منطقة متيجة وذكر أنها بلد واسع، وبه سهول كثيرة وعدة مدن، يعرف بقزرونة وقبائله من صنهاجة من البرانس مستقرين في معظم هذه المدن وأنهم أصحاب عمارة وزرع وضرع وتحت نفوذ إمارة علوية تنسب إلى بني جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب "من فرع الأدارسة الذين حكموا المغرب الأقصى سنة 184هـ/800م" .[1] .

تقع مدينة الجزائر في هذه المنطقة الصنهاجية التي ذكر ابن خلدون أن قبيلتها مزغنة كانت بطن من بطون صنهاجة وكانت تسكن في الجوار وتعيش في مداشر من الخوص والشجر ثم لجأت إليها في ظروف لا نعلمها.[2]

إذن، لا اليعقوبي ولا ابن خلدون، يذكران أن مدينة الجزائر كانت تحت نفوذ متيجة، لكن العوامل المشتركة البشرية المتمثلة في نفس الفرع أي قبيلة بربرية وهي صنهاجة والعوامل البيئية وهي نفس المنطقة ونفس النشاط الفلاحي والعوامل الجغرافية وهي قربها من متيجة، يؤدي حتما إلى القول بأنها مدينة من مدنها وتقع تحت نفوذها وما يقال عن متيجة، يقال عنها.

ويعد هذه المعلومات، يبقى السؤال مطروحا وهو متى كان دخولها الإسلام ؟

---

[1] - اليعقوبي(أحمد بن يعقوب بن واضح)، وصف افريقية الشمالية من كتاب البلدان، طبعة2، بريل ليدن، 1892، ص14

[2] - ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر والديوان المبتدأ والخبر، المجلد السادس، القسم الأول، الجزء1، دار الكتاب اللبناني، ط.بيروت. 1978، ص.314.

في الحقيقة لا توجد لدينا وثائق تحدد لنا بالضبط، دخول المنطقة أو المدينة، الإسلام، لكن بالمقارنة والتحليل وما يقال عن إفريقية والمدن المغربية الأخرى، ينطبق عليها لأنها محكومة داخل نظام إداري معين الذي سمح للبحث بإعطاء بعض الاحتمالات، لا تستطيع الدراسات الحديثة الجزم فيها، ما دامت الدلائل المادية منعدمة، كأن نقول ربما دخلت الإسلام، عندما استكمل حسان بن النعمان الفتح بالمغرب سنة 86هـ/705م، بما أنها كانت قائمة وهو الذي رتب الإدارة ودون الدواوين ورتب المكاتب والموظفين أو أنها دخلت الإسلام مع حملات موسى بن نصير حين اقتطع للعرب فيها، مناطق مغربية مستقلة،[1] كما يحتمل أنها دخلت الإسلام مع صولات بن وزمار المغراوي الذي أعلن إسلامه بين يدي عثمان بن عفان وبرجوعه، دخلت معظم القبائل البربرية الإسلام[2] وكانت حدود بلاده تمتد من تلمسان حتى شرشال وواد السبت، بالقرب من متيجة، بل قبائله تحيط هذه الأخيرة، شرقا وغربا وجنوبا كالأغواط والحضنة وريغة وهذا مجال مغراوة الزناتية التي كان لها دور كبير في الفتوحات الإسلامية. [3] والمرجح أنها دخلت الإسلام مع حملة عقبة بن نافع الثانية على المغرب سنة62هـ/681م عندما فتح منطقة الزاب الأسفل وفتح تيهرت. ومنطقة متيجة، تقع بينهما وهو التقسيم الإداري الأول للفتح الإسلامي.[4]

وسواء هذا أو ذاك، فأكيد أنه لما فتحها الإسلام، كانت تدفع الخراج كمثيلاتها من المدن الإسلامية وذلك عن منتجاتها الفلاحية، وما تقرر عليها من الأموال عن طريق الولاة بإفريقية دون أن تخضع في هذه الفترة لعمال.[5]

وتبقى القيروان هي مركز التأثير والتأثر لكل المغرب، للحياة السياسية والدينية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية أي نموذج إداري يقتدي به في الحياة اليومية. لكن السؤال المطروح هو، متى نزحت قبيلة مزغنة إلى ميناء مدينة الجزائر وأصبحت هي الطائفة التي تعمره وتبعث فيه الحياة من جديد من خلال الفلاحة والزراعة والتجارة؟

---

[1] - مؤنس(حسين)، تاريخ المغرب وحضارته، المجلد الأول، الجزء الأول، ط.1، بيروت 1992، ص.106
[2] - بونار(رابح)، المغرب العربي، تاريخه وثقافته، ط2، الجزائر 1981، ص.22
[3] - الجيلالي (عبد الرحمن)، تاريخ الجزائر العام، ج.1، ص.192
[4] - ابن عذاري(المراكشي)، البيان المغربي في ذكر الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وبروفنسال، ج.2، بيروت 1983، ص.64
[5] - مؤنس(حسين)، نفسه، ص.218

لا نعلم عنها شيئا طيلة هذه الفترة، حتى القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي حين يذكرها ابن الخطيب سنة 327هـ/938م فيقول " قدمت رسل العدوة الغربية من زناتة والأدراسة والقيراون وجزائر بني مزغنة وملك القسطنطينية العظمى إلى الناصر الأموي الأندلسي راغبين منه في إيقاع المؤالفة."[1]

يعتبر هذا النص، اول وثيقة تذكر بني مزغنة، فهل أقطع العلويون ميناء مدينة الجزائر لبني مزغنة ؟ بما ان بن خلدون يذكر أنها كانت تسكن في الجوار، أم الفاطميون وهي فترة حكمهم؟.
لما اقتطع العلويون منطقة متيجة لهم وترأسوا هذه القبائل بمعاونة أهلها لتعليمهم شرائع الإسلام واللغة العربية وإقرار المذهب السني فيهم وتوثيق العلاقات بين البربر والعرب وساعدوا هذه القبائل في رفع المستوى الحضاري،[2] فربما أقطع الحاكم العلوي بمتيجة، لقبيلة مزغنة، مدينة الجزائر، لتجعل من أراضيها فدنا لمزارعها ومسارح لأنعامها في ظل الهدوء والأمن مع الإمارة العلوية وفي ظل عاطفة الحب والتقدير لأن العلويين لم تكن لديهم أغراض توسيعة ولم يفرضوا على السكان ضرائب.[3] ومع مرور الزمن أصبح هذا الإقطاع ملكية قبلية.

وابتداء من هذا التاريخ، يصبح إسم مزغنة يقرن بمدينة الجزائر وربما ترجع إليها عملية الإحياء من جراء الزراعة الكثيفة التي كانت تمارسها، ثم تأقلمت مع الأوضاع والبيئة التي سيعرفها المغرب بصفة عامة فيما بعد.

وفي هذه الحالة، نزحت إليها إذن في فترة كان فيها ميزان الكفة للبحر حيث أصبح النشاط التجاري البحري رائجا بقوة والجاليات الأندلسية تجوب سواحل شمال إفريقيا بمعرفة جيدة، سواء للفتح أو للغزو أو للتجارة أو للجوسسة لصالح الدولة الأموية. وبما أنها كانت ترسو بموانئ هنين

---

[1] - ابن الخطيب(السلماني لسان الدين) تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام تحقيق وتعليق، ليفي بروفنسال، دار الكشوف، بيروت 1956، ص.37.
[2] – مؤنس(حسين)، المرجع السابق، ص.424.
[3] - لقبال(موسى)، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ/11م، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر 1979، ص.213.

ووهران وبرشك ومرسى الدجاج وبجاية، [1] فأكيد أنها كانت ترسو أيضا بميناء مدينة الجزائر لأنه كما يقول ابن حوقل، أكثرها كنا أي مرسى مأمونا[2] وقد أخرجها هذا الارتياد من عزلتها.

أما الملاحظة الثانية، فهي أنه يذكرها منفصلة، على أساس مدينة مستقلة عن كل حكم، فيذكر زناتة وهي فرع بربري يحكم الجهة الغربية من المغرب الأوسط والأدارسة كدولة مستقلة في المغرب الأقصى وتلمسان وأحوازها، أما القيراون، فهي عاصمة الفاطميين في هذه الفترة ونحن نعلم أن سكان القيراون لم يعيشوا فترة هدوء واحدة خلال الحكم الفاطمي وكانوا يتذمرون منهم في كل مرة وخاصة الفقهاء منهم. (خريطة1) فنفهم من النص أن مدينة الجزائر رغم وجودها تحت الحكم الفاطمي، إلا أن سكانها يميلون للناصر أمير قرطبة أو ربما حتى هذه السنة، لم تخضع للفاطميين إذ لم يذكر عنها كانت من اعمال الشيعة، فقد تكون محافظة على استقلالها وعزلتها منذ العلويين أو منذ الفتح الإسلامي. لكن هل كان قدوم رسول جزائر بني مزغنة إلى الناصر تذمرا من الفاطميين أو إعلانا الولاء للأمير أو طلبا لمساعدة مالية؟ لأن عبارة إيقاع المؤالفة، تعني خلق العلاقات وربطها وتوثيقها بالولاء والطاعة والمساعدات، كلما تطلب الأمر ذلك.

وفي السنة الموالية أي سنة 328هـ/939م يذكر لنا ابن حيان أنه "في أواخر ذي القعدة منها، قدم وفد من أهل الجزائر بني زغنان من أعمال الشيعة توجه إليهم بكتبهم إلى السلطان، يخطبون ولايته ويسألون الدخول في طاعته ويتبرؤون من دعوة الشيعي ويرفضون طاعته ويسألون إنفاذ عامل عليهم، يقوم بأمرهم فجوبوا بالقبول والإسعاف وعاد الوفد إلى المغرب في عقب ذي الحجة من نفس السنة."[3]

يعتبر هذا النص، وثيقة تاريخية بالغة الأهمية لما تمده لنا من معلومات عن مدينة الجزائر كنا نجهلها. فسنة 328هـ/939م هي بالفعل فترة الحكم الفاطمي على المغرب وربما دخلت المدينة تحت طاعة العبيديين في هذه السنة لأنه يذكر أنها من أعمال الشيعة ويذكرها على أساس أنها مستقلة دائما لكن الشيعة وضعوا عليها عاملهم وحتى هذه الفترة لم تكن صنهاجة موالية لهم ولم تسند إليها البلاد إلا في سنة 335هـ/946م وأسندت المدينة لزيري بن مناد سنة 336هـ/947م . إذا فهل كان عاملها مباشرة من إفريقية؟

---

(1) - PICARD CH. La mer et les musulmans d'occident au moyen age VIII XIII P.U.F. 1ére éd.

(2) - ابن حوقل(أبو القاسم التنصيبي) كتاب صورة الأرض، مأخوذة من كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، ص.76

(3) - ابن حيان (أبو مروان القرطبي) ، المقتبس ، الجزء الخامس، نشره بدرو شالميتا، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد 1979، ص.360-361

نقف الآن عند الكلمات بالتحليل والمقارنة وربط الأحداث لاستخراج حقبة تاريخية قلما تكلمت عنها المصادر.

فكلمة وفد، قد نفهم منها أعيان المدينة وهم ربما الأثرياء الذين أغنتهم الفلاحة والتجارة بعائداتهما وأصبحت لهم الإمكانيات لتجهيز السفن والسفر إلى البلدان ولهم الشجاعة لحمل عبء مشاكل المدينة السياسية أو هم ما يسمون بالوجوه أي أعضاء مجلس الجماعة وهم أهل الحل والعقد كان يكونوا تجارا يدينون لهم بالتقدير والاحترام.[1] وأنهم جماعة من التجار أثقلتهم الضرائب الجائرة من جباية ومكوس ومراصد وخراج وجوال وأعشار وصدقات ومغارم التي فرضها الفاطميون لملء خزائنهم، كما فعل عامل الأوراس برعيته وهو أبو معلوم فلحون الكتامي حين طالبها بدفع مبالغ باهضة من المغرم وكلفها ما لا تطيقه حتى قتلوه سنة 310هـ/928م[2] أو أنها جماعة من الحجاج الذين كان الفاطميون يلزمونهم بالمرور على القيروان ليدفعوا للدولة عوائد خاصة من المال[3] لكن استبعد هذا نظرا لطبيعة النص. أو هي جماعة من فقهاء المدينة السنيين أصحاب مالك، تذمروا من تصرفات الشيعة الذين كانوا يأذونهم كثيرا، فما كان على هؤلاء إلا النجدة بسلطة أقوى وسنية مالكية، فكان الناصر يمثلها آنذاك، خاصة وأن هذه الفترة كانت صراع حاسم بين الفاطميين والأمويين على الصعيد السياسي والديني من أجل اختلاف المذهبين وعلى الصعيد الاقتصادي خاصة، من أجل السيطرة على المسالك التجارية الغربية وكان الفقهاء هم الذين يبدون دائما المعارضة ويعربون عن سخطهم لتجاوزات الشيعة.[4]

قد ينطبق هذا، على مدينة الجزائر إذ أن المؤرخ عندما يذكر عبارة من أعمال الشيعة كأنه يقصدها فعلا وتحمل معنى التذمر والاستياء لأنه يذكر أنهم يتبرأون من دعوة اليعي ويرفضون طاعته كما أن الصراع القائم بين زناتة وصنهاجة ساعد الدولتين على كسب الموالين والأحلاف وكانت حصة الأسد لأمير قرطبة الناصر إذ أكثر في هذه الفترة من المساعدات المالية والاجتماعية لكل من يوليه الطاعة والولاء ويقرأ له على المنابر كما فعل مع مدين بن أبي العافية أمير مكناسة عندما توفي أبوه سنة 326هـ/937م.[5]

---

[1] ـ جودت(عبد الكريم يوسف)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3-4/9-10) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992، ص.272.

[2] ــ الجيلالي(عبد الرحمن)، المرجع السابق، ص.290.

[3] ــ ابن عذاري، المصدر السابق.

[4] ـ الجنحاني(الحبيب)، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1980، ص.66.

[5] ـ ابن حيانن المصدر السابق.

وفي هذه السنة أيضا أعلن حميد بن يصل المكناسي ولاءه للناصر وعينه هذا الأخير قائدا لقواته بالمغرب الأوسط.[1] وهناك تساؤلات تطرح نفسها من خلال قراءة هذا النص فهل أقطع الفاطميون المدينة، قبيلة مزغنة لأنها فرع من صنهاجة ويفصلوها بذلك ربما عن العلويين القائمين بمتيجة؟ أما أن يطلبوا من الناصر واليا عليهم من قبله ويرفضون العامل الشيعي، فهذا أمر غرب فعلا ويعني أن درجة استياء السكان من الشيعة، بلغت فأوها وفعلوا ما فعل من قبلهم زعماء زناتة والمغرب الأقصى وبعض أمراء المغرب الأوسط العلويين وربما رأوا أن الناصر يستجيب لطلباتهم، كما فعل مع سكان ستة سنة 319هـ/931م حين طلبوا منه الدخول في الطاعة وإنفاذ عامل من قبله وخطبوا له في أول خطبة له في هذه السنة ولبى الناصر نداءهم وبعث لهم عاملا في نفس السنة.[2]

والأمر المهم هنا، هو أن المدينة قبل أن تكون تحت نفوذ زيري الصنهاجي كانت تابعة مباشرة لعامل الفاطميين بإفريقية. وربما استجاب الناصر لطلبهم على إنفاذ عامل، إذ هناك نص تاريخي آخر لبن عذاري مهم أيضا يذكر أنه "في سنة 337هـ/948م دخل إلى الناصر حميد بن يصل ووصل بعده منصور وأبو العيش إينا أبي العافية ودخل معهما حمزة بن إبراهيم صاحب جزائر بني مزغنة، فوصلهم إلى نفسه وكساهم جميعا ثم أذن لهم بالانصراف إلى بلادهم."[3]

الجديد في هذا النص، هو أنه يمدنا باسم أمير المدينة أو عاملها لأن كلمة صاحب قد تعني الإثنين معا، غير أن هذا الإسم يبقى مجهولا في كتب التاريخ، فهل هو عامل أموي؟ أم فاطمي؟ أم صنهاجي؟ أم علوي؟ أم بربري من قبيلة مزغنة؟

نعلم أنه في سنة 333هـ/944م قضى أبو يزيد بن كيداد على الشيعة في المغرب الوسط ودام ذلك حتى سنة 335هـ/946م حين ظهرت قبيلة صنهاجة وعلى رأسها زعيمها زيري بن مناد وحارب أبا يزيد وأظهر ولاءه للفاطميين، لكن المنصور لم يعقد على بلاد صنهاجة حتى سنة 337هـ/947م.[4] فهل نفهم ن الناصر لبى نداء سكان مدينة الجزائر سنة 328هـ/939م.

---

[1]- فيلالي(عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الجزائر 1982، ص.167
[2]- نفسه، ص148-149
[3]_ ابن عذاري، المصدر السابق، ج.2، ص.215
[4]- فيلالي، نفسهن ص.170

وولى عليهم وجها من وجوههم؟ لأنه كان يولي أحيانا من السكان الأصليين ومن وجوهها وأعيانها مثل ما فعل في أصيلا حين عين فيها أحد بربرتها وهو إبراهيم بن العلا.[1] لكن فيما يخص مدينة الجزائر يظهر من خلال الإسم أنه علوي بمعنى أن الأسرة العلوية نزحت هي أيضا إلى المدينة بعدما كانت تقيم في متيجة وأنها مازالت قائمة في هذه الناحية حتى هذا التاريخ أو هذه الفترة. ويبقى السؤال مطروحا، هل كان عاملا أو أميرا من قبل؟ حينما زار الوفد الناصر 328هـ/939م وقد كان مواليا للفاطميين آنذاك ولما بدأ العلويون يعلنون ولاءهم للناصر تراجع عن الفاطميين وأعلن ذلك بنفسه في قرطبة بحضرة أبناء أبي العافية؟ هذا أمر مستعبد، غير أن الفاطميين حافظوا على عاطفة الأهالي سكان البلاد الأصليين وأشركوهم الإدارة بإسنادهم مشيخة الناحية لتسيير المدينة بأنفسهم.[2] أو ربما لم يعزلوه عن الحكم نظرا للقرابة الجامعة ولضرورة التعاون لإعلاء مجد العلويين سواء كانوا حسنيين أو حسينيين إذ سلكوا اتجاههم سياسة مرنة[3].[5] فإذا كان علويا فمن هو إذا؟

يذكر اليعقوبي أن "منطقة متيجة، يغلب فيها رجل من ولد الحسن بن الحسينبن علي بن أبي طالب يقال لهم بنو محمد بن جعفر."[4] ويفسر حسين مؤنس عبارة "تغلب" انفرادا بين من البيوت العربية أو البربرية المستعربة بالرئاسة في ناحية من نواحي المغرب بمعاونة أهله وحكمه مستقل استقلالا كاملا أو غير كامل وانفراد أصحاب هذه البيوت بنواحيهم يرجع إلى عصر الولاة على الأساس الإقطاعي.[5]

إذن، أقطعت منطقة متيجة لعائلة علوية ويقول علوية ويقول الجيلالي عبد الرحمان أن "جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو عم إدريس الأول"[6]بمعنى أنه أخ عبد الله الكامل. اما امير هذه العائلة أو صاحبها كما يذكر يلقوت الحموي، فهو "أبو محمد عبد الله بن براهيم بن عيسى المتيجي"[7] وهذا يعني أن منطقة متيجة، حكمها بنو جعفر وليس بنو سليمان كما يذكر جل المؤرخين ومنهم رابح بونار وعبد الرحمن الجيلالي الذي يذكر في ص.248 أن "إمارة متيجة لبني محمد بن سليمان" وفي ص.249 يقول ان "إمارة متيجة تحت إدارة وتصرف محمد بن

---

(1)– فيلالي، نفسه، ص.154

(2) - نفسه،ص.170

(3)(موسى) ، "زناتة والأشراف الحسينيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط" ، مجلة الأصالة، عدد 26، جويلية أوت 1975، ص.67

(5) -لقبال(موسى) ، "زناتة والأشراف الحسينيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط" ، مجلة الأصالة، عدد 26، جويلية أوت 1975، ص.67

(4)- اليعقوبي، المصدر السابق.

(5)- مؤنس، المرجع السابق، ص.222

(6)- الجيلالي، المرجع السابق، ص.248

(7)– الحموي(ياقوت)، معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت 1975، ط.1 و2، ص.53

جعفر، عم إدريس الأول ومن نسله أبو فريك الذي هو من ولد جعفر بن الحسين بن علي بن أبي طالب".[1]وهنا يقع اللبس لأن حسب اليعقوبي، فإن محمد بن جعفر وسليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبناء عمومية، فالأولى ينحدر من الحسن المثنى والثاني ينحدر من الحسين بن علي بن أبي طالب وكذا حسب الجيلالي عبد الرحمن أيضا إذ يقول أن جعفر ينحدر من الحسين و عبد الله الكامل ينحدر من الحسن ويناقض كلامه في الصفحة الموالية إذ يذكر أنه عم إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

إذن، خضعت تلمسان لبني محمد بن سليمان بن الحسن المثنى في حين خضعت متيجة لعائلة جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأميرها هو محمد عبد الله بن براهيم بن عيسى بن محمد بن جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقد يكون أمير جزائر بني مزغنة أحد أعضاء الأسرة الحاكمة بمتيجة بحكم القرب منها ولأنها تقع تحت نفوذها فقد يكون هو حمزة بن عيسى بن براهيم بن عيسى بن محمد بن جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وهنا يتحمل أن يكون أخ محمد أبو عبد الله بن إبراهيم صاحب متيجة أو ابن عمه وفي هذه الحالة، د يكون لمحمد بن جعفر بالإضافة إلى عيسى، إبن آخر هو إبراهيم أو قد يكون ربما لا يمت له بصلة قط.

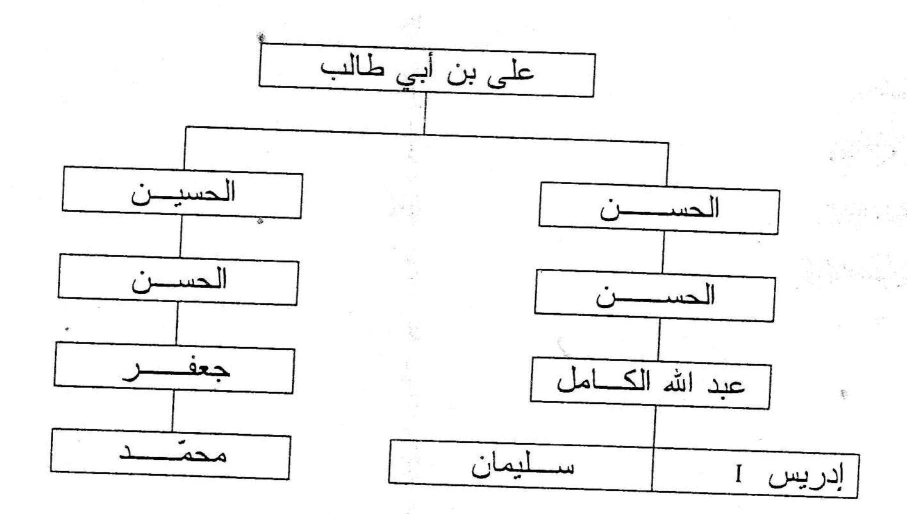
أما إذا خضعت متيجة لأحفاد محمد بن سليمان حاكم تلمسان، فجعفر هذاينحدر حتما من أسرة الحسن وليس الحسين فيكون أمير متيجة هو أبو محمد عبد الله بن براهيم بن عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن ويكون أمير مدينة جزائر بني مزغنة إن كانت له صلة بأمير متيجة، هو حمزة بن براهيم بن عيسى بن ابراهيم بن سليمان بن عبد الله الكامل(أنظر الجدول) غير أن الإشكالية القائمة هنا، هي أن حمزة بن ابراهيم، كان أميرها في هذه السنة وهي 337هـ/946م ويذكر عبد الرحمن الجيلالي أن بلكين كان واليا عليها أيام أبيه زيري بن مناد. فمتى امر زيري ابنه بلكين بإعادة اختطاطها؟ لأنه عند حملة جوهر الصقلي على المغرب سنة 349هـ/960م كان حمزة بن ابراهيم هذا لازال واليا عليها.[2]

---

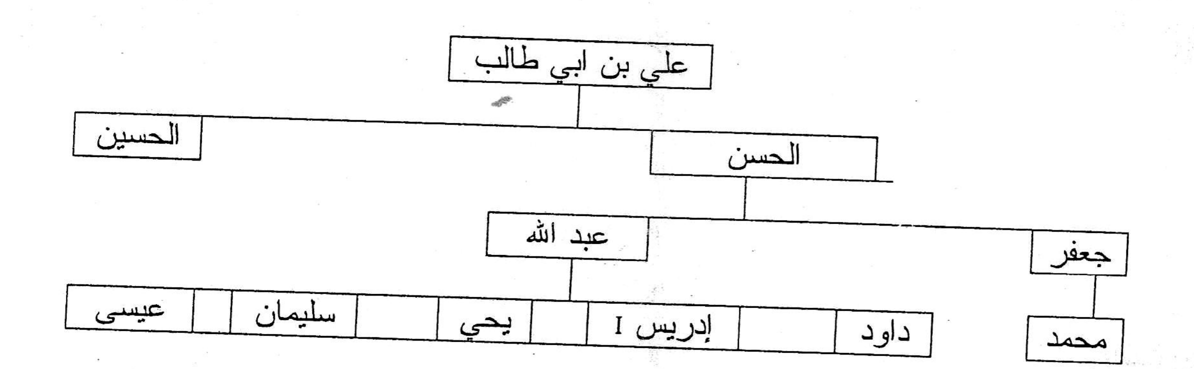
[1]- الجيلالي، المرجع السابق، ص.249

[2]- نفسه، ص.312

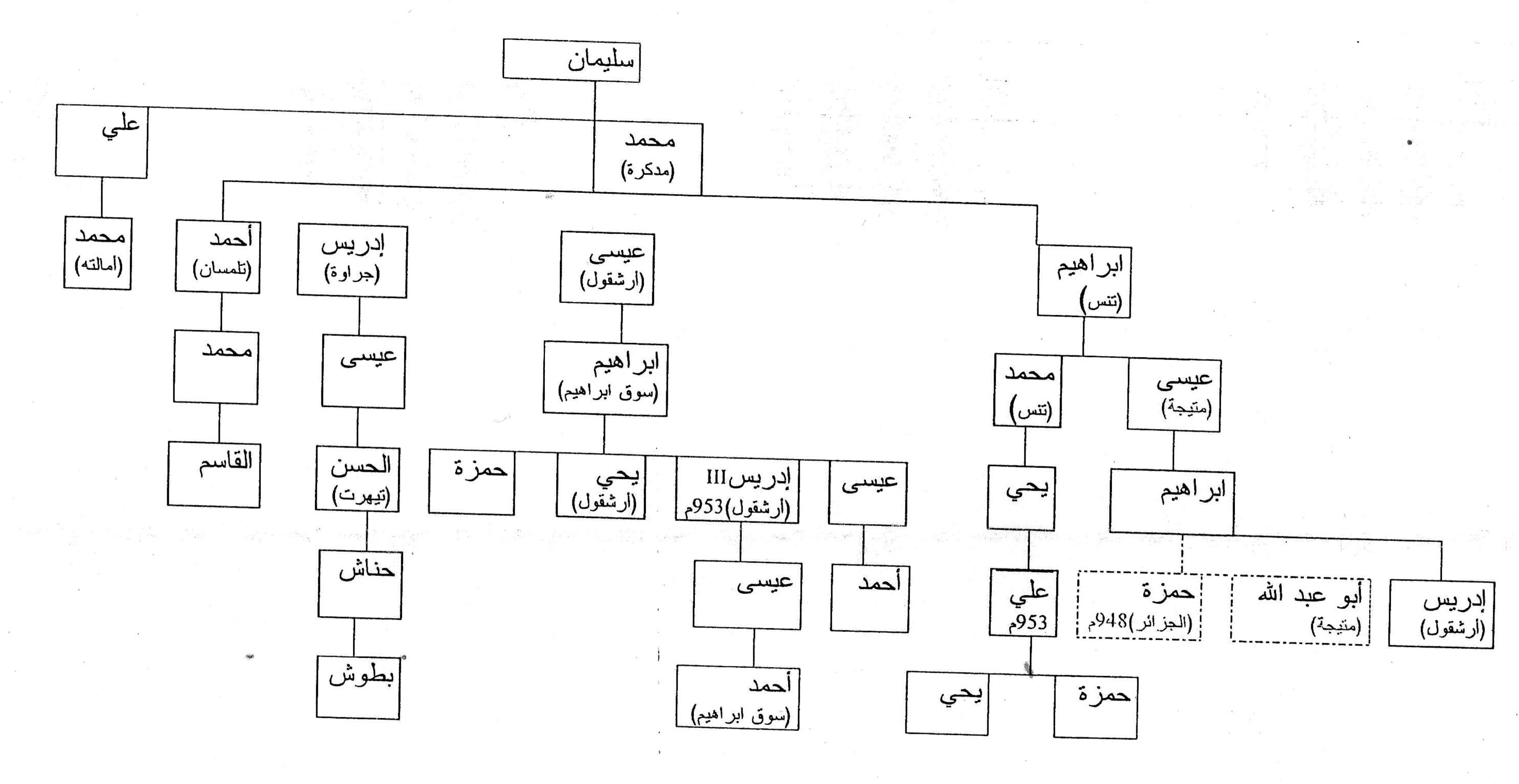
**عـــائلة علي بن أبي طــالب:**
**حسب اليعقوبي**



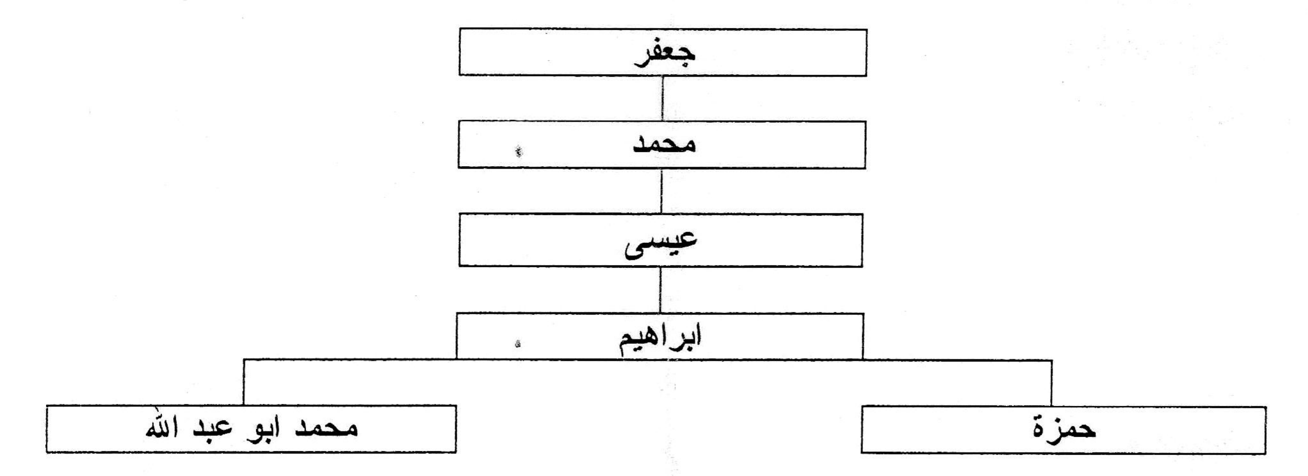

**حسب الجيلالي عبد الرحمان:**



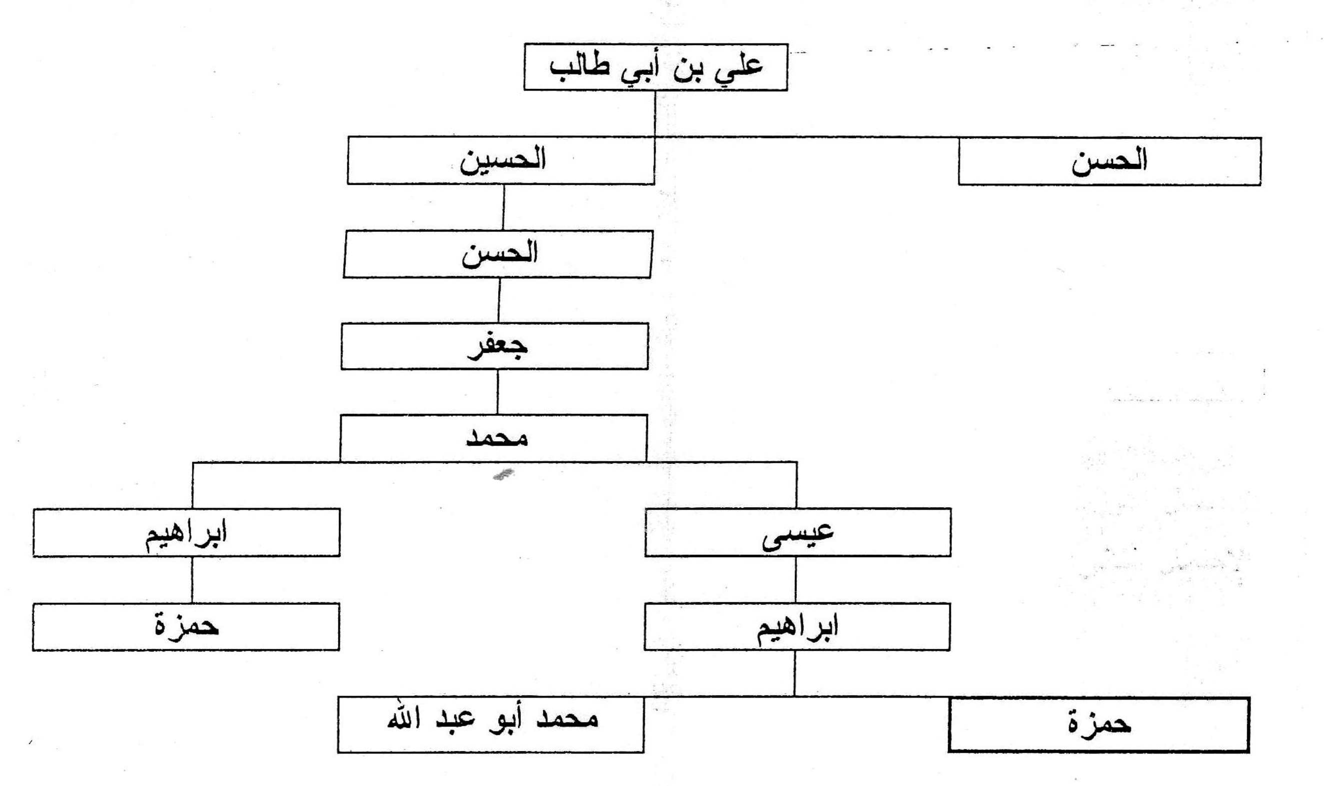
- عائلة محمد بن سليمان أمير تلمسان



الإحتمال الأول:




الإحتمال الثاني:



إذن، نستطيع القول أن زيري بن مناد لم يول المدينة لابنه، إلا بعد حملة جوهر أي سنة 350هـ/961م وربما لولاء حمزة بن إبراهيم للناصر الأموي، أخلعه زيري وولى مكانه بلكين، ليضع حدا لنفوذ الأمويين على المنطقة ومن ورائهم العلويين وبالتالي قبيلة زناتة التي كانت لها علاقة طيبة مع العائلات العلوية. وأنه كانت له أطماع اقتصادية هو أيضا، تتمثل في جعل مدينة الجزائر منفذا بحريا لأشير المنعزلة داخل البلاد ولأن ميناءها بدأ يعرف نشاطا تجاريا كثيفا مع كل الأمم المجاورة والبعيدة وبدأت أهميته تزداد بارتياد الأندلسيين الذين ربما كانت لهم بعض الصلاحيات في المدينة، فأراد أن يقلل من امتيازاتهم فيها التي لم تكن دائما بدافع الجوسسة كذلك وهذا أمر يستدعي الاستقرار وما ذكره البكري عن المدينة في هذه الفترة، لدليل قاطع على استقرار الجوسسة الأندلسية بالمدينة وربما تفطن الفاطميون ومن ورائهم الزيريون لهذا الأمر، مما جعل زيري يوليها ابنه، خوفا أن يصيبها ما أصاب وهران حيث طرد سكانها البربر الأصليين وهدمت المدينة وتوسعت فيها أطماعهم التجارية. [1]

وبهذه الولاية، أرادها بلكين أن تكون نقطة ارتكاز للعلاقات التجارية البحرية للضفة الغربية للبحر المتوسط إذ أصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا ومباشرا بتاريخ المغرب الأوسط.[2] ورغم كل الأحداث السياسية والتناحرات المذهبية بين الأمويين والفاطميين وبين صنهاجة وزناتة، لم تفقد فيها مدينة الجزائر أهميتها، بل يعتبر القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي مصدر قوتها وعظمتها أكسبها إياها ميناؤها الذي أصبحت ترسو به السفن والبواخر، إما للتجارة أو للعلم أو للجوسسة أو للاستقرار والعيش فيها نظرا لما كانت تقدمه من امن وسلام ورخاء في ظل الدولة الزيرية التي اعتنت بالمدينة اقتصاديا وعسكريا واهتم بلكين بإحيائها الذي يتمثل في إعادة بناء الأسوار واستحكامها بأبواب لتؤدي وظيفة اقتصادية أكثر منها عسكرية أمنية لأن منها تدخل المكوس على التجارات الداخلة إلى المدينة مع القوافل وحرص على جباية الأموال وفرض مقابل ذلك، حياة الاستقرار لأنها كانت بمعزل عن الفتن والحروب.

---

(1) – PICARD, La mer et les musulmans au moyen age, P.53

(2) – DUFOURCQ (CH), L'Espagne Catalane et le Maghrib au XIIIe et XIIVe siecles. P.U.F. Paris 1966

وبقيت على هاته الوتيرة حتى الفترة الحمادية وهي من أزهى العصور ومن آثراها وكان وضع أهلها التجاري أفضل من أهل باديس لأنهم صالحوا العرب على نصف غلة بلادهم ويدفعون ضرائب لبني هلال مقابل عدم مهاجمتهم ومحاربتهم[1] وكانوا على علاقات طيبة مع المرية أيام بني صمادح الذين نزلوا مدينة الجزائر عندما داهمه المرابطون كالمعتصم وابنه معز الدولة في عهد الناصر بن علناس وكانت وفاته بالمدينة، عملا بوصية أبيه[2] لما كانت توفره من امن وسلام. ولما أراد يوسف بن تاشفين احتلالها سنة 475هـ/1082م، منعته أسوارها من دخولها ورجع إلى مراكش[3] ويبدو ان التحصين وقع أيام بلكين بن زيري حيث استحكم أسوارها وأبوابها لصد هجومات زناتة ورد أطماع الأندلسيين ورد الهجومات المسيحية التي كانت قد ضربت مدينة مرسى الدجاج على يد روجي الصقلي.[4]

وبهذا الاستحكام تصبح المدينة مركز نفوذ حتى عصر الموحدين الذين باحتلالها ينتهي الصراع بينهم وبين المرابطين وذلك ما بين 539هـ/1144م و547هـ/1158م وهو التاريخ الرسمي لسقوط دولة بني حماد نهائيا وبداية الحكم الموحدي.[5]

وابتدا من هذا التاريخ، يصبح تاريخ مدينة الجزائر معروفا وقد كتب عنها جل المؤرخين ولا أرى شيئا جديدا أضيفه لأنني ركزت على الفترة المجهولة من تاريخها وهو بداية الفتح الإسلامي والعصر الوسيط بصفة عامة لأن قبيلة مزغنة تنصهر فيما بعد في المجموعة السكانية المختلفة الطوائف التي عمرت المدينة وتصبح ابتداء من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي تذكر بدونها ونلاحظ ذلك، في نص حسن الوزان ثم نستبدل كلمة جزائر بني مزغنة بكلمة جزاير في العهد العثماني.

---

(1) - عز الدين(أحمد موسى)، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشروق، ط.1، 1983، ص.265

(2)– إبن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص.311

(3)– الجيلالي، المرجع السابق، ص.311

(4)- عز الدين(موسى)، المرجع السابق،ص.

(5)– بن قربة(صالح)، المسكوكات المغربية في عهد الموحدين والحفصيين والمرنيين، دكتوراه دولة، ج.1، ص.140

**2- اقتصاد المدينة في العصر الوسيط :**

إذن كما رأينا في النظرة التاريخية فإن منطقة متيجة كانت بها مدن كثيرة منها مدينة الجزائر ووصف اليعقوبي أهلها بأنهم "أصحاب زرع وصرع"[(1)]

فالزرع، ينفق جل المؤرخين بأنها زراعة الحنطة والشعير وقبيلة مزغنة قامت بين العائلات العلوية التي لم تفرض ضرائب معينة وأنعش هذا النظام فلاحتها وأصبحت الحنطة والشعير مصدرا إنتاجها الأساسي ومصدر أكلها شأنها في ذلك، شأن شرشال وبرشك والمسيلة وبونة ومرسى الدجاج...الخ وينجر هذا النشاط، تجارة كبيرة تؤدي إلى الثراء والتطور في المعيشة وتوسع دائرة السوق يساعدها في ذلك، الاستقرار والأمن وطابع الحكم المستقل من السلطة المركزية والاستقلال بالتجارة، يكثر الأموال التي تدعو إلى التمصير والتمدن وتحمس الأمراء إلى التنافس في البناء.[(2)]

ويذكر ابن عبدون أن الحنطة والشعير هما مصدران حقا للثراء إذ بهما تملك المدائن والرجال ومنهما العيش والعمران.[(3)] كما أن لتربية المواشي دور كبير في اقتصاديات المدينة، فهي تدخل الصناعات إلى المدينة وقد ينفق هذا مع كلمة ضرع التي تعني عند ابن منظور، الشاة والناقة وألبانها.[(4)] وعند الزبيري، هو معروف للظلف والخلف أي لكل ذات ظلف وخف أو للشاء والبقر ونص العين الشاة والبقر وضرع لبن الشاة وغيرها ذات اللبن الوافر.[(5)]

واستمرت المدينة تعيش على هذا النظام لما توفره من خصوبة ووفرة المياه كما يذكر ذلك ابن حوقل ومن بعده الرحالة الآخرون. وأدى هذا النشاط الزراعي إلى توسيع نطاق الفلاحة إلى حد بعيد أدى بدوره إلى تزايد السكان وبالتالي إلى تزايد الطلب وتطوير العمران وتزويد المدينة بما تتطلبه عملية التجارة.

---

[(1)]– اليعقوبي، المصدر السابق، ص.41
[(2)]– جودت يوسف، المرجع السابق، ص.195، 196
[(3)]– نفسه، عن ابن عبدون، ص.26
[(4)]– ابن منظور،لسان العرب المحيط، تحقيق يوسف خياط، المجلد الثالث، بيروت 1988، ص.530
[(5)]– الزبيدي(محمد مرتضى)، ، تاج العروس ، مجلد5، بنغازي 1966، ص.430

وكان ارتياد بجارة من الأندلس ومن إفريقية وغيرهما على مينائهما، له أهميته وهذه عادة قديمة، بمعنى أن العلاقات تعدت الإطار المحلي، إلى الإطار الدولي لتكثيف عمليتي التصدير والاستيراد لأن ابن حوقل لما زارها في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي أي سنة 366هـ/974م أيام حكم بلكين بن زيري، لاحظ أن "أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال ولهم من العسل ما يجهز عنهم والسمن والتين يجهز إلى القيروان وغيرها."[1]

تعتبر هذه الفقرة أخبار إحصائية لاقتصادها، أي أن مدينة الجزائر نهضت بنفسها ويظهر الفرق بين زيارة اليعقوبي التي لم تكن فيها شيئا وزيارة ابن حوقل التي أصبحت فيها مدينة . وربما يرجع الفضل في ذلك، لنشاطها الزراعي الذي أخرجها مما كانت فيه وانتقلت من الاستهلاك المحلي إلى التصدير للعسل والتين والسمن وهي منتجات كثيرة بالمغرب الأوسط ومراكزها متعددة كتاجنة ومرسى الدجاج وبجاية وسوق ابراهيم وبرشك ومرسى الخرز..الخ.

كما أن لتربية المواشي التي أشتهر بها المغرب الأوسط، فوائد جمة ومنافع أيضا، فبغض النظر عن أكلها، وهي وسيلة الأعمال الزراعية وجلودها مواد خام للصناعة الجلدية بأنواعها وأصوافها تستعمل للصناعات النسيجية وأبانها لصناعة أنواع السمن والجبن، كما كان في تيهرت والمسيلة وطبنة وبونة ودلس وبجاية وشرشال وبرشك ومستغانم ووهران ومدينة الجزائر...الخ[2] وذلك يعود للمناخ الرطب والأرض الخصبة بالمغرب بصفة عامة.

يعتبر هذا كله، رأس مال يجنى منه سكان المدينة أموالا طائلة، سواء بتجارته أو بمقايضة أ بتصدير كما يذكر نفس المصدر. وهذا معناه ان المدينة اكتسبت مسالكا تجارية دولية برية على يد الزيريين، خاصة وأن الفاطميين كانوا قد سيطروا تقريبا على جميع الطرقات ومنها الطريق الصحراوي المؤدي إلى السودان لأن المغرب في هذه الفترة، كان يستورد منه الذهب، عن طريق سجلماسة وورقلة بواسطة المقايضة بالتمور من طرف الخوارج وكان الطريق الرابط بين القيراون وتيهرت له عدة محطات في المغرب الأوسط، سواء على سطيف أو على المسيلة أو على أشير وهي مسالك استمرت إلى فترات طويلة.[3]

---

[1] - ابن حوقلن المصدر السابق.

[2]– جودت، المرجع السابق، ص.26.

[3]– إدريس(الهادي روجي)، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني يزري، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط.1ن مجلد2، بيروت 1992، ص.291.

ويحتمل إذن، أن الربط بين جزاير بني مزغنة والقيروان كان يمر بسوق حمزة الذي كان محطة قوافل التجار من الشرق والغرب ثم إلى سطيف إلى ميلة إلى قسنطينة أو من سطيف إلى اغدير إلى مسيلة وكلا الطريقين يؤدي إلى تيجيس إلى الأربس ثم إلى القيروان لأنه نفس الطريق الذي يذكره اليعقوبي[1] إذ يربط بين القيروان وتيهرت وبما أن جزائر بني مزغنة ليست بعيدة عن سوق حمزة وهو بطن من بطون صنهاجة أيضا، فالمرجح أنه نفس المسلك(خريطة2) وهذا يعني ربما أن المسالك المؤدية إلى جزائر بني مزغنة كانت آمنة في ظل سياسة السلم التي سادت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي مما أنعش الاقتصاد في المغرب الأوسط ومن خلاله أنعش اقتصاد المدينة أيضا إلى جانب ذهب السودان الذي أغنى خزائن الفاطميين على يد الزيريين الصنهاجيين وحتى النزاعات الفاطمية الأموية على أرض المغرب لم تقل من شأن هذا الاقتصاد ، بل ظهرت فيه المنافسة بين التجارة المغربية والتجارة الأوروبية في البحر المتوسط وتفوق تجارة البندقية في الحوض الشرقي من البحر المتوسط.[2]

ويؤدي هذا التصدير حتما، إلى تزايد السكان والتطور في العمران وإلى تواجد أثرياء وأموال طائلة ربما من سياسة الضرائب التي فرضها الفاطميون واتبعهم فيما بعد الزيريون الذين أرادوا من خلالها تنظيم الحركة الاقتصادية وتحقيق بعض المشاريع.[3] ثم إن التجهيز إلى القيروان، لا يعني التجارة فقط، فقد يعني أيضا دفع الخراج على الزروع والتعشير على الخضر والبساتين والصدقات والمراعي والجوالي والمراصد ودفعه إلى بيت مال أهل المغرب لأن ابن حوقل ذكر أن في القيراون كان ديوان جميع المغرب ويعمل بالأمانة من غير ضمان،[4] إذن كانت السفن تذهب إلى القيراون لتدفع لها ما كان عليها من ضرائب لأنها كانت من عمالتها.

وربما ساعد نظام الجباية الذي حرص عليه الزيريون، على زيادة الإنتاج لاستغلال فوائده وهذه سياسة تزيد من دخل الدولة[5] التي كانت لها أغراض أخرى من وراء ذلك كإحياء بعض المدن مثلا والذي كان لمدينة الجزائر نصيب فيه.

ومع أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي أي سنة 379هـ/985م زارها المقدسي ولاحظ فيها نفس الشيء أو نفس النشاط الاقتصادي وحركة جديدة ربما ظهرت على مينائها وهي أنها "يعبر منها إلى الأندلس".[1]

---

[1]ـ اليعقوبي، المصدر السابق، ص.11

[2]- إدريس(الهادي روجي)، الدولة الصنهاجية، ص.276

[3]- جودت ، المرجع السابق، ص.70

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص.70

[5]- جودت ، المرجع السابق، ص.79

هذا نص تاريخي يشهد على نشاط مرفئها وتوسع تجارتها وتطور أهميتها كمنطقة عبور أو ما يسمى بالترانزيت Transit كما كانت جميع مدن المغرب الأوسط في هذه الفترة، لصالح الدولة الفاطمية التي جعلت من إفريقية الوسيط بين التجارة المشرقية والتجارة الإفريقية. فكانت المراكب الإفريقية تتجه إما مباشرة إلى تنس ثم الأندلس أو أنها كانت ترسو عبر موانئ المغرب الأوسط، في اتجاه الغرب حيث تبحر من تنس حوالي 24ساعة وهي المسافة التي تفصلها عن مدينة تدمير بمرسية بالأندلس أصبحت فيها المسالك الغربية أكثر نشاطا من المسالك الشرقية لفقد المهدية وطبرقة أهميتها فيما بعد والدليل على ذلك، هو بروز ميناءي عنابة ومرسى الخرز خاصة بشرق المغرب الأوسط وقد جهز الزيريون هذا الأخير لمراقبة التجارة الأندلسية.[2] كما تعني هذه العبارة أيضا أن ميناء جزائر بني مزغنة أصبح محطة القوافل البرية لتسويق بضائعها إلى الخارج ومنه الأندلس، فقد تكون آتية من أشير وبما أن مدينة الجزائر، كانت منفذا لها، فكانت القوافل ربما تتوقف بها عن طريق المسلك الذي سيذكره البكري فيما بعد، بما أنها عملية استمرار لنفس المسالك وهو من أشير إلى المدية إلى قزرونة إلى إغرار ثم جزائر بني مزغنة[3]

أو من المسيلة إلى أشير إلى سوق حمزة إلى جزائر بني مزغنة(خريطة3) وكلا المدينتين أي أشير وسوق حمزة كانتا تصدران النباتات الطبية إلى الأندلس[4] ولقربهما من مدينة مزغنة، فمن المرجح أنها كانت مركز عبور لهما ولبضائعهما.

---

[1]- المقدسي(شمس الدين أبو عبد الله محمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط.2، مطبعة برلين، ليدن 1906، ص.228

[2] - COURTROIS CH. « Remarques sur le commerce maritime en Afrique au XIe in Mélanges d'histoire et d'Archéologie. T.II. Alger, 19757 , PP.54-55

[3]- البكري(أبو عبيد الله)، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، الجزائر 1957، ص.62

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص.80

ولعبت تجارة الذهب في هذه الفترة أيضا دورا كبيرا في العالم الإسلامي ومنه المغرب الذي كانت مدنه تعتبر مراكز تجارية مصرفية في إعادة توزيع هذه المادة الثمينة إلى مختلف المراكز الاقتصادية ومنها الأندلس[1] لأن كل مدينة في ساحل المغرب الكبير، تقابلها مدينة على الساحل الاسباني ومدينة الجزائر بنشكولة Peniscola بمقاطعة دانيا،[2]

(خريطة4) أما المسلك البحري فهو نفس المسلك في عهد اليعقوبي ومعروف منذ نهاية القرن الأول ميلادي ينطلق من شرشال إلى قرطاجة.[3]

على كل، عرف القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي تبادلا تجاريا كثيفا بين المغرب والأندلس وكثر تنقل الناس، سواء لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية علمية لأن الأندلس قطبا علميا ومركزا لتوزيع المنتجات التي تجلبها من كل بلاد وساهم في هذا اليهود خاصة.

وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي يصفها البكري أي سنة 461هـ/1068م بأنها "مدينة قديمة البنيان بها أزاج محكمة ولها دار ملعب وأسواق ومسجد جامع وكنيسة بقي منها جدار، مرساها مأمون له عين عذبة ، يقصد إليه أهل السفن من إفريقية والأندلس وغيرها."[5]

يعتبر نص البكري شهادة تاريخية أخرى تؤكد ما ذكره عن المدينة من قبل وهو استمرارها كمركز عبور وكمسلك بحري هام وبوجود الأندلسيين بينائها وأن التجارة تكثفت به وتعدت ربما إفريقية والأندلس إلى أمم مسيحية مثلا لأنها فترة الدولة الحمادية التي أصبحت الطرق والمسالك في عهدها بحرية[6] لأن الطريق البري أصبح خطيرا من جراء غزوة بني هلال سنة 444هـ/ 1051-1052م والتي كانت تعرقل نشاط القوافل البرية. [7] لأن الطريق البري أصبح خطيرا من جراء غزوة بني هلال سنة 444هـ/1051-1052م والتي كانت تعرقل نشاط القوافل البرية.وهذا ما يفسر ربما السفن الآتية من إفريقية، خاصة وأن مدينة الجزائر كانت إحدى مدن الدولة الحمادية التي تحالفت مع الهلاليين.[8]

أما قوله إلى الأندلس، فإن مستوطنات أندلسية تم إنشاؤها في بجاية ومرسى الدجاج في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي وما يقال عن هذين الميناءين، يقال أيضا

---

(1)- لومبارد(موريس)، الإسلام في مجده الأول، القرن 2هـ/5هـ(8-11م)، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ط1، الجزائر 1979، ص.175-176

(2) ) – COURTOIS, op.cit P.58

(3) – Ibid, P.53.

(5)- البكري، المصدر السابق

(6)- إدريس، المرجع السابق، ص291-292

(7)- عز الدين(أحمد موسى)، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص.89

(8) - نفسه

عن ميناء جزائر بني مزغنة لأنها تابعة لبجاية التي كان يحكمها وقتذاك الحاكم الحمادي الناصر بن علناس سنة 454هـ/1062م وكان الملوك المسيحيون يسمونه ملك موريطانيا القيصرية[1]. وفي عهده أيضا، نزلت جاليات يهودية ومسيحية ببجاية ومرسى الدجاج ومدينة الجزائر وغيرها لأن أوضاع الدولة الحمادية كانت أحسن حال من الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة سنة 1031م، وكانت المسالك البحرية آمنة إذا كان المسلك البحري يربط المغرب بالأندلس عن طريق الساحل بين شرشال ومدينة الجزائر وبين قرطاجنة وإيبيريا،[2] كون السواحل المغربية الغربية أقرب إلى الأندلس من الشرقية، فبين مرسى الدجاج وأقيلاس ثلاثة أيام مثلا وبين مرسى الجنابية وهو غير بعيد عن مدينة الجزائر وربما هو (Pointe Pescade) وميناء دانية حوالي 350كم وستة أيام سفر أو إيجار وبين ميناء مدينة الجزائر وميناء بنشكولة 400كم بع أن يمر بميناء إيبيزا حيث يسمح لتجار طرطوشة الوصول إلى إفريقية وهو مسلك قديم منذ القرن الأول الميلادي[3] وتبعد عن إيبيزا أو جزر البليار بـ256كم في حين تبعد مرسليا عن هذه الجزر بـ384كم وعن سواحل إيطاليا بحوالي960كم،[4] إذن ، فقرب مدينة الجزائر لها كان يسهل عليها عملية التجارة.(خريطة 5) وبين شرشال وقرطاجة 300كم.

وأصبحت بهذا المسلك البحري ربما تؤدي دور شرشال في العصر القديم وتنس في عصر اليعقوبي التي كانت القاعدة الأساسية لتجارة الأندلس وأصبحت أيضا ملتقى المسالك المؤدية إلى أعالي البحار والمؤدية إلى السواحل لأن شبكة التجارة المغربية تعقدت وتكثفت وكثر الاتصال بين العباد أيضا[5]ولأن السفن أصبحت تنتقل بين طرابلس وقابس وصفاقس والمهدية وشرشال وتنس ووهران وطنجة وبنزرت ومدينة الجزائر...الخ.[6]

وكانت هذه الجاليات الأندلسية بما فيها مسلمون ويهود بمدينة الجزائر وببلاد بني حماد بصفة عامة ذوي مهارات فنية وحرفية خارقة إذ تفننوا في مجال التجارة والصناعة التي ارتقت بالفن المحلي إلى أوجه لأن الظروف العامة كانت مواتية لأنها فترة الحماديين الذين كانوا في قمة الحضارة فيما يخص التجارة والصناعة والفن والثقافة حتى أن صاحب الاستبصار يذكر أن

---

[1] DE MAS LATERIE, Traités de paix et commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen age, Paris, 1986, P.18

[2]- البكري، المصدر السابق، ص.166.

[3] – COURTOIS, op.cit. PP. 57-58

[4]- سيسالم (عصام سالم)، جزر الأندلس المنسية ، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، 8-9هـ، ط.1ن بيروت 1984ن ص.15

[5] – COURYOIS, op.cit. PP.57-58

[6] – DHINA A, Les pays de l'Occident Musulman aux XIIe, XIVe et XVIe, Alger 1984, PP355-356

صاحب بجاية كان يضاهي صاحب مصر.[1]وأنشط بعدهم المرابطون هذه الحركة في المغرب الأوسط خاصة الصناعية منها في ظل الأمن الذي فرضوه لأنهم كانوا كما يقول أحمد موسى بحاجة إلى الصناعات الحربية، فأنشأوا ترسانات على طول السواحل الأندلسية والمغربية ومنها مدينة الجزائر[2] مستخدمين فيها طائفة الأندلسيين بما فيها المسلمون واليهود لخبراتهم في ذلك وفرضوا ضرائب وقبالات على هذه الصناعة وكل الصناعات الأخرى. [3]

غير أن الإشكالية المطروحة هنا هي إذا أخذنا وصف البكري الذي لم يزر المدينة على أنه اعتمد على التقارير السياسية التي قدمتها له الجوسسة الأندلسية المقيمة بالمدينة، فإن هذا التحليل، ينطبق على العهد الحمادي كما ذكرت سابقا. أما إذا أخذنا بأنه نقل عن إبن الوراق كما يذكره هو شخصيا، فابن الوارق عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي وقد وصف المغرب في حوالي سنة 339هـ/950م.[4] وهنا نجزم أن الجاليات الأندلسية المستوطنة بالمدينة سابقة للقرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي وقوله بحارة من لإغريقية يعود إلى العهد الفاطمي الذي سبق الكلام عنه.

---

[1]- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق، سعد زغلول، الإسكندرية 1958، ص.130

[2]- نقله عن الحميري، PICARD, op.cit, P.68

[3]– أحمد موسى، نفسه، ص.210.

[4]- مؤنس حسي، المرجع نفسه، ص.203

أما الإدريسي فيذكر في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي بأن"جزائر بني مزغنة عامرة آهلة وتجارتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة ولهم من العسل والسمن في بلادهم كثير وربما يتجهز بهما إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة والمتباعدة عنهم."[1]
الإدريسي أيضا ، لم يزر المدينة وربما نقل عن البكري، لكن في نصه، حقائق جديدة وجب الوقوف عليها.
فعبارة آهلة وعامرة، تعني أن عدد سكانها قد تزايد، نظرا للهجرات الأندلسية التي مازالت تتدفق عليها نظرا للاضطراب وفقدان الأمن بالأندلس من جراء الجلاء الذي أصاب المسلمين بها من طرف المسيحيين الأسبان و Reconquista التي مست حتى اليهود الذين لم يجدوا ملجأ سوى المغرب العربي وكانوا محترفين للتجارة والصناعة. [2] واستمرت هجرة يهود إسبانيا إلى مدينة الجزائر بعد الحملات الموحدية بين سنوات 1151و 1159م وربما أثرى هذا في الفن المحلي وارتقت الصناعات إلى صناعة متحضرة ذات الطابع الندلسي وأسقط الموحدون القبالات عليها واهتموا بها أكثر خاصة الصناعة العسكرية لأن حاجتهم إليها كانت أكبر كما يقول احمد موسى ولذلك قررت عليها ضرائب حسب دخل كل صانع وشجعوا التجارة الداخلية أيضا بإشاعة الأمن وحماية التجار وتأمين طرق التجارة بفرض العقوبات على قطاع الطرق وسيطرة الأسطول الموحدي على سواحل المغرب كلها وبناء الأسواق والجسور، وتوفير الماء للاستعمال العسكري والتجاري وتنظم رواتب الخطط، مما أنعش حركة الأسواق.[3] وربما انتعشت مدينة الجزائر من تجارة الذهب في هذه الفترة لأن المسلك تغير وأصبح عن طريق ورقلة لأن سيطرة الموحدين على الطريق الصحراوي كانت أقل ضراوة من المرابطين[4]وقد كان الطريق يمر مباشرة من ورقلة إلى مدينة الجزائر، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي لأن اليهود الذين كانوا أرباب هذه التجارة الصحراوية جعلوا من مدينة الجزائر منطقة عبور لها للأندلس ولمدن البحر المتوسط ومنها المدن الإيطالية خاصة، لقوافلهم الآتية من ورقلة التي كانت لهم من القواعد الأساسية لتجارة الذهب.[5] (خريطة6)

---

[1] - الإدريسي(أبو عبد الله الشريف)، وصف إفريقية الشمالية والصحراوية مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، المطبعة الرسمية، الجزائر، 1957، ص.12
[2] - عز الدين موسى، المرجع السابق، ص.294
[3] - موسى، نفسه، ص.270
[4] - سعد الله(فوزي) يهود الجزائر ن هؤلاء المجهولون، دار الأمة، الجزائر 1996، ص.68-72
[5]- نفسه

وفي نفس هذا القرن، ظهرت بمدينة الجزائر صناعة السكر، نظرا لقصب السكر المتواجد بها، كما يذكر القلقشندي وبأنه "يعصر ثم يعمل منه القند، السكر على أنواع"،[1]مع أن لهم من العسل بما فيه الكفاية. وضرب فيها الموحدون العملة الفضية بها، مما يدل على دورها الاقتصادي في هذه التجارة الصحراوية والعابرة إلى المدن الأوروبية وعلى دخولها في حوزتهم وكتخليد لذكرى انتصارهم وتطبيق مبادئ نظامهم بها الذي أخضع كل الأنشطة التجارية والعقارية والصناعية لاحتكار الدولة وفرض هيمنتها وسيطرتها على المدينة.[2]

ونظرا لنشأة هذه الحركة التجارية أصبحت تحكمها قوانين خاصة، على غرار المدن الإسلامية الأخرى والدليل على ذلك، هو نظام الطوائف أو التنظيم الحرفي الذي عرفته منذ وقت مبكر(القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي) يؤكده، نص ابن الأبار عندما يذكر أن "الشاعر البلنسي والكاتب والأديب والنحوي والفقيه أحمد بن عبد الله بن خميس بن معاوية ابن نصرون الأزدي من أهل بلنسية ويكني بابي جعفر أنه توفي بمدينة الجزائر(عمالة بجاية) سنة 548هـ/1170م ودفن بباب الفخارين على ساحل البحر".[3]

يعطينا هذا النص، أربع حقائق تاريخية واقتصادية وعمرانية لمدينة الجزائر وهي :

**أولها :** أن لمدينة جزائر بني مزغنة، باب يسمى باب الفخارين ولا تكون هذه الباب، إلا باب الواد حاليا لأن الطين كانت متوفرة بكثرة في هذه الناحية، منذ فترة قديمة وربما منذ عهد الفنيقين ويحفظ المتحف الوطني للآثار بمدينة الجزائر العاصمة، مجموعة لا بأس بها من الأواني الفخارية التي عثر عليها في شارع البحرية بالجزائر العاصمة سنة 1940 على ثلاث مستويات : المجموعة الأولى تعود إلى الفترة الفنيقية والمجموعة الثانية تعود إلى الفترة الرومانية والمجموعة الثالثة تعود إلى الفترة الإسلامية. [*] والعثور على آنية DOLIA بالمدينة، يعتبر دليلا قاطعا على ذلك وعلى أنها صناعة محلية وتؤكد أيضا على وجود الزيت والحبوب بالمدينة لأنها آنية كبيرة تحفظ هذا النوع من الإنتاج.(شكل1)

---

[1]- القلقشندي(شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى، ج.5، ص.176

[2]- بن قربة(صالح)، المسكوكات المغربية في عهد الموحدين والحفصيين والمرنيين، ص.140

[3]- ابن الآبار(أبو عبد الله بن أبي بكر) القضاعي البلنسي، كتاب التكلمة لكتاب الصلة ، تحقيق ألفراد وابن أبي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر1919ن ط.3، ص.72

[*] - آنية عثر عليها في بئر في شارع البحرية إثر التنقيبات التي قامت بها السلطات الفرنسية سنة1940

**ثانيها :** التنظيم الحرفي، فعبارة الفخارين، تعني التصنيف والتخصص بأنواعه وسنرى هذا، في الفصل الخامس، غير أن الأهم، هو صناعة الفخار التي توحي بوجود صناعات أخرى.

**ثالثها :** أن المدينة كانت تابعة لبجاية أي الفترة الموحدية.

**رابعها :**التأكيد على وجود العنصر الأندلسي بالمدينة وعلاقتها ببلنسية أكثر، ربما لقربها منها. وهي فترة الحضارة والثقافة بالمغرب، فكانت المدارس والمعاهد والمساجد والمجالس العلمية حافلة بدروس العلم، نظرا للتدهور السياسي الذي أصاب الأندلس عب سقوط الخلافة الأموية، فلجأ علماء وفقهاء أجلاء من الأندلس إلى مدينة الجزائر.[1]

وفي سنة 598هـ/1201م يذكر لنا القيراوني أن "يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي"، لما رحل من مراكش ووصل إلى جزائر بني مزغنة، أمر بإنشاء الأساطيل وأخذ في تجهيز العساكر إلى مايوركة وفتحها."[2] وهذا يؤكد مرة ثانية بان صناعة السفن، كانت قائمة بالمدينة منذ أن نشأ المرابطون دار الصناعة بها ونعلم أن الترسانات قامت في المدن ذات الأهمية الاقتصادية سواء على الساحل الأندلسي أو على الساحل المغربي.

ويبدو أنها في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي قد تبينت فيها أسس المدنية العامة وظهرت بوادر التحضر لأن العبدري في رحلته المغربية سنة 688هـ/1289م يصفها بأنها "تستوقف بحسنها ناظر الناظر ويقف على جمالها خاطر الخاطر، قد حازت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر، لها منظر معجب أنيق وسور معجز وثيق وأبواب محكمة العمل، يسرح فيها الطرف حتى يمل".[3]

فمزيتي البر والبحر قد يقصد بهما، الموقع الجغرافي الذي يسمح لها أن تكون محطة تجارية للقوافل البرية والبحرية التي تكثف من نشاط المنطقة اقتصاديا لأن القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر ميلاديين يعتبران فترة شهد فيها المغرب الأوسط، تحولات اقتصادية على مستوى العالم الإسلامي وتحولات سياسية على مستوى المغرب العربي، إذ ظهرت دويلات من جراء سقوط دولة الموحدين، جنى منها فائدة، التجار الأوربيون الذين تسارعوا إلى تكثيف تجارتهم في كل الموانئ المغربية واتخاذ مراكز أو محطات فيها ومنهم، الجنويون والبيزيون والبروفنسال والأراغونيون وتجار البندقية لأنها الفترة التي أوشكت فيها الحروب الصليبية بالمشرق التي مال فيها ميزان الكفة للمسلمين وأصبحت المبادلات التجارية بين

---

[1] - الجيلالي، مرجع سابق، ص.383

[2] - القيراوني(بن أبي دينار)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، تونس387هـ، ط.3، ص.122

[3] - العبدري البلنسي(محمد)، الرحلة المغربية ، تحقيق احمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، ص.23

ضفتي البحر المتوسط ولأن هذه الجنسيات دخلت في مدار القوافل الصحراوية بشكل واسع سنة 1232م كانت بواخر مسيحية ترسو بكل الموانئ المغربية ومنها مدينة الجزائر حتى ملوية[1] وسيطر في هذه التجارة اليهود الذين تسامح معهم الحكام الحفصيون ثم الزيانيون فيما بعد.[2]وشجعت الدولة الحفصية على التجارة وذلك ابتداء من حكم أبي زكرياء الذي تحصلت هذه الجنسيات في عهده، على قنصليات بالمغرب[3]عن طريق معاهدات تجارية تضمن الأمن لتجارتهم مثل بجاية التي اتخ\ات سنة 1233م أول قنصلية لمرسيليا وجنوة.[4] إذ هناك وثيقة مؤرخة في 10 أوت 1273م يقرر فيها جاك الفاتح Jacques le conquerant ملك الأرغوان بأن صلاحية قنصل بجاية المدعو Guillem De Tolosa تمتد حتى قسنطينة شرقا ومدينة الجزائر غربا،[5] بمعنى أن هناك اتصالات بين مايوركة والجزائر في هذه الفترة.(خريطة 7) قبل أن تتوتر في سنة 1274م إذ ضايق جاك الفاتح العلاقات التجارية مع الجزائر. وكانت هذه المعاملات التجارية تقوم في الديوانة كما كان الحال في إفريقيا، منتظمة ومضبوطة. [6] وفي سنة 1284 أصبح نشاط تجار مايوركة يتمحور بها إذ أصبحت تستقبل ثلاث سفريات من بين خمسة وأربعون موجهة إلى المغرب.[7]

وربما أضفى تعداد الأجناس هذا على المدينة، تلك الحيوية والتنوع في الحياة اليومية في اللباس والمسكن والمأكل والتجارة أيضا وحتى عمران الدولة الحفصية في هاته الفترة كان أندلسيا وكان يظهر ربما في مساجدها وحماماتها وطواحنها وأسواقها ودياراتها.[8]

---

[1] – DUFOURCQ, l'Espagne Catalane , P.134

[2] - سعد الله(فوري)، يهود الجزائر ن هؤلاء المجهولين، ص.73-75

[3] – DE MAS LATERIE, op.cit. PP.83-84

[4] – BRUNCHVIG R, La Berbérie Orientale sous les Hafsides des origines a la fin du XVe , T.1. Paris 1940, P.434

[5] – DESTOMBES, op.cit, P.320

[6] – DUFOURCQ, l'Espagne Catalane, PP.134-135

[7] – DESTOMBES, op.cit, P.320

[8]- العمري(بن فضل الله)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تاريخ إفريقية والأندلس، ترجمة عبد الوهاب حسن، تونس، ص.94

وهذا ما يذكره فعلا Berque بأن مساكنها المبنية بالطراز البربري وذات طابق واحد في معظم الحيان، كانت مسقفة بالقرميد الأخضر على الطريقة البربرية والأندلسية مما أضفى عليها ذلك الجمال وأصبحت بذلك تضاهي مدن بلنسية وغرناطة. [1] ومع ازدهار التجارة، زاد العمران وزاد الثراء وأصبحت العائلات تبني لها دورا جميلة وهو ما يستدعيه طبعا الكمال.

وقد وجه تجار ايطاليا من جنوة وفلرونسا والبندقية اهتماماتهم بكثرة إلى موانئ المغرب بصفة عامة منذ بداية هذا القرن، للبحث عن أسواق جديدة حتى يعوضوا بها خسائرهم في المشرق، إثر الحروب الصليبية واستغلوا فرصة ضعف القوة الإسلامية في هذه الفترة سياسيا وبدأوا يبعثون مراكبهم تسيطر على البحر الأبيض المتوسط، للبحث عن ذهب السودان لأن البلدان الأوروبية تفتقر إلى المعادن الثمينة ويبقى الاقتصاد العالمي في هذه الفترة متوقفا على ذهب إفريقيا.[2] وعلى إثر ذلك، كانت موانئ المغرب، إسكالات مهمة لهذا النوع من التجارة ووجب لذلك، قناصل تقوم بدور الوسيط في هذه التجارة التي أغنت مخزن مدن المغرب بفضل المكوس المضروبة على البضائع في الجمارك.[3]

وفي العهد الزياني كان حكام تلمسان بنو عبد الواد، يبحثون في المدينة، عن منفذ بحريا جديدا لتلمسان، بالإضافة إلى وهران وهذين لأن تلمسان مدينة داخلية لا تملك أسطولا بحريا يمكنها من التجارة البحرية إذ اختصت في التجارة البرية الصحراوية مع السودان عن طريق سجلماسة[4]وبدأت توقع أيضا معاهدات تجارية مع ملك الأرغوان للتجارة الأجنبية مقابل فنادق وضمان الأمن لهم. [5]

ولما بدا التناحر السياسي المريني الزياني، اتخذت مدينة الجزائر استقلاليتها لبعض الوقت، اكتسبتها أهمية وشهرة اقتصادية واستغل التجار الكتالون الفرصة ليقوموا فيها بما يشاؤون واعتبروها مدينة مستقلة.[6] وربما هذا ما قدمها على المدن الأخرى إذ لم يكن لها

---

[1] – BERQUE A, l'Intérieur du Maghreb, éd. Gallimard. Paris 1978. P.208
[2] HEERS I, « Le Sahara et le commerce méditerranéen à la fin du moyen age » in. A.I.E.O. T.16
[3] – DUFOURCQ, op.cit p.563
[4] – DHINA, op.cit. p.242
[5] - Ibid, P.246
[6] – DUFOURCQ, op.cit p.134

عائقا سياسيا أو عسكريا للتجارة الأجنبية بل تكثفت أكثر في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر ميلاديين ولم ير التجار الأجانب ذلك النزاع، حاجزا واستمروا في نشاطهم في المدينة مثل الكتالون والمايورك والجنويون خاصة، وسواء كانوا يهودا أو مسيحيون، فإنهم كانوا يتواجدون بها بكثرة وكذا بمدينتي تنس وشرشال[1] لأنها فترة تجارة القمح التي احتكرها اليهود واحتكروا معها تصدير كل الحبوب من البلاد الجزائرية إلى البلدان الأوروبية خاصة إلى جانب تجارة الذهب وتجارة العبيد عبر الطرق الصحراوية، وكان منهم يهود منطقة توات التي أنعشوها بإقبالهم على هاتين التجارتين، بالإضافة إلى تجارة الملح مع الصحراء والسودان فكانوا وسطاء تجاريين مع إفريقيا السوداء وعلى علاقات تجارية وثيقة بيهود وهران وتلمسان إذ كانوا يبيعونهم الذهب المسحوق وريش النعام مقابل شراء القمح.[2] كما كانوا يتجهون نحو فاس وتلمسان ومدينة الجزائر وطرابلس وفي اتجاه المشرق عبر الاسكندرية وكانوا هم الذين يمونون أسواق أودغشت وولاتة وتمبوكتو وقاو وأغاديس وشنقيط وسجلماسة وتمنطيط وورقلة واغدامس...الخ.[3]

وبهذا، اكتسبت مدينة الجزائر مسلكا جديدا مع منطقة توات عبر هنين وتلمسان التي أخذت مكان تافيلات بعد 1393م فيما يخص التجارة وأخذت مدينة الجزائر مكان سجلماسة فيما يخص المور الدينية للجالية اليهودية إذا كانت المراسلات بين مدينة الجزائر و توات تمر بهنين مع أن مدينة الجزائر لم تكن لها علاقات مع توات من قبل.[4] (خريطة8) ويقول Heers في هذا الصدد، ان الذهب كان يصدر من موانئ مدينة الجزائر ووهران و هنين نحو برشلونة ومايوركة حسب الأرشيف الإيطالي.[5] (خريطة9) وغلى جانب اليهود كانت قبيلة الثعالبية التي استقرت بها منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي تقوم بتجارة واسعة في المدينة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ والرابع عشر والخامس عشر ميلاديين في إطار الجهاد البحري وتكونت من جراء ذلك، طبقة من الأثرياء كانت لها مقاليد الحكم فيها.[6]

ويذكر لنا صاحب المعيار ان " أهل سبتة كانوا يبيعون الزيت في المدينة في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي وكان أحدهم يودعها في خوابي ويكتب اسمه عليها ثم يشتري

---

[1] – DE MAS LATERIE, op cit. P.102
[2] – LALOUM Jet ALLOUCHE J.C. , Les juifs d'Algérie, images et textes, Paris 1978, P.246
[3] – OLIEL J, Les juifs au sahara. Le Touat au moyen age, éd C.N.R.S. Paris, 1994. P56
[4] – Ibid, P.96
[5] HEERS J , Genes au XVe activités économiques et problèmes sociaux, Centre de recherche historique SEUPE.N, 1961, P.67

[6]- الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص.12.

بثمنها، سلعا ورقيقا ويبعث بذلك، إلى المرية وسبتة ولما سافر إلى سبتة ترك رجلا (وكيلا) يبيع له باقي الزيت ولما عاد إلى الجزائر أخذ ثمنها."[1]

هذه أخبار اقتصادية أيضا تتمثل في بيع الزيت عن طريق وكلاء من مدينة الجزائر إلى المرية والوكالة كان يقوم بها عموما اليهود الذين برعوا فيها خاصة بين مدن المغرب العربي وأوربا.[2] ولهذا نجد ربما صناعة الدوليا قائمة بالمدينة لأنها تحفظ الحبوب والزيت في خابيات كبيرة ثم يقومون ببيعه بأنفسهم والباقي يوكلونه إلى وكلاء ثم تصديره إلى سبتة والمرية. فهل هذا مسلك جديد؟ أم أنه كان مجهولا فقط وبما أن أهل سبتة يتاجرون به في المدينة، فهذا يستدعي طبعا وجود فنادق خاصة بهم وسيأتي شرح ذلك.(خريطة10)

أما المعلومة الثانية فهي تجارة الرقيق التي يؤكدها الونشريسي بأنها قائمة بالمدينة وقد ذكرت سابقا أنها كانت رائجة بها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي على يد اليهود دائما الذين جعلوا منها تجارة ثلاثية الأقطاب أي مدن جنوب المتوسط ومدن شمال المغرب ومدن شمال الصحراء.[3] أما القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي فهو فترة، راجت فيها تجارة القمح الذي لعب دورا مهما في اقتصاد المدن الإيطالية مثل، جنوة، إذا كانت تشحن حمولات معتبرة من ميناءي بجاية ومدينة الجزائر إلى برشلونة مثلا[4]بالاضافة إلى ذلك، كانت تجارة النحاس رائجة في منطقة توات وتمنطيط وسجلماسة وتلمسان التي نشطت فيها مع أهل توات الذين كان يمثلهم اليهود بكثرة.[5]

---

[1]- الونشريسي(أحمد)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط.1، بيروت 1981.ج.9، ص.73-74

[2] – AYOUNG C, Les juifs d’Algérie, deux mille ans d’histoire judaïque, éd. Clattés , Paris 1982, P.869

[3]- سعد الله، المرجع السابق، ص.73-74

[4] – HEERS op.cit. P340
[5] – OLIEL op.cit. P.62

وقد استكملت وجهها العمراني في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي حين زارها حسن الوزان سنة 1515 م ، فيذكر عنها حقائق تاريخية عن عمرانها واقتصادها وجمالها أيضا فيقول: "مدينة الجزائر كبيرة جدا تضم نحو 4000 كانون، أسوارها رائعة ومتينة جدا، مبنية بالحجر الضخم، فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب، لكل حرفة مكانها الخاص وفيها عدد كثير من الفنادق والحمامات ويشاهد من جملة بناءاتها، جامع ممتاز، في غاية الكبر، على شاطئ البحر، أمامه ساحة جميلة جدا اتخذت على سور المدينة ذاته الذي تتلاطم عند أسفله أمواج البحر ويحيط بالجزائر، عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه ويمر قرب المدينة من الجهة الشرقية، نهر نصبت عليه طاحونات ويزود السكان بالماء للشرب ولأغراض أخرى، وفي الضواحي، سهول جميلة جدا".[1]

يعتبر نص الوزان شهادة طبوغرافية دقيقة التفاصيل تخص عمران المدينة وروسم حقيقي نقوم من خلاله بإعادة تصور المدينة.

يخبرنا أولا بارتفاع عدد سكانها إلى 4000 كانون والتي تعني حوالي 2000 عائلة[2] وهذا الإرتفاع يعني أن مدينة الجزائر عرفت في هذه الفترة هجرات عديدة ودخلتها أجناس مختلفة وكونت طوائف متباينة ، حتى أنه لم يذكر كلمة بني مزغنة كما هو الحال في المصادر العربية التي سبقته، فكأن هذه القبيلة لم يعد لها وجود أو لم يعد لها وزن في المدينة، خاصة وأن قبيلة الثعالبة التي استقرت بمتيجة منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي قد نزحت إلى المدينة، تحت مجلس عيان موال للموحدين وهي قبيلة تقوم بتجارة واسعة في البحر.[3] أو أنها انصهرت في الطوائف الكثيرة المتواجدة بالمدينة، أو ربما أقهرتها الضرائب التي فرضها عليها الحكام فهاجرت على إثرها إلى مناطق أخرى، كما فعل سكان مدينة بلنسية التي أجهدتهم ضرائب مبارك ومظفر ملوك الطوائف.[4] هذا بالإضافة إلى الجالية الأندلسية بما فيها المسلمون

---

[1] الوزان (الشريف حسن)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي و محمد الأخضر ، ج. 1، ط.2، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص. 37

[2] CRESTI F, Contribution à l'histoire d'Alger et notes sur le développement urbain d'Alger période turque. 1993, p. 29

[3] الجيلالي ، المرجع السابق ، ص. 12

[4] LAGARDERE V." Structures étatiques et communautés rurales: Les impositions légales et illégales en El Andalus et au Maghreb". (XI^e-Xv^e) in Studia Islamica n° 80. 1994, p. 61

واليهود الذين استقروا بالمدينة سنة 1391 م من جراء عملية الجلاء التي عرفوهـــا علـــى يـــد الكاثوليك وكان فيهم حرفيون مهرة في عدة مهن، مستعملين تقنياتهم الجديدة في العمل الصناعي والحرفي والتجاري مما أكسب مدينة الجزائر جوا اقتصاديا جديدا يحمل ملامح الرفاهية والغناء نظرا للضرائب التي كانت تدفع في الجمارك مقابل لجوئهم.[1] وجعلهم هذا الغناء يكتسبون ذوقــا رفيعا في المعيشة فاتخذوا سكنى جميلة في المدينة كما يذكر ذلك حسن الوزان الذي لاحظ أيضا أن أسواقها منتظمة. وهذه ظاهرة عرفتها منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي غــير أن الجديد في هذا النص، هو كثرة. الفنادق التي يذكرها بمعنى كثافة التجارة وبالتـــالي توســع المدينة حيث تتخذ كل جنسية فندقا لها وسيأتي التحليل في عنصر نشأة السوق .

وقد كانت للمساحات الخضراء أيضا دور في جمال المدينة عندما تكتنفها أو تحيط بـــها خاصة إذا كانت بساتين لأشجار الفواكه والتي لاحظ أنها كثيرة بالمدينة والمســـاحة الخضـــراء ترمز إلى الجنة في الأرض وهذا عنصر أساسي في إنشاء مدينة إسلامية .

وأهلت هذه المؤشرات كلها مدينة الجزائر لتحتل الصدارة في مدن المغرب الأوسط في العهد العثماني وانتزعت الأهمية التي كانت لبجاية وتلمسان في العصر الوسيط.وانجر عن هـــذا النشاط تجارة كثيفة في الفترة العثمانية، ابتداء من القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي إذ كتب عنها رحالة أجانب كثيرون مثل هايدو ونيكولا دي نيكولاي الذي يذكر أن المدينة كان لـــها طابع تجاري وبها سكان من مختلف الأوطان ويشتغلون بمختلف التجارات لسد حاجياتهم وكانت هذه الحركة الاقتصادية تجلب القوافل التجارية من داخل البلاد الجزائرية خاصة قوافل الحجـــاج وبعض السفن من الشمال عامة،[2] فكان التجار الأجانب يستهلكون كل ما تنتجه المصانع المحلية وبصورة مستمرة.[3]

---

(1) ALLOUCHE J. , BENAYOUN, BENSIMON, Juifs d'Algérie, hier et augourd'hui. Mémoire et Identité B.U.P. Toulouse, 1989, p. 18

(2) DE NICOLAY N Les quatre premiers livres de navigation et pérégrination orientales. Lyon1568. p.17

(3) PANANTI Relation d'un séjour à Alger . Paris MDCCXX. p. 361

وتعززت حركة التصدير والإستيراد باستمرار هجرة الموريسكيين الذين برعوا في مختلف النشاطات وساهموا في تجارة المدينة بصورة كثيفة إذ كان فيهم تجار وصناع وحرفيون.[1] وبذلك، انتظمت تجارتها مع مرسيليا وجنوة وليفورن وإنكلترا وهولندا والسويد وتونس وطرابلس ومصر والشام والأناضول والبلقان والسودان.[2] فكانت تصدر الجلود والشموع التي كانت احتكارا للحكام الذين كانوا يبيعونها عن طريق اليهود ويبيعون احتكارها إلى إحدى الغرف التجارية الأجنبية، بالإضافة إلى الأصواف التي كانت تمون مصانع شمال إيطاليا والمواد الغذائية الرئيسية من الحبوب والزيوت[3] التي كانت تأتي إلى المدينة على شكل إتاوات من طرف بايليكات الإيالة لتخزن فيها ويشتريها الإنجليز مقابل الأسلحة والعتاد الحربي وبترخيص من الدولة، كانت ترسل إلى الموانئ العثمانية كمصر مثلا. أما المواد الرئيسية التي كانت ترسل إلى البلدان الأجنبية، فهي الكتان والأقطنة والزبيب والتين والعسل والشمع والتمور ونسيج البروكار والتافتة والنسيج الموصلي والتبغ والبن وريش النعام ودهون الورود وغبرة الذهب.[4] وكانت تستورد الكتان والعقاقير والمعادن والقنابل وحبال الأرز والكبريت والقطن والمواد العطرية والأوراق والفواكه اليابسة. ومن مرسيليا، يأتيها السكر والبن والحديد والخردان والورق والكتان والحرير والجخ والمناديل. ومن ليفورن تستورد كتان ألمانيا والحرير الموصلي الآتي من الهند وقطيفة جنوة ومصنوعات زجاجية. ومن تركيا ومصر، تستورد الكتان القطني وقطن الريف والأواني النحاسية والبن والأرز.[5] (خريطة 11)

وقد كان للفن الحرفي دور في اقتصاد المدينة أيضا وسبب نشوء معظم أسواقها إذ تعددت بها ورشات الحرف التي كانت مادة كسب وربح كبيرين وكانت لها خاصياتها ومميزاتها وطابعها المحلي مما جعلها أحيانا تتعدى الإستهلاك المحلي إلى التصدير لأن القائمين عليها كانوا ذوي مهارة كبيرة تفننوا وبرعوا في صنع منتوجاتهم وطبعوها بطابع خاص بمدينة الجزائر.

---

(1) اسعيدوني (ناصر الدين)، "الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهمتها العمرانية ونشاطها الإقتصادي ووضعها الإجتماعي"، مجلة أوراق، عدد4 مدريد، 1981، ص.120

(2) اسعيدوني(ناصر الدين)، "مخطوط قانون الأسواق"، تحقيق، حوليات جامعة الجزائر، عدد 5 ، 1990 ، ص.124

(3) LESPES R , Alger, ésquisse de géographie urbaine d'Alger, Alger 1930, p. 36

(4) . PANANTI , op. Cit.

(5) GAUKLER , Le port d'Alger, 1530-1902, Alger 1902, p. 83

وكانت تظهر هذه البراعة في نسج وطرز أنواع النسيج والأقمشة الحريرية والتفتة والقطيفة والكتان وخيط"الأغاف" والصوف والحرير، لتصنع منها الألبسة والسراويل[1] والبرانيس والحياك والأقمصة وفي صناعة أقمشة من الحرير والحرير الموصلي المطرز بالذهب والفضة[2] في غياب ربما دار الطراز المعروفة في المدن الإسلامية والتي كانت تصنع ألبسة الحاكم، فكان أمراء مدينة الجزائر في العصر الوسيط والدايات فيما بعد، كانوا ربما يجلبون ألبستهم من الأندلس أو من المشرق أو كان لهم خياطون خاصون كما يذكر لنا دارفيو D'arvieux بأن الداي حاجي محمد كانت له بنتان متزوجتان لخياطين وحرفيين معروفين.[3] ويذكر فوزي سعد الله أن في العصر العثماني كانت ملابس الدايات وعائلاتهم تصنع من طرف اليهود في ورشات خاصة داخل قصور الحكام.[4] أما للعامة فكانت تصنع أزياء وملابس مختلفة من الجوخ أو الحرير أو الصوف كالمعاطف والسترات وقفاطين للنساء والرجال.[5]

ومن خلال منظومة الأسواق التي ذكرها ديفولكس، فقد تبين أن صناعات حرفية أخرى ومربحة جدا، قامت بالمدينة على أيدي سكانها سواء مسلمون أو يهود وفي أسواق خاصة.وبما أن الدباغة كانت منتشرة بكثرة، فكانت تصنع من جلد الماعز أو السختيان أجمل الزرابي وبجودة كبيرة وتسمى النيرام.[6]

وكانت تصنع من الجلود الأخرى البشماق والبلغة والبابوش وأحذية صفراء الجلد كانت تلبسها شخصيات مميزة كانت تأتي من المغرب عن طريق قوافل تجار سلا. أما النساء فكانت تصنع لهن نوعا من الخف ويسمى الشبلغ. وكان اليهود يصنعون أحذية عادية للرجال بسوق الخرازين، ناهيك عن صناعة الخيوط الذهبية التي كان يقوم بها الذوابة في حي القيسارية بالإضافة إلى صناعة الأسرجة التي كانت من الحرف التي يتهاطل عليها الناس نظرا للكسب الذي يتحصلون

---

(1) – PICARD E. La monnaie et le crédit populaire en Algérie depuis 1830.Paris 1930. PP23-24
(2) –BLISMON, Notice topographique sur la régence et la ville d'Alger, Paris 1830, P.75
(3) – PICARD E. op.cit. P24
(4) – سعد الله، المرجع السابق، ص.132
(5) – DEVOULX , op.cit.
(6) – PICARD E. op.cit

عليه منها، فكان حرفيوها يصنعون أسرجة وكننات وهميانات وأكياس السفر وأحزمة المسدسات وأحذية الفرسان أو التماغ والجوارب الجلدية التي كان عليها إقبال كبير من الناس وكانت تمارسها كبار العائلات ثم يطرزون الأسرجة بالذهب والفضة أو بالحرير على الجلد أو على الكتان والقطيفة ويرصعون الجلد بالنحاس وتطرز من الجلد أيضا صرات أو أكياس النقود والنعال ونطاقات السيوف وكانت تسبغ هذه الجلود بالبليمياء وبخشب البقم وبالنيلة وبقشور الرمان الأخضر.[1] (لوحة 1) واشتهرت أيضا بصناعة الأواني المعدنية والحلي الأحجار الكريمة وصناعة الصناديق والرفوف الجدارية وصناعة البراميل وخرط قرون العاج لصناعة الأساور العاجية وأساور من قرون البقر والثيران والجاموس وتتاجر بها المدينة داخل البلاد وتشتريها النساء المتوسطات عوضا عن أساور الذهب والفضة. وخرط الخشب لصناعة معامل النسيج والمسالك وخلالات الخيط وأعمدة الدرابزينات للشرفات والنوافذ.(لوحة 2) أما صناعة النحاسيات فكان لها شأوا عظيما إذ كانت تصنع الصينيات والأباريق ذات العروة والطيسات ومختلف الأواني النحاسية المنزلية بجانب ما يصنعه القزادرية من صفائح حديدية وفوانيس وركاوي وقرب. كما عرفت أيضا صناعة دهون الورود المستخرجة من زهرة بيضاء موجودة بكثرة وتعطي رحيقا جميلا يسمى النيسابوري ورغم قلة معرفة السكان بالكيمياء فإنهم يتقنون صناعة التقطير.[2]

أما الغرابيل، فكانت تصنع من الأسل وأغصانه أو من أوراق النخيل ثم تجلد وذلك لتحضير الكسكسي، وكذا ضفيرات من الحصير لصنع السجادات التي تفنن في صنعها الحلفاجية، ويبقى احتكار الداي لكل ما يصنعه القنداقجية كالأسلحة وعكازات مرصعة تركب فوق أساتين المدافع الأوروبية الأصل وشفيرات السيوف واليطاقان والبطاريات، أما السرايرية فيصنعون أغمدة السيوف الخشبية وخشب البنادق والمسدسات.[3]

---

(1)– PICARD E. op.cit
(2)- PANANTI, op.cit.
(3) –BLISMON, op.cit.

وفي ضواحي باب عزون كانت تصنع مكاييل من الطين وحديد العربات والمناجل والفؤوس والمعازف والشكائم والركاب للأحصنة والأحمرة التي كانت تعالج في حالة مرض من طرف السمارين أنفسهم بطريقة النار وغير بعيد عنهم تصنع لهم البرادع والأحملة. وفي ضواحي باب الواد كانت تقوم صناعة الفخاريات ومنها القرميد (لوحة 3) وصناعة الجير وصنع الأقفال الحديدية[1] كما أن مقالع الجير كانت متوفرة بكثرة بضاحية باب الوادي وكان البايليك يحتكرها مع صناعة الجير ويشهد على ذلك أفران الجير المنتصبة بضاحية باب الواد (لوحة 4 ) وحتى المحاجر.[2]

وللأفران أيضا وزن اقتصادي بالنسبة لمدينة الجزائر إذ نجدها في كل شارع ويأتيها الناس لطهي خبزهم وهي أفران شعبية بسيطة تتوزع داخل أحياء سكنية[3] ومنها الأفران الخاصة لطهي خبز الإنكشارية إلى جانب الأفران العامة[4] لأن الخبازة احتلت مكانة مرموقة في المجتمع المدني قبل 1830 إذ كانت تحتل المرتبة الأولى مع السياغة حيث تصنع الخبز والحلويات للعائلات التي لم يكن لها فرنا خاصا.[5]وعددها مؤشر لكثافة السكان واحتياجاتهم من الماء الضروري لصناعة الخبز.[6] إلى جانب ذلك، يوجد عدد كثير من الطاحونات أو المطاحن، ترتادها كثيرا الزنجيات واليهوديات لطحن القمح وهناك بعض أصحاب الطاحونات لهم خادمون يذهبون إلى المدينة لإحضار القمح فوق الأحمرة ثم يعيدونه. كما كانت هناك طاحونات هوائية في أعالي الثغريين أو Les Tagarins وفي حي القصبة وخارج باب الوادي. وفي سنة 1826 أضاف حسين باشا أربع مطاحن إلى الخمسة عشر الكائنة من قبل بناها في ملحقات القصر القديم لسد حاجيات الإنكشارية.[7] (لوحة 5 ) وكان واد الحراش الذي يستمد مياهه من سهول متيجة، يمون قسطا كبيرا من الطواحين التي تستعملها المدينة على طول العام.[8]

---

(1) BLISMON, op. cit.

(2) CATHELINAU Confrontation de modéles juridiques sur l'espace urbain. Le cas d'Alger de 1830 à 1853 . DESS. pp. 7-8

(3) ROZET Voyage dans la régence d'Alger . Paris 1830. T. III. p. 97

(4) DEVOULX A, Alger (manuscrit) p. 161

(5) AMARI Dj Quelques aspects de l'artisanat à Constantine. S.l. 1976

(6) BELHAMISSI M Histoire d'Alger par ses eaux. XVI$^{e}$ – XIX$^{e}$ Alger 1994, p. 15

(7) ROZET, op. cit. pp. 98-99

8) FRANC J "La Mitidja, de l'antiquité à 1830" , In. R. A.fr 1927, p. 429

كما لعبت المطاعم دورا في هذا الإقتصاد ،فهي موزعة في نقاط متباعدة في المدينة وهي عبارة عن محلات صغيرة تحضر فيها في معظم الأحيان " الكميات" وهي قطع اللحم المشوية على السكائب.[1]

وتعددت المقاهي أيضا، إذ كان يديرها سكان المدينة[2]لأن شرب القهوة كان مظهرا من مظاهر الترف والرفاهية بالنسبة لسكانها وللمجتمع الجزائري آنذاك بصفة عامة الذي كان لا يتناول الكحول ويستهلك الماء القراح مكانها.[3] وكانت أحيانا ملكا لبعض الزنوج وتتمركز بكثرة في شارع تريق باب الدزيرة أو (Rue de la marine ).[4] (لوحة 6 )

أما الحانات فارتبطت بالأسرى المسيحيين وأصلها زندانات أو سجون، كانت عبارة عن محلات يبيع فيها الأسرى النصارى المأكل والمشرب لبني جلدتهم وللجيش الإنكشاري بعض المشروبات وفي المساء تستعمل مأوى للأسرى والعبيد، مما يدل على ذلك، التسمية التي يطلقها السكان على كلا المحلين، تبرنة وزندانة أي Taverne و Bagne بالفرنسية.[5]

وأما الحلاقين فاعتبروا في الفترة العثمانية بمثابة المخبرين أو الصحافيين في الوقت الحالي ويتمتع الناس عندهم ببعض الأوقات المريحة لسماع الأخبار وأصحابها تقريبا كلهم من الكراغلة.[6] (لوحة 7 )

إلى جانب هذه المؤسسات، شكلت الحمامات منشآت اقتصادية وقفية من خلال قيمة مردودها الفعلي ولها علاقة بارزة بين عددها وتمركزها و بين توزيع السكان داخل المدينة.[7]

ولهذا النشاط كله، ألزم وجود أسواق تقام فيها هذه العمليات التجارية وأماكن تنتج هذه المنتجات كلها ومؤسسات تحفظها وتخصص للبيع والشراء،فكانت الفنادق والقيسارية تتولى توزيعها.

---

(1) ROZET op. cit. p. 64
(2) Ibid. p. 60
(3) مذكرات وليام شالر ، قنصل أمريكا في الجزائر ، 1816-1824.تعريب إسماعيل العربي، الجزائر 1982. ص. 88
(4) MERLE J.T Anecdotes historiques et politiques de la conquete d'Alger en 1830. Paris M.DCCC.XXX p.243
(5) DEVOULX , op. cit
(6) D'ESTRY ST , Histoire d'Alger, de son territoire et de ses habitants. Tours 1841. p. 25
(7) RAYMOND A , Signes urbains et étude de la population des grandes villes arabes à lépoque ottomane, in., B.E.O., 27, 1974, p. 186

التحضّر كانت قائمة في المدينة في الفترة الحديثة، فهل يعقل أن نجد مرعى داخل النسيج العمراني؟ وفي هذه الحالة، هل نستطيع القول أنّ هذه الأسواق التي كانت قائمة في المدينة في بداية العصر العثماني هي وريثة العصر الوسيط ؟ ربمّا، لأنها لم تتطور وبقيت على طابعها الريفي في حين ازدادت الضّواحي والمساكن وهذا يعني حتما أسواقا عديدة.

ويبدو أن نشاط المدينة تكثف فعلا وفتح أسواقا جديدة في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي لأن ابن حوقل يذكر أن "بجزائر بني مزغنة أسواق كثيرة".[1] و قد يقصد بهذه العبارة شيئين اثنين :

**أولهما** : هو أن عملية البيع لمنتجاتهم الزراعية والحيوانية كانت تقام في أرباض المدينة وهي كما رأينا الأسواق الريفية وربما اختصت كل تجارة بسوق، معناه: سوق الغنم وسوق البقر وسوق العسل وسوق السمن وسوق التين وهذا يعني مبدأ الاختصاص.

**ثانيهما** : بما أن عملية التصدير تستوجب الاستيراد أو المقايضة، فإنها لم تكن قائمة في البر لأنها عملية مضبوطة تحكمها قوانين وأعراف مدنية في الاقتصاد والمالية إذ تجبر على أن تقام في أسواق منتظمة وليس شرطا أن تكون عمارة، بل مكانا مخصّصا لذلك، تتوفر فيه الحماية والأمن وناظر السّوق أو المحتسب، كما يقصد كذلك مكانا واحدا تقوم فيه تجارات كثيرة ثمّ إنها فترة الهدوء والسكينة، قضى فيها بلكين على كل الثورات البربرية من بينها زناتة وأخضع تقريبا المغرب كله، من تونس إلى سجلماسة وربمّا هذا ما ساعد في تكثيف حركة التجارة لأن قوله« وغيرها» يستدعي الفهم أنه ليست القيروان وحدها التي كانت تتمون من جزائر بني مزغنّة، بل مدنا أو دولا أخرى مما أضفى على أسواقها الكثرة والتعدّد لأن القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي هو الفترة التي عرفت فيها المدينة، مدنيتها واكتسبت أهميتها البحرية خاصة، كمّا رأينا في التحليل التاريخي وهو مرحلة نشوء السوق بها بالمفهوم الحقيقي كهيئة معمارية قائمة أو كفضاء عمراني مخصّص ذو سماء مفتوح والتي تسمى غالبا بالرّحبة وهي مكان يحفظ الحبوب عموما بأنواعه كالقمح والشعير والحنطة.

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق.

### 3- نشأة السوق بمدينة الجزائر :

كانت مدينة الجزائر تعتبر مدينة فلاحية بصفة عامة وهذا منذ العصور القديمة حين كان شمال إفريقيا يعتمد على الزراعة والرعي وهما عمليتان تستوجبان حتما وجود السوق لتبادل ما تنتجه منهما للتجارة بهما، فكانت بدايتها تجارة محلية، مثلها مثل مدن نوميديا وموريطانيا الأخرى لتسوقها خارجا إما برا أو بحرا وبما أن علاقات إقليمية كانت قائمة بين صلداي وبين طنجة ومرسى الكبير ....الخ[1] فهذا ينطبق حتما على إيكوزيوم التي كان مبناؤها منذ أن أنشأها الفينيقيون ضمن مسالكهم البحرية كإحدى الإسكالات الهامة لنقل البضائع ومنها الذهب وهذا معناه مساهمتها في التجارة الداخلية والخارجية وفي تجارة القرطاجنيين كما تدل عليه158 قطعة نقدية لإيكوسيوم التي عثر عليها في حي البحرية[2] باعتبارها منفذا على الخارج وهودور مهم استمر حتى الفترة الإسلامية، كما يشهد على ذلك جل المؤرخين والرحالة المسلمين.

وتكاد تنفق كل المصادر العربية على أن قبيلة مزغنة التي كانت تسكن في جور مدينة الجزائر تقوم بزراعة الحنطة والشعير وتعيش على الرعي أيضا وهذا يتطلب فتح أسواق لبيع متوجاتها وإن كان للإستهلاك المحلي لأن الحنطة والشعير إنتاجان أساسيان وجب تسويقهما في فترة كان المغرب يتمون بهما ويمثلان الطعام الرئيسي.

وبما أن اليعقوبي يذكر متيجة على أنها سهل كبير وبها الزرع والضرع ومدينة الجزائر تابعة لها، فإن الأسواق بها لم تكن بالمظهر الذي سنعرفه فيما بعد، بل أسواق ريفية في الهواء الطلق كعادة الصنهاجيين يرتادها سكان المنطقة وتجار القرى المجاورة ربما كسوق حمزة مثلا وشرشال وبرشك وأشير ومليانة والمدينة لأنها قبائل صنهاجية وتقع تحت سلطة واحدة ومن عادة الصنهاجيين أن يتخذوا من القرى نفسها أسواق يقصدها الناس مرة في الأسبوع لبيع منتوجاتهم وشراء الأسلحة والدوات ولملاقاة صناع السروج وتجار التوابل.[3]

---

[1] - حارش (محمد الهادي)، التاريخ المغاربي السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى لافتح الإسلامي، ص129.

[2] - CANTINEAU et LESCHI, « Monnaies puniques d’Alger », in. C.R.A.I., 1941, P.263

[3] - العربي(اسماعيل)، دولة بني حماد، ملوك القلعة وبجاية، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزا\ر 1980، ص39.

ومن المؤكد أنها كانت تقام عند إحدى أبواب المدينة الرئيسية أي خارج أسوارها وهو باب عزون لأن هذه الجهة، منطقة سهلية ريفية واسعة تناسب السوق الريفي اليومي أو الأسبوعي حيث كان في هذه الفترة، يخلو من البناءات وفيه ضواحي عديدة، كان يرتادها سكان السهل المتيجي للتبادل التجاري وبقيت ريفية حتى الفترة الحديثة لأن دي نيكولاي De Nicolay يذكر أن سوقين ريفيين كانا يقامان في هذه المنطقة وفي الهواء الطلق وكان يرتادهما سكان الأرياف محملين بالبضائع كالفواكه والحبوب والدجاج بسعر رخيص في كل أسبوع، في بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي[1] بمعنى أنهما سوقان أسبوعيان.(لوحة8)

أما دارفيو D'Arvieux فيذكر أن باب عزون ضاحية تباع فيها اللحوم ومنتوجات غذائية رئيسية يأتي بها الفلاحون من الأرياف ويبيعونها ها هنا.[2] (لوحة9)

وأما بوتان Boutin فيذكر أن سوقا يوميا ريفيا كان يقام في ضواحي باب عزون وهو سوق الحبوب، يأتيه الناس من عنابة ومن داخل البلاد على الجمال.[3] .(لوحة10) ويؤكده كل من Lessor وWyld بأنه السوق الرئيسي الذي يأتيه سكان البوادي صباحا محملين بالمواد الغذائية لسكان المدينة ويقوم قرب عين مقامة هناك،[4] مما يؤكد أهمية الماء في وجود الأسواق. في حين يذكر ديفولكس Devoulx سوقا أسبوعيا يقام أيام الجمعة ويسمى بسوق الجمعة وكان يقعداخل النسيج العمراني في شارع سوق الجمعةSocgema وبعد مجئ العثمانيين، غزته البنايات ولم يبق منه إلا فضاء صغيرا يباع فيه الحمام،[5] بالاضافة إلى سوق الماشية الذي كان يقام خارج الأسوار.[6] .(لوحة1)

كما أنه عبارة رحبة الماعز دلالتها لأن كلمة رحبة، تعني سوق مكشوف[7] أو ساحة صغيرة يمارس فيها نشاط معين وفي هذا المجال، قد تعني أيضا سوق الماعز التي استبدلها العثمانيون إلى كتشاوة أو Keçce Ova وليس ضروريا مرعى كما يقول Devoulx بل سوقا فعلا لأن بوادر

---

[1] – DE NICOLAY N, Les quatre premiers livres de navigation et pérégrination orientales, P.17

[2] – D'ARVIEUX CL, Mémoires du chevalier d'Arvieux, P.219

[3] – BOUTIN, Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger, publié par ESQUER G Paris 1927, P.44

[4] – LESSOR et WYLD, La régence d'Alger, Paris 1830, P.9

[5] –DEVOULX A, « Alger, étude topographique » in . R.AFR. 1875 , p.525

[6] – RAVEREAU A, La casba d'Alger et le site créa la ville, éd. Sinbad, Paris1989, P.36

[7] - الرباط ناصر، "مقدمة لدراسة تطور السوق في مدينة دمشق من القرن7م حتى 19م" في الحوليات السورية، المجلد 38-39 ، 1988-1989، ص78.

التحضّر كانت قائمة في المدينة في الفترة الحديثة، فهل يعقل أن نجد مرعى داخل النسيج العمراني؟ وفي هذه الحالة، هل نستطيع القول أنّ هذه الأسواق التي كانت قائمة في المدينة في بداية العصر العثماني هي وريثة العصر الوسيط ؟ ربمّا، لأنها لم تتطور وبقيت على طابعها الريفي في حين ازدادت الضّواحي والمساكن وهذا يعني حتما أسواقا عديدة.

ويبدو أن نشاط المدينة تكثف فعلا وفتح أسواقا جديدة في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي لأن ابن حوقل يذكر أن "بجزائر بني مزغنة أسواق كثيرة".[1] و قد يقصد بهذه العبارة شيئين اثنين :

**أولهما** : هو أن عملية البيع لمنتجاتهم الزراعية والحيوانية كانت تقام في أرباض المدينة وهي كما رأينا الأسواق الريفية وربما اختصت كل تجارة بسوق، معناه: سوق الغنم وسوق البقر وسوق العسل وسوق السمن وسوق التين وهذا يعني مبدأ الاختصاص.

**ثانيهما** : بما أن عملية التصدير تستوجب الاستيراد أو المقايضة، فإنها لم تكن قائمة في البر لأنها عملية مضبوطة تحكمها قوانين وأعراف مدنية في الاقتصاد والمالية إذ تجبر على أن تقام في أسواق منتظمة وليس شرطا أن تكون عمارة، بل مكانا مخصّصا لذلك، تتوفر فيه الحماية والأمن وناظر السّوق أو المحتسب، كما يقصد كذلك مكانا واحدا تقوم فيه تجارات كثيرة ثمّ إنها فترة الهدوء والسكينة، قضى فيها بلكين على كل الثورات البربرية من بينها زناتة وأخضع تقريبا المغرب كله، من تونس إلى سجلماسة وربمّا هذا ما ساعد في تكثيف حركة التجارة لأن قوله« وغيرها» يستدعي الفهم أنه ليست القيروان وحدها التي كانت تتمون من جزائر بني مزغنّة، بل مدنا أو دولا أخرى مما أضفى على أسواقها الكثرة والتعدّد لأن القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي هو الفترة التي عرفت فيها المدينة، مدنيتها واكتسبت أهميتها البحرية خاصة، كمّا رأينا في التحليل التاريخي وهو مرحلة نشوء السوق بها بالمفهوم الحقيقي كهيئة معمارية قائمة أو كفضاء عمراني مخصّص ذو سماء مفتوح والتي تسمى غالبا بالرّحبة وهي مكان يحفظ الحبوب عموما بأنواعه كالقمح والشعير والحنطة.

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق.

وبما أن الحنطة والشعير كانا المنتوجان الزراعيان الأساسيان في المدينة آنذاك، فأكيد أن أسواقها كانت تسمى رحبات والدليل على ذلك، رحبة القمح التي نجدها مذكورة في أطلس براونBraun سنة 1569م يسميها بالإيطالية:Rabba, cioé dové si vende il frument ويترجم Philibert كلمة Rabba بكلمة فندق (شكل2) ربما لهيئتها المعمارية يمركزها براون عند مدخل باب عزون وهو الباب المطل على الريف. [1] (مخطط2) في حين هناك رحبة أخرى في مركز المدينة، فهل انتقلت أم هناك رحبة ثانية مثلا؟ لأنه فعلا هناك رحبة أخرى تسمى رحبة الشعير وتقع أيضا في باب عزون، سنرى تفسير ذلك في الفصل لاثالث. وكما قامت للحبوب أسواق أو رحبات، فإن المنتجات الحيوانية أيضا قامت لها أسواق استدلالا بالوقفيات التي درسها Tal Shuval والمحفوظة بأرشيفAix en provence بفرنسا وهي وقفيات تعود إلى القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي وبعض الوقفيات المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالجزائر التي تذكر أهم الأسواق التي تمارس فيها نشاطات عرفتها مدينة الجزائر منذ بداية العصر الوسيط منها :

الرحبة القديمة974هـ/1542م وسوق السمن978هـ/1547م وسوق الجزارين 978هـ/1570م[2]
غير أن العسل لا نجد له وقفية، لكنه مذكور في أطلس براون ويمركزه في الجنوب الشرقي للمدينة باسم طبانة العسل[3] أي أن بطارية قامت في العهد العثماني أخذت اسم النشاط التجاري الممارس في هذا الموضع وهو وق العسل.

وكما قامت للحبوب أسواق، قامت للإنتاج الحيواني أسواق وقصابات أيضا، سنعرف توزيعها في الدراسة الطبوغرافية على عكس سوق التين الذي لا نجد له ذكرا إلا في صورة Le compte
باسم بازار الكرموس[4] (لوحة11) ونحن نعلم أن التين يسمى الكرموس باللغة المحلية أي البربرية ولتشابه هيئته المعمارية مع خان القوافل بالأناضول،[5] (لوحة12)أرجح أن بازار الكرموس بمدينة الجزائر، هو خان القوافل الذي يتكلم عنه روزيRozet [6]لكنه يقع داخل المدينة أي بالقرب من الديوان وليس خارج باب عزون وعلى هذا الأساس سمي بعد1830 بساحة القوافل.[7](لوحة13)

---

(1) – Philibert, Alger Estampe du XVIéme étude1969, P.10
(2) – Shuval t, La ville d'Alger vers la fin du XVIIIéme s. CNRS. 1ére éd, Paris1999. P.179
(3) – Philibert, Estampe. P.12
(4) – Esquer G, Iconographie historique de l'Algérie, C.C.A.Paris1929, pl.LXV,T.I
(5) -صورة منشورة في كتاب عكاشة، القيم الجمالية،ص.72
(6) – Rozet j, Voyage dans la régence d'Alger, Paris1833, P.66
(7)

وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي يذكر البكري "ان جزائر بني مزغنة لها أسواق كثيرة ومسجد جامع."[1]

هذه عبارة توحي بالمدينة والتحضر والتنظيم العمراني، إذ أن الأسواق تكثر في الأماكن التي تتواجد بها المساجد الجامعة كعنصر طوبوغرافي إسلامي بحت وكثرة الأسواق تعني الأسواق الحضرية التي تنشأ من كثافة التجارة وتنوع الإنتاج وتزايد السكان وهنا نقصد بها الجاليات الأندلسية وتجار من إفريقية وأجناس أخرى، ربما مسيحيون ويهود الردانية الذين ظهروا في هذه الفترة في تجار الرقيق من الصقالية والنساء المغربيات.[2]

وبهذا اتسع نطاق التصدير والاستيراد واتسعت معها رقعة الأسواق وأصبحت إقامتها داخل المدينة مؤكدة، والأسواق الحضرية، تقام في شوارع خاصة تسمى أحيانا البازارات لأن عبارته "بها أزاج محكمة" توحي بذلك، لماذا؟ لأن الأزاج جمع أزج وهو إصطلاح ايراني، يعني الغرفة المطولة أو الممر المقبب أو الذي يحمل قبوا.[3] ويترجمها De Mas Laterie بعقود وأقبية أو Voutes solides [4] بمعنى رواق أرضي به قبو تحمله أعمدة وهو ما يسمى بالفرنسية Le portique في البازيليكا(شكل3)، يجتمع فيه التجار ورجال الأعمال للإحتماء من أحوال الطقس وهو مكمل للأقورا[5] ويقوم مقام البازار الذي يخصص لنوع واحد من البضاعة، وهذا لا يتنافى وعبارة البكري "أسواق كثيرة" بمعنى مبدأ الاختصاص، الذي يدل على توسع العمران ووجود بازارات عديدة.

أما الجدار المتبقي، فهو فناء البازيليكا أو ما يسمى La nef بالفرنسية وهي مبنى مكملا للأقورا أو الساحة المركزية للمدينة قديما، ويكون مع هذه الأزاج(وهي رواق الاحتماء) بما يسمى الفوروم في العهد الروماني، أين كانت تقام التجارة وكانت فيه البنك والصيرفة والاستجمام...الخ. وكانت تبني في المستعمرات الرومانية على غرار فوروم روما، أي عبارة عن ساحة مكشوفة تحيطها أروقة مجهزة بكل الهياكل المدينة.[6] (شكل4)

---

[1]ـ البكري، المصدر السابق.

[2] – AYOUN C, Les juifs d'Algérie, deux mille ans d'histoire judaïque, éd. Clattés, 1982, P.61

[3] - سالم (عبد العزيز)، بعض المصطلحات العربية للعمارة الأندلسية، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، القسم الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992. ص.339-340

[4] – DE MAS LATERIE, op.cit. P.21

[5] – DAREMBERG et SAGLIO , « Basilique », in Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines, T.I, 1ere partie, Paris 1877, PP.677-678

[6] - LAGREZE GB, Pompéi, les catacombes, l'Alhambra, Paris 1872, P.119

ولما انتشرت المسيحية في العالم الروماني، بنيت البازيليكات وانتقلت إليها العدالة لأن الملوك قديما كانوا يحاكمون ويسمعون شكاوي الناس فس قصورهم الملكية ومنلا هنا جاءت كلمة بازيليكا ذات الأصل اليوناني التي تعني القصر الملكي وكانت تؤدي فيها بالإضافة إلى القضايا العدلية، العمليات التجارية واتخذت شكل الرواق لأنها عبارة عن سارية استلهمت من شكل باخرة القديس بولس وهي هيئة فرضتها الدساتير البابوية لأنها تناسب المعتقد الجديد وهو المسيحية.[1] (شكل5)وكانت تبنى في المناطق الحارة حتى يحتمي تحتها التجاروجال الأعمال ليجدوا فيها الراحة والتغطية من أحوال الطقس، كالشمس والمطر ونلاحظ هذا في شمال إفريقيا حيث بنيت في المناطق الحارة كالشلف وتبسة مثلا ومناطق أخرى كثيرة بالجزائر.[2] ونفس الشيء يذكره سوفاجيه بالنسبة لبازيليكا دمشق وحلب بسوريا.[3]

وكان الفوروم يزدان دائما بأروقة يفتح فيها الخواص حوانيتا تسمى Les Mateniana تحيط بهذه الساحة، يكون لها طابق علوي، يحمل هو الآخر أروقة مغطاة تفتح فيها الغرف والتي منها يمكن تتبع ما يجري في ساحة الفوروم(شكل6) وغير بعيد عن الفوروم نجد Les tabernae veteres بمعنى الحانات القديمة [4] ولهذا ربما نجد في مدينة الجزائر شارعا يسمى "سبع تبارن" أو شارع Belisaire الذي يقع بين شارع القناصل وشارع 14جوان فهل هو إرث روماني؟خاصة وأنه يحاذي هذه الساحة التي تقع في مركز المدينة.

ويذكر الإدريسي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي "أن أسواقها قائمة وصناعتها نافقة."[5] وربما يقصد نفس الشيء إذ أن السوق القائم يوحي بانتظام الأسواق بمدينة الجزائر، بمعنى أن السوق الحضري وهو الشارع السوق أو الرواق أو البزار في المفهوم الحديث، اتخذ هيئة القبو الذي اتخذ حوانيتا على جانبيه وأصبح كل شارع سوقا خاصا. وربما أثرت هذه الأزاج أو هذا الرواق في كيفية بناء الأسواق الحضرية التي عرفتها المدينة فيما بعد

---

[1] Ibid, PP.122-123

[2] – DUVAL N, GUI J. et J.P. Basiliques Chrétiennes de l'Afrique du nord, Paris 1992, PP.11 et 311

[3] – SAUVAGET, « Esquisse d'une histoire de la ville de Damas », in R.E.I, 1934/4, P.454

[4] – THEDENAT , « Le Forum », in, Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, T.II, 2eme partie, Pari, P.1295

[5] - الإدريسي، المصدر السابق.

وأصبحت تبنى على شكل الأسواق الأخرى بتخصصاتها، أي أن لكل سوق نوع معين من السلعة وتخصص كل طائفة في حرفة معينة لأن الصناعة النافقة توحي بوجود المنافسة التي يخلفها تعدد الصناعات والحرف وتنوعها وتعدد الطوائف والتي تعود على السلطة بالرزق الكثير بمعنى ثراء الخزينة أو المخزن لأن صناعة الأساطيل وصناعة النقود تربح كثيرا وتعتبر من أسمى الصناعات ومن مظاهر الرخاء والرفاهية وكذا بالنسبة لصناعة السكر التي لا نجد لها سوقا معينا لا في النصوص التاريخية ولا في الإيكنوغرافيات ولا في المخططات التي أنجزت عن المدينة في عهد الفرنسيين، ربما كانت تصدره مباشرة، بمعنى أن الدولة كانت تحتكر إنتاجه وتصديره في حين نجد صناعة الأساطيل قامت في دار الصناعة التي نجدهامذكورة تقريبا في كل النصوص التاريخية التي تعود إلى العصر الحديث لما لها من دور حساس اقتصادي وعسكري وهي فترة التحصينات ضد الغارات والهجومات الأجنبية وأول دليل على قيامها نجده في صورة Salamanca سنة 1541 حيث تقع عند باب البحر لأنه مكان مناسب لصناعة السفن.[1]

وفي سنة 1550يذكر De Nicolay أنها تقع أسفل المسجد الكبير[2](لوحة14) وهو نفس الموضع الذي يذكره كل من Bosio وLanfreducci في تقريرهما العسكري وعلى أنها تتكون من مرفأ صغير.[3]

أما الحدث الآخر والمهم في حياتها الاقتصادية، فيمثل في دار السكة التي ضرب فيها الحماديون والموحدون والحفصيون دراهمهم ونرجح أنها كانت قائمة من قبل لأن إيكوزيوم ضربت نقودا خاثة بها الفترة الرومانية والدليل على ذلك، تلك النقود تاني عثر عليه سنة 1952 في شارع البحرية وضربت بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين.[4]

ويبدو أن وضعها تغير لأن زنقة الصراف والمقصود بها دار السكة كانت تقع على شارع باب عزون (مخطط1) وانتقلت فيما بعد إلى دار السلطان أي الجنينة وسنتطرق إلى هذا في الفصل الرابع.

المهم هنا هو أنه بمحاذاتها دار السلطان أو الجنينة(لوحة15) بنى داي مدينة الجزائر دار السكة ، لاكتساب تلك الرمزية التي يتكلم عنها Tal Shuval وهو الانتماء إلى الامبراطوية

[1] – Gravure signée A NTONIO SALAMANCA et publiée dans ESQUER, Iconographie historique de l'Algerie. Paris 1929, Pl.V.n14
[2] – DENICOLAYn op.cit, P.22
[3] – LANFREDUCCI et BOSIO, « Costa a discorsi si Barberia », In, .R.Afr. 66 année, n°322 1er trimestre, 1925 P537
[4] – LESCHI , Etude d'épigraphie, d'archéologie et d'Histoire, Paris 1957, P.327

العثمانية.[1] فهل كان نفس الشيء بالنسبة للموحدين؟ بل أرادوا بها الهيمنة الاقتصادية والسياسية على المدينة بمعنى توسيع نطاق حدود دولتهم. ويذكر لنا الونشريسي في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي أن معاملة أهل الجزائر كانت بالدنانير الزيانية والخارجية ولاحدادية والزياني هو الغالب.[2] وفي القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي يذكر هايدو Haedo أن الريالات كانت مضروبة في مدينة الجزائر وكذا السلطاني لكنه غير موثوق في قيمتيها لتحكم الباشوات في ذلك.[3]وهذه نصوص، تشهد على قيام دار السكة بمدينة الجزائر والتي يسميها بروان في أطلسهZocco doe si fa moneta بمعنى السوق الذي تصنع فيه النقود ويسمى شارع René Caillé باسم زنقة الصراف على شارع باب عزون.[4] أما Wolfgana فيطلق إسم دار تجارة الأتراك[5] Das Turkish Kaufhauss بالألمانية ويصورها على شكل منزل كبير، يقع في نفس الموضوع أي على شارع باب عزون مما يقيم الدليل على أن هذا المنزل هو دار السكة أو دار الصرف كما يسميها بروان Braun . إذن، فانتقالها إلى دار لاسلطان شيء مؤكد. واشتغل فيها اليهود في العهد العثماني تحت مراقبة أمين السكةوهو المسؤول عن ضرب النقود.[6] وربما اشتغلوا بها منذ العصر الوسيط لأن وجودهم بالمدينة أقدم وربما زنقة الصرف هذه والتي تقع على شارع باب عزون هي نفس الزنقة أو الشارع الذي يسميه Hakluyt سوق اليهود في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي.[7]

وفيما يخص صناعة الفخار، فرغم وجودها منذ فترة مبكرة إلا أننا لا نجد ذكرا لأسواقها، ماعدا أنها كانت تقام في ضواحي باب الواد، فربما اقتصرت على الإستهلاك المحلي فقط وهذا لم يتستدع ربما قيام أسواق لها أو أنها اندثرت أو أن المنتجات الفخارية كانت تباع في سوق آخر مع بضاعة أخرى أو أن الناس كانوا يقتنونها من المصانع أو أنه لوجودها خارج النسيج العمراني، أهملت أو لكونها مادة أقل قيمة واعتبارا.

---

(1) – SHUVAL, Alger au XVIIème s,P.299

(2) - الونشريسي، المصدر السابق.

(3) – HAEDO F.D, « Topographie d'Alger » in. R.Afr, T.14, 1870, P.96

(4) – PHILIBERT, une perspective cavalière d'Alger 1688, par Andreas Matheus Wolfgang(1660-1735) étude critique, Paris1975, P.7

(5) – PHILIBERT, op.cit.

(6) – SHUVAL, op.cit, P.169

(7) – HAKLUYT R, The principal navigations. Voyages and traffiqes of the english nation, ed Dent and Co sd 8 vos T.III, PP.121-122

ثم لا نجد نصوصا تاريخية تذكر أسواق المدينة، حتى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي حين يذكر الونشريسي في نوازله "أن سكان سبتة يبيعون الزيت في مدينة الجزائر"[1] وهذا يعني أن لتجارة الزيت سوق خاص، لكنه لا يذكر مكانه. وكما بنيت في اقتصاد المدينة كانت تجارته قائمة بها من العصر القديم، استدلالا بتلك الخابيات التي عثر عليه في الحفريات الفرنسية السابقة الذكر، ما بين شارع Les palmiers .[2] كانت تستعمل لحفظ ازيت والحبوب في آنية الدوليا. ويذكر Devoulx أن سوق الزيت كان قائما في شارع باب عزون.[3] ثم يضيف صاحب المعيار بأن هؤلاء التجار، كانوا يشترون بأثمان الرقيق. وهذه شهادة بأن سوق الرقيق كان قائما في المدينة ، على غرار المدن الإسلامية.

كما يذكر آدم متز أن للمغرب آنذاك أي في بداية العصر الوسيط سوق للرقيق وأن بتاهرت سوق للنخاسة.[4]وعلى غرار هذه المدن كان لمدينة الجزائر سوق للرقيق لأنها اعتبرت في القرنين (السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) أكبر سوق النخاسة التي كان القسيس ألبرت Raymond Albert يقصدها بنفسه لشراء المسيحيين ثم تحريرهم.[5] وهي الفترة التي تشكل فيها في أوربا نظام L'ordre des Mercédaires لعتق الأسرى وشراء المسيحيين في المغرب[6] ولهذا السبب ريما كثرت تجارة العبيد في المغرب، لأنها مربحة وكانت تغني المخزن بالإضافة إلى تجارة الذهب التي كانت رائجة مع السودان الذي كان يمون تقريبا كل المغرب بالعبيد.

ويذكر لنا Dufourcq حسب أرشيف برشلونة أنه في سنة1303م أعتق مدير ديوانة الجمرك بمدينة الجزائر، تاجرا مايوركيا أسر بها.[7] وفي سنة 1379 أسر بحريان مرسيليان بيعل عبيدا[8] وكان ليهود توات دور في ذلك في هذه الفترة إذ كانت لهم قوافل خاصة بهم تتجه نحو المغرب لتمون أسواق مدنه مثل : مراكش، فاس، تلمسان، مدينة الجزائر، تونس وطرابلس.[9] لكن أين كانت تقام هذه العملية، هل في الهواء الطلق؟أم في بنايةخاصة وفي مكان محد

---

[1] - الونشريسي، المصدر السابق.

[2] – LEGLAY, A la recherche d'Icosium, P.25

[3] – DEVOULX, Alger

[4] - متز(آدم)، الجضارة الإسلامية في القرن 4هـ، القاهرة 1940، ص.284

[5] – DE MAS LATERIE, Traités P.154

[6] – DUFOURQ , L'Espagne. P.80

[7] – Op.cit. P.368

[8] – DUFOURCQ, La vie quotidienne dans les ports Méditerranéens au moyen âge, Paris 1975. P.145

[9] – OLIEL, Les Juifs au Sahara le Touat au moyen âge, P.56

ليست لدينا وثائق محددة، لكن في إيكنوغرافية Wolfgang 1688م ويذكر أن على يسار شارع البحرية هناك "سوق يباع فيه النصارى" ويعلق Philibert على أنه هو مقام البادستان.[1]

لكنه لا يدعم كلامه، بوثائق أو نصوص تاريخية. وفي أطلس براون لا نجد له ذكرا مع أنه سبق Wolfgang ونحن نعلم أن براون صور كل تفاصيل المدينة العمرانية وبالتدقيق، فهل يعني هذا أنه لم يكن موجودا في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي ولا قبله؟ لأن Devoulx عثر على عقد ملكية مؤرخ بسنة 1583م يذكر أن البادستان أنشئ فوق موضع فندق صغير من طرف حسن باشا وأخذ اسم البادستان الجديد في بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي،[2] على أساس وقفية ذكرها Tal Shuval لسنة 1031هـ/1621-1622م.[3]

كما ذكر هايدو Haedo أيضا أن "النصارى يباعون في الأسواق الشوارع التي نجد بها الحوانيت الرئيسية."[4] ، مما يقيم الدليل عى عدم وجوده قبل هذه الفترة. وفي سنة 1662م يكر أحد مي الأسرى الفرنسيين أن "العبيد يعرضون في سوق مخصص لهذه العملية ويسمى بازستان"[5] بالزين وليس بالدال وقد سبقتها كلمة بادستان في تقرير Lanfreducci وBosio العسكري حول المدينة جيث يتمركز وسط التقاء شوارع باب عزون، باب الواد، البحرية.[6] (مخطط3) ثم تصبح هذه الكلمة معروفة ومتداولة عند السكان أو الرحالة في العصر الحديث ونجدها عند كل من Plantet وDesfontaines وPeysonnel وD'Estry و غيرهم.

إذن، فالبادستان لم يكن معرف بهيئته المعمارية كسوق مغطى في الفترة الوسيطة وبداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي، فربما كانت علية شراء العبيد والأسرى تقام في الهواء الطلق لأن Esquer نشر صورة في إيكنوغرافيته التاريخية، تمثل ربما الادستان لأنه يمسيها بازار العبيد أو Le Bazar des Esclaves على هيئة فراغ ذو سماء مفتوح على هيئة سوق مغطى بالطريقة التقليدية أي أعمدة حديدية مشدودة ببعضها بواسطة كوابل حديدية ومغطاة بأقمشة من الكتان للحماية من الشمس.[7]

---

(1) – PHILIBERT, un perspective cavalière d'Alger 1688, P.9
(2) DEVOULX, Alger, P.163
(3) – Shuval, op.cit, P.180
(4) – HAEDO, op.cit, vol.15, PP.52-53
(5) – Un Rédempteur, Le Miroir de la charité chrétienne, Aix1662, P.78
(6) – LANFREDUCCI et BOSIO m op.cit, P.539
(7) – Gravure « Le bazar des esclaves » in Esquer, Iconographie de l'Algérie, T.I, Pl.LXV

وفي هذا الصدد، يفسر Montran البادستان، على أساس سوق الكتان[1] وهناك وقفية تعود إلى سنة 969هـ/1559م تذكر اسم سوق الكتان[2] مع أن تجارة الكتان تقوم في القيسارية. فهل كان سوق الكتان يسمى البادستان الجديد، أم القيسارية؟ بما أن Bosio وLanfreducci يموضعانه في مكانها[3] أو أن سوق الكتان انتقل من موضعه هذا ليحل محله البادستان فيما بعد. هنا نعود إلى ما ذكره Devoulx عن البادستان الجديد، بمعنى أنه في القيسارية كانت تقوم كل تجارة العبيد أولا وقبل كل شيء ثم تجارة الأقمشة ولما دخلها الأتراك العثمانيون وكثرت هذه التجارة وتكثفت، كان لا بد أن تقام في مكان خاص بها. وهذا من باب تنظيم التجارة وتخصص الأسواق وبنوا بادستانا أسفلها، يقع كما يذكره Devoulx فوق فندق صغير[4] والذي كان ربما مخصصا لهؤلاء المعتقين أو هؤلاء التجار خاصة وأن ثروت عكاشة يذكر أنه ظاهرة منقولة عن العثمانيين،[5] مما يؤكد عدم وجوده قبل العصر العثماني ويؤكد أيضا أن تجارة العبيد كانت تقام في القيسارية. وتوجد كتابة تذكارية محفوظة بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر العاصمة تذكر البادستان وأمنية[6] (لوحة17) وهذا دليل مادي على وجوده.

أما المعلومة الثالثة التي نفهمها من نص الونشريسي فهي أن هؤلاء التجار الذين كانوا يرتادون على المدينة، كان يتطلب لهم الاستقرار بها ولو لمدة قصيرة واستوجب لذلك، إنشاء منازل ودور خاصة بهم تؤمنهم وتحفظ لهم بضائعهم، خاصة وأن التجار الأروبيون بدأوا يرتادونها بكثرة منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي وباستمرار ويكثفون تجارتهم بها وأصبحوا في بعض الأحيان، أصحاب السيادة فيها، بموجب المعاهدات التجارية التي أبرمت من قبل، بين السلاطين المغاربة والملوك المسيحيين كمعاهدة1186م التي أبرمت بين أبي يوسف يعقوب الموحدي وملك بيزا الإيطالي والتي تنص على التجارة في الموانئ التالية :

---

(1) – MONTRAN, Istambul au 17émé vie économique, Paris 1924, P.423
(2) – SHUVAL, op.cit.
(3) – LANFREDUCCI, op.cit
(4) – DEVOULX, Alger, P.161
(5) - عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ص.70.
(6) – COLIN G, Corpus des Inscriptions arabes et turques de l'Algérie, dpt. D'Alger, Paris 1901, P.17

سبتة ووهران وبجاية وتونس والعامرية، أي تسمح لهم التجارة في الموانئ التي تتواجد بها دار الجمارك أو الديوانة[1] وقنصلية ودار الصرف وفنادق وغيرها لأن التجارة الأجنبية لا تقوم إلا في المدن التي تتواجد بها هذه المكاتب، كما تحدده فيما بعد معاهدات إيطاليا مع الدولة الحفصية. ومعاهدة 1236 في عهد أبي زكرياء والتي لم تعين الموانئ التي وجب الإرساء فيها من طرف الأوربيين، ماعدا تونس وبجاية، بحكم أنهما عاصمتين كبيرتين وسوقين دائمين وتعهد فيها للجنوبيين بالإرساء والحماية لهم ولبضائعهم في حدود منطقة حكمه أي من طرابلس حتى مملكة بجاية التي كانت مدينة الجزائر تابعة لها.[2]

وبموجب هذه المعاهدات، تكثف التجارة بالمغرب وبمدينة الجزائر أيضا، ساعدها في ذلك، استقلاليتها كما ذكرت سابقا وكونت بذلك، اقتصادها الحر وأصبح الكتالون يتعاملون فيها بكل حرية[3] مما استدعى الأمر إلى إنشاء قنصليات بها وفنادق.

في الواقع لا نملك وثائق دقيقة تعرفنا ببداية الفنادق بالمدينة، ماعدا نص حسن الوزان الذي يذكر أن "بها عدد كبير من الفنادق والحمامات بالإضافة إلى جامع ممتاز أمامه ساحة جميلة جدا اتخذت على سور المدينة ذاته".[4]

وحسب الأرشيف الإيطالي، فإن مدينة بجاية اتخذت أول فندق للجالية الكتالونية لها سنة1259م وأن مسؤولية قنصلها، كانت تمتد حتى قسنطينة شرقا وحتى مدينة الجزائر غربا وأنه كان هناك من ينوبه في الموانئ التي كانت له صلاحية فيها.[5] وتذكر نفس الوثائق أنه في سنة 1300م كانت للجالية المايوركية، قنصل بمدينة الجزائر، يدعى "بيري بترو" (Pere Petro). وفي أفريل 1313م عين ملك المايورك "سانشي"(SANCHE) قنصلا، بمدينة الجزائر وضواحيها كان يدعى "دومينقو ثيما" (Domingo Cima) وهي السنة التي استقلت فيها وأخذت بحكمها لصالح ابن علان. وفي سنة 1303م و1305م كان أحد التجار الجنوبيين مديرا للجمارك فيها أو قايد الديوانة كما تسميه الوثائق الإيطالية.[6] وفي سنة 1304م نزل بها تجار من مرسيليا وآخرون من مايوكة...الخ في عرقيات مختلفة إذ كان فيهم اليهود والمسيحيون ونزلوا في نفس السنة بمدينة تنس أيضا.[7]

---

(1) – DUFOURQ, L'Espagne, P.476

(2) – DE MAS LATERIE, Traités PP.102-103

(3) – DUFOURCQ, op.cit. P.368

(4) - الوزان(الشريف حسن)، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد صحي ومحمد الأخضر، الجزء1، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص.37.

(5) – DUFOURCQ, op.cit ; P.452

(6) – Ibid , P.519

(7) – Ibid , P.369

ويذكر حنون أن الجالية اليهودية المايوركية نزلت بمدينة الجزائر حين احتل ملك الأرغوان الفونسو جزر البليار.[1] سنة 1343م

إذن، تبين لنا هذه التواريخ أن مدينة الجزائر لم تكن لها فنادق ولا قناصل ولا دار الجمارك في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي حتى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي فأين كان يقيم التجار، الذين كانوا يرتادونها من قبل هذا القرن؟ خاصة في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر ميلاديين. ربما كانوا لا يستقرون فيها للمبيت وكانون يذهبون إلى المدن المتواجدة بها الفنادق مثل بجاية لقربها منها، أو أنهم كانوا يقيمون في منازل خاصة يكترونها من أصحاب العقارات أو من التجار الأغنياء الذين يملكون دورا خاصة بهم في فحص المدينة.

ولرفع اللبس، توجد وقفية مؤرخة بسنة 996هـ/1587م تذكر فندق الزيت. [2] وهذا يفسر لنا تجارة أهل سبتة بالزيت وشراء الرقيق بمدينة الجزائر، فكانوا يقيمون إذا وحتما في فندق ينسب إلى البضاعة وليس إلى الجنسية. إذا ففندق الزيت الذي كان قائما في العهد العثماني بمدينة الجزائر قد يعود تاريخه إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي.(لوحة18) ويعني هذا أنه إذا كان لأهل سبتة فندق، فالكتالون كان لهم أيضا فندق وكذا للجالية المايوركية خاصة وأنه كان لهم فيها قنصل والقنصل كان لا يقيم إلا في فندق تتوفر فيه كل الخدمات الاجتماعية كالمصلى والحمام والفرن..الخ. ونفس الشيء بالنسبة لتجار مرسيليا وتجار جنوة بالخصوص، إذ كان فيهم من كان مديرا للديوانة في ميناء الجزائر وهذا يوحي بالاستقرار فيها، بمعنى السكن في فندق خاص بدون شك لأن اليهود –وكان منهم يهود توات- كانوا قد اتخذوا حارات بالمدينة ومعبدا وأصبحت لهم اليد الطولي في المدينة ويقضون في كل المسائل التي تخص الجالية اليهودية المقيمة في المغرب الأوسط، عن طريق بيعتهم Synagogue التي أقاموها بالمدينة منذ 1391م

وكانت لهم بمجلس الحاخامات يرأسها الحاخان ريباش راشباشي اللذان كان لهما مراسلون في كل المراكز المغربية الكبيرة.[3]

ولهذا، كانت تجارة الملح والذهب والرقيق رائجة على أيديهم في المدينة، إلى جانب تجارة القمح[1] كما لاحظنا في اقتصاد المدينة ومن جراء هذا ظهرت ربما، رحبة القمح وفي هذه الفترة

---

[1] – HANOUNE J, Aperçu sur les Israélites algériens et sur la communié d'Alger, Alger 1922, éd. Carbonel, P.7

[2] – SHUVAL, op.cit. annexe

[3] – OLIEL, op.cit. P.96

أيضا، مما يجعلنا نعتقد أن الرحبة الأولى التي سبق ذكرها كانت فعلا، تخص الشعير الذي كانت تنتجه، لأننا لم نجد نصا تاريخيا يذكر القمح قبل هذه الفترة(1450م).

إن هذا دليل قاطع أيضا على وجود الفنادق التي ينفي وجودها معظم رحالة العصر الحديث أمثال هايدو والأب دان الذي يذكر أن بها تسع فنادق ويسميهاCasseries، مخصصة كمأوى للانكشارية[2] وكان يقصد بها الثكنات وفي ص89 يذكر بأن المدينة لا تحتوي على فنادق في حين يذكر في ص90 أن بضاحية باب عزون فندق صغير.[3] ويؤيده شوفال في هذا العصر في عدم وجود فنادق بها في حين يشهد حسن الوزان بوجودها وبكثرتها قبل العصر العثماني. ويشير براون إلى ذلك في أطلسه، في رقم40 ويسميه "أين يقيم النصارى" وهذا معناه فندقا.

ويؤكد وجودها D'arvieux بأنها بنايات كبيرة يقيم فيها التجار الأجانب وكانت كثيرة وتوضع فيها بضائع كثيرة أيضا وعلى استمرار.[4] (لوحة19) وكانت كثيرة فعلا من خلال الوقفيات التي ذكرها Tal Shuval والتي تعود معظمها إلى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي لأنها الفترة التي بدأت فيها الدولة تهتم بإنشاء المرافق العامة بصفة قوية، بعد أن قضت القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي في تحصين المدينة بصفة خاصة.

وقد يقصد حسن الوزان بكلمة الفنادق، ربما القيسارية أيضا التي كانت تحفظ الأشياء الثمينة كالذهب والكتان الذي يذكر ابن حوقل عنه أن منطقة متيجة كانت تنتجه في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي ومنها كان يحمل[5] والتي تعني يصدر والميناء الأقرب إليها هو مدينة الجزائر كمنفذ بحري يقع دائرتها ولها فيه نشاطات تجارية كثيفة وكان سكانها يرتادون أسواق مدينة الجزائر الريفية المطلة على باب عزون.

من المحتمل أن التسمية لم تظهر في المدينة إلا بعد أن حدثت الثورة التجارية على حد قولYoro Fall في المغرب في القرنيين القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي، بعد تفكك الوحدة السياسية والتجارية الإسلامية، وظهور قوى مسيحية مثل جنوة والبندقية بفضل تنظيمهم السياسي الاقتصادي والمنافسة التجارية العالمية وظهور الرأسمالية التجارية واستغلال العالم

---

(1) – HEERS I, Gênes XVs activité économiques et problèmes sociaux. Centre de Recherches Historiques, SEVPEN, Paris 1961, P.340

(2) – DAN Le père, Histoire de barbarie et de ses corsaires, 2éme éd. Paris MDC XLIX, P.88

(3) – Ibid, PP.89-90

(4) – D'ARVIEUX, op.cit, P.225

(5) - ابن حوقل، المصدر السابق.

خاصة في البحر المتوسط[1] من طرف بعض هذه الجنسيات التي كانت تحتكر فيه بعض التجارات كالجنويين الذين تخصصوا في تجارة النسيج بأنواعه والأصواف والجوخ وكانوا يصدرون الأصواف الخام والمصبوغة ويتاجرون بها ظايضا مع المدن الفرنسية(بروفنسا، اللقندوك) ومع الكتالون أيضا، ثم يعيدون تصديرها إلى المغرب. كما كانوا يأتون بالمعادن(الذهب، الفضة على شكل سبائك)وعتاد البحرية وتوابل المشرق...الخ[2]

إذن، عمليات كهذه، كانت تقام حتما في القيسارية التي تحفظ هذه البضائع كلها والتي لا نجد لها ذكرا أيضا في كتابات الرحالة المسلمين في العصر الوسيط حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي في إيكنوغرافية أو أطلس براون سنة 1569 ويمركزها في قلب المدينة بين المسجد الكبير والجامع الجديد ويطلق عليها إسمZezeria.[3] فربما ظهرت فعلا في بداية هذا القرن أي عندما سقطت أهمية تلمسان التي كانت محط رحال التجار الأجانب في القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادية حتى دبها الضعف في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي بسبب تخاذل أمرائها واحتلال عروج عليها وبدأ التجار الأجانب يهجرونها ويلجأون إلى الأماكن الآمنة والمراكز القوية.[4]وكانت مدينة الجزائر هي مركز القوةفي هذه الفترة وهنا نستطيع القول أن كثرة توافد التجار عليها أعطى هذا الاسم الجديد(قيسارية)إلى سوقها الكبير. وتخلد كتابة تذكارية محفوظة بنفس المتحف، بناء عين، يقول كولان أنه عثر عليها في عين القيسارية.[5] (لوحة20)

كما نجدها أيضا في مخطط Bosio وLanfreducci الذي أرفقاه مع تقريرهما السياسي العسكري عن المدينة لتحضير حملة عليها ويسميانها فندق النصارى أو

Le Sérail des Chrétiens

---

[1] – FALL Y, L’Afrique à la naissance de la cartographie moderne : 14-15éme siècles : Les cartes majorquines. C.NR.A, UNESCO, Paris 1982,P.33
[2] – DE MAS LATERIE, Traités, P.116
[3] – Gravure de BRAUN et HOGENBERG en 1567 publié in ESQUER
[4] – BROSSELARD, « Les Inscriptions arabes de Tlemcen » ? in.R.Afr.. 5éannée, n25, janvier 1861, P.15
[5] – COLIN, op.cit. P.80

وتقع على الشارع الكبير الذي تكثر به الأسواق على شكل بناية كبيرة ذات فناء مربع تحيد به أروقة وهذا تخطيط معروف في بناء الأسواق المغطاة.[1] وحتى نفهم جيدا شكل وتمركز القيسارية يجب أن نواصل تحليل نص حسن الوزان فيما يخص قوله بها "ساحة جميلة جدا اتخذت على سور المدينة ذاته."

فهذه الساحة، لا تكون سوى تلك التي تقوم فيها السوق الكبير والتي كانت تتوسط قلب المدينة بين الديوان وشارع البحرية وشارعي باب عزون وباب الواد حيث تكثر الأسواق والبازارات والتي أطلق عليها فيما بعد، القيسارية. فكيف ذلك؟

نستدل في هذا الموضوع، بما قاله البكري بأنها كانت عاصمة لسالف الأمم من خلال آثارها الرومانية المتمثلة في بقايا كنيسة لم يبق منها سوى جدار متجه من الشرق إلى الغرب هو قبلة المصلين أيام العيدين وأزاج محكمة.[2] والتي كما شرحتها سابقا، هي الممر المقبب أو الرواق الذي يحمل قبوا. واستعمله الاندلسيون للتعبير عن الساباط هو الممر المسقوف بين جدارين.[3] (شكل7) ويذكر Thédénat أن عبارة « Forum » تطلق على الأسواق نفسها وتبنى خصيصا لزخرفة وتزيين المدينة [4] ، ربما لهذا السبب يقول حسن الوزان ساحة جميلة، لكن ما الدليل على أنها هي فوروم المدينة؟

لقد ورثت مدينة الجزائر التخطيط الروماني المتمثل في الشارعين المتعامدين اللذان يخلقان فراغا مركزيا تقوم فيه مصلحة تجارية كبيرة وتجهز بمكاتب تخص المصالح الاجتماعية والاقتصادية وقد عثر سنة1952م على قطع نقدية وعلى فخاريات في شارع البحرية في مكان ما يقوم اليوم مركز المالية La trésorie بساحة الشهداء.[5]

---

[1] – CRESTI F, « Iconographie et description de la ville d'Alger ».in R.O.M.M , 1982 , P.9

[2]– البكري، المصدر السابق

[3] - سالم(ع.ع)، بعض المصطلحات العربية، ص.339-340

[4] – THEDENAT, « Forum » in Dictionnaire des antiquités et romaines, P.1277

[5] – LEGLAY, op.cit.

والعثور على هذه اللقى المتمثلة في النقود والفخاريات والقطع الزجاجية في هذه النقطة بالذات، لدليل مادي على وجود الأقورا في ايكوزيوم كما كان الحال بالنسبة لأقور أثينا وكورنت بجزيرة كريت حين فتحها المسلمون في القرن الثالث الهجري/التاسع عشر ميلادي وعثر على مجموعة نقدية قديمة.[1]كما عثر أيضا في مدينة الجزائر أيضا على بقايا أعمدة وتيجان كورنثية وكتابات أثرية وتماثيل وفي نفس الموقع[2] لأنها عناصر تزخرف الفوروم قديما. ونجد كلمة Forum في أطلس براون لكنه أخطأ في تمركزه حيث موضعه فوق مسجد كتشاوة وسوف نرى هذا في الفصل الثالث.

إذن، بات واضحا أن الآزاج والجدار، هما بقايا البازيليكا وأن السوق والمسجد الكبير أيما فوقها وفوق الفوروم الذي يحاذيه دائما المبنى الديني كعنصر عمراني أصيل في العمارة القديمة ونفس الشيء بالنسبة للسوق الإسلامي الذي يحاذي المسجد. كما أن السوق الكبير كان يقصد به القيسارية وليس السوق الذي قال عنه ديفولكس أنه سمي بسوق القبايل في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي.[3]

بقي لنا أن نعرف الآن أن لهذه التجارة الكثيفة في المدينة، هيئة كانت تقوم بإدارتها وضبط قوانينها وتسيير شؤونها وهي الديوانة التي قامت بها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي حين كان مديرها جنويا ويسميها براون في أطلسه بالإيطاليةLa Dogana ويمركزها عند مدخل باب عزون حتى تشرف على دخول وخروج البضائع وتقبض العائدات، غير أن Philibert لا يسمى هذه المؤسسة الديوانة، بل L'octroi لأن عبارة « O Vero » التي يذكرها براون عن الديوانة، يقول أنها تعني ذلك حيث تقبض الحقوق على البضائع،[4] في حين يذكر هايدو Haedo أن عند باب البحرية أو الميناء كان يوجد منزل تسجل فيه البضائع التي يأتي بها التجار المسيحيون وأعطت إسمها لباب المدينة وهو باب الجزيرة.[5]

---

[1] - الطيبي(أين توفيق)، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس1984.ص.72

[2] – LEGLAY, op.cit.

[3] – DEVOULX, op.cit.

[4] – PHILIBERT, Alger, Estampe, P.21

[5] – HAEDO, op.cit, in, R.A.fr. 1870, P.421

ويسمي مارمول هذه الهيئة "بالديوانة البحرية" وأن باب البحر أخذ إسمها أي باب الديوانة وأقيم عندها صاباط أخذ إسمها أيضا، حيث كان يسمح بالمرور من المرسى إلى المدينة.(لوحة 21) أما الديوانة البرية، فيسميها الغرفة الجمركية التي ازدادت غنى في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي من جراء البضائع التي تدخل منها إلى المدينة، في قوافل من الجمال آتية من الإيالة ونوميديا وليبيا وإفريقيا.[1] ويذكر De Paradis أن الديوانة التي كانت تقبض حقوق البضائع المستوردة من أوروبا كانت تقع في دار الداي.[2]

وأما بيت المال فنشأ مع دار الإمارة التي أنشأها بلكين في أعالي القصبة في غياب الإمكانيات والتجهيزات الخاصة لذلك ولا نكاد نعرف عنه شيئا إلا مع العهد العثماني حين ظهر في مخططات 1831 و 1832 ومخططات Klein وEmerit وEudel وغيرهم، غير أن هناك عقد لكية لسنة 1035هـ/1625 م، يوقف فيه صاحبه حانوتا يقع في سوق الحاكة بالقرب من بيت المال.[3]

---

(1) D'ABLANCOURT N. P., L'Afrique de Marmol ,Paris M.DC. LXVII, p.403-404

(2) DE PARADIS V, Alger au XVIIIᵉs., 2ème édition, s.d., pp. 138-139

(3) SHUVAL , op.cit. p. 169

# الفصل الثاني

## تحديد المفاهيم

1- مفهوم السوق و أنواعه.

2- تنظيم السوق و أنواعه.

3- المعايير الأساسية لتوسيع الأسواق.

## 1. مفهوم السوق :

هو المجال الذي تجري فيه العملية التجارية وربّما جاء من كلمة "ساق" "يسوق" الحيوانات التي يراد بيعها ويقترب في اللفظ، من الكلمة السامية الأكادية "سوقو" والتي تعني ضيق المساحة.(1) وفي اللغة الآرامية تعني مكانا يتجمع فيه الناس في موسم معين لتبادل البضائع.(2) أمّا في النصوص العبرية للفترة القديمة المتأخرة، فتعني الشوارع والرحبات أو السّاحات. واستعمل فيما بعد، ليعبر على الأقورا الإغريقية والفوروم الروماني. وهو بهذا التفسير يعبّر في نفس الوقت، عن التبادل التجاري للبضائع والخدمات والمكان الذي تجري فيه هذه العملية.(3) فأي مسار اجتمع فيه الناس، أصبح سوقا وبالتالي مكان تجارة. ومن هنا نشأت السوق، من فكرة التجمع التي تتيح الفرصة لعملية البيع.(4) وأصبحت الأسواق تقام بصفة عادية ومستمرة للتبادل التّجاري حيث يجدون الماء وحيث تقع على الطرق الرئيسية الرّابطة بين القرى والمدن كما تعني أيضا كلمة سوق، تلك الأسواق البسيطة التي تنتشر في القري.(5)

ويعرفها ابن خلدون، بأنها تشمل على حاجات الناس، فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة وما في معناها كالباقلا والبصل والثوم وأشباهه ومنها الحاجي والكمالي مثل الأوم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني.(6) ومع تحضر المدينة الإسلامية أصبح السوق يعني ذلك الحيز الذي تشغله عمليات التجارة في المدينة بكل أصنافها وأنواعها كما تدل أيضا على مجمل الأسواق في المدينة وفي أي من هذه الأسواق المختلفة، وفقا للسلع التي تتم تجارتها فيها.(7) وهذا يعني أنه أصبح هيئة اقتصادية مفتوحة على صفين من الحوانيت والورشات على طول الشارع وكافية لتشكل سوقا وتختص في بيع السلع المحلية وذات الإستهلاك الواسع كالمواد الغذائية والمواد الأولية تدخل في حيز الصناعات الموجودة بالمدينة.(8)

ومن هذا المفهوم، يصبح السوق هو الشريان الرئيسي و الحيوي لمدينة إسلامية يجلب إليها تقريبا كل النشاطات المربحة كالتجارة و الحرفة بما أنه يجمع المعنيين.

---

(1) NIZAMI K,A , Le "Suk", In. E..I. T. IX. Nelle éd . Brill. 1998. P. 820

(2) جرجي (زيدان)، تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد 2، ط.3، بيروت 1967، ص.37

(3) NIZAMI , Op.Cit.

(4) عبد الستار، المرجع السابق، ص. 252

(5) الخربوطي علي حسن، الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة ، 1970، ص. 184.

(6) ابن خلدون : المقدمة، الجزء الأول ،القسم الثاني ، ص. 239 .

(7) الرّباط ناصر، مقدمة لتطور السوق بمدينة دمشق منالقرن 7 م حتى القرن 19م. الحوليات السورية. ص 75-76

(8) نقادي (سيدي محمد) ، التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالته الإجتماعية، رسالة ماجستير، 1991، ص.44-45

ومن هذا المفهوم، يصبح السوق هو الشريان الرئيسي و الحيوي لمدينة إسلامية يجلب إليها تقريبا كل النشاطات المربحة كالتجارة و الحرفة بما أنه يجمع المعنيين.

**ﻫ ـ أنـــواع الـــســـوق :**

**ـ السوق الريفي :**

فكما ذكرت سابقا تقوم السوق حيث توجد تجمعات سكانية إذ يخصص السكان مكانا يجتمعون فيه للتبادل التجاري والشرط الأساسي في ذلك هو الأمن فيأتيها الرّيفيون والفلاحون لتموينها بمختلف البضائع وهذه ضرورة ملحة وعادة لا تقهر بالنسبة للقبائل.[1] وكانت تقع دائما خارج الأسوار لأن كثافة العمران تجعل من إقامتها داخل المدينة أمر صعب بالإضافة إلى النزعة الفطرية لدى أهل الريف إلى تشكيل أنماط حياتهم المألوفة مرة بعد مرة[2] وأحسن مثال على ذلك هو سوق بوفاريك الذي كان في الفترة العثمانية نموذجا للأسواق الريفية.[3] (لوحة 22)

**ـ السوق الحضري:**

إنه جهاز خاص للتجار والمصرفين، وإطار مناسب لتجارة التجزئة، نجده عبارة عن زنقة أو شارع عادي تنفتح به الحوانيت على الجانبين وكل زنقة تختص بنوع واحد من السلع أو مجموعة متجانسة من البضائع.[4] وليس ضروريا أن تتجمع الأسواق معا في جزء واحد من المدينة الإسلامية، فكل صنف له سوقه الخاص المنفصل عن الأسواق الأخرى[5] على عكس المدن العصرية التي نجد فيها تاجر التجزئة يقيم بالأفضل في حي لا يجد فيه حوانيتا تبيع نفس نوع تجارته[6] فهو إذا سوق ثابت ومستمر يبيع فيه أهل المدن و تخضع لصاحب السوق.[7]

وبما أن السوق هو مجموعة حوانيت، لابد لنا أن نعرف هذه الهيئة الصغيرة التي يتكون منها.

---

(1) MARÇAIS, "Considération sur les villes musulmanes et notamment sur le mohtasib". In. R.S.J.B.1954, 1ère partie. p. 265

(2) تغلب(أحمد محمد)، المدينة الإسلامية ، اليونسكو 1983 ، ص. 112

(3) AUMERAT , Souvenirs algériens Blida. 1898. p. 283

(4) نقادي ، التصميم العمراني لمدينة تلمسان، ص. 44

(5) الخربوطي( علي حسن) ، الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة 1970، ص. 184

(6) MARÇAIS , "L'urbanisme musulman" in R..A ,1949, p .32

(7) تغلب، نفسه،ص. 113

- الحانوت :

هو الخلية القاعدية للنشاط الإقتصادي، بما أنه موقوف للصناعة الحرفيـــة الصغـيرة ولتجارة التجزئة وله مصطلح آخر هو الدكان ولا يختلفان إلا في الحجم والوظيفة.[1] فالحـــانوت هو محل إنتاج وورشة حرفة ما-ومقر بيع أما الدكان فهو محل عرض البضائع.[2]

وسواء الحانوت أو الدكان، فإنهما عبارة عن أماكن ضيقة قليلة الارتفـــاع، أشـبه مـــا تكــون بالخزانات المقامة داخل الجدران والتي في معظم الأحيان تكون مرفوقة بها فعـــلا أي بمخــزن للبضائع مع أن التجار كانت لهم حواصل في الوكالات.[3]

ويتجمع معظم الحوانيت في الأحياء الرئيسية التجارية والبعض منها يوزع في أنحـــاء المدينة. ويذكر هايدو أن في نهاية القرن السادس عشر ميلادي، كان يوجد أكثر من ألفين محـــل تجاري بمدينة الجزائر، بغض النظر عن دكان الحرفي الذي كان في نفس الوقت دكانا للبيـــع.[4] وهذا رقم لا يقبله تال شوفال للأهمية الضعيفة التي يعتقدها للمدينة آنـــذاك، وحســـب النشـــاط الإقتصادي الذي رأيناه في التحليل التاريخي وكثافة الحرف التي عرفتها، فأرجح أن يكون هـــذا الرقم صحيحا وربما فاق.

ومجموعة هذه الحوانيت المصطفة على جانبي الشارع،كانت تسمى البازار وهو لفـــظ فارسي يعنى السوق الذي تجري فيه عقود الصفقات التجارية. وعند العرب، استعمل منذ بدايـــة العصر المملوكي ليدل على الأماكن والأوقات التي يجتمع فيها الناس للغرض نفسه. ولا يـــزال يطلق هذا الإسم حتى الآن في المدينة على السوق الرئيسي.[5]

وبالفعل، فهو شارع عريض تصطف على جانبيه الحوانيت، كما يكون قسما من شارع يتجمـــع فيه التجار الذين يمارسون نفس التجارة أو حرفيون يمارسون نفس الحرفة.كما تطلق كلمة بازار على أسواق دورية تقام في الهواء الطلق.[6]

(1) RAYMOND A , Artisans et commerçant du caire au XVII^ème siècle. 2 vols., Damas 1973, p. 268

(2) نقادي ، المرجع السابق، ص. 74

(3) RAYMOND , op.cit.

(4) HAEDO , op.cit, p. 383

(5) مصطفى (عبد الكريم الخطيب)، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط.1، بيروت1996، ص.64

(6) DEVOULX , Alger p.121

### ب ـ وظيفة السوق :

لقد تعددت وظائف السوق بحكم الأهمية التي أوليت له منذ نشأته، فبغض النظر عن دوره التجاري، كان في معظم الأحيان، مركزا للتشهير وملجأ للفارين وللمناداة على شيء ما وإجراء المناظرات فيه. وهذه وظيفة ثقافية، ثمّ اكتسى فيما بعد، طابعا سياسيا باعتباره مركز الأخبار والإشاعات ومجالا للتناحرات السياسية وميدانا للقتال كالواقعة التي جرت في القيروان، مع أهل كتامة سنة 299هـ/980 م حيث قتل منهم في الأزقة والأسواق، أكثر من ألف رجل لأنهم كانوا يسألون عبيد الله أن يطلق أيديهم في نهب القيروان وكان يسوقهم في ذلك ويعلق أطماعهم به وهم يتحاملون على أهل القيروان بالتطاول والأذى حتى شرق الناس بهم فقاموا عليهم في بعض الأيام بسبب استطالة رجل من جند كتامة على رجل من تجار القيروان، فلما دافعوه عنه، شهروا عليهم السلاح وأرادوا نهب الحوانيت، فصاح أهل الأسواق، النفير، النفير.[1] كما كانت ميدانا لإظهار الانتصارات الحربية أيضا والفخر بها، وهذا ما فعله جوهر الصقلي، عندما احتل فاس وحمل أميرها أحمد بن أبي بكر وخمسة عشر من أشياخها إلى إفريقية وطيف بهم في أسواقها.[2]

أمّا في العهد العثماني، فقد كانت مهمة الأسواق من أعلى المهام الإدارية بتشديد المراقبة عليها عن طريق القايد، كونها واسطة توجيه للرأي العام. ومركز الرأي العام، مما كان يدفع الدولة آنذاك، بتعيين ممثلين لها من كل قبيلة، لإجراء اتصالات وعلاقات مع الرعية، لمراقبتها والتطلع على أفكارها لأنه في كثير من الأحيان تعلن التمردات والثورات في الأسواق كثورة الدرقاوة. [3]

وقد يتجمع الناس فيها لاحتجاج ما أو للتعبير عن مطلب ما، عن طريق رؤساء الطوائف في غياب وجود الساحات العامة وفي غياب حرية الاجتماعات أحيانا، بسبب عدم وجود إدارة تضبط شؤون الناس.[4]

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص. 166

[2] حسن ابراهيم (حسن) ،المعز لدين الله ، ط. 2 ، مصر 1963، ص. 33

[3] BOYER P , L'Evolution de l'Algérie médiane, Paris 1960.pp.48-50

[4] الجنابي (هاشم الخضير )، "خصائص المدينة الإسلامية في العهد العثماني و بعده"، مجلة أوراق، عدد 4، مدريد 1981، ص. 175

اختصاصه أو حسب السلعة التي تباع فيها وحسب قيمتها أيضا وهي ما نسميها بالأسواق المغلقة أو المغطاة التي ظهرت في العصور الوسطى وتسمى بالعمارة التجارية، تضم البازارات والخانات والفنادق والقيساريات... إلخ[1] وهي محلات كبيرة لتجارة الجملة أي عبارة عن ساحات واسعة مربعة تحيطها أروقة مقبية، يتكون المبنى من طابقين أو ثلاثة وبها عدد من المخازن والدكاكين والمكاتب حيث تجري الصفقات الكبرى أو البورصة، إذ يأتي إليها تجار الجملة من كل ناحية يضعون فيها بضائعهم لبيعها فيما بعد.[2] وبما أنها مغطاة، فهذا يعني استمرار نشاطها طول العام، إذ لا يعيق حر الشمس صيفا ولا البرد والمطر شتاءً حركة النشاط التجاري فيها وهي عناصر أساسية في الأسواق إلى جانب الحوانيت ومنها :

**ـ القيسارية :**

إنه مصطلح دخل اللغة العربية بالتقادم، إذ اشتق من إسم قيصر إمبراطور روما نسبة إلى مدينته قيصرية Césarée بمعنى سوق صغيرة مخصصة لبيع سلعة معينة. و يذكر بعض الباحثين بأنها جاءت من البازيليكا الكنيسة ذات الأروقة الثلاثة، أوسعها الرّواق الأوسط من الرواقين الجانبي، ونسب هذا الإسم إلى Basileus إمبراطور القسطنطينية والذي يعادل لقب قيصر روما وأطلق فيما بعد على الأسواق القائمة في وسط المدينة التي تحف بها البوائك و التي تحولت في المصطلح الدارج إلى قيسارية.[3]

---

(1) زكي (محمد حسن) ، فنون الإسلام،دار الرائد العربي، بيروت 1981، ص. 28

(2) MAZEHARY A , La vie quotidienne des musulmans au moyen age, X$^{e}$-XIII$^{e}$ 1951, p. 193

(3) رفعت (محمد موسى)، الوكالات و البيوت الإسلامية في مصر العثمانية، دار المصرية اللبنانية، ط.1، القاهرة 1993،ص. 37

أما Raymond فيذكر عن Van Berchem أنها من أصل إغريقي ولما اندمجت في اللغة العربية يبدو أنها أخذت معنى الرحبة أو السوق المغطى.و يطلق عليها في القسطنطينية إسم بازستان. وفي القاهرة وكالة أو خان. وأول ظهور لها في الكتابات التذكارية، يعود إلى سنة 549هـ/1198م في كتاب داشوق. وكثر استعمال هذا المصطلح في المشرق.أمّا في شمال إفريقيا، فيطلق هذا المصطلح على المباني العامة.[1]

وعلى كل، فهي سوق مغطاة، تقوم حول مبنى مربع أو مستطيل ذو صحن مكشوف تحمل عدة أروقة وتقع في الحي المجاور للمسجد الجامع لأنها تلعبّ دور البورصة أو المخازن العامة للأقمشة والسلع الثمينة[2] وكل رواق فيها، هو إقطاعة لصنف من التجارة وتستعمل للمعاملات التجارية الفردية والجماعية.[3] كما تطلق على مجموعة شوارع موازية محفوفة بالحوانيت، لها منافذ وبوابات تغلق ليلا. وعلى عكس السوق، تقيم فيها طائفة أو عدة طوائف من التجار.[4]

ويسميها عبد الكريم،الخان الكبير الذي يشغله التجار والمسافرون وقد يشتمل على سوق يشتمل على سوق مسقوفة وهو معروف من العصر المملولوكي،[5] في حين يقول Sauvaget بأن هذا العنصر المعماري غريب عن محيط البحر المتوسط وأنها عناصر سورية انتقلت مع الأمويين إلى إسبانيا وانتقلت فيما بعد، إلى المغرب.[6] وأنا لا أقاسمه الرلأي، بما أن الأقورا الرومانية كانت معروفة في مدن البحر المتوسط ومنها المغرب ومنه مدينة الجزائر وبما أن القيسارية مشتقة منها والبكري ذكر أن بها رواق يحمل قبوا كان مازال قائما، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي وأكده الإدريسي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي بقوله "أسواق قائمة". إذن، هذا يحتم القول أن هذا النوع من العمارة عرف هو الآخر بالمغرب منذ القدم لكن المصطلحات لم تكن معروفة وربما انتقلت إلى شمال إفريقيا في العصر المملوكي

(1)- RAYMOND, Artisans, P.262
(2)- Streck I, « Kaysariya » in E.I.T.IV. Nelle. Ed. Paris 1978, PP.873-874
(3)- MARCAIS, “La conception de la ville dans l’islam” in Revue d’Alger, P.262
(5)– الخطيب ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص.357
(6) – SAUVAGET, Esquisse d’une histoire de la ville de DAMAS. P.423.

ثمّ في العصر العثماني لأن ثروت عكاشة يقول في هذا الصدد، أن القيسارية لـم تعـرف فـي المشرق قبل العصر المملوكي.[1] ولهذا ربما، لا نجد لها ذكرا في النصوص التاريخية للعصـور الوسطى فيما يخص مدينة الجزائر حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي .

ونجد لفظ قيسارية في فاس، يعبر عن سوق الأقمشة والزرابي والمجوهرات. وينفصل عن أحياء المدينة، بواسطة حوائط وأبواب ويقيم فيها الحراس فقط،[2] في حين نجد كلمة قيسارية أو Casseries بالفرنسية يطلقها الأب دان على ثكنات الإنكشارية بمدينة الجزائر.[3]

**ـ الفندق :**

هو لفظ إغريقي من أصل Horrea أو الأقورا اليونانية وهو الأقدم استعمالا، إذ انتقـل إلى اللغة الإيطالية في العصر الوسيط ليدل في المشرق على تلك البنايات الأوروبيـــة.[4] وقـد ظهر على النقوش التذكارية لأول مرة في سوريا سنة 577هـ/1181م ويشـبه فـي وظيفتـه وشكله المعماري، الخان أو الوكالة أو القيسارية في المشرق،[5] مع أنه كثـير الإسـتعمال فـي شمال إفريقيا وكان الغرض منه، إيواء التجار الأجانب وخزن كميات كبيرة من البضـائع فـي محلات أو دكاكين فيه قبل توزيعها على تجار القطاعي.[6] ولعب فيه دورا كبيرا فـي الحيـاة الإقتصادية والإجتماعية إذ كان ملتقى التجار من شتى البلدان ولذلك، اتخذ وضعا معينا يتفق مع وظيفته الإقتصادية، فهو عبارة عن منزل واسع يتوسطه فنـاء مركـزي ذو طـابق أرضـي وطوابق علوية بالإضافة إلى المخزن والورشة والمستودع ليضع فيها الناس دوابهم.[7] أما الفناء فيقوم فيه البيع بالمزاد ومن طرف المنادين. وفي الغالب، يستعمل الصحن ممرا ومخزنا مؤقتـا للبضائع. ونجد الفنادق في الأحياء التي تنشط فيها الحركة الإقتصادية أي وسط المدينـة وعنـد أبوابها وفي ضواحيها، لا نجد إلا قليلا.[8] ويخصص كل فندق لنوع معين من البضاعة، كفنـدق الزيت وفندق العسل أو نسبة إلى الجنسية كفندق الجرابة نسبة إلى سـكان جربـة فـي مدينـة الجزائر .

---

(1) عكاشة، المرجع السابق، ص. 70

(2) STRECK, op .cit

(3) DAN , op.cit

(4) سالم (ع.ع): التخطيط و مظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى في بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار ، القسم الثاني، ص. 14

(5) RAYMOND, Artisans, p.253

(6) LE TOURNEAU R. "Funduq". In. E.I. Nelle. Ed. T.II. 1997, p. 967

(7) DEVOULX , Alger, p. 121

(8) LE TOURNEAU , op. cit p. 28

- الخـــــان :

كلمة فارسية دخلت اللغة العربية في العصر الإسلامي بمعنى المنزل الكبير أو الفنـدق الذي ينزل فيه التجار ويعرضون فيه بضائعهم.[1] وجد في نقش العقبة سـنة 612هـــ/1213م بسوريا وبمصر سنة 730هـ/1324 م وقد كانت الخانات عبارة عن ملاجئ للإيواء مجانا تبنـى في ملتقى الطرق حيث يجد بها المسافرون راحتهم و يضعـون بضائعـهم وقـد انتشـر هـذا المصطلح بكثرة في العهد المملوكي وهوعبارة عن بناء مربع أو مستطيل ذو مدخل واحـد بـه صحن مكشوف وبه أيضا حوانيت ومخازن وورشات في الطابق الأرضي والمساكن في الطابق العلوي ثم يختفي هذا المصطلح في مصر في العصر العثماني،[2] في حين لا نجد له ذكرا فـي شمال إفريقيا أو بالأحرى بمدينة الجزائر، ماعدا في في كتابة تذكارية بالمتحف منشـورة فـي كتاب Colin [3] لكن قد يقصد بها منزلا أو بناية أخرى.

- الوكالة :

هي لفظ متداول بكثرة في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي و يقصـدون بـه الفندق أو الخان المعد كنزل للتجار و بضائعهم و قد تشتمل على سـوق مسـقوفة كالقيسـارية و الخان في بلاد الشام أو السّمسرة عند أهل اليمن.[4]

ويوجد نقش من طرابلس مؤرخ في 736هـ/1336م يذكر إسم خان معروف قديمـا باسـم دار الوكالة و ربما توحي هذه التسمية بمؤسسة حكومية ثم أصبحت تطلق علـى بنايـات مشـابهة للخان.[5] ولا نجد له ذكرا أيضا في شمال إفريقيا و في مدينة الجزائر.

- البادستان :

أو البازارستان : لفظ فارسي مركب من بازار بمعنى السوق و استان بمعنى محل.[6] وفـي اللغة التركية استعمل لفظ " بادستان " و هو تحوير للفظ "بازستان " المتكونة من كلمـة "بـاز" وتعني الكتان ومنه بازار تجار الكتان.[7]. وهو كلمة نظيرة للقيسارية ويدل على مكان مغطى

---

(1) الخطيب ، المرجع السابق، ص. 157

(2) RAYMOND , op. cit p. 253

(3) COLIN ,op. cit., p. 26

(4) الخطيب، نفسه، ص. 443

(5) RAYMOND , op. cit., p. 254

(6) الخطيب، نفسه، ص. 63-64

(7) MONTRAN, Istambul dans la 2 ème moitié du 17ème siècle, p. 463

تباع فيه البضائع الثمينة أو يسمى مباشرة سوق القماش وهو ظاهرة عثمانية وانتقل معهم أينما حلوا.[1] ويقول Philibert أنه سوق مغطى تباع فيه البضائع الثمينة والعبيد،[2] على غرار بادستان مدينة الجزائر الذي أنشئ سنة 1583 م وكان عبارة عن ساحة مربعة تباع فيها البضائع وتوزع فيها الغنائم التي يتحصل عليها البحارة وكان يباع فيه العبيد ويجتمع فيه الناس للتبادل التجاري.[3]

- **الرحبة :**

هي فراغات غير مبنية والتي كثيرا ما أخذت إسم الرحبة في المدينة الإسلامية وتعددت وظائفها وتنوعت حسب الفصول وحسب أوقات اليوم وحسب المناسبات. وتشكل جزء هاما من المدينة لأنها المجال الملائم للقاءات والتبادلات الاقتصادية. وتختلف عن الساحات العمومية في المدينة الإغريقية[4] إذ هي الموضع الوحيد الذي تباع فيها الحبوب بكل أنواعها ومنها القمح والشعير والذرة البيضاء والحمراء والفول والحمصة والعدس... إلخ. وكانت تقام كل يوم، ماعدا أيام الأعياد.[5]ونجدها في مدينة الجزائر، تحفظ الحبوب وخاصة القمح، لذا نجد رحبة القمح ورحبة الشعير. كما تحفظ منتوجا آخرا لا علاقة له بالحبوب وهو الفحم وتقع رحبته عند باب عزون.[6] (مخطط 1 )

- **السويقة :**

هي سوق صغيرة اختصت بالحاجات اليومية للسكان وبإعادة توزيعها من جديد داخل الأحياء السكنية المختلفة، تتكون من عدد محدود من الحوانيت التي تخصصت بتأمين ضرورات الحياة اليومية لسكان الأحياء، دون أن يضطروا إلى الخروج إلى السوق العام، بمعنى أن كل حي له سوق صغير متكون من بعض الحوانيت المتوزعة في نقاط مختلفة من هذا الحي وكل طائفة ليس لها فيها سوى حانوت أو حانوتين ولا نجد بها سوى بعض المواد الغذائية وبعض المنتوجات المصنوعة والضرورية ويتم التوزيع بالتجزئة فقط.[7]

---

(1) عكاشة، المرجع السابق .

(2) PHILIBERT ,Alger, perspective , p. 9

(3) DEVOULX , Alger , p. 161

(4) بن يوسف ، المرجع السابق، ص. 14-16

(5) LE TOURNEAU , Fès, p. 384

(6) RAYMOND , Grandes villes arabes à l'époque ottomane , Paris 1985, p. 249

(7) op. cit, pp. 263-264

وتتكون من حوانيت تتخذ من الطوابق الأرضية للمنازل،عبارة عن حجرات ضيقة عمقها تقريبا 1 م أو 2 م، يجلس البائع فيها خلف مبسط السلع أو Le Comptoir واضعا بضاعته أمامه أو يعلقها على حوائط المحل ويرافق التاجر أحيانا، حرفي يقيم داخل المحل.[1]

وبمدينة الجزائر، نجد هذا النوع من الأسواق في شارع القصبة المؤدي إلى باب الواد، كحوانيت بن رابحة وحوانيت الزيان كما نجد حوانيت الغريبة وحوانيت سيدي عبد الله وسويقة عمور وسويقة سيدي محمد الشريف، فنجدها في الجزء السفلي من المدينة.

ويقول سوفاجيه Sauvaget أن وصف سويقات سوريا، ينطبق على سويقات المغرب[2] إذ هي نمط وسيط بين السوق والسويقة أي تتكون من حوالي ثماني إلى عشر حوانيت، تباع فيها المواد الضرورية أولا و قبل كل شيء وفي أي وقت من الحياة اليومية.[3]

**- دار الصناعة :**

إسم أطلقه العرب في العصور الإسلامية، على مركز بناء دور صناعة السفن التي تعرف أيضا باسم "دار الترسانة." وأقدم هذه المراكز هو دار صناعة السفن بتونس التي أنشأها والي إفريقية، حسان بن النعمان سنة 76هـ/695 م. واقتبس الإسبان هذا المصطلح عن العرب وأصبح بعد التحريف، ينطق «Darcinoth » وعنهم، أخذها الفرنسيون والإنجليز بلفظ« Arsenal» ثم اقتبسه الأتراك وسموها، "ترسخانة".[4] وهي عبارة عن بناء يشغل ركنا هاما من أركان المركز الإقتصادي الصناعي للمدينة الإسلامية في العصر الوسيط أي بناء كانت تصنع فيه السفن والأسلحة والآلات ومعدات الحرب في البر والبحر وكانت دور الصناعة الخاصة بالسفن والقطائع، تسمى أحيانا بدار صناعة القطائع وأحيانا بدار صناعة الإنشاء وأحيانا بدار صناعة الأسطول.[5]

---

(1) BOYER P, La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, Paris 1963, p. 47

(2) SAUVAGET, op. cit.

(3) نقادي ،المرجع السابق، ص. 107

(4) الخطيب، المرجع السابق، ص. 172

(5) بن يوسف، المرجع السابق، ص.14-16

### د ـ أنواع الخدمات الاقتصادية :

#### ـ دار الضرب :

لفظ، أطلقه العرب المسلمون في مصادرهم التاريخية على المكان الذي كانت تصك فيه السبيكة المعدنية التي كانت تصنع منها النقود وهي إمّا من الذهب أو الفضة أو النحاس أو البرونز. وقد عرف هذا الإسم بهذا اللفظ والمعنى طيلة العصر الإسلامي. أمّا في العصر العثماني، فقد عبر عنه بلفظ "ضربخانة" وأصل التسمية، مأخوذ من خلال طرق السبيكة المعدنية على قوالب خاصة من المعدن شديد الصلابة حتى تنطبع عليها النقوش والرسوم المحفورة على القوالب. وبقي الضرب لفظ اصطلاحي للدلالة على صناعة العملات عبر مختلف العصور.[1]

#### ـ السكة :

السكة في اللغة، الدينار أو الدرهم المضروبان وسمي كل واحد منهما سكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة وهي القالب الذي كانت تصب فيه العملات النقدية ومثل هذا العمل، كان يتم في مكان مخصص يعرف بدار الضرب تحت إشراف موظف مسؤول يعرف بمتولي دار الضرب.[2]

#### ـ الديوانة أو الجمرك :

تنص المعاهدات التجارية المبرمة بين السلاطين المغاربة والملوك المسيحيين، على أنه كان للتجار الأجانب، الحق في التجارة في الموانئ التي كانت تتواجد بها دار الديوانة أو الجمرك التي كانت الوسيطة في العمليات التجارية بين المسيحيين والمغاربة وكانت من أهم المؤسسات والرئيسية في الدولة العربية وإدارتها كانت تعتبر من المهام العليا في السلطة، كما كان يعتبر مديرها من الشخصيات البارزة والمعتبرة، إذ كان يحضر إبرام المعاهدات وكان السلطان يعطي له الحرية في الإتجار، فكان يسمى عند الكتالون Le Gabellot بمعنى قايد الديوانة الذي كان هو المشرف على الجمرك.[3] ونظرا لأهميتها في التجارة الجنوية، فإنها كانت تمثل مع ساحة الصراف أو مكتب الصراف المركز التجاري والمالي الفعلي، للمدينة في العصور الوسطى. وكانت تسمى«La Dogana».[4]

---

(1) الخطيب، المرجع السابق، ص. 172

(2) نفس المرجع السابق ، ص. 254

(3) DE MAS LATERIE , op. cit. pp. 334-336

(4) DAY I, Les Douanes de Gênes 1377-1379, T. I, SEUPEN, Paris 1963, p. III.

- **بيت المال :**

إصطلاح، معروف في النظام المالي في الدولة الإسلامية وأطلـــق علـــى المؤسســـة المشرفة على موارد الدولة ونفقاتها، يقابلها اليوم وزارة المالية أو الخزينة وضعت نواتـــه منـــذ حياة الرسول (ص) إذ في عهده، أنشئت فكرة مال الجماعة الإسلامية ثم طوره عمر بن الخطاب في ظل ما استحدث في الدولة من تنظيمات، ليصبح في عهد حفيده عمر بن عبد العزيز من أهم مؤسسات الدولة.[1]

كما يطلق مجازا أيضا، على مال الدولة الذي اكتسب شأن جميع النظم الأولـــى فـــي التـــاريخ الإسلامي، أهمية كبيرة بتطور الفقه الإسلامي وكل ما يرد على بيت المال الذي خـــصّ عليـــه، اعتبر شرعيا، في حين اعتبرت الموارد الأخرى للدولة غير شرعية.[2] ويتكون مـــن الخـــراج والجزية والزكاة والفيء والغنيمة والمواريث. أما مصاريفه فكـــانت تشـــمل أعطيـــات الجنـــد وأرزاق الولاة والشرطة والقضاة، إضافة إلى الإنفاق على السجناء والمنح المعطاة لرجال الأدب والعلماء ومعدات الجيش والمنشآت والمجاري والطرقات وما يدفع لذوي الحاجات من المســـلكين والفقراء.[3]

---

[1] الخطيب، المرجع السابق، ص. 93

[2] دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع، بغداد

[3] الخطيب، نفسه.

## 2- تنظيم أسواق مدينة الجزائر:

إن تنظيم أسواق مدينة الجزائر لا يخرج عن القاعدة المعروفة في كل المدن الإسلامية وهي مبدأ التخصص والإختصاص الذي عرفه المغرب منذ القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي حين قدم يزيد بن حاتم إفريقية 155هـ/771 م في عهد أبي جعفر المنصور العباسي، فـأصلح ورتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة في مكانها وما يقال عن القيروان يقال عن كورها وقراها ومدنها التابعة لها.[1] ومن ثم، أصبحت أسواقها نموذجا للأسواق الأخرى من حيث التنظيم وتطبيق قواعد الحسبة والذي ظهر جليا أيام الفاطميين[2] الذين اهتموا بتنظيم التجارة في القيروان وأنشأوا أحياء تجارية نقلوا إليها التجارة وبنوا أسواقا في المهدية والمنصورية ورتبوا أصناف التجارة بها وأحكموا استخلاص المكوس أمام أبوابها على حركة تصدير البضائع وتوريدها.[3]

ومن جراء هذا التنظيم، أصبح يراد بالسوق، الشارع المخصص لأصحاب تجارة معينة من التجارات أو حرفة من الحرف. وبذلك، ظهرت شوارع خاصة بالبزازين والنساجين والنجارين والنحاسين والعطارين والعلافين ...إلخ. أما تجار الجواهر والذهب والفضة والصيارفة وتجار البضائع الغالية الثمن، مثل مصوغات الفضة والحرير والساغة وتجارة التحف والكاريين، فكانوا يجتمعون في شارع مخصص لهم يسمى القيسارية.[4]

وأصبحت الأسواق تقام أمام المساجد الجامعة لأنها الأساس في تخطيط المدينة و منها تتفرع كل الطرق الكبرى المؤدية للأبواب.[5]

وانطلاقا من هذا التنظيم، ربما بدأ الإهتمام بأسواق مدينة جزائر بني مزغنة، إذ أعاد بلكين بناء أسوارها وإنشاء الأبواب ليستخلص منها المكوس نظرا للقوافل التي أصبحت ترتادها.

---

(1) ابن عذاري ، المصدر السابق، ج 1، ص. 78

(2) الجنحاني ( الحبيب) ، المغرب الإسلامي، الحياة الإقتصادية و الإجتماعية ، 3-4هـ/9-10م ، الدار التونسية للنشر، تونس 1978، ص.67

(3) الجنحاني ، دراسات مغربية في التاريخ الإقتصادي و الإجتماعي للمغرب الإسلامي، ص. 66

(4) سالم (ع.ع) ،،تارخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت 1988، ص. 375

(5) مؤنس ، المرجع السابق، ص. 293

وبما أنّها كانت في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي تابعة لإمارة إفريقية تحت السلطان الزيري ابتداءً من بلكين بن زيري، فإن أسواقها كانت منتظمة كما انتظمت التجارة، إذ كان على المراسي أمناء على خراجها ونظراء على صلاتها و معاونون وملتزمون كما يؤكد ذلك ابن حوقل نفسه.[1] وهذا يؤدي حتما إلى تخصص الأسواق حيث كثرت تجارتها و تعددت صناعاتها داخل الحزام العمراني. وقد عرفت هذا النظام في فترة مبكرة أيضا وذلك منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي من عبارة "باب الفخارين" التي يذكرها ابن الآبار.[2]

صحيح أنّه يعني به التخصص الطائفي، لكن هذا يحّتم أيضا التخصص في الأسواق، بما أنّ السوق هو المظهر الطبوغرافي للتكوينة البشرية، حرفية أم تجارية كانت، إذا فالعمليتين متوازيتين إذ لا يكون تصنيف عرقي حرفي، بدون تخصص مكاني نوعي.

وهذا ما يؤكده الإدريسي أيضا في نفس القرن، بعبارته "صناعتها نافقة."[3] والصناعة النافقة توحي بوجود المنافسة التي تضمن جودة العمل وإتقانه وكثرته. والمنافسة لا يخلقها إلا التصنيف والتخصص لأن عبد الستار عثمان يقول "أن تخصص السوق والطائفة يوافق تضادهم وينفق صناعاتهم،"[4] بمعنى أن تخصص كل طائفة مختلفة عن الأخرى في حرفة ما أو في تجارة ما، يحمس في إتقان العمل و يخلق المنافسة وينفق الصناعة.

وفي هذا الصدد، يقول ابن خلدون أنه "إذا زجر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات، كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها، فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها ممّا تدعو إليه عوائد الترف وأحواله من جزار ودباغ وخراز وصائغ وأمثال ذلك وإذا زاد العمران اتساعا، ظهرت صناعات أخرى مثل الدهان والصّفار والحمامي والطباخ والشماع والهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع."[5] وهذه صنائع عرفتها المدينة وأكدتها الوثائق العثمانية من عقود الملكيات والوقفيات.

---

(1) ابن حوقل ، المصدر السابق، ص. 76.

(2) ابن الآبار، المصدر السابق.

(3) الادريسي، المصدر السابق.

(4) عبد الستار، المرجع السابق ،ص.259

(5) ابن خلدون، المقدمة ، ص. 400-401

وفيما يخص قرع الطبول فيذكر ابن عذارى " أنّ الطبول ضربت في مدينة الجزائر لما أعاد فتحها أبو يوسف المنصور الموحدي وذلك بالأساطيل وفي يوم واحد وقبض على يحيى صاحب الجزائر مع حواشيه وأتباعه وغواشيه."(1)

فإذا كان قرع الطبول، من بين السمات الإجتماعية في تطور عمران المدينة وإحدى متممات الصنائع، هل نعتبر المدينة من بين المراكز الصناعية الكبيرة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي؟ لأنّ حركة بناء الأسواق وبناء الفنادق للتجار الأجانب، كثرت في عهد الموحدين ليدفعوا بعائداتهما رواتب الجيش.(2) كما كان هذا القرن وكما يُذكر أحمد موسى "فترة تصوف وكان المغاربة يتخذون من الحرفة، رمزا للتواضع والزهد والتعبد، وبدأت تشيع النسبة إلى المهنة مثل الدباغ والخياط والفخار والنساج إلى جانب النسبة إلى المدينة أو القبيلة."(3)

ونلاحظ في أسواق مدينة الجزائر أيضا، أنّ بعض أسواقها كان يسمى باسم السلعة التي تباع فيها كسوق المقايسية وسوق الحرارين وسوق السمن... إلخ وكذا بالنسبة للفنادق، كفندق الزيت أو تنسب إلى الطائفة، كسوق اليهود وفندق الجرابة. إلى جانب التخصص التقني، مثل الخراطين والسمارين والحدادين. أمّا التخصص النوعي، فيتمثل في الشباغلية والبشماقجية والبابونجية التي تصنع أحذية اختلفت وظيفتها وشكلها فقط وهذا تخصص دقيق جدّا على عكس الصناعات الحديثة التي نجدها تختص في صناعة كل أنواع الأحذية في سوق واحد أو مصنع واحد. أما التخصص العرقي، فيتمثل في وجود أسواق تنسب إلى الجنس أو العرق، مثل سوق القبايل وسوق اليهود وحتى الشوارع التي تقوم فيها السوق نجدها في مدينة الجزائر تنسب إلى الطائفة كزنقة الجرابة وزنقة الفورنية.

وبهذا التنظيم، أقيمت فضاءات اقتصادية حضرية داخل المدينة، يؤكده حسن الوزان في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي بحيث لاحظ أن كل سوق تختص بسلعة معينة

---

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين ،تحقيق الكتاني،دار الغرب الإسلامي، ط1 ،بيروت،1985،ص. 176

(2) أحمد موسى ،النشاط الإقتصادي ، ص. 270

(3) نفسه، ص. 207

وكل شارع له حرفيوه وبها عدد كثير من الفنادق.[1] وهذا يعني تخصص السلع وتعدد الجنسيات وتصنيفها. وعبارته "منسقة كما يجب" تعني بالإضافة إلى هذا، ربّما إخراج بعض الأسواق إلى ما وراء الأسوار لاعتبارات مختلفة سنعرفها في العنصر الموالي، لأن De Nicolay يذكر في منتصف نفس القرن أنّ شوارعها منتظمة انتظاما جيدّا.[2]

وتخصص كهذا، يلائم التجار أنفسهم ويناسب السلطات في تسهيل النشاطات التجارية وفي رفع حقوق الأسواق التي تجبى على المنتجات من طرف ناظر السوق أو ناظر الوقف[3] لأنّ معظمها كان يبنى باسم الأوقاف في مدينة الجزائر وتسمى الحبوس في المصطلح المغربي بصفة عامة وهي عملية بارة وجيدة، نشأت لصالح الأعمال الخيريّة أو الدينية، تجعل عائدات أحد أملاكها لصالح مبنى ديني سواء بالجملة ومباشرة (وقف خيري) أو بالتجزئة. واستعمل الوقف كثيرا في العهد العثماني لأنه يضمن الملكية ضد الإغتصاب والإبتزاز باعتباره جزء معتبرا من الملكية العقارية، يهدف إلى صيانة المعالم أو البنايات الدينية و يطمح إلى تدعيم نفوذ المؤسسين الذين يظهرون بهذه الطريقة قوتهم في القطاعات الحية للمدينة التي منها العناية التي تتميز بها هذه البناءات ذات المنفعة العامة.[4]

أما عن هذه الحقوق التي كانت تجبى على الأسواق، فكانت من وظيفة القايد في العهد العثماني وتسمى اللزمة يدفعها مباشرة إلى الصندوق المكلف بدفع أجور الإنكشارية التي تجلب منها السلطات الفائدة لبناء أسواق ومؤسسات أخرى.[5] كما نجد بهذه الأسواق، العبارين المكلفين بتحديد وضبط الكميات المباعة إلى جانب كتاب العدول يكلفون بتسجيل هذه المعاملات التجارية لحساب ملتزم السوق، خاصة فيما يخص الحبوب لأن تجارتها تخضع لقوانين موثقة بالملتزم الذي يعمل لحساب كتاب العدول والقابض لعشر الكميات المباعة.[6]

---

(1) الوزان، المصدر السابق.

(2) DE NICOLAY, op. cit., p.17

(3) RAYMOND, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, Paris 1985, , p. 249

(4) Ibid, p. 222

(5) Ibid.

(6) LE TOURNEAU R, Fès avant le protectorat, P.I.H.E.M., T. XLV, Casablanca 1949, p.385

أ- نظام الحسبة :

كان نظام الحسبة من أهم النظم التي أهتمت بها الدولة الإسلامية منذ نشأتها لأنه كان يهتم بمراقبة الأسواق والتجارة في العالم الإسلامي وكانت وظيفة المحتسب في كل المدن الإسلامية من الوظائف العامة الهامة والأساسية التي تسنها الإدارة. وهو نظام قديم عرفته كل المجتمعات الإنسانية لكن بنسميات مختلفة، كحضارة ما بين النهرين والحضارتين اليونانية والرومانية. ونظرا لأهمية السو على الساحة العامة، فقد خصصت له نظاما في مراقبته والإعتناء به ويسمى الأقورانوم(L'agoranome) [1]بمعنى ناظر السوق وتشبه صلاحياته صلاحيات(Edile) الروماني الذي كان يقوم بوظيفة شرطي الأماكن العامة ويتدخل مثل شيخ التجار فس فرنسا قديما في المنازعات التي تقوم بين التجار.[2] وسمي في الفترة الإسلامية بعامل السوق أو والي السوق أو صاحب السوق.[3]

ظهر نظام الحسبة في إفريقية، مع تنظيم السوق الذي قام به يزيد بن حاتم كما سبق ذكره، ثم انتقل بعدها إلى كل من المغرب والأندلس وانتظمت إثره أسواقهما. وكان يسمى بالمغرب بناظر السوق أيضا ويكون من الفقهاء، أي شخصية أساسية في النظام المدني والناطق الرسمي للقاضي وكان يستمد سلطته من أحكام الدين وله أعوان في الأسواق.[4]

أما بمدينة الجزائر، فكان يسمى المزور كما يقول دابرDapper الذي يفرق بين الوظيفتين: فالمحتسب أو(L'Almotacen) كما يسميه، كان يعاين ويراقب الموازين والمكاييل، يجني منه فائدة كبيرة.[5]وسواء هذا أو ذاك، فإنه الحارس والمسؤول على حسن هيئة المدينة المادية والروحية، إذ يسهر على صيانة الشوارع ويمنع كل ما يعرقل المرور في الشارع ويراقب النشاطات التجارية والحرفية[6] ويسهر أيضا على جودة السلع واحترام المكاييل والموازين والأسعار، إذ كان يمنع الغش في التجارة بمراقبة الأخلاق العامة العبادات

---

[1] – Nizami F.A. « Le suk » in E.I, T.IX, P.821
[2] – MARCAIS G, « La conception des villes dans l'islam » in Revue d'Alger, 1945, P.531
[3] – Nizami , op.cit.
[4] - أحمد موسى، الموحدون في المغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت 1991، ص208
[5] – Dapper Dow, Description de l'Afrique, Amsterdam, M.DC. LXXXV, P.182
[6] - MARCAIS, Considération sur les villes musulmanes sur le mohtassib, P.266

أعمال أخرى.ويساعد ناظر السوق القاضي الذي كان ينظر في المخالفات والأحكام المتعلقة بالمبادلات التجارية وفق القوانين. وهي إجراءات كان معمول بها رسميا حتى أواخر القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي.[1] كانت تصدرها الحكومة، فإذا اخترقها التجار، عوقبوا عقابا مريرا وربمّا علقت أجسامهم على باب عزون.[2] وهذا يبين صرامة النظام وقداسة حرمة الأسواق والحفاظ على مبدأ النهي عن المنكر ومدى صلاحية وظيفة المحتسب الذي كان يتولى أمورا اجتماعية أخرى كثيرة في تنظيم المدينة، كالمشاكل العمرانية والمزاريب والأقذار والسواقي والمذابح والسير والنقل وعملية إنتاج وبيع المواد الغذائية.[3]

ويبدو أنّ هذه الوظيفة كانت تعود بالخير الكثير وبفائدة عالية على دخل المحتسب أو المزور لأنّ عقد ملكية بتاريخ 1179هـ/ يذكر أن إبراهيم الفرطاس المزوار (قواعد اللغة غير محترمة) قد بدأ بناء فندق مقابل لمذبح الغنم خارج باب عزون .

وعن حراسة الأسواق في العصور الوسطى، فكانت تعزى أحيانا لشخصيات تكون من أهل العلم والدين والفقه مثل أبي الوليد الباجي الذي كان قاضيا أندلسيا مالكيا وأديبا شاعرا وناظر ابن حزم، ذكر عنه المقري أنه "طلب العلم وهو يسهر بقنديل بائت السوق" أي أنه كان يسهر على قنديل الدراب وهو الحارس الليلي وسماه بائت السوق لأنه يبيت فيه للحراسة.[4]

وهذا يبين تواضع وزهد أهل العلم. أما في العهد العثماني، فكان حراس الأسواق يعينون من طرف الطائفة، بموافقة شيخ المدينة الذي كان يحدد قيمة المرتب وينظم لهم العمل، ليبقى الحارس هو المسؤول في حالة سرقة في تسديد قيمة البضائع.[5] وكان يسهر على الأمن العام وعلى انتظام المبادلات التجارية ويقوم مقام الوسيط بين السلطات وأهل السوق ويساعده في ذلك، دائما نقيب وكاتب.[6]

---

(1) اسعيدوني (ناصر الدين)، مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر، ص. 118 .

(2) EMERIT M , «Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque» in. Documents algériens , 1952, p. 13

(3) TALBI M , «Quelques données sur la vie sociale en occident musulman, d'après un traité de hisba du XV°s» , in. Arabica 1954, I, pp. 296-298

(5) المقري (أحمد بن محمد)،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الثاني، دار صادر،بيروت 1988، ص.77

(6) RAYMOND , Grandes villes , p. 222

وأما عن الحياة الإقتصادية داخلها، فكانت محكمة وفقا لتعاقب الليل والنهار لأن الإضاءة الإصطناعية لم تكن معروفة، إذ كانت تضاء بمصابيح خفيفة النور هي القيراط، نجدها فوق الحوانيت. وكانت ساعات العمل في الشتاء أقصر منها في الصيف، حيث كان العمل يبدأ بعد صلاة الفجر حتى سقوط الليل لا تقطعه سوى أوقات الصلاة.[1] وفي المساء، كانت تغلق بالسياج وبأبواب خشبية ثم يأتي الحراس حاملين معهم المشاعل ترافقهم كلاب يمرون من ساعة إلى أخرى[2] وكانت من مهمة البسكريين الذين كانوا ينتصبون أمام الحوانيت ليمنعوا أي حركة بعد سقوط الليل وكانوا يشرفون على الإضاءة للمحافظة على أمن السوق.[3]

## ب ـ تنظيم الأسواق المغطاة:

### ـ الفندق:

وللفنادق أيضا أعراف وقوانين خاصة، لأنها كانت تبنى في الغالب للتجار الأجانب، كمقر لهم وكمأوى لسكناهم وكمخزن لبضائعهم. لذا، وجب السهر على راحتهم وتقديمهم إياهم الخدمات اللازمة، فكانت الطوابق العليا تخصص للمبيت والطوابق الأرضية لتخزين السلع وتخصص المستودعات، للدواب.[4] وأحيانا ليس شرطا أن تكون فنادق، بل بنايات خاصة للمسيحيين وتكون منفصلة عن بعضها، حتى يضعوا بضائعهم. وفي هذا الشأن، قال السلطان المريني للبيزيين سنة 1358 م "لكم في مدننا فنادق خاصة وإن لم يسع لنا ذلك، فلكم على الأقل دار أو منزل لكم وحدكم منفصل عن منازل النصارى الأخرى."[5] ولهذا السبب، ربما يقول بعض المؤرخين الفرنسيين أمثال هايدو والأب دان بأن المدينة لا تحتوي على فنادق وأنه كان على الأتراك والعرب الذين كانوا يأتون إلى المدينة، أن يقيموا عند معارفهم،[6] مع أن هناك وقفيات كثيرة تؤكد على وجود الفنادق بالمدينة، وإن لم تحدد تاريخ بنائها، إلا أنها وثائق يعتمد عليها لتفنيد ما كتبه هؤلاء، وكما تنص عليه المعاهدات. وهي فنادق متعددة الجنسيات، كانت تخضع لسلطة القنصل إذا كانت مخصصة للتجار المسيحيين ومن نفس الجنسية وكانت له أيضا سلطة قضائية وشرطة وعادات خاصة.[7] (لوحة 23 )

---

(1) LE TOURNEAU , Fès avant le protectorat, p. 321

(2) MAZEHARY A , La vie quotidienne des musulmans au moyen âge, X$^{ème}$, XIII$^{ème}$ siecle, 1951, p.196

(3) EMERIT M , Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque , p. 13

(4) نقادي ، المرجع السابق ، ص. 62

(5) DE MAS LATRIE , op. cit, p. 92

(6) LE DAN , Histoire de Barbarie, p. 89

(7) HUBAC P. , Les Etats barbaresques, Paris 1949, p .188

وكان القنصل ببلاد المغرب هو القاضي بين التجار وفي معظم الأحيان شخصية سياسية، يتاجر مع المخزن، وبالتالي يكون سفيرا، في حين يقوم القايد بدور القنصل فيما يخص الجالية الأراغونية بالمغرب. وهذا يعني أن القنصل يتواجد بإفريقية والقايد بسلطنة تلمسان والمغرب الأقصى، ثم أصبح القايد مديرا للديوانة والقنصل ممثلا للملك عند المخزن.[1] وسواء كانت لإيواء التجار المسيحيين أو المسلمين فهي مؤسسات تجارية كانت تقام فيها عملية البيع والشراء في الحلقة بإشراف ديوان المشرف.[2] وكان يتواجد بها شهود عدول لتحرير عقد البيع والشراء وسماسرة يسهلون هذه العملية والمنادون على البضائع التي كانت تباع بالمزاد العلني، كما كان بها أيضا أمناء لتسعير البضائع والتاكد من سلامتها من الغش ومترجمون بين التجار من مختلف الجنسيات وكان بها من كان يقوم بالخدمات السريعة كالساعي (لوحة24) والسراج لإصلاح أدوات الدواب وبيطري لمعالجتها ونعلها ومستودعات للعربات والدواب.[3]

وكان يشترط في الفنادق الأجنبية، أن يرفقها حمام وفرن وإن لم يكن فيها ذلك، كانت إدارة الفندق الواحد تكتري حماما وفرنا بالمدينة خاصين به.[4] ولهذا، نجد بمدينة الجزائر فرنا يسمى كوشة النصارى أطلق على شارع الصحراء(Rue du Sahara). وبالفعل كانت توجد أفران كثيرة تقع داخل الفنادق، مثل فرن فندق العسل وكان يسمى كوشة لاعسل نسبة إلى التجارة الممارسة فيه وهو العسل ويقع باب عزون وفرن آخر بفندق العزارة بشارع باب عزون دائما وفرن فندق المحتسب..الخ وفي كثير من الحيان كانت ترفقها مقاهى أيضا و الأمثلة كثيرة أيضا ومصلى، حتى أن Peysonnel ذكر أن بعض الحرفيين اليونانيين وبعض الأسرى منهم أيضا، كان لهم راهب من بلادهم يقيم لهم شعائر الدينية.[5]

---

(1) – DUFOURCQ, L'Espagne, P.518

(2) - أحمد موسى، النشاط الاقتصادي، ص.293

(3) - الحريري(محمد عيسى)، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط.1، 1985، ص.327

(4) – DE MAS LATRIE, op.cit. P.90

(5) – PEYSONNEL et DESFONTAINES, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, publié par Dureau de la Malle, T.1, 1838, P.458

ـ القيسارية:

وتخضع القيسارية أيضا لنفس القوانين ولنفس التنظيمات ويديرها صاحبها أو ممثلها أو الأجار الذي كان يأخذ بالتزام الأسعار التي وجبت عليهم من طرف ناظر الوقف أو من طرف شيخهم.[1] وكان يسهر على أمنها بوابون ينامون فيها ويجْبون كراء المخازن والشقق التي فيها وكانوا يمارسون فيها في نفس الوقت، رقابة شديدة على الناس الساكنين بها.[2] كما كانت تفرض رقابة شديدة على النشاط التجاري بها وكانت ترفع فيها الحقوق التي كانت تجبى على المنتجات. ولهذا، كان يتوافد عليها تجار من نفس الجنسية.[3] وكانت هذه الرقابة تفرض أيضا على الأقمشة وعلى البضائع المخزونة فيها، إذ كانت توضع فيها أحيانا معايير للسعة والكيل ومعايير للأوزان مصنوعة من الزجاج وتحمل ختما لتوثيقها، كانت تثبت على إحدى جدرانها كالتي كانت توجد في قيسارية تلمسان.[4] (لوحة 25) أو كانت تعلق على جدران المسجد الجامع، مما يبين صرامة هذا النظام وقداسة التجارة أيضا. كما كان الأمر في العهد الروماني حيث كانت مكاييل القمح أو (Les contrepoids) توضع في الفوروم وتسمى (Ponderarium) (لوحة26) بمحاذاة مكتب الديوانة أو(Telonium). فهل نعتبر موقع الديوانة في مدينة الجزائر أصلي؟[5] وهي جهاز كان يستوجب على صاحبها، صلاحيات منها حفظ الرسوم المفروضة على السلع واستخلاص ما يتوجب على التجار والحرفيين من رسوم وغرامات.[6]

---

(1) LE TOURNEAU , Fès, p. 385

(2) RAYMOND , Grandes villes, p. 249

(3) Ibid , p. 248

(4) MARÇAIS , La conception , p. 259

(5) LAGREZE, Pompéi, p. 122

(6) اسعيدوني ، مخطوط قانون الأسواق ، ص. 121

# الفصل الثالث

## دراسة عمرانية

ـةـ

1- طبوغرافية مدينة الجزائر

2- تنظيم الفضاء الاقتصادي.

3- توزيع الأسواق.

**- الديوانية :**

ذكر ابن جبير في العصر الوسيط، تلك القوانين التي كان يخضع لها التجار عند نزولهم في الموانئ فيقول " عندما تصل المركب إلى المراسي، يأتي أمناء البحر من قبل السلطان لتقييد جميع ما جلب في المراكب، ثم تكتب أسماء الركاب وصفاتهم وأسماء بلدانهم ويسأل كل واحد منهم عما لديه من سلع أو ناض (نقد) ليؤدي زكاة ذلك كله، ثم يمر على المرقب أو المراقب من طرف السلطان ثم القاضي أهل الديوان ثم على جماعة من حاشية السلطان وللأمناء أعوان يتوكلون بهم ويحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان أو الجمرك.[1]

وكان مدير الديوانية بالمغرب وبمدينة الجزائر يسمي (Le gabellot) مشتقة من كلمة القبالة كما يقول حسين مؤسس وبالعربية، القايد وبالكتالونية (Alcayt de la Duva) وتسميه الوثائق الإيطالية، ناظر الديوانية.[2]

أما الديوانية البرية أو (L'otroi) فكان قايد الباب يقبض حقوقها على البضائع التي كانت تدخل المدينة برا وكان يقيم مع سكرتيره أو الخوجة في حانوت خاص أمام الشارع التجاري الكبير[3]

وبفضل هذه المكوس المضروبة في الديوانية، فإن المخزن كانت له عائدات معتبرة لأن أمراء المدن ومنهم مدينة الجزائر، كانوا يربحون من التجارة الأجنبية الكثير كونها مراكز عبور للمعادن الثمينة.[4]

**- البادستان :**

وأما بالنسبة لعملية التجارة في البادستان، فهي مختلفة، إذ كان الأسرى العبيد ينقلون أولا إلى دار السلطان أو الجنينة، حيث توجد قاعات خاصة مسقفة بأقبية، يأخذ السلطان فيها الحصة الثامنة أو الخمسة ويباع الباقي لصالح الإنكشارية[5] ثم ينقلون إلى البادستان حيث كانوا يباعون بالمزاد العلني من طرف السماسرة.

---

[1] - زكي (محمد حسن)، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت 1981، ص73.

[2] –DEMAS LATRIE . op .cit, P.336

[3] – Raymond, « Les caractéristiques d'une ville arabe moyenne au XVIIIeme siècle » , Le cas de Constantine, in C.T, n°137-138-,1986, P.183.

[4] – DUFOURQ , OP.CIT.

[5] – D'ESTRYS, Histoire d'Alger de son territoire et ses habitants, tours 1841, P.111.

وكان ينادي على الأسير مدة ثلاث أيام متتالية ثم ينقل إلى الباشا لكي يقضي في الأثمان. أما إذا أعتقوا، فيأتي المعتقون إلى دار السلطان دائما والمال الذي يفدون به الأسرى، في أيديهم وبعد المساومات يدفعون حقوق الفدى.[1] (لوحة 27)

**- الرحبة :**

وفي الرحبة، كان يتواجد الخوجة وهو خوجة القمح أو (Kogia) كان يكلف بالعناية والإشراف على توزيعه في المخازن . وكان يرافقه خوجة العرب الذي يسهر على أمن السوق ويقبض الحقوق على البضائع الداخلة إليها.[2]

ويبين هذا التنظيم الكبير للأسواق المفتوحة والمغطاة، مدى فعالية نظام الحسبة المعمول به آنذاك، للحد من الشكاوي وإنصاف المتضررين وحفظ حقوق الدولة[3].

---

[1] – HAEDO, « Topographie », in R.Afr, 1871, P.392.

[2] – BLISMON, Notice topographique sur le royaume de la ville d'Alger, P.58

[3] - - زكي (محمد حسن)،المرجع السابق.

**3- المعايير الأساسية لتوزيع الأسواق :**

تدل وضعية الأسواق والأحياء الصناعية على طبوغرافية المدينة التي نشأت وفق معايير عمرانية موضوعية تحكمت في تخطيطها في نقاط معينة من المدينة، وفقا لمبدأ لا ضرر ولا ضرار، الذي كان محترما في فن البناء الإسلامي الذي يشرع لذلك قوانين عمرانية موحدة لا تضر بالمسلمين بل تساعدهم على العيش جنبا إلى جنب في ظل التعاون والمشاركة في الحياة واقتسام منافعها وأضرارها عندما تحصل. وكان العمران من أهم المجالات التي تطرق إليها التشريع الإسلامي كعنصر الماء الذي يحدد موقع كل نشاط حيوي، حيث تجهز بشبكة من القنوات المائية التي تغطي ببلاطات من القرميد في أماكن عناصره التي يجلب منها ، كالوديان مثلا أو العيون، ثم توزع في قنوات أخرى تحت أرضية وتمر بمختلف أحياء المدينة لأنه أين يوجد الماء، نجد عددا من الصناعات التي تحتاج إلى قوة محركة وإلى غسل وإفراغ.[1]

وكان تخطيط الشوارع، يناسب مرور الأشخاص والدواب والحمولات بلا عائق، إذ حدد عرضها بحوالي سبعة أذرع مما يعادل 3.36م. وعلى هذا الأساس، كانت الحوانيت تختط من الباب إلى بداية الشارع. وهذا نظام يخدم الصالح العام ويحفظ حقوقا محددة لأن الشارع ملك المسلمين.[2]

ومن منظور الشرعية العمرانية الإسلامية، كانت السوق تحاذي المسجد الجامع وذلك لجذب الناس، باعتبار المسجد، مكان التجمع وقلب المدينة النابض. ويحاذيه الإسكافيون والعطارون والنساخون وتحاذيه المكتبات والمدارس والقيسارية والنساجون أيضا، نظرا لما كانت تلعبه صناعة النسيج في الاقتصاد الإسلامي، إذ كانت تمثل ما تمثله اليوم صناعة المعادن. وكانت تتمركز في القيساريات أو في الحوانيت المجاورة للمسجد الكبير. أما العطارين، فاعتبارا لمادة العطر التي كانت تحظى بقيمة كبيرة منذ قديم الزمان، كعادة متوارثة في المشرق القديم أيضا وعند المسيحيين الذين كانوا يجعلون منها مادة غالية وكمالية. ونفس الشيء يقال عن سوق الجواهر أو الساعة. وأما الصناعات التحويلية

فنجدها بالقرب من السوق التي تباع فيها المواد الجاهزة الصنع[3]

وكانت بعض الشروط البيئية تتحكم في تمركز بعض الصناعات خارج الأسوار، لاعتبارات اجتماعية، كالصوت المزعج والرائحة الكريهة ودخان الأفران وثقل بعض المواد المنتجة وأوساخ المواد

---

[1] – LE TOURNEAU R, Les villes musulmanes de l'Afrique du Nord, Alger 1957, PP.22.
[2] – BRUNSCHVING R, « Urbanisme médiéval et droit musulman » in, R.E.I, 1947, PP. 132-3133.
[3] – MARCAIS G, La conception des villes dans l'Islam, P.530.

الأولية، فكانت تقوم في قطاعات قليلة الكثافة السكانية خارج المدينة[1] فينتج عن ذلك، ظهور حزام صناعي يستخرج بعض المواد الولية من مصادرها. فالصناعات التي تستخدم مواد ثقيلة، تقام منعزلة وغير بعيدة عن الأبواب حيث تستقبل موادها الأولية[2]، كالفخارين الذين كانوا يقيمون عند الأسوار حيث تطرد الرياح الأدخنة خارج المدينة وكذلك بالنسبة للدباغين الذين عند استعمالهم الماء الساخن للجلود، تطلق هذه الأخيرة روائحا كريهة، فتقوم الرياح بطردها في الهواء وكذا للروائح النتنة الخارجة من الأحواض أيضا[3] كما يبرر تموضع هذه الصناعات لأنها تتطلب مياها كثيرة لعلاج الجلود ومساحات كبيرة لتجفيفها.[4]

ولهذا نجد الدباغين والحدادين في ضواحي المدينة وتجاورهم دائما إصطبلا خاصة للدواب والمسافرين[5]، بالإضافة إلى معاصر الزيت التي كانت تقام هي الأخرى بالقرب من أبواب المدينة حيث تأتي حمولات الزيتون.[6] أما الأرباض الكائنة في أطراف المدينة، فكانت مخصصة للبضائع الواردة عليها من الأرياف ومن داخل البلاد.[7]

وكان يخلق هذا التنظيم في الحرف المزرية عند أبواب المدينة، مراكز اقتصادية ثانوية على شكل أسواق صغيرة بالنسبة للمراكز الرئيسية، مما كان يدفع الفلاحين الذين كانوا يأتون بمنتوجاتهم لبيعها في أسواق المدينة، إلى الإقامة في هذه الضواحي بالقرب من الأبواب في منازل بسيطة تبنى بسرعة وبمواد رخيصة وتكون هذه الأحياء في معظم الأحيان عبارة عن زبالة المدينة[8] أو كانوا يبيتون في الفنادق التي كانت تقام أيضا خارج الأسوار كما رأينا في مدينة الجزائر. ونفس الشيء يقال عن المذابح أيضا التي لم يكن يرغب في جوارها لأسباب تقنية واجتماعية كنقل الماشية والضوضاء والرائحة وسيلان الدم...الخ، فكانت تقام خارج الأبواب حيث تكثر الحرف المزرية والثقيلة[9] حيث تتواجد أسواق الماشية.

---

(1) – LE TOURNEAU op.cit.

(2) – MARCAIS op.cit

(3) - LE TOURNEAU op.cit

(4) – Raymond, Grandes villes, P.192.

(5) – BRUNSCHVING R, « Urbanisme médiéval et droit musulman » P.141

(6) – LE TOURNEAU op.cit

(7)– باشا(نجاة)، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن 4هـإلى 8هـ/10م-14م، الجامعة التونسية، 1976، ص52.

(8) – Raymond, op.cit, P.195.

(9)– عبد الستار، المرجع السابق، ص255-256.

أما ورشات النشر، فكانت تتمركز بالقرب من الأبواب حيث تدخل الرافدات لأن نقل مادة الخشب، كان يشكل عائقا في الشوارع التي كانت آنذاك ضيقة ومتعرجة[(1)] ولأنها كانت تتطلب مساحات واسعة للتخزين والتصنيع.[(2)]

أما النشاطات التي كانت تستعمل الأفران وأفران الجير، فكانتا تقوم هي الأخرى بالقرب من الأسوار والمحاجر[(3)]لضرورة التموين بخشب التسخين أو الفحم الخشبي وهما مادتان وسختان تفرضان هذا التموضع[(4)].

وكانت أسواق الحبوب تقام بجوار الأبواب حيث تتوفر المساحات المناسبة لاستعمالها وخزنها.[(5)]

وأما الحمامات والمطاحن، فلن تكن لها أماكن معينة، وإذا أراد شخص أن يقيم مطحنة في بيته، فكان عليه أن يترك ثمانية أشبار أي ما يعادل 1.96م بين حائط منزله ونقطة مسار الدابة الجارة.[(6)]

وكلما ابتعدنا عن الأبواب، وجدنا الخضر واللحوم ثم النحاس والنجارة. وداخل المدينة، كانت الحارات تقام عند منافذ بعض الشوارع وتغلق أبوابها مساء ولها حراس.[(7)]

---

(1) – LE TOURNEAU op.cit
(2) – Raymond, op.cit, P.191.
(3) – LE TOURNEAU op.cit
(4) – Raymond, op.cit, P.191
(5) – LE TOURNEAU op.cit
(6) – BRUNSCHVING, op.cit p.148
(7) – MARCAIS, op.cit.

**طبوغرافية مدينة الجزائر :**

نستطيع تتبع تطور عمران مدينة الجزائر من خلال المصادر التاريخية التي تبين جليا أن للبحر والسوق دور كبير في ذلك وبفضل هذا العنصر الأخير اكتسبت وحداتها العمرانية الأخرى وكان السبب في توسعها.

عند تشريح مورفولجية مدينة الجزائر، نلاحظ أن طبوغرافيتها الاقتصادية خضعت فعلا للشروط الطبيعية السابقة الذكر والتي تتحكم دائما في تخطيط أي مدينة إسلامية لتضمن للفرد حياة مستقرة، ومنها توفر الماء فيها وتناسب شوارعها وطرقاتها وتقدير السوق حسب الكفاية والحرص على تمركزها بمحاذاة المسجد الجامع[1] كفكرة استراتيجية سيكولوجية دينية اجتماعية لربط السوق بالعبادة باعتبار المسجد نقطة جذب الناس إليه وإضفاء صفة البركة لأن هذه المركزية تتحكم فيما بعد في مجموعة الفراغات الوظيفية كون السوق، إحدى العناصر المكونة للمدينة والدائمة في حياتها وسبب تجمع سكانها.

وعلى هذا الأساس، كانت بداية مدينة الجزائر كإسكال فنيقي لإجراء علاقات تجارية بين السكان وسكان البحر الأبيض المتوسط، بمقايضة البضائع البرية والحرية مع ذهب السودان وقصدير ورصاص الجزر الإسبانية[2] لأن مرساها مأمون ويسمح بالتموين بالماء الذي كان متوفرا بكثرة كما يؤكده فيما بعد، ابن حوقل والبكري بقولهما "بها عيون كثيرة في البحر تمون المدينة والسكان".[3]

ويشترط ابن خلدون في هذا المصدر، أن تكون " المدن قريبة من نهر أو تكون بإزائها عيون تسهل على الساكنين حاجتهم إلى الماء."[4]وكشفت الحفريات الفرنسية في الخمسينات من هذا القرن، على عيون كثيرة منها : عين البحر قرب الميناء وهي التي كانت تزود السكان بالماء الصالح للشرب، ثم عين السلطان بالقرب من مسجد البحرية فوق البادستان او ساحة ماهون والعين المزوقة في أعالي القصبة[5] (مخطط 4) بالإضافة إلى صهاريج عثر عليها تحت مسجد كتشاوة وقنوات مائية مصنوعة من بلاطات كبيرة من الآجر الأحمر عملت بطريقة الـ Opus

---

(1) - ابن الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، نقله وحققه عثمان عبد الستر، ضمن سياسة العمران عند ابن الربيع، ض118.

(2) – LEGLAY,op.cit. p.8

(3) - البكري، المصدر السابق.

(4) - ابن خلدون ، المقدمة، ج3، ص839.

(5) – PASQUALI, « l’évolution de la rue musulmane d’ElDjezair », in Documents algériens, 1955, P182.

tesselatum .[1] كقناة باب الواد التي كانت توصل المياه من باب الواد إلى القصبة.[2] (لوحة 28)

ولهذا العامل الهام، كان الإستقرار الفنيقي بها، أي للتجارة فقط وليس لأغراض استعمارية، إذ لم ترث تخطيطا عمرانيا فنيقيا، على عكس الرومان الذين كان غرضهم استيطانيا واقتصاديا فجعلوا منها مستعمرة رومانية وأخضعوا تخطيطها، على أساس القرب من الميناء، كمركز عبور لشحن البضائع ولتسهيل عملية التجارة بوجود المياه في القسم السفلي من المدينة، حيث كان تقسيمها إلى أحياء حسب الطبقات الساكنة فيها، لا حسب الحرف كما هو معروف في المدينة الإسلامية.[3] وهوتخطيط يشبه رقعة الشطرنج بتعامد الشارع المستقيم المتمثل في الكاردو Le Cardo Maximus وهو شارع باب الواد- باب عزون، شمال-جنوب وشارع الدكيمانوس LeDécumanus وهو شارع البحرية المتجه شرق-غرب. (مخطط5) وتتفرع من هذين المحورين شوارع أخرى كشارعي القصبة (لوحة29) وباب الجديد (لوحة 30) على هيئة ممرين جبلين يؤديان إلى أعالي المدينة نشأ من الإنخفاضات ومن جراء بناء المساكن على حواف السيول والمجاري ومن جراء الإستعمال العفوي لهما. وهذا ما يفسر ربما، انعراجات معظم شوارع المدينة العليا. وشوارع أخرى موازية للبحر ومحاذية للميناء، لأنها تلائم التجارة في نقل البضائع وتسويقها في التصدير والاستيراد كشارع باب الواد (لوحة 31) وشارع باب عزون (لوحة32). ويذكر باسكالي Pasquali حسب نفس التنقيبات، أنها شوارع كانت مكونة من بلاطات كلسية زرقاء ونادرة الوجود.[4]

ومن خلال الآثار التي عثر عليهما في إيكوزيوم في الحفريات المتعاقبة منذ 1830، فإن المدينة جهزت بكل وسائل الحياة الضرورية على غرار المدن الغنية، كالمعبد والمسرح

---

[1] – LEGLAY , opcit. P.40.

[2] – OTTH A, Esquisses africaines, Paris 183,P 1.8

[3] - حليمي (عبد القادر)، مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830، ط.1، 1972، ص.184.

[4] – PASQUALI, op.cit. P. 178.

والحمامات وهي منشآت تبنى في المدن الغنية فعلا بالإضافة إلى المساكن المزينة بالفسيفساء وتماثيل ترمز إلى آلهة الزراعة مثل Pomone أو Cérès (لوحة33) مما يدعم ماديا على أنها كانت منطقة زراعية وتعتمد على النشاط الفلاحي، إلى جانب آنية الدوليا السابقة الذكر كدليل آخر لهذا النشاط ولصناعة الفخار التي كانت من خاصيات شمال إفريقيا آنذاك .

وتبقى آثار الكنيسة، نقطة ومحط جدال إلى يومينا هذا، إن كانت كنيسة أم بازيليكا وهل فعلا أقيم المسجد الجامع فوقها؟ لأن البازيليكا تدل عليها تلك الآزاج التي يتكلم عنها البكري وهي الرواق. فإذا كان المسجد هو النقطة الأساسية في دراسة الطبوغرافية التاريخية لأي مدينة إسلامية وحولهه تنشأ السوق، فهل للمسجد دور في تطور مدينة الجزائر أم السوق؟ وأيهما كان له تأثير في جذب التجمع السكاني فيها لأنه يبدو أن جزائر بني مزغنة حافظت على هذا الإرث لفترة طويلة بعد الفتح الإسلامي بما أن إعادة الإحياء والإختطاط لم تحصل إلا في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي أي أيام الدولة الزيرية. والسؤال المطروح هو فيم تتجسد هذه العملية (إعادة الإحياء) وكيف؟

بما أن هيئة المدينة هي انعكاس للحياة الحضرية المنتظمة داخلها، فقد كان لابد على مدينة الجزائر أن تغير ملامح عمرانها الروماني لما فتحها الإسلام وتطبعه بصبغة إسلامية محافظة على تخطيط الشوارع ومستغلة بعض المباني القائمة وسط الآثار الرومانية. كانت النواة الأولى في عملية التحول هذه، هي المسجد الجامع، كرمز لدخولها الإسلام وكإحدى العناصر المهمة في تكوين البنية العمرانية للمدينة والمميزة لتشكلها المعماري والثانية هي السوق الذي يشغل فراغات عديدة حول المسجد وبه تنظيم الوحدات الأخرى.[1] ولهذه المنهجية الإسلامية دلالتها، فالجامع مكان العبادة يمثل المنفعة الروحية والسوق يمثل المنفعة المادية حيث يجد الناس كل ما يحتاجونه.[2]

ومن هذا المنطلق، كانت عملية التغيير في مدينة الجزائر التي دخلت الإسلام مع جل المدن المغربية في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، غير أن مسجد الجامع وحسب معظم المؤرخين، لم يبين فيها إلا في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي أي على يد المرابطين سنة 491هـ/1082م عند فتحهم للمدينة، في حين يذكر عبد الرحمان الجيلالي فتحوها

---

(1) - الرباط (ناصر)، دمشق، الحوليات السورية، 1985، ص.75

(2) - التليلي (عبد الرحمان)، "وصف المدن المغربية، من كتاب صورة الأرض لابن حوقل" ، في الكراسات التونسية، رقم 137-138، 1986، ص.11

سنة 491هـ/1097م وهذا أقرب إلى الصواب.[1] ويصفها البكري سنة 461هـ/1068م بأنبها مسجدا جامعا،[2]لكنه لا يذكر مكانه ولا من بناه. فإذاكان اعتمد في ذلك على ابن الوراق، فإن أوصافه سابقة للعهد المرابطي لأن من عادة الفاتحين المسلمين عند فتحهم المدن ان يبنوا مساجدا جامعة بها، للتعبير عن التحول الجذري لطابع المدينة والدخول في المعتقد الجديد وإن لم يسع الأمر لذلك، كانت تبنى المساجد فوق الكنائس، وفقا لما أمر به عمر بن الخطاب بمشاطرة الروم في كنائسهم مثلما فعلوا في كينسة دمشق ومثلما فعلوا أيضا في كنيسة قرطبة وطيطلة وطنجة والقدس...الخ.[3] فهل يعقل أن تبقى مدينة الجزائر بدون مسجد جامع طيلة هذه الفترة؟ خاصة وأن البكري يضيف في هذا الصدد، بأن بها كنيسة لم يبق منها سوى جدار متجه من الشرق إلى الغرب وهو قبلة المصلين في العيدين. [6] وقد عرفنا أن الجدار المتبقي، هو فناء البازيليكا التي كانت مبنى مكملا للأقور أو الساحة المركزية للمدينة وهذا تطور عمراني حصل في الفترة البيزنطية، عندما ضاق الفوروم بارتفاع السكان وكثرت قضاياهم مما استدعى البازيليكا بالقيام بالوظيفتين معا : الدينية والاقتصادية ويبدو أن هذه البازيليكا استمرت في وظيفتها ، باتخاذ جدارها قبلة العيدين لأن قبلة مزغنة بدخولها الإسلام، كان لا بد لها من مكان تؤدي فيه الشعائر الجديدة ومن منبر تقرأ من فوقه الخطبة ومكان لتدريس اللغة العربية. وكانت قبيلة بسيطة في معيشتها في بداية الإسلام، لا تملك الإمكانيات لبناء مسجد جامع على غرار الجوامع الأخرى في المدن الكبرى، فاكتفت بما توفر لديها من بناية قائمة آنذاك.

وربما لم تكن لها دراية في فن بناء المساجد وهو ظاهرة جديدة بالنسبة لها، فقنعت ببساطة الأمور في البداية حتى بدأ توافد العنصر الأندلسي على المدينة للتجارة بها هذا يستوجب الإستقرار فيها لشهور لأداء عملية البيع والشراء والتمون بالماء لسفنهم والماء الصالح للشرب لهم. وهذه الإقامة تحتم عليهم أداء شعائرهم وهذا لا يكون طبعا إلا في المساجد، خاصة وأنهم وجدوا المؤهلات متوفرة. ويحتمل أن الأندلسيين كانوا سباقين في جعل هذه الكنيسة مسجدا وفي فترة مبكرة جدا لأنهم كانت لهم دراية في اتخاذ الكنائس مساجدا على غرار ما قاموا به في مسجد قرطبة.

---

[1]- الجيلالي، المرجع السابق، ج.2، ص.15.
[2]- البكري، المصدر السابق.
[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج.2، ص.119.

يذكر لوبون في هذا الشأن، أن زحارف المسجد الكبير تشبه زخارف مسجد قرطبة الذي كان يضرب به المثل في تلك الفترة، فهل نقلت الجالية تلك الزخارف معها؟ بما أن "لوبون غوستاف" يعتبر المؤرخ تقريبا الوحيد الذي يذكر أن المسجد الجامع بجزائر بني مزغنة يعود إلى القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي. [1]

ويذكر لنا Devoulux أيضا نقلا عن L'abbé Bargès أنه عثر على كتابة تذكارية فوق منبر المسجد الكبير مؤرخة بسنة 409هـ نقش عليها اسم محمد وهذا نصها : "بسم الله الرحمان الرحيم، تم إنشاء هذا المنبر، في أول رجب من سنة 409هـ من عمل محمد". [2]

توافق سنة 409هـ/سنة 1018م وهي فترة الحماديين، أما اسم محمد ، فيبقى مجهولا كما يواصل ديفولاكس، لكن الإسم عربي وقلما تلقب به البربر وأقصد بهم الزيريون الصنهاجيون، بل نجده في العائلات العلوية الحاكمة آنذاك، لكن مادامت الدراسات لم توضح ذلك، لا نستطيع الجزم في ذلك ويبقى مجهولا. أما عن المنابر، فقد كانت لها وظيفة جد حساسة خاصة في الفترة الفاطمية لأنها فترة الصراع الديني وكان يقرأ من عليها الولاء للدولة، كما كان الحال لحميد بن يصل المكناسي عندما حطب ولاءه للناصر الأموي أمير قرطية، فوق منبر الجامع بمكناسة في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي.[3] وبقيت العادة محترمة حتى بعد هذا القرن أي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي.

يذكر عبد الرحمن الجيلالي أن المرابطين بنوا مسجد تلمسان سنة 1136 والذي يعد تأسيسه لموسى بن النصير أقامت على الحدود بين المغربين الأوسط والأقصى وكان يضاهي جامع القيروان.

ويذكر أيضا ابن سعدون عباس نصر الله المرابطي أعاد بناء المسجد الكبير بالعاصمة .

وبما أن بلكين بني قاصبة فأكيد أنه بني أيضا مسجد جامعا ، وهكذا قام به بعده يوسف بن نابعن على مراكز سنة 1062 مورينو Moreno ينسب هذا المنبر إلى المرابطين مع أنه قماري.

وربما لم يتخذ سكان مدينة الجزائر منبرا إلا في هذا العهد. وعليه، أرجح إذا، ان المسجد أقيم فوق جزء من هذه الكنيسة أو بالأحرى هذه البازيليكا لأنها مكان مناسب لتلاقي المسلمين

[1] - لوبون (غوستاف)، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط.4، 1964، ص.6260.
[2] – Devoulux, « Topographie d'Alger3, in, R.A.fr. 1875, P.523
[3]- فيلالي ، المرجع السابق، ص.66.

ليتعارفوا ويتناجوا في شؤون حياتهم وأن يتبادلوا الرأي والنصح فيما يعود على جماعتهم بالنفع والخير والسداد وصالح الأعمال، كما كان الحال بالنسبة للمسيحيين أيضا في كنائسهم.[1]

وبعد هذا التحليل، يمكننا القول بأن المسجد سابق للعهد المرابطي الذي اقتصر دور المرابطين فيه، على بعض التعديلات والإضافات كالجدران والمحراب والزخارف وغيرها. وهكذا، وجدت قبيلة بني مزغنة دوافع وحوافز لتستقر بها البناءات المتمثلة في المساكن وتوسع في عمرانها بخلق قطاعات اجتماعية حول هذا المركز الإستراتيجي، خاصة وأنها قبيلة صنهاجة وتعرف بالإستقرار وحياة الحضر وكانت الآثار الرومانية الممون الأول في مادة البناء.

ويذكر ديفولكس Devoulux اعتماماعلى بعض عقود الملكيات التي كانت محفوظة بالجامع الكبير بالعاصمة آنذاك ومن خلال الحفريات التي أجريت بعد 1830 بأن المساكن كانت في الفترة التي سبقت العهد العثماني وربما طيلة العصر الوسيط، تتركز في القسم الشمالي(السفلي) من المدينة أي عند شارع البحرية بالقرب من الجامع الكبير وعند أعالي القصبة أي بالقرب من الأسوار الغربية وبمحاذاة سيدي رمضان.[2]

إذن، كان يستوجب لاستقرار هذا التجمع في هذه النقطة بالذات قيام أسواق تلبي حاجياتهم الضرورية والأولية والخدمات السريعة، فكان امتداد السوق بمحاذاة المسجد الجامع وسط المدينة وعلى الشاطئ، انعكاس لاحترام المنهجية العمرانية الإسلامية وانعكاس لعظم حركة التجارة والخدمات البحرية التي كانت تقدمها السفن المختلفة الجنسيات التي كانت ترسو بها في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي. وهو فترة الصراع على المسالك التجارية سواء برية أو بحرية.

---

[1] - الولي(الشيخ طه) ، المسجد في الإسلام، دار العلم للملايين، ط.1، بيروت 1988، ص150.

[2] –DEVOULX, op.cit, PP.504-505

وكان لميناء مدينة الجزائر حظ في ذلك ومساهمة فعالة، الأمر الذي حمس زيري، بأن يأمر ابنه بلكين، بإعادة اختطاطها، وهذا يعني تأمينها اقتصاديا، لما كان يدخله ميناؤها من مكوس كانت تضرب على البضائع المارة بها، فأرادها أن تكون منفذا بحريا لأشير الواقعة في الأراضي الداخلية لأنها فترة بدأ الاهتمام فيها بالمدن الساحلية مع تغير المسالك المؤدية للذهب كهنين ووهران بن خرز التي ظهرت فيها كمدينة مزدهرة وآهلة ومن أهم حواضر المغرب الأوسط وإحدى القلاع التي كان العلماء والتجار خاصة، يرتادونها، فكانت موضعا لمن كان يريد الرفاهية،[1] مما حفز بلكين ربما، على أن ينافس محمد بن خرز بمدينة مضاهية، ليرد بها أطماعه وتكون له سدا منيعا نحو الشرق. وكانت مدينة الجزائر فعلا سدا لزناتة كلها، وحماها بمدينة مليانة غربا والمدية جنوبا ويرد بذلك أيضا، أطماع الأمويين التي كثرت بالسواحل الجزائرية والمتمثلة في الجاليات الأندلسية المقيمة بجوار مدينة الجزائر كمرسى الدجاج ومرسى الجنابية وشرشال وتنس..الخ. ولهذا، اهتم بلكين بادئ ذي بدء بإعادة بناء أسوارها بالصخور المتوفرة في آثارها وإنشاء أبواب لها، لتؤدي الوظيفة الاقتصادية أكثر منها الأمنية العسكرية وهي أن يستخلص منها المكوس، بما أن القوافل أصبحت ترتادها بصفة تنظيمية، فيكون على بال الدولة، كل من دخل وخرج.[2]

ومن هنا، بدأ ربما الإهتمام بالأسواق وربما نقل بعض أسواقها التي كانت تقام خارج الأسوار إلى داخل المدينة، لتسهل عليه جمع الضرائب ومراقبة دخول القوافل إليها وضبطها، كما فعل السلطان الزيري في طرابلس، حين نقل أسواقها من الربض إلى داخل الأسوار.[3] وقد أوصى المعز الفاطمي قبل أن يرحل إلى مصر، بلكين في اتباع نفس السياسة المالية الفاطمية في جمع الضرائب وعدم رفع الجباية. وكانت لهذه السياسة صدى بالمغرب الأوسط، فكانت المكوس مساعدا قويا على النهوض الاقتصادي والتطور العمراني.[4]

وتمثل هذا التطور في قيام الأسواق الحضرية داخل النسيج العمراني، كما يدل على ذلك، الرواق الذي ذكره البكري والذي أدى وظيفة السوق المغطاة. ونتيجة لذلك، ربما بنى بلكين دار الإمارة في أعالي القصبة، لتشرف على المدينة وأسواقها لأن في القرن الرابع الهجري/العاشر

---

[1] – ENNASIRI, Récits historiques sur l'Afrique Septentrionale, trd. Arnaud M.A.Alger 1885, P.50.

[2] - الجنحاني، دراسات، ص.89

[3] - ابن حوقل، المصدر السابق، ص.71

[4]- الجنحاني، المرجع السابق، ص.66

ميلادي بدأت دور الإمارة تنتقل بعيدا عن مركز المدينة الذي يحتوي على منشآتها التجارية فقط وتنقل الأجهزة الإدارية والمالية مع دار الإمارة.[1] لكن ربما أراد بلكين البناء في أعلى ربوة أي في المكان الذي قمت فيما بعد، البطارية العثمانية في شارع الطوبانات لأنها ميزة البربر آنذاك أو لأنها قطاع تكثر به المياه، حيث أقيمت فيه آبار وخزانات مياه.[2] (مخطط6) فكان بذلك، يضاهي ربما تيهرت التي كانت لها قصبة تشرف على السوق وتسمى المعصومة[3] أو أشير التي بناها أبوه زيري بن مناد فكانت تقع في قمة جبل.[4] (مخطط7)

ومن أجل هذا كله، استحكم مدينة الجزائر بأسوار حصينة لأن ابن عذاري يذكر لنا أن بني غانية أرادوا احتلالها سنة 581هـ/1154م ولما وجدوها حصينة، انحدروا منها إلى تلمسان[5] وكانت عبارة عن خط منكسر يمر في شارعي العين المزوقة (Annibal) وبير الجباح أو (Les Palmiers) أي في نفس النقطة التي كانت تنطلق منها أسوار إيكوزيوم من باب الواد شمالا إلى باب عزون جنوبا لأن المقابر الرومانية وجدت سنة 1830 خارج هذين البابين.

أما الجهة الغربية، فإنها لم تتجاوز حدود إيكوزيوم، مع أن الرومان لم يتوسعوا في السكنى حتى قمة الجبل، ماعدا الأسوار وحدد بلكين نقطة قمة الأسوار، عند القصبة التي بناها وجامع سيدي رمضان عند شارع الطوبانات (La Batterie) وهذا ربما لأن عدد السكان في هذه الفترة كان ضئيلا لا يحتاج إلى توسع أكثر أو لاستغلال جيد للمياه كما سبق لنا ذكره والمتواجدة في هذه النقطة بالذات وهي العين المزوقة (Annibal) عند التقاء الأنهج التالية بير الجباح (Les palmiers) وشارع المزور (La Gazelle). [6](مخطط 8)

---

[1] – BLEUCHOT, « Institut traditionelles arabes, échange commercial et hiérarchies sociales », in Studia Islamica, N 80, 1994, P.22

[2]- حليمي (عبد القادر)، " أثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر" ، مجلة الأصالة" 1967، ص.85

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق،ج.1، ص.35

[4] – MARCAIS G, Architecture musulmane de l'occident Paris 1954. P.

[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين،تحقيق الكتاني وبن تاويت وزنبير وزمامة ، دار الغرب الإسلامي ،ط.1، لبنان، 1985 ص.35176

[6] – Devoulux , OP.CIT. P.510

وبهذه الهيئة، ابتغى بلكين أن تكون قصبته مركز نفوذ وبيت مال لقبض الضرائب والمكوس، عوضا عن كبار التجار القابضين الذين كانوا يستحوذون على هذه العملية في العهد الفاطمي[1]ويخلق بهذا التخطيط، مركزا جديدا ينقل إليه ربما النشاطات الإدارية والمالية وتبقى النشاطات التجارية بعيدة في مركز المدينة على الشارع المستقيم أو Via Recta كدمشق مثلا.[2]
وساعد هذا التخطيط الجديد ، قبيلة مزغنة أن تنتقل من العيش في المداشر والسكن في البيوت من الخوص والشجر، [3] إلى سكنى متحضرة نوعا ما ، إذ كانت حسب تفس الوقفيات منخفضة وتتكون من طابق أرضي واحد فقط وربما مصطفة بالطريقة البربرية أي سقوف منحدرة مائلة من القرميد الأخضر كما يقول Berque [4](شكل8) وحافظت المدينة داخل هذه الأسوار، أي في وسط المدينة، على التخطيط الروماني السابق ذكره والذي يظهر جليا في إيكنوغرافيات الرحالة الأوروبيين أمثال Bruin و [5]Wolfgang

ولما ارتفع عدد السكان بها في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، كان لابد لها أن تستجيب لهذا الارتفاع ولرغباته وحاجاته لكل شيء وهذا طبعا يحتم تنظيم الحياة عامة داخل النسيج العمراني وتأطير الفرد في عمله خاصة، فكان التنظيم الحرفي في هذا القرن، ظاهرة جديدة توحي بكثرة الحرف والطوائف الحرفية التي بدأت تشغر الفراغات الداخلية والخارجية للمدينة وتحدد الخطط العمرانية بها، فكانت كل حرفة تقام في مكان معين كما تنص عليه القوانين الاجتماعية والاقتصادية والشرعية خاصة. ويعني هذا كله، تقدم التجارة وبالتالي تحضر الناس وتوسع العمران الذي يتطلب خلق ساحات ورحبات داخل مركز المدينة، تخصص كل مساحة لسوق معين على هيئة شوارع تقوم عليها الأروقة المعمدة وبمحاذاة المسجد الجامع وتوزع الحرف المزرية خارج الأبواب. وسنعرف ذلك في توزيع الأسواق.

وبالفعل، إلى نهاية هذا القرن، (6هـ/12هـ) يظهر أن مركز المدينة تبين طبوغرافيا والمتمثل في دار السكة أيضا التي بظهورها، ربما ظهر سوق الصرافين الذي كان يقع بشارع باب عزون وهذا يبين فعلا أهمية السوق في طبوغرافية المدينة ثم دار الصناعة بمحاذاة الميناء

---

[1]- ا بن عذاري، المصدر السابق،ج.11، ص.82

[2]- الرباط، المصدر السابق، ص.77

[3] – ENNASIRI, op.cit. p.56

[4] -BERQUE I, L'intérieur du maghreb, P.208

[5] – voir iconographies dans Esquer, Iconographie Historique de l'Algérie, T.I.

لما كان لها من دور في اقتصاد المدينة من خلال صناعة السفن التي كثرت أيام الموحدين نظرا للهجومات المسيحية من إسبانيا والنورمان وتطورت في العهد العثماني لاعتماد الدولة على التجارة البحرية.

وعلى غرار هذا التنظيم العمراني، أصبحت الحياة داخل أسوارها منتظمة أيضا وتمشي وفق ما تقتضيه وتفرضه الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها كمثيلاتها من المدن الإسلامية آنذاك. ثم لا نعرف عن تطورها العمراني شيئا، حتى سنة 688هـ/1289م حين يصفها العبدري بأنها "ذات منظر أنيق وسور معجز وثيق وأبواب محكمة العمل، يسرح النظر فيها حتى يمل وتستوقف بحسنها ناظر الناظر ويقف على جمالها خاطر الخاطر".[1]

فالمنظر الجميل والأنيق، لا تمثله سوى الدور الجميلة والقصور ربما التي اتخذها كبار الأثرياء لأن تجارة الذهب كانت رائجة، وكانت حقوق الرصد بها تعود بالفائدة الكبيرة على الآخذين بأمورها فيها. وكانت الطبقة الثرية تبني المنازل الفخمة وتقيم الجنان والحدائق المغروسة بمختلف الفواكه أو ما يسمى بالمساحات الخضراء. وعثر Devoulux على عقد ملكية يذكر "حارة الجنان" ما بين زنقة لالاهوم التي ظهر اسمها في القرن السابع الهجري/الثاني عشر ميلادي. ويبدو أن هذا الجزء من المدينة كان فعلا يطل على مساحة واسعة من الجنان أو الحدائق تسمى الضاحية أو الفحص ويرجح Devoulux أنها كانت تسمى باب الجنان لأن الباب الشمالية كانت توجد قبالة ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي[2] ويستدل على ذلك ، بالضريح نفسه لأن الأولياء الصالحين كانوا يدفنون عند أبواب المدن حيث يمر الناس وبالتالي يكونون محط زياراتهم العفوية. (لوحة 34)

وربما هذا صحيح، لقوله " أبواب محكمة العمل" وقد عرفنا أن باب الوادي (لوحة 35) كان يسمى في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، باب الفخارين نسبة إلى النشاط الممارس عنده وهذه من أصول العمران الإسلامي أن ينسب أي معلم إلى الحرفة الممارسة فيه، ثم باب عزون في الجهة الجنوبية للمدينة المطلة على السهل المتيجي. (لوحة 36) والذي كان

[1] - العبدري، المصدر السابق.

[2] – DEVOULX, Topographie, P.523

يسمى في العهد العثماني بالسمارين[1]وباب أخرى تسمى في أطلس بروان بباب Palma وينسبها Cresti إلى نخلة صغيرة كانت موجودة عند السور المطل على البحر جهة باب عزون [2] أي أين تقوم حمامات اليهود (مخطط2) بمعنى أنها كانت توجد في قطاع اليهود، مما يرجح أن اليهود كان لهم باب يدخلون منه ونسبوه إلى يهود ببالما الذي سمح لهم المجلس العام أو الحكومة سنة 1416م لكل يهود مملكة تلمسان بالاستقرار في بالما للتجارة، ولما طردوا من إسبانيا سنة 1492م عادوا إلى مملكة تلمسان واستقروا فيها نهائيا وهذه فترة كانت مدينة الجزائر تابعة لتلمسان، [3]فقد يكون نزح إليها جماعة من هؤلاء اليهود إليها.

ويذكر ابن خلدون ترجمة De Slane أن كلمة "عزون" جاءت من عز أعز يعز، أطلقها المهاجرون الإسبان.[4] أما D'Arvieux فينسبه إلى زعيم ثائر في المدينة لكنه لا يذكر التاريخ.[5] وربما زخرفت هذه الأبواب، بزخارف جميلة حتى أصبح النظر لا يرفع عنها أو اتخذت أبراجا للحراسة كعادة المدينة الإسلامية.(شكل9)

وكان القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي ، فترة الإنتعاش الثقافي بالمغرب بصفة عامة حيث نبغ وكذا بمدينة الجزائر علماء أجلاء تتلمذ على أيديهم فقهاء معروفون في التاريخ الإسلامي سواء في المغرب أو في الأندلس كابن الآبار وابن الخطيب.[6]

وهذا يعني أن للمدرسة في هذا الوقت، دور أيضا في إضفاء الأهمية للمدينة وإضفاء الجمال على عمرانها بطرازها المغربي الأندلسي كالمدرسة العيانية التي بناها المرينيون ثم بنى فوقها الأتراك فيما بعد جامعهم الجديد وتطور هذا الطراز الذي تطور مع توافد

الأندلسيين عليها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي من جراء الجلاء الذي أصابهم على يد الكاثوليك وكان فيهم المسلمون واليهود ذوي الخبرة الكبيرة في كل أنواع الفنون والحرف التي تركت بصماتها في معالم المدينة بصورة قوية وأدى هذا الإرتفاع السكاني، إلى إنشاء قطاعات سكينة جديدة تميز كل العرقيات التي استقرت بها، فكان للمسلمين الأندلسيين قطاعهم الخاص أو حارتهم ولليهود أيضا حارة وربما تأسست بيعتهم في القرن الخامس عشر بما أن ريياش وراشباش كانا قد أسسا محكمة

---

[1] – DEVOULX, op.cit, P.9

[2] -CRESTI, Iconographie, P.9

[3]- سعد الله، المرجع السابق، ص.166.

[4] – IBN KHALDOUN, Histoire des berbéres, trad. De Slane, T. III, p.350

[5]-D'Arvieux, op.cit. P.220

[6]- الغبريني (أحمد) ، عنوان الدراية فيمن عرف من علماء بجاية في المائة السابعة، تحقيق، رابح بونار، الجزائر 1981، ص.26

الحاخايات سنة 1392م [1] بمعنى، أن مدينة الجزائر عرفت ظاهرة الحارة منذ العصر الوسيط مثل فاس سنة 1438م ومراكش سنة 1557م ومكناس سنة 1682م خاصة وأهم وجدوا فيها الحماية والأمن والدليل على هذا، أنها توزعت في أيكونوغرافية بروان في نقاط مختلفة من المدينة ويسميها (Judeica) . تقع الأولى في بابالواد والثانية في باب عزون والثالثة في شارع حمامات اليهود. وهذا معناه أنهم تمركزوا في القطاعات الحساسة للمدينة حيث تكثر التجارات والأسواق، نظرا للدور الكبير الذي لعبوه في اقتصاديا منذ فترة مبكرة.

والظاهر أنها استكملت عمرانها في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي، باكتسابهم أهم الهياكل المدينة الحية للمدينة لأن حسن الوزان يذكر أن "أسوارها رائعة ومتينة جدا مبنية بالحجر الضخم فيه دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب، لكل حرفة، مكانها الخاص وبها عدد كبير من الفنادق والحمامات ويشاهد من جملة بناءاتها جامع ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر، أمامه ساحة جميلة جدا، اتخذت على سور المدينة ذاته ويحيط بالمدينة عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه ويمر قرب المدينة من الجهة الشرقية نهر نصبت عليه طاحونات ويزود السكان بالماء وفي الضواحي سهول جميلة جدا.[2]

يشير هذا النص إلى الأسوار التي يبدو أنها تضاعفت وأضيفت لها أبراج حقا لأن البرج هو زينة السور (لوحة37) كما أنها فترة الهجومات الإسبانية على سواحل البلاد الجزائرية. وبنيت بالحجر الضخم المتوفر في محاجر باب الوادي وبوزريعة وفي آثارها الرومانية أو الذي كان يجلب من شرشال وتامنفوست. أما الدور الجميلة، فربما لطابعها الموريسكي ذات السطوح المنحدرة والمائلة بالقرميد

الأخضر ويقول Berque أنها كانت تضاهي مدن الضفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسط كبلنسية

[1] – CHOURAQUI A, La Saga des juifs en Afrique du Nord, Hachette, Paris 1972, P.52

[2]- الوزان، المصدر السابق

وغرناطة بطرازها المعماري بسقوف منحدرة ذات القرميد الأخضر.[1]

ويذكر ديفولكس من خلال حفريات 1830 أن سقف مسجد الشواش الذي كان يتمركز بشارع البحرية سقف بالطريقة المحلية أي منحدرا ومغطى بالقرميد الأخضر.[2] وهذا دليل على طريقة التسقيف البربرية قبل العهد العثماني ودليل على ثراء أصحابها من التجار خاصة قبيلة الثعالبة التي كانت لها السيادة في الجهاد البحري في هذه الآونة إلى جانب تجارة القرصنة. غير أن الشيء المهم والأهم الذي نستخلصه من نصه، هو ان أسواقها فعلا خضعت لمبدأ التخصص والاختصاص، إذ لاحظ بنفسه بأن كل سوق يشغل حيزا معينا من المدينة . وه\ا يوحي بكثافة التجارة ووجود عرقيات أو جنسيات مختلفة، تؤكد كثرة الفنادق بها وأكيد أنها كانت للتجار الأجانب المسيحين خاصة، كتجار مايوركة وجنوة وتجار سبتة كذلك، فكثرة الحمامات والكوشات تبرر ذلك وتؤكد على أن مدينة الجزائر كانت تحترم القوانين التي سنت في وجود الفنادق بمدينة إسلامية، إذ كان لكل فندق حمام خاص وكوشة أو فرن. وقد سبق أن ذكرت في الفصل الأول، كيف ومتى ظهرت بها الفنادق وهي فندق الزيت، فندق العسل والفنادق الأخرى التي كانت تحمل أسماء الجنسيات المقيمة بها إلى جانب القيسارية والديوانة أو دار الجمارك التي كانت تدخل إليها يوميا ضرائب الإرساء والتجارة بالمدينة ودار السكة وبيت المال.

وبالإضافة إلى التجار الأوروبيين من مملكة الأرغوان والكتالون، كانت القوافل العربية ترتادها برا (من المشرق والمغرب) وتحط الرحال بها للذهاب إلى الندلس وحتى قوافل الحجاج المارين بها. وهذا يستلزم حتما بناء فنادق ووجد في العهد العثماني فندقا كان يسمى فندق المكاويين نسبة إلى أهل مكة، إذا فكثرتها بها، في عهد الوزان شيء مؤكد.

وأما الطاحونات التي نصبت على نهر أو واد المغاسل أو واد قريش الذي أخذت إسمه إحدى أبواب المدينة الغربية وهو باب الوادي، فكان لها دور أيضا في إضفاء الجمال على المدينة خاصة منها الهوائية وعددها يؤكد بتزايد السكان وبتعددهم، إذ أن كل جنسية كان لها الحق في طاحونة في فندقها أو خارجه موزعة في نقاط مختلفة من المدينة.

[1] – BERQUE , op.cit

[2] – DEVOLIULUX, Topographie, in. R.. Afr. 1875, P.52

وإلى هذا التاريخ، تبينت في مدينة الجزائر كل الملامح العمرانية واتخذت شكلها الثابت وأصبحت في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي كما يقول عنها الشيخ البلوي محيا صبيحا وترتيبا مليحا ومسجدا عتيقا وبناء أنيقا وأناسا قد سلكوا إلى الحسن والإحسان طريقة.[1]

فالترتيب المليح، لا أظنه يقصد به شيئا آخرا ما عدا تخصص الأسواق والطوائف وحرفها في قطاعات مميزة عن بعضها بصفة تنظيمية حتى لا يتيه الزائر فيها ويقتني حاجته بدون تعب و لا مشقة بمعنى التصنيف والاختصاص الدقيقين. مما أضفى عليها تنظيما جميلا عبر عليه بالمليح كما أضافت تلك الساحة الجميلة أيضا التي تقوم أمام المسجد وهي الفوروم الذي سبق الكلام عنه نوعا من الرونق على المدينة باتخاذها حوانيت للسلع الثمينة على جوانب أروقتها.

وفي العهد العثماني، كان توسعها العمراني أكثر وأكبر، إذ جاهد حكامها الباشوات والدايات لجعلها مملكة للمغرب العربي ككل، فكانت حركة البناء والتعمير مكملة ومستمرة طيلة فترتهم. وبنوا السور والخندق في نهاية نفس القرن على يد عراب أحمد ولقبت بالمحروسة[2] والتي نجدها عند المقري في بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي "حرست"[3]، نظرا للصفة الدفاعية التي أضفتها عليها أسوارها المتينة. ويحفظ المتحف الوطني كتابة تذكارية تخلد هذا الحدث الهام في حياتها العمرانية (لوحة38) لأنها عرفت في هذه الفترة هجومات مسيحية عديدة جعلت أمراءها يهتمون بتحصيناتها أولا وقبل كل شيء كبناء الحصون والأبراج والثكنات والقصور أيضا كمرحلة أولى يتوطد الأركان. وبدا الاهتمام بالجانب الاجتماعي والاقتصادي في فترة لاحقة، تبدأ من بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي .

نستدل بذلك، من خلال الوقفيات التي ذكرها Tal Shuval والتي تبين أن معظم أسواقها نشأ ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي وهو من أزهى وأزخر الفترات في حياة مدينة الجزائر، نظرا للتقدم والرفاهية والازدهار الذي عرفته لأنه بدأ الاهتمام بالحياة اليومية والمصلحة العامة ، إذ زالت نوعا ما المخاوف والهجومات وفتح الأندلس عيونهم على أمور أخرى كبناء المرافق العامة والمؤسسات ذات الخدمات الاجتماعية، أصبحت توقف مؤسسات تجارية كالأسواق والفنادق والحوانيت لصالح مباني دينية. وكثر بناء العيون في هذا القرن نظرا للجفاف الذي كانت تعرفه خلال فترات متفرقة من العام.

---

[1] - الشيخ البلوي، (خالد بن عيسى أبو البقاء)، "تاريخ المفرق بتحلية علماء المشرق"، مجلة الأصالة 1972، عددها8، ص.61

[2]- Les archives turques, Di wani Humayun Muhime Defteri, Registre n°22, 1981, P.130

[3] - المقري(أحمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ، المجلد السابع، ص.490

فهل نعتبر إذا، السواق التي ذكرتها وقفيات القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي، سابقة للعهد العثماني، بما أن هذه الفترة لم يهتم بها بالجانب الاجتماعي الاقتصادي؟
البحري في المدينة فإنهم بنوا بناية خاصة لذلك تسمى البادستان بما أنه ظاهرة عثمانية وأطلق عليه الجديد مقارنة بالقيسارية التي كانت تسمى بادستان وليس لبادستان كما يعتقد Tal Shuval .[1]

وبقي مصطلح القيسارية الذي نجده مذكورا في وقفية مؤرخة بسنة 1178هـ/1764م يطلق على الساغة فقط، بمعنى أنها كانت تحفظ فعلا التجارة الثمينة وهو الذهب، لذا فالقيسارية والبادستان، كانا يؤديان نفس الوظيفة وأخذ نفس التسمية وبالتالي كانت لهما نفس الهيئة المعمارية. وبعد الساغة، نجد سوق الحرارين الذي كان يقع في نفس الشارع(البحرية) قبالة المسجد الجامع ويبدو أنه كان فندقا لأن هناك وقفية بتاريخ 1216هـ/181م "تذكر جلسة حانوت كائنة بالعلوي الكبير المعدة لصنعة الحراير الرابعة على يسار الصاعد للطبقة الوسطى من جبهة الشمال". والعلوي، يقصد به في مدينة الجزائر بناء له طابق أو طوابق عليا ويطلق عموما على الفنادق وكلمة كبير تعني أن له فعلا عدة طوابق وعدة حوانيت ويؤكد هذا، كلمة الطبقة الوسطى، فنستنتج أن له ثلاث طوابق ويبدو أنها كلها معدة لصناعة نسيج الحرير. وبالقرب منه كان يوجد مقهى صغيرا يسمى قهوة زفزفانو بمعنى الحرير الغير مسبوغ كما كان يسمى أيضا القهوة الصغيرة أو قهوة الحصارين أو قهوة الرصايصية قبالة الجامع الجديد.[2]

ويجاور هذا المقهى، سوق الخام على شارع البحرية دائما، فهل ينطبق على الحرير الغير المسبوغ؟ أم على الذهب الغير مشكل؟ لا نملك وثيقة ترفع هذا اللبس، لكن تموضع الحرارين في هذه النقطة، ربما له دلالته، ليكون قريبا من مصدر اقتناء المادة الولية وهي القماش الذي كانت تحفظه القيسارية، كما أنه سوق قريب من الميناء، إما لتصدير المنتوج المصنوع من الحرير أو لتوريده ونحن نعلم أن الديوانية غير بعيدة إذ تقع عند بداية شارع البحرية على اليمين.

وداخل المثلث الذي تشكله المساجد الثلاثة، الجامع الكبير والجامع الجديد ومسجد السيدة تتوزع أسواق الرصايصية والفراغين والنحاسين وهي حرف مربحة ومكسبة جدا، قامت حيث يكثر تجمع الناس.

---

[1] – SHUVAL, op.cit. P.180

[2] – DEVOULX, op.cit. P.162

أما السباغين فكانوا يقومون أيضا أمام ساحة الجنينة وراء القيسارية وهو سوق قديم تذكره إحدى الوقفيات المؤرخة بسنة 980هـ/1572م[1] وتموضعها هذا موضوعي أيضا لوجود النساجين أو الحرارين والأسواق التي تمونه كالقيسارية. وتحته كان يقوم سوق المقايسية مقابلا لمسجد المقايسية ومسجد القيسارية. وأما سوق الغزل فكان يقع تحت بيت المال مطلا على زنقة القيسارية، لما للهيئتين من ترابط وخدمات مشتركة.

وأما سوق الذوابة، فكان يقوم عند سوق البشماقجية الذي كان يسمى بالإسكافية وكان له درب على الشماعين، قبالة مسجد السيدة ونجده عند كلاين Klein ، يجاور البادستان على شارع عنقني(Rue de Bougie) وعند أودال Eduel يسمى البشماقجية وينطلق من القهوة الكبيرة حتى بيت المال والفوارة(مخطط10) في حين نجده عند اماريت Emerit ما بين البادستان والشماعين(مخطط11) أما حسب ديفولكس Devoulx فيربط بين القيسارية نفسها البشماقجية.[2]

ولوجود سوق الشمع الذي يمتد من شارع باب الوادي إلى البشماقجية محاذيا مسجد السيدة، دلالته الاجتماعية والاقتصادية أيضا. فالشمع مهمته الإضاءة أولا، ويستعمل أيضا في المناسبات، فمنه الشموع الموكبية التي كانت تخصص في المواكب الرسمية ومنه الشموع الفانوسية كما كان يستعمل أيضا في المناسبات الدينية، سواء للمسلمين أو لأهل الذمة(اليهود). [3] ونلاحظ في مخطط مدينة الجزائر،(مخطط3) أن سوق الشمع يتمركز بالقرب من الجنينة أو دار السلطان لأن تجارته كانت من احتكار الدولة، إذ كانت تصدره عن طريق اليهود الذين كانوا يدفعون عنه اللزمة للسلطان،[4] فقربه به دار السلطان والميناء، لسهولة نقله وتصديره ، كما أن إحدى حارات اليهود تقع في باب الوادي غير بعيدة عن هذا السوق وهو تمركز يشابه تمركز سوق الشمع بالقاهرة.[5]

---

[1] – SHUVAL, op.cit. Annexe
[2] – DEVOULX, op.cit. P.161

[3] - حجي(ناصر) ، أسواق القاهرة، في القرنيين التاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، ص.106-107
[4]- نفسه
[5]- نفسه

وبمحاذاة الشماعين، نجد سوق البلاغجية الذي كانت تصنع فيه أحذية القضاة والمدرسين في المساجد وتصنع فيه البابوشات أيضا للشخصيات المميزة،[2]لذا كان موضعه في شارع باب الواد، قبالة الجنينة وغير بعيد عن القيسارية ومدرستها، وينحصر بين مسجد الشماعين وجامع الشواش. ونزولا إلى البحر تحت الجامع الجديد، نجد كل من سوق الحواتين وهذا طبيعي لقربهم من البحر إلى جانب الجقماقجية، لقربهم أيضا من دار الصناعة.

كما كانت تتواجد بهذا القطاع، أي مركز البحرية أو تريق باب الدوزيرة، فنادق مختصة كفندق الجمارك لموظفي الدويوانية (لوحة39) ثم فندق البورصة أو القهوة الكبيرة ويبدو أنه هو الفندق الذي كان ينزل به المسافرون و التجار الأجانب مباشرة لقربه من مركز المدينة ومن الديوانية.

وأما دار السكة وبيت المال، فكان تموضعها في القطاع العلوي، ما بين الجنينة والقيسارية، إذ تلاصق دار السكة دار عزيزة. ويقع بيت المال في حي المثقفين، أي بين مسجد السيدة وامسيد القيسارية حتى يكون في مأمن تام وحيث يضفو على هذا المكان البركة والعلم. وتظهر دار السكة جليا في المخططات السابقة الذكر، فبينما يمركزها Eudel تحت ساحة القوافل وملاصقة لدار عزيزة عند بداية شارغي باب عزون وباب الواد أي في ساحة الجنينية،(مخطط10) يمركزها أماريت Emerit في الركن الجنوبي لبناية لا يسميها وهي بالتأكيد دار السلطان عند ساحة القوافل،(مخطط11) . أما Philibert فيمركزها بالقرب من دار الداي ،(مخطط12)، أي أسفل دار عزيزة التي يموضعها أعلى الدار السلطان. ويبدو أنه انتقال من موضعها لأن زنقة الصراف التي ظهرت في ايكونوغرافية بروان ويسميها هاكليوتHakluyt بسوق اليهود[3] كانت تقع على شارع باب عزون في موضع السراجين (René Caillé) وهو موضع حارة اليهود وبيعتهم التي تسمى في المخططات حارة اليهود وعموما يقصد بلفظ الصراف، السكة والمالية كما كان الحال في جنوة بإيطاليا Rue des Banquiers[4] خاصة وأن تجار جنوة كانت لهم تجارة كبيرة بالمدينة فقد يكون هذا تأثير وتقليد للمدن الإيطالية.

---

[2] – DEVOULX, op.cit.
[3] – HAKLUYT, the principal navigations, P.121
[4] – DAY, Les Douanes des Gênes, P.III

وربما كان هؤلاء التجار يهودا لأن في نفس القطاع سمي شارع (Saint-Louis) بزنقة الفورنية وهي ما كان يطلق عليها حمامات اليهود وذلك في القرن الثامن عشر مما يوحي بوجودهم القديم. ويوجد دليل آخر يؤكد انتقال دار السكة وهو ما ذكره Feraud بأن حكومة الديوان هدمت دار السكة وارجعتها مخزنا للروز(الأرز).[1]وبالفعل نجد في نفس هذا القطاع فوق زنقة الفورنية، فندقا يسمى فندق الروز ودليل آخر هو ما سماها Wolfgang بدار تجارة الأتراك[2] وأجهزة كهذه كان لا يعمل فيها سوى التراك وأعيان الحكومة وتال شوفال Shuval يذكر لنا أن دار السكة كان يعمل بها اليهود،[3] مما يرجح القول بأن دار السكة كانت تقع فعلا في شارع باب عزون قبل العهد العثماني أي حينما كان اليهود يتصرفون في المدينة بحرية تامة وذلك في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلاديين حيث كانت تجارة الرقيق والدهب والقمح تجري على أيديهم مع دول البحر المتوسط وإفريقيا أو وسطاء بارعين وربما كانت لهم في مدينة الجزائر صلاحيات كثيرة لأن هذه الفترة بلغ نفوذهم في كل المدن المتواجدين فيها كتلمسان ومنطقة توات وغيرها مما أثار عليهم بغض المجتمع ونبوذه وأرجح أنهم زادوا تدفقا على مدينة الجزائرواشتغلوا فيها في القطاعات التجارية الحساسة منها دار السكة التي اشتغلوا فيها كثيرا وذلك عندما أقهرهم سكان منطقة توات خاصة على يد الشيخ النغيلي الذي اتبعهم حتى مدينة الجزائر وتلمسان.[4] وبعد مجيء العثمانيين نقلوها إلى مركز المدينة.

وننتقل إلى الأسواق التي بدأ أهميتها تقل ابتداء من موقع الديوان عند بداية شارع باب عزون. في ساحة الديوان، تقوم بعض تجارات الخضر والفواكه وكان فيها سوق يسمى "بازار الكرموس" الذي سبق الكلام عنه وبالفعل، فقد يكون خان القوافل بمدينة الجزائر لأنه من خلال الصورة أنه فعلا منتدى اجتماعيا يصخب بالحياة كما يقول ثروت عكاشة[5]

---

(1) FERAUD, C « Ephémérides d’un secrétaire officiel sous la domination turque à Alger de 1775 à 1805 » , in, R.afr. T. 18, 1874, P.299

(2) – PHILIBERT, Alger, une perspective cavalière, P.7

(3) – SHUVAL, op.cit. P.299

(4)– سعد الله، المرجع السابق، ص.74.

(5)- عكاشة، المرجع السابق

وتحت الديوان مباشرة، كن يوجد سوق البابوشية الذين يتمركزون أيضا في سوق لشباغلية (Couronne) الذي يكره وقف بتاريخ 947هـ/1542م وانه كان يسمى بسوق الرقاقين[1] وهم صانعو قرب الماء. إنها فترة مبكرة جدا وفترة حملة شارلكان، لا يمكن للسلطة العثمانية أن تفكر في بناء سوق أو تخطيط شارع في هذه الآونة، مما يرجح القول أنه سابق للعهد العثماني، لكن إن صح تفسير الرقاقين بصانعي قرب الماء، فهذا ربما له دلالته أيضا. فالعيون فعلا كانت كثيرة بالمدينة، لكن كانت موزعة ربما في نقاط متباعدة، مقارنة مع القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي، فكان التموين منها عن طريق القرب وهي وسيلة التبريد آنذاك أيضا وهي قرب مصنوعة من جلد الماعز أو Maroquin لأنها جلود غير مسامية وتعزل الحرارة. وتموضع هذا السوق، في هذه النقطة لأنه يجاور كتشاوة وهي رحبة الماعز بمعنى الإقتناء كان سهل وقريب من المادة الأولية وهي جلد الماعز، كما نجد أيضا الدباغين الذين كان سوقهم يطل على الشياغلية. فهذا تكامل وظيفي فعلا وتمركز هؤلاء أيضا يسهل لهم عملية التموين بمادة الجلود من دار اللحم التي تجاورهم في السوق الجديد. ويذكر Devoulx ان سوق الدباغين كان عبارة عن فندق صغير يسبغون فيه كل أنواع الجلود بالأسود والحمر والبنفسجي وهي حرفة مربحة ومكسبة جدا.[2]وتمركزه (الدباغين) داخل النسيج العمراني يقضي على إحدى المعايير العمرانية المفروضة في تمركز أسواق كهذه، خارج الأسوار، لكن الأسباب التي ذكرتها فرضت هذا التموضع ثم أن صناعة وتجارة الجلود كانت تحتكرها الدولة.[3] وتسميها بعض المخططات دار الدباغة العربية لأن دار الدباغة التركية تقع خارج الأسواركما يفرضه النظام العمراني، فهل نفهم من هذا، أنها أقيمت في فترة مبكرة جدا من العصر الوسيط؟ حيث كانت مدينة الجزائر مشهورة بانتاجها الحيواني كالبقر والغنم وحتى الماعز كما تدل عليه رحبته وكانت تصنع من جلودها صناعات حرفية عديدة، تدل عليها أسواق الشباغلية والاسكافية والبابوشية والبشماقجية والبلغاجية...الخ وقامت ربما، كانت مساحة المدينة شاغرة.

---

[1] – DEVOULX, op.cit., P.198

[2] – Ibid.

[3] – Ibid.

إذن، يعتبر هذا التمركز مؤشرا أيضا بتويع عمران المدينة لأن عملية الدباغة تتطلب التويب التي تستوجب هي الأخرى وجود خدمات مساعدة قريبة كالمسلخ للتزويد بالجلود والمياه.[1] ويذكر Raveau أن سوق الماشية كان يوجد خارج باب عزون.[2]كما يذكره وقف مؤرخ بسنة 1179هـ/1765م يذكر وجود "مذبح الغنم بباب عزون بحيث لا يفرغ الماء من هذا السبيل أبدا مهما امتلأ فيرجع إلى موضوعه وهكذا لا يبطل ماء السبيل ولا يفرغ مدة الأيام والليالي لذلك من حد وحق منتفع سنة 1179هـ. "ويؤكد ذلك أيضا D'Arvieux الذي يذكر أن سوق اللحم يقوم خارج باب عزون لأنه يجلب من الريف والعرب الذين يبيعونه يقيمون في هذه الناحية.[3]

وهذا صحيح بما ان الوقف يذكر وجود فندق مقابل مذبح الغنم. فهل هذا اتفاق بين الدباغين والقصابين؟ ربما لأن من عادة القصابين أنهم يتفقون مع الدباغين في تموين أسواقهم بما يحتاجونه من مادة أولية بالتراضي وتسمى اللزمة وبشروط دقيقة إذ وجب وزن الجلود بعد ساعات قليلة من ذبح الماشية بطريقة تجعلها تجف بسرعة، ثم يقتنون الماء عن طريق الأحمرة والبغال، [4]إذن فتجاورهما موضوعي ومعقول.

ومن الشباغلية، ندخل السوق الجديد ويذكر ديفولاكس أنه سمي كذلك لأنه جدد كليا وأعيد تجديد حوانيته لأنه كان يسمى سوق الدخان[5] وهذا أمر غريب جدا لأن الدخان لسنا نعرف ما المقصود به؟ وبما أنه مادة وسخة، لماذا يتمركز داخل النسيج العمراني؟ ثم يبدو أنه كان يقع في صاباط حسب وقف رقم 49 بتاريخ 1178هـ/1764م الذي يذكر "دكان قبلة باب القيسارية لتوسعة الطريق لكافة المسلمين الثالثة على يمين الداخل لسوق الدخان القديم استأجر بناءه الأمين الطاهر بن محمد وفقه الله بصاباط هناك. "إذا، لماذا سمي بسوق الدخان بما أن الوقف لا يذكر مادة البيع داخل هذا الحانوت و لا هذا السوق. هل لأنه كان يجاور الأفران؟ أو لأنه كان يتوسط الدباغين الذين عند توظيبهم الجلود كان الدخان يخرج منها؟ أو ربما كان الشواؤون يقومون في هذا السوق

---

[1]- نقادي، المرجع السابق، ص.166

[2] – Ravereau, La Casbah d'Alger, P.36

[3] – D'ARVIEUX, op.cit., P.219

[4] – JOLY, « La Tannerie indigène à Constantine » in R.M.M.M. T.VII, 1909, P218.

[5] – DEVOULX, op.cit., P.159

لأنها حرفة كانت نشيطة جدا وتقوم وسط الأسواق والأحياء، خاصة وأن هناك فندقا يسمى فندق السوق الجديد يقع في هذا السوق ومن عادة النزلاء أن يطهوا طعامهم بأنفسهم تحت الأروقة[1] وهذا ما يذكره روزي Rozet عن فندق الزيت بمدينة الجزائر. لهذا، قد يكون سمي بالجديد للوظيفة الجديدة وليس لتحديد حوانتيه استلالا بما يذكره الوقف بأنه يسمى سوق الخان القديم بمعنى هذا السوق الجديد سوق الدخان قديما.

وفوق السوق الجديد، كان يوجد سوق اللوح الذي يذكره وقف بتناريخ 1122هـ/1710م وكان مقابلا لقصر الجنينة، في حين سوق الخراطين عند مسجد خيضر باشا حسب مخطط Devoulx وموضعه كل من Emerit و Eudel تحت المقايسية والأصوب هو كما موضعه Devoulx لأن وقف رقم 39 بتاريخ 1191هـ/1777م يذكر أن "جلسة حانوت كاينة بسوق الخراطين معدة لبيع العطرية اللاصقة بحانوت السيد محمد بوشلاغم الخراط أسفل مسجد خيضر باشا" إلا إذا كان يقصد به الخراطين على العاج وعلى مواد أخرى غير الخشب. ثم نجد أربع أسواق متتالية وكأنها بنموضعها هذا، تفرض أقدميتها كسوق السمن فوق السوق الجديد ويحاذيه سوق اللحامين حتى الديوان وسوق الكتان فوق سوق السمن ثم مخزن القمح في درب جيني (Jenné) عند الديوان.

إنها حرف وتجارات قامت في المدينة منذ فترة مبكرة أيضا والدليل، هو تمركزها وسط المدينة، حينما كانت المدينة بها الفضاءات فسيحة. وهناك وقفين بتاريخ 978هـ/1570م يخصان سوق الجزارين وسوق السمن الذي يذكره وقف آخر رقم 12 بتاريخ 1219 بأن "جلسة حانوت كاينة بسوق السمن الأولى على يمين الصاعد للسوق المذكور من سوق الماشية المذكور معه في الرسم." فهذا يبين ترابط وظيفة هذين السوقين وتكاملهما في العملية التجارية ويؤكد على تجاورهما في الموضع منذ فترة مبكرة.

[1]- عكاشة ، المرجع السابق

أما سوق الكتان فهو أقدم حسب وقف 9569هـ/1559م ونعلم أن منطقة متيجة كانت تصدره في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي[1] عن طريق ميناء مدينة الجزائر كما جاء في التحليل التاريخي، لكن السؤال هنا هو لماذا لم يتمركز بالقرب من القيسارية وهي التي تحفظ كل أنواع الأقمشة؟ فهل هذا انتقال للسوق عندما غزت المنتجات الأوروبية والمشرقية من الحرير والقماش...الخ، السوق المحلي، فكانت القيسارية لا تحفظ إلا الأقمشة المسنوردة؟ ربما لأنه كان يجاور الخياطين اليهود على درب البوزا جنوب سوق اللوح، ليسهل عليهم عملية الاقتناء والنقل.

وأما عن مخزن القمح، فهو نفسه مخزن الزرع الذي يذكره Devoulx ويقع في درب تيرالي. [1]
وهذا انتقال مؤكد أمام الجنينة لأن الحكومة آنذاك تحتكر انتاجه وتصديره ولأن الخابيات التي عثر عليها في شارع كوشة البطحاء(La Licorne) جهة البحر كما سبق ذكره والتي تعود إلى الفترة الرومانية، يرجح Leglay أنها قد تكون مخزنا للقمح، [2] خاصة وأن الرحبة القديمة تقع غير بعيدة بشارع سيدي علي الفاسي(Rue de la traversière) . فانتقالها يؤشر على احتكار الدولة وعلى تجاورها لمخزن العشور الذي يقع بشارع الجنينة وتحطم سنة 1271هـ/1854م ويبدو أنه قديم النشأة لأن كتابة تذكارية تركية محفوظة بالمتحف الوطني للآثار[3] تذكر أن محمد باشا أمر بترميم سقف مخزن العشور وتوطيد ساسه وجعل هذه العملية تحت المراقبة الشديدة، ليكون مخزنا للقمح والشعير لأن العبارة التركية "تجديد لباس" تعني ترميم بالعربية.[4] (لوحة40) وتعني كلمة العشور ضريبة كانت تجبى على الحبوب وكانت تفرض على الناس جميعا وكانت تحفظ في مخزن كبير خاص، يسمى مخزن العشور نسبة إليها.[5] ومن خلال كتابة تذكارية أخرى باللغة العربية محفوظة بنفس المتحف(لوحة41) استطعت معرفة أن مخزن القمح أنشئ سنة 1080هـ التي توافق سنة 1669-1670م.[6] إذن، فوجود الرحبة القديمة ومخزن القمح متقاربين، تجعلنا نرجح أنهما سابقين للعهد العثماني لأن القمح بدأت تصدره المدينة في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي أو انه بني مع بداية القرن العاشرالهجري/السادس عشر ميلادي .

أما سوق الكساكسية، فكان يقوم في سوق السمن لسوق العقارين وسوق خضاري سوق السمن، إنه فعلا تسلسل وظيفي محكم لاحتياج كل واحد منهم للأخر وهي صورة ناطقة لتحضير وجبة الطعام المغربية المعروفة وهي الكسكسي المشهور وتحضيره كان يتطلب السمن واللحم

---

(1) - ابن حوقل، المصدر السابق ، ص.85

(1) – DEVOULX, op.cit., P.160
(2) – LEGLAY, op.cit., PP.250-251
(3) – COLING, op.cit., PP 250-251
(4) - بن كردة زهية، الكتابات التذكارية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار، مذكرة ليسانس، جامعة الجزائر، 1986ص.66
(5) – DE PARADIS V, « Alger au XVIIIeme siècle » in. R. Afr, 1986, P.270
(6) – COLING, op.cit., ins.n. 171, P 250

والعقاقير والخضر كمواد أساسية في طبخه فكأن هذا التوزيع وضع تسهيلا للمرأة على اقتناء الغذاء اليومي ووجبة الوليمات الكبرى في البلاد الجزائرية. وحتى لا تقضي وقتا طويلا في الشارع، فإن سوق الملح يقع القرب القريب في شارع سبع لويات(Rue Sainte) وهوحي اليهود الذين كانوا يتاجرون بالملح في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي من منطقة توات إلى مدينة الجزائر وتحاذي هذا السوق زنقة الفورنية(يهود ليفورن بإيطاليا).

ويتوسط هذه الأسواق كلها، السوق الكبير الذي سمي في القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي بسوق الملاحين وينسبه Devoulx و Shuval إلى الملح قائم بالجوار في شارع القديسة (La sainte) بل نسبة إلى الملاح اليهودي، مقارنة مع فاس التي شهدت انتفاضة اليهود سنة 1438م وسميت الحارة منذ ذلك الوقت بالملاح.[1] وسبق وأن ذكرت أن اليهود استقروا فيها منذ زمن قديم وتعزز استقرارهم فيها بمجيء اليهود الاسبان منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي وكانت بيعتهم قد تأسست في هذا الشارع بالذات لويات(Sainte) مما يؤكد أن الملاحين يعود على اليهود وليس على الملح.

ويذكر لنا Devoulx في سنة 1805م وقعت انتفاضة اسرائلية أيام حكم مصطفى باشا.[2] فقد تكون تسمية الملاحين متأخرة أي تعود إلى القرن التاسع عشر ميلادي فقط لأنه كان يسمى في القرن السابع عشر ميلادي بسوق القبايل ثم السوق الكبير في نفس القرن.[3] وتضاحيه أيضا زنقة الفورنية، فلهذا سمي بحي اليهود وهذا دليل آخر على قيام دار السكة ها هنا وعلى أن زنقة الصراف تنطبق عليها فعلا لأن موضعها هو حارتهم وانتقالها موقف مبرر هو خوف السلطات آنذاك من اليهود على الاستحواذ عليها.

وبين زنقة البوزا وزنقة الفورنية، كانت توجد دار اللحم وهي عبارة عن فندق صغير أو دار ذات طابق أرضي يملكه اليهود وفيه المذبح وكان يجاور سوق الزيت والخرازين. ويقابل زنقة الفورنية فندق الزيت

[1] – AYOUN, Les Juifs d'Algérie, P.75
[2] – DEVOULX, op.cit., P.143
[3] – Ibid. P.160

في شارع أو زنقة الجرابة ويبدو أنه قديم بالمدينة حسب وقف مؤرخ بسنة 996هـ/1587م.[1] لكن السؤال المطروح هو لماذا وجد فندق الزيت في حارة اليهود؟ فهو تجارة قديمة بالمدينة، كان أهل سبة يبيعونه في مدينة الجزائر، هل كان هؤلاء التجار يهودا؟ ربما لأن حسب التحليل التاريخي لاقتصاد المدينة، كان اليهود ذوي نشاط تجاري واقتصادي كبير بها ابتداء من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي.

على كل، هو فندق تقوم فيه تجارات مختلفة كحرفة السباغة والنسج.[2] (لوحة18) لكن يبدو أنه فقد خاصيته الرئيسية وهي بيع الزيت، بما أن الحرارين يحترفون في صنعتهم وأسفله، يقوم سوق الزيت، فهل يبيت فيه تجار الزيت فقط، أم أنه فعلا فقد اختصاصه أو أنها عملية تكثيف التجارة به فقط أيضا.؟

وفي شارع حمام العرصة(Chartres). كان يقوم سوق الكبابطية وهم صانعو المعاطف الذي كان يسمى في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي بالحلفاويين، [3] غير أن عقد ملكية بتاريخ 1240هـ/1824م يذكر "أن حومة الكبابطية المعروفة في القديم بدار نجام" فهل يقصد بها اللجام وهي عدة الفرس أم كلمة أخرى؟ إذا كان الأول صحيحا، فتمركزهم في هذه النقطة، يجعلهم يقتربون من باب المدينة حيث تدخل الدواب. وهناك عقد آخر يذكر هذا السوق بتاريخ 1091هـ/19680م.

وبعد سوق السراجين وهي الحرفة التي كان يقوم بها الأندلسيون خاصة وأكبر العائلات آنذاك، ينتهي التسلسل الوظيفي للأسواق التي تعتبر أكثر خطوة في السلم الحرفي، لكن لماذا تمركز السراجون في هذا الموضع القريب من أسواق الحرف الثقيلة؟ ربما تجمعوا وسط الأسواق الممونة كالدباغين وسوق الماشية فيقتربون بذلك من الباب ومن التماخين صانعي التماغ أو أحذية الفرسان.

وتتسلسل بعد هذه الأسواق، أسواق تعتبر في نظام التسلسل الحر في ربما مزرية وهي سوق الدكير وسوق القزادرية وسوق الصفارين، وتجاورهم هذا للحاجة إلى بعضهم البعض في المادة الأولية من الحديد والدكير والنحاس.

[1] – SHUVAL, op.cit, annexe
[2] – DEVOULX, op.cit., P.149
[3] – DEVOULX, op.cit., P.143

ومع اقترابنا إلى باب عزون، نجد سوق القنداقجية في شارع القفطان (Rue du cafetan) وهذا أمر غريب أيضا لأنه سوق تصنع فيه الأسلحة لحساب الداي فكيف يبتعد عن مركز المدينة وعن القجماقجية الذين كان يقعسوقهم عند سوق الحواتين وكانوا يصنعون نفس الأدوات أو نفس الأسلحة من السيوف واليطاقان....الخ. وقبالتهم كانت سويقة غمور تقوم في شارع حمام العرصة على هيئة قبو. ولا نزولا إلى زنقة الحوا(Rue de l'aigle) نجد فندق العزارة الذي كان ينشط فيه أهل تلمسان صانعي الزربية والأحزمة ومنتوجات أخرى. وعند شارع حمام حمزة خوجة(Laurier) يقوم سوق الفواكه ويقابله الخضارين الذين كان سوقهم عند الثكنتين الانكشاريتين العليا والسفلى.

وأما السمارين والحدادين فكانوا يقومون عند مدخل المدينة لإبعاد ضجيج حرفيتهم ولتسهيل عملية نقل المواد الأولية التي كان يصعب شحنها إلى داخل المدينة لثقلها وهناك وقفين يذكرهما : فالسمارين وقف 978هـ/1570م والحدادين 987هـ/18579م[1] فهل هما سابقان للعهد العثماني؟ لأن تمركزهما موضوعي جدا، نظرا للقوافل البرية التي كانت تأتي إلى المدينة وكانت تركب دوابا مختلفة ومنها الجمال كما نلاحظه في لوحة 41 وكما يذكر ذلك دارفيو وروزي عن خان القوافل الذي كان يوجد خارج باب عزون[2] غير بعيدا من الأسوار، فكانت هذه الدواب بحاجة إلى الصفيحات وإلى معالجة بيطرية يقوم بها السمارون أنفسهم.

ويذكر Doutté في هذا الصدد، أن الحدادين كانوا يكونون في المعتقدات الشعبية للحضارات القديمة، طبقة معزولة وفي بعض الأحيان يؤله العامل بالحديد أو يعتبر طبيبا وأحيانا أخرى ينظر إليه بإزدراء على أساس أنه ساحر أو كاهن لأن الجديد في حد ذاته كان يعتبر شيئا محظورا(tabou) في مناسبة دينية أو تسحيرية. كما كان يعتقد أنه يبعد الأرواح الشريرة، فماتخذ كرمز للطهارة بالنسبة للبعض، لذا نجد صفيحة الفرس مستعملة بكثرة في شمال إفريقيا لأنها رمز

(1) – SHUVAL, op.cit , annexe
(2) – ROZET, op.cit , P.66

السعادة. (porte bonheur) ولهذه الأسباب كلها أن نجد الحدادين كانوا مهابين من طرف المجتمع وأحيانا محنقرون إذ كانوا يسمون بالجزائر ببني نياط.[1]

وأما عن رحبة القمح وفندق العسل وفندق رحبة الشعير، فكانت تتمركز كلها يسار باب عزون وهذا طبيعي، لكن وكما ذكرت سابقا، كانت هناك رحبة تقع في شارع سيدي علي الناس تسمى الرحبة القديمة. وللأسباب السابق ذكرها انتقلت ربما إحدى أبواب المدينة كمؤشر بتوسع المدينة، غير أن الرحبة لم يوضحوا إن كانت مخصصة للقمح أو للشعير بما ان رحبة باب عزون مخصصة للقمح وحده فقط فهل نفهم أن الرحبة القديمة مخصصة للشعير؟ مما يبين الاختصاص الشديد في الأسواق ولأن الشعير كانت تصدره المدينة منذ فترة مبكرة(القرن 4هـ/10م) أما القمح ابتداء من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي. إذن لم يحصل انتقال بل اكتساب جديد في الفضاء الاقتصادي وفي منتوج جديد خاصة أن هناك وقف يذكر رحبة القمح سنة 947هـ/1542م[2] أي بعد غارة شارلكان بعام واحد فقط.

وبين هذه الرحبات، كان يقوم سوق القبايل الذين كانوا يبيعون فيه الصابون الذي كانوا ينتجونه في جبالهم لكن تمركزهم وسط سوقين هامين له دلالته، ثم أن سوقهم كان يتمركز في السوق الكبير،فلماذا هذا الانتقال؟ ربما لأنهم يجاورون اليهود ونفروا منهم لأن هؤلاء متفوقون في التجارة من جهة أو حتى يسهل عليهم اقتناء هاتين المادتين الأساسيتين في المعيشة آنذاك وهو القمح والشعير باعتبارهما منتوجان منعدمان في بلاد القبائل من جهة أخرى، خاصة وأن في رحبة الشعير كان يوجد فندقا، لنزلوا فيه، فكانت كل الشروط متوفرة لإقامة سوقهم ها هنا وربما تاريخ الوقفية التي تذكر هذا السوق سنة 1712م يدعو هذا التحليل.

---

[1] – DOUTTE E, Magie et religion en Afrique du nord, Alger 1908, P.42
[2] –SHUVAL, op.cit. annexe

كما أن هناك رحبة وجب الكلام عنها وهي رحبة الفحم التي يذكرها وقف مؤرخ سنة 954هـ/1547-1548م[1] على أساس تقع داخل المدينة، لكن لا نعرف موقعها بالضبط، ولماذا الفحم يقوم داخل النسيج العمراني عكس المعايير الطبيعية المفروضة في العمران لأنه مادة وسخة، هذا أيضا يدعو للإستغراب وحسب الوقف، فإنه قديم جدّا وربما سابق للأسواق الأساسية الأخرى وقد رأينا في اقتصاد المدينة أن الفحم لم يكن منتوجا للمدينة ولم يدخل في تجاراتها، فكيف اكتسبته إذن؟ كما يؤكد وجوده في شارع باب عزون وقف آخر يذكر حانوت يقوم داخل المدينة يحده من الشمال رحبة الفحم ومن الشرق طريق الشارع حيث ينفتح باب عزون وحيث يقوم فندق رحبة الشعير وفندق الروز وفندق العزارة، فهل يقصد بداخل المدينة هذا الموضع نفسه، ربما لأنها انتقلت فيما بعد خارج الأسوار في مكان المسرح الوطني حاليا.[2] أمّا دار النحاس والسرايرية، فكانا يقومان عند ناحية باب الواد.

وبضواحي المدينة، كانت تكثر المنتجات الزراعية الريفية، بحيث نجد سوق الماشية في موضع فندق السفير حاليا ويقابله سوق الفحم،[3] حسب الوقفية السابقة الذكر. وحسب الشروط الطبيعية المنصوص عليها في توزيع أسواق كهذه خارج الأسوار.

ففي ضاحية باب الوادي، كانت توجد مقالع الحجر والجير والصناعات الفخارية وهذا منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي وتذكر رواية شعبية عن سيدي بوقدور الذي سمي كذلك لأنه كان يرمي بالقدور التي كان يصنعها،في البحر عندما هاجم الإسبان مدينة الجزائر.[4] رغم أننا لا نجد سوقا يذكر بهذا الإسم ولا وقفيات.

ونجد أفران الجير أيضا بضاحية باب عزون وهي ما يسميها براون La calcara، لكنه يموضعها ناحية باب الوادي حيث كانت توجد مصانع الآجر. أما الأفران العامة البسيطة فكانت تتوزع في نقاط مختلفة داخل النسيج العمراني لتلبية حاجيات السكان بسرعة وعن قرب وكثرتها توحي بكثرة الجنسيات التي كانت تكتري واحدة منها وحدها. وأما الطواحين الهوائية فكانت تتواجد فوق مرتفعات الثغريين عند أعالي القصبة.

---

(1) Ibid.

(2) أنظر المخطط الكبي رقم 1

(3) RAVEREAU, La Casba d'Alger, p. 36

(4) ALGERIA. 1949.

وهناك أسواق صغيرة تتفكك داخل الأحياء أو الحارات على شكل سويقات مكونة من عدد محدود من الحوانيت، كانت تلبي حاجيات السكان أو ما يسمى بالاكتفاء الذاتي دون أن يضطروا للخروج إلى السوق العام. ومنها سويقة عمور التي كانت تقع في شارع حمام العرصة وسويقة باب الوادي في حي باب الوادي نفسه باعتبار الحي وحدة تجارية تسمح لعدد معين من الباعة المتجولين بممارسة تجارتهم فيها ومنعت آخرين بالدخول إليها. وبما أن مجموعة الحوانيت هي السويقة فكانت حوانيت كثيرة تتوزع بالمدينة العليا كحوانيت الزيان في أعالي القصبة وحوانيت بابا أحمد القسنطيني وحوانيت شلبي بنفس الحي. أما حوانيت سيدي محمد الشريف وسيدي عبد الله فكانت تتمركز بالقصبة السفلى. وهذا يبين التوزيع العادل لهذا النوع من الأسواق داخل الأحياء السكنية حتى لا يضطر السكان إلى الإنتقال بعيدا لاقتناء حاجاتهم، وربما لأن القصبة أو المدينة في تصميمها العمراني الذي يفصل الأحياء عن بعضها بالدروب والسكك الغير نافذة والتي تغلق بأبواب حتى لا يدخلها الغريب وكان كل حي عبارة عن مدينة مستقلة، فلهذا كان التفكير في هذه السويقات حتى لا يكشف أحدهم عن حرمة الأحياء الأخرى وهذا من تصميم العمران الإسلامي الأصيل.

أما خارج أسوار المدينة وفي ضاحية باب عزون دائما، فكانت توجد ساحة معدة لقطع اللنجور أمام فرن ثم بنيت فيها طبانة ويبدو أن هذه الحرفة انتقلت من باب الوادي لأن وقفية سنة 1229هـ/1813م تذكر "دار البارود القديمة ملاصقة لمخزن اللنجور، ناحية فحص الزغارة ومرسى الذبان الكاين خارج باب الوادي." وأول من صنع اللنجور هو محمد باشا الذي حكم من 1180هـ/1709 م إلى 1205هـ/1766 م.[1]

[1] الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب الأشراف بالجزائر، ترجمة أبو العيد دودو، ط. 2، الجزائر 1980 ، ص.24.

ورغم قيام حزام صناعي خارج الأسوار، إلا أن المدينة بقيت مقوقعة داخلها وذلك لاعتبارات أمنية، تخدم حاجيات السكان المدنيين وبهذا حافظت على أهمية مركزية توزيع الأسواق على حساب الأطراف. وتموضع الصناعات والتجارات في حلقات حول المركز، تخصص كل منها في عدد من الحرف تبعا لشروط منصوص عليها في فن العمران الإسلامي، يعود ترتيبها هذا إلى القرب من زبائنها ومن مصادر المواد الأولية ومن الطرق المؤدية إلى المناطق التي تستمد منها موادها أو تبعيتها لمنتجاتها.

ورغم هذا التخصص المحكم في تموضع الأسواق والذي خضع لتلك الشروط المختلفة التي لاحظناها سابقا، إلا أن بعض الحرف قد توزعت في نقاط مختلفة من المدينة وأحيانا اختلطت مع الأسواق المختصة وداخل الحوانيت التي كان أصحابها يوقفونها لصالح مباني دينية كالمساجد والزوايا أو لسبل الخيرات. فنجد مثلا العطرية لها حوانيت في سوق المقايسية وفي قاع السور قرب القهوة الكبيرة حسب وقف 1226هـ/ 1816م .

وكذا بالنسبة لحرفة حلي الذهب التي نجدها في حوانيت خارج الساخة "كجلسة حانوت تقع قرب دار الإمارة العالية وهي الجنينة وقفها وكيل الحرج بتاريخ 1222 هـ/ 1807م "كما أن بعض المقايسية كانوا يقومون في فندق الحرارين حسب وقف 1203هـ/1788م الذي يذكر أن "حانوت كاينة بسوق المقايسية الثانية من علوي حرار هناك على يسار المار من باب البحر إلى سوق السباغين" بمعنى أن الفنادق تقوم فيها تجارات مختلفة مثل فندق الزيت الذي نجد فيه النساجين والسباغين وكذا بالنسبة لفندق القهوة الكبيرة حيث تقوم فيه تجارات مختلفة.

وبما أن حرفة الحفافة، لعبت دورا كبيرا في نشاط المدينة، فكانت حوانيتها تقوم في كل نقطة من المدينة إذ لم تكن لها شوارع خاصة مثلها مثل الأفران، إذ " نجد حانوت حفافة قرب مسجد علي بتشين حسب وقفية 1190هـ/ 1776م" و "أخرى ملاصقة لدار الانكشارية خارج باب عزون حسب وقف 1186هـ/1772م "مما يبين أن بعض الحرف كانت تقوم خصيصا لطبقة معينة من السكان.

ونجد في ناحية باب الوادي، دارا تسمى دار اليهود لكننا لا نعرف ما القصد بها هل هـي فندقا أم مسكنا خاصا أم بيعة اليهود (Synagogue) خاصة وأن شارع حمام ملاح ليس بعيدا ويقـع في نفس الحي، فقد ينسب هذا الحمام إلى الملاح اليهودي أو حارة اليهود التي كانت إحداهن تقع في باب الوادي ويذكر وقف 1100هـ/ 1688م أنها كانت تقع عند كوشة بولابة وبنيت البيعة الأولى في شارع سبع لويات فوق ضريح قديم[1] مما يؤكد على تجاوزات اليهود بمدينة الجزائر آنـذاك مـن جراء الصلاحيات الكثيرة التي كانت لهم، أو أنه يقصد بهذه الدار منزل بوجناح أو باكري.

وانتقاما من المسلمين، فقد سمى الفرنسيون شارع الرحبة القديمة بشارع بوجنـاح وهـو بـاكري اليهودي الذي أغرق الجزائر بديون القمح وكانت له اليد الطولى في استعمارهم للجزائر، إذ أصبـح اسم باكري رمزا للقمح وإلا لم هذا الشارع بالذات؟.

وأخيرا أشير فقط إلى أن كل الأسواق قامت جهة البر أي باب عزون فـي حيـن عـرف شـارع البحرية بالشارع التجاري وهذا لا يعود إلى ضيق المساحة التي ربما كانت عائقا بسيطا لكن السبب المباشر هو أن هذا التنظيم يوحي بأن أسواق مدينة الجزائر ظهرت في فترة كانت تتعامل فيها بريا أي مع القوافل وهذا حصل كثيرا في العصر الوسيط لأن العهد العثماني كانت التجـارة فيـه لـها صبغة بحرية.

---

DERMENGHEIN , Le Culte des saints, éd. Gallimard, Paris 1954, p. 103 [1]

## 3 - توزيع الأسواق بالمدينة:

وبعد هذه الدراسة التاريخية لطبوغرافية مدينة الجزائر و حسب ما قام بـــه البـــاحثون الفرنسيون مثل Eudel و Emerit فيما يخص مركز المدينة فقط أي شـــارع البحريـــة وقصـــر الجنينة و Devoulx خاصة لأنه درس المدينة كلها، وبعد تصحيح ما جـــاء مـــن أخطـــاء فـــي دراساتهم فيما يخص تمركز بعض الأسواق، (مخطط 1) يمكننا معرفة توزيع أســـواق المدينـــة والتي معظمها بقي ثابتا في الفترة العثمانية حتى 1830م، وهي عبارة عـــن منظومـــة أســـواق أو(Nomenclature) تبدأ من باب البحر أو الميناء حتى باب عزون وهو توزيع تتبين فيه أهميـــة الأسواق في المدينة وحظوتها في التنظيم العمراني وشغرها الفراغي داخله و تبدأ مـــن مدخـــل الميناء حيث نجد :

- **فندق الدوامس**: يسميهEudel فندق البورصة ويسميه Emerit فندق الجمارك ويمركـــزه أســـفل الجامع الجديد في حين هو فندق البحرية الذي يقع على شارع البحرية الذي أصبح فـــي العـــهد الفرنسي يسمى بثكنة الجنرال (Lemercier).

- **سوق الحرارين** : وكان يوجد بتريق باب الدزيرة (شارع البحرية Rue de la marine)[1] الـــذي كان يسمى في العهد العثماني بزنقة الجهاد لأن رياس البحر كانوا يمرون به للخروج إلى البحـــو للجهاد البحري،[2] أمّا السوق هذا، فيقابل المسجد الكبير تماما و يؤكد وجوده هنا وقفة بتـــاريخ 1203هـــ/1788م تذكر أنه يقع على يسار المار من باب البحر إلى سوق السباغين.

- **فندق القهوة الكبيرة** : يمركزه ديفولكس في شارع سيدي الجـــودي (Rue des trois couleurs) عند درب القهوة الكبيرة وهذا خطأ لأن هذا الشارع يطل على زنقة بوجي أسفل امسيد القـــهوة الكبيرة وليس الدرب .

**سوق الخام** و يجاور قهوة زكرفانو في تريق باب الدزيرة يقابل الجامع الجديد.

(1) EUDEL P, Petits métiers algérois, Alger 1901, p. 14

(2) PHILIBERT , Alger , p. 12

- **البادستان** : يحاذي القهوة الكبيرة على اليمين وليس الصغيرة كما ذكر ديفولكس وهو الموضع الذي نجده في مخططات اودال وكلاين ثم أقامت به السلطات الفرنسية إدارة البايات المكلفة بإدارة الحبوس و أخذت إحدى أروقته اسم شارع (La Dorade)، وأسفله كانت توجد مقاهي عديدة منها قهوة الخضارين أو القهوة الصغيرة أو قهوة الرصايصية في القرن الثامن عشر ثم أطلق عليه شارع ماهون (La rue Mahon) في العهد الفرنسي.

- **سوق الحواتين** : ويقابل الجامع الجديد ننزل إليه عن طريق شارع القهوة الصغيرة، هذا حسب ديفولكس لكن الصحيح هو أنه يطل على شارع البحرية عند باب القهوة الكبيرة .

- **سوق الجقماقجية** : يقع وراء مسجد المرابطة أو الزرزورة في موضع الترسانة التركية.

- **سوق الرصايصية** :وهو شارع مستقيم ينطلق من شمال البادستان لينتهي عند الشماعين (Rue de Cleopatre) ;وسمي في العهد الفرنسي بـ(Rue Genevievre).

- **سوق الفراغية** : و ينطلق من مسجد السيدة لينتهي عند البادستان (Rue Mahon) .

- **سوق البشماقجية** : يفتح على شارع الشماعين وليس باب عزون كما ذكر ديفولكس، محاذيا جامع السيدة لينتهي إلى الباب الغربية للبادستان.

- **الذوابة** : و هو درب على يسار شارع البشماقجية، يفتح على الساغة يمينا وعلى شارع البحرية شمالا.و بجواره نجد **سوق الذهب** يفتح فيه درب صغير يسمى رابغة النحاس.

- **المقايسية** : يبدأ من السباغين، لينتهي عند الخراطين وليس عند الباب الغربي للجامع الجديد كما يقول ديفولكس لأن ما بين المقايسبة والجامع الجديد الخراطين وسوق الحواتين .

- **السباغين** : يطل على شارع باب عزون وديفولكس يموضعه يطل على ساحة الجنينة في حين تفتح هذه الأخيرة عند القيسارسة لأن سوق السباغين يقع وراء القيسارية، عند بداية سوق اللوح (Juba) لينتهي عند المقايسية.

- **القيسارية** : وهو نهج ينطلق أيضا من باب عزون أي من أعالي الباب الشرقية للديوان ليطـــل عليه عن طريق صاباط الديوان.أما مدرستها فتقع بينها وبين مسجد السيدة أي بيـــن الشـــماعين وسوق الغزل.

- **الإسكافية** : يقع فوق جزء من البشماقجية، تحت فندق الإيالة أي من مسجد السيدة حتى شـــارع باب الواد وليس مسجد الشواش كما ذكر ديفولكس الذي يمركز هذا السوق عند ساحة الجنينة أي على يمين مدخل باب عزون. وعلى كل، هو شارع قام فيه مكتب البلوك باشي و قبالته أقيمـــت مكاتب الكاهية، مدير العسكر والباش أغا والباش جراح، عميدْ جراحي الإنكشارية.

- **بيت المال** : هناك وقفية بتاريخ 994هـ/1585م تسميه سوق الحاكة واندثر، ووقفيـــة أخـــرى بتاريخ 1043هـ/1633-1634م تسميه سوق الغزل، وتذكر وقفية 1138هـ/1725-1726م أن جلسة حانوت كاينة بسوق الساغة الثالثة على يمين النازل لزنقة بيت المال المذكور. يمركزه ديفولكس عند مسجد السيدة، فيما سمي فيما بعد بساحة الخيزران على امتداد شـــارع البحريـــة وجزء من هذا النهج يحمل إسم شارع العرعر ونجد في مخطط اودال لاصقا بمسجد السيدة وفي مخطط Emerit يحاذي مسجد السيدة ويطل فعلا على سوق الغزل وليس على شارع البحرية.

- **الشماعين** : وهو سوق طويل يمتد من باب الواد و يمر مـــن علـــى الرصايصـــة والفراغيـــة والبشماقجية جنوبا، محاذيا جامع السيدة شمالا.

- **مسجد السيدة** : كان نقطة انطلاق عدة شوارع، يقع جنوب بيت المال، محاذيا امسيد القيســـارية وسوق الغزل و يحده جنوبا وليس شمالا كما ذكر ديفولكس ساحة الفوارة وشرقا بياع الخضرة.

- **بياع الخضرة** : وهو سوق صغير ويسميه هايدو سوق الخضر الذي يذكر لأنه يحـــاذي جـــامع السيدة غربا[1] ومسجد الشواش شرقا وساحة الفوارة جنوبا وليس شمالا كما يذكـــر ديفولكـــس والشماعين والرصايصة شمالا وليس جنوبا .

---

(1) HAEDO, op. cit., p.383

- **البلغاجية :** وهو سوق أو سويقة على شارع باب الوادي يمتد حتى شارع عنقني(Mahon) وكان يسمى هذا الحي بالمقفولجية أو الدياسين أي الإسكافيين، وبما أنه شارع كانت به سلسلة من الأسواق سمي سويقة باب الوادي.

- **فندق المكاويين** : وكان يقع قبالة مسجد بن نقرو أو ستنا مريم بالقرب من شارع حمام ملاح(Doria) كان يسكنه الحجاج العابرون بالمدينة.

- **الحلفاجية** : وكان يقع هذا السوق على شارع الرحبة القديمة(Rue de la Révolution).

- **الجنينة** : أو قصر الباشوات الذي كان يقابل هذا المركب التجاري وكانت واجهتها تطل على باب عزون ومقابلة لساحة الفوارة ومسجد السيدة وبيت المال والقيسارية وتحاذيها دار السكة أو سوق الأتراك حسب وقفية 978هـ/1570م التي سبق الكلام عليها. ومن أمام ساحة الديوان تتفرع بعض الشوارع منها :

- **الديوان** : هو ساحة داخلية فوقها قبو شارع الديوان على يسار مدخل شارع باب عزون وشارع **الشباغلية** (La couronne) الذي يقع بالقرب من مجلس حكومة الديوان أو مجلس رؤساء الجيش والموظفين في الدولة ثم أطلق هذا الإسم على شارع طويل نجد به قهوة الدروج ومطحنة وفرن وفندق المحتسب(أو فندق كتشاوة) أو فندق العريش أو فندق المسلم الجديد ثم جامعه مذكورا في مخطط Philibert. وسميت هذه الساحة بديوان الكرموس(التين) وهو بازار الكرموس السابق ذكره الذي سمي بعد 1830 بساحة القوافل ويمركزها ديفولكس بين دار عزيزة ودار السكة وشارع الديوان(Genséric) أمام حي كتشاوة جنوبا وليس شارع كتشاوة كما ذكر ديفولكس.

**الشباغلية:** وينطلق أيضا من شارع الديوان حتى شارع حمام العرصة(Rue de Chartres) في حين يمده ديفولكس حتى شارع تيبرغوتين (Rue de la Lyre) وهذا خطأ لأن قسما من شارع حمام العرصة يسمى **البابونجية** وهو سوق يقع في شارع الشباغلية(La couronne) و يمتد من باب الجديد إلى شارع الديوان و حسب وقفية 947هـ/1541-1542م كان هذا الجزء من شارع الشباغلية، يسمى سوق الرقاقين.

**سوق الجمعة:** كان يطلق على عدة أنصاف شوارع وساحة محصورة بين الجنينة(La Djenina) ويخطئ ديفولكس بقوله شارع الجنينة لأنه لا يوجد بل شارع دار بوجناح(Charlequin) وسيدي بو شاقور(L'Etat –Major ) وهنا يخطئ أيضا بل شارع درب الجنرالات الذي لم أجد له تسمية في العهد العثماني. وسمي هذا السوق فيما بعد بـSocgema.

- **الدباغين:** و سوقهم عبارة عن ساحة صغيرة داخل درب يطل على الشباغلية، محصورة بين السوق الجديد والشباغلية وليس الديوان .

- **السوق الجديد:** ينطلق من شارع سوق اللوح (Juba) الذي يمتد من باب عزون إلى الشباغلية عند مدخل باب الجديد ويتسع في وسط مساره ليكون بازارا بوسطه حنفية له باب على الشباغلية عن طريق سوق الدلالة ونجد به مكتب الوزان وفندقي السوق الجديد يلجأ إليه الأتراك وهو سوق كان يعرف بسوق الدخان و بعد تجديد حوانيته، سمي بالسوق الجديد .

- **سوق السمن** : و يبدأ من الشباغلية وحسب ديفولكس من نهاية السوق الجديد (Antilope) وعلى جزء من شارع الحاشيات أو باب الجديد(Porte Neuve) وهذا خطأ لأن ما بين شارع سوق السمن وباب الجديد نجد العطارين ودرب جيني(Jenne) ومخزن دار الأغا وشارع بن أشير.

- **سوق اللحامين** : يطلق على ساحة صغيرة يكونها التقاء شوارع سوق السمن (Lézard) وشارع سوق اللوح وليس شارع الديوان (Juba) والسوق الجديد وليس الديوان كما ذكر ديفولكس.

**سوق الكتان :** حسب عقد ملكية بتاريخ 1060هـ/1649-1650م يذكر أنه كان يقع فوق سوق السمن، ويمتد حسب المخطط حتى باب الجديد.

**. مخزن القمح:** أو الزرع ويقع في دار تيرالي وهو درب (Jenné) ويقع ما بين شارع الديــوان والشباغلية.

**. سوق اللوح :** ويقع عند بداية شارع باب عزون أي من مدخل قصر الجنينة، ويمركزه أمـاريت ما بين السباغين وسوق الزيت.

**ـ الخياطين:** وهو سوق يقع عند مدخل شارع الكساكسية شمالا وعلى درب البوزا بعد سوق اللوح مباشرة وهذا خطأ إذ يقع ما بين سوق اللوح ودرب يوبا والسوق الكبير.

**ـ الكساكسية:** حسب ديفولكس نجدهم في زنقة حنون التي تمتد من الخياطين على باب عزون إلى سوق السمن على شارع حمام العرصة (Chartres) على يسار القصابين. وهذا طبعا خطأ نظـرا لبعد الشارعين، فسوق السمن يقع عنـد الشـباغلية وزنقـة حنـون عنـد الخضـارين علـى شارع(Medée) والأصح هو أنه يقع بين الخياطين وحمام العرصة.

**ـ العطارين :** وهو سوق للعقاقير يحتله اليهود، ويتمركز في شارع باب الجديد و يمتد حتى سـوق السمن (Lézard).

**ـ الخضارين:** وكانوا يسمون بخضاري سوق السمن لأنهم كانوا يتمركزون بالقرب منـــهم حتـى شارع مخزن دار الأغا (La rue au beurre).

**ـ السوق الكبير:** ويمتد من باب عزون حتى باب الجديد حسب ديفولكس والأصح هـــو الســوق الجديد وكان يسمى بسوق الملاحين حتى في القرن السادس عشر وسوق القبايل في القرن السابع عشر والسوق الكبير في منتصف نفس القرن و يحاذيه كل من :

**ـ سوق الملح :** وهو جزء من السوق الكبير ينتهي عند شارع سبع لويات (Rue Sainte) وكـــان يسمى حي اليهود أو شارع اليهود وكان يسمى أيضا بصاباط اللوح.

- **الغرابلية:** وكانوا أيضا في نفس الشارع (Chartres) بعد الكبابطية قبل زنقة الصراف التي ذكرها كل من براون وهاكليوت وهي فعلا زنقة René Caillé التي نجدها في مخططات العهد الفرنسي، بالقرب من سويقة عمور.

- **زنقة السراج:** وهي نفسها زنقة الصراف، عبارة عن شارع صغير يبدأ من باب عزون وليس الغرابلية، أي عند مدخل القزادرية ويطل على شارع حمام العرصة محاذيا دار السبوعة أو زندانة السراجين أو حومة السكاجين .

- **سوق الدكير:** يقع في زنقة الحوا (Aigle).

- **القزادرية** : و يقابل سوق الذكير على شارع باب عزون.

- **الصفارين:** يليه مباشرة على شارع باب عزون و يمتد حتى شارع المارستان (Flèche) عند مدخل القنداقجية (Caftan) و يسمون أيضا النحاسين.

- **التماخين:** و يتمركزون أيضا في هذا الحي من شارع باب عزون قبل موضع مصلحة البحرية فيما بعد.

- **القنداقجية:** وهو سوق في شارع القفطان (Caftan) و يمتد من باب عزون إلى شارع حمام العرصة أي من مدخل المارستان إلى مدخل سويقة عمور والخضارين.

- **سويقة عمور:** عبارة عن سوق صغير يقع على شارع حمام العرصة من القنداقجية إلى الغرابلية.

- **الخراطين** : سوق يقع على شارع باب عزون، قبالة ثكنة الخراطين ومسجد خيضر باشا (Scipion) و حسب عقد ملكية بتاريخ 975هـ/1567-1568م كان يسمى بحومة السكاجين (صانعو السكاكين) كما كان لهم موضعا آخرا يقع ما بين المقايسية وسوق الحوت.

- **فندق العزارة:** ويسمون السواس أي بنائي الساس ويقع على يسار زنقة الحوا وقبالة الصفارين.

- **سوق الفواكه**: وكان يقع أمام مدخل شارع حمزة خوجة (Laurier)محاذيا تبرنة التماخين على يسار باب عزون.

- **الخضارين**: وهو شارع طويل يبدأ من شارع حمام العرصة لينتهي ليس عند سيدي اهلال كما ذكر ديفولكس لأن هذا الأخير يقع وراء مسجد كتشاوة، بل عند حوانيت بن رابحة وسيدي المرابطي مارا بالثكنتين الإنكشاريتين العليا والسفلى. وهو ما سمي بشارع (la rue Médée).

- **الحدادين**: سوق كان يقع عند مدخل باب عزون وليس بالقرب من المارستان (Flèche) أي بين ثكنة الإنكشارية ورحبة القمح.

- **رحبة القمح** : بعد الإنتقال الذي تكلمنا عنه تمركزت عند مدخل باب عزون على اليمين يحدها جنوبا الحدادون وليس شمالا كما يذكر ديفولكس دائما ودرب العسل غربا والذي كان يقع في شارع(Littré) الذي كان يؤدي إلى :

- **درب العسل** : و يقع أسفل هذا الدرب و يسكنه شيوخ أتراك .

- **فندق رحبة الشعير** : و يقع على يمين مدخل باب عزون مباشرة، يحاذيه فندق العسل وليس درب العسل .

- **سوق القبايل** : يقع بين رحبة الشعير ومخزن الزرع على يمين مدخل باب عزون والسمارين أمام ضريح سيدي منصور.

- **رحبة الفحم** : تقع خارج باب عزون في موقع المسرح الوطني حاليا. ويبدو أنه انتقال لأن فانتور دي بارادي De Paradis ذكر أنه ابتداء من السادس عشر م وجدت هنا.[1] مما يؤكد ما سبق من تفسير.

- **السمارين** : يقيمون في مدخل باب عزون بالضبط، وربما هو التسمية القديمة لباب عزون الذي سمي بعد 1830 بساحة ماسينيسا.

---

[1] DE PARADIS , op. cit., p. 247

ـ **سوق باب عزون** : و هو الذي يسمى فيما بعد بحي تافورة.

ـ **فندق باب عزون** : و يقع خارج أسوار المدينة

ـ **سوق الماشية** : و يقع في مكان ما يعرف اليوم بفندق السفير.

ـ **الدباغين** : و هي سوق تسمى دار الدباغة التركية و تقع خارج باب عزون.

ـ **البرادعية** : سوق كان يقع خارج باب عزون ثم انتقل إلى داخل المدينة على يمين أعالي شارع زنقة الفورنية (Saint louis).

ـ **السرايرية** : ويقع أمام مسجد سيدي رمضان .

ـ **صانعو المكاييل** : و يتمركزون أيضا في ضواحي باب عزون.

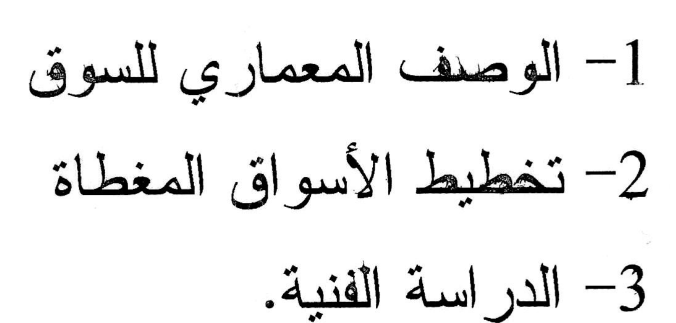
ـ **مصانع الأجر** : و نجدها في ضواحي باب الواد .

وحسب رسالة 34 بتاريخ 1128/ 1715م تذكر أن هناك حوانيت بباب عزون قرب جامع الركروك و**فندق** مقابل **مذبح الغنم** بباب عزون أمام الجبانة ويحاذيه فرن لطبخ الجير والأجر و**فرن** آخر لقطع اللنجور بمحاذاة جبانة القايد حسن بربوشة حسب عقد سنة 1179هـ/ 1765م.

ـ **دار البارود:** القديمة ملاصقة **لمخزن الأجر** ناحية فحص الزغارة ومرسى الذبان خارج باب الواد كما يذكره عقد مؤرخ بسنة 1289هـ/ 1872م .

# الفصل الرابع

## دراسة معمارية



1- الوصف المعماري للسوق
2- تخطيط الأسواق المغطاة
3- الدراسة الفنية.

**- الوصف المعماري للسوق :**

لقد كان تخطيط الأسواق الأولى في الفترة الإسلامية المبكرة عبارة عن فضاء لا بناء فيه ولا سقوف سوى ضلال بواري" من الحصير كان يضعها الباعة لتظلهم في الأماكن الحارة وكانت تقوم على سنة المساجد، كسوق المدينة الذي بناه الرسول(ص) على شكل ساحة أو فراغ من الأرض، خالية من البناء، سمح للناس استغلاله دون دفع أي أجر ومنع البناء فيه ثم أصبح في العصر الأموي وفي عهد هشام بن عبد المالك يبني على شكل دار يحيطها جدار ذو طاقات وبوابات تقوم الحوانيت في الجزء السفلي منها على دعائم أرساها وغطاها بطاق من الطوب والجص وفي الطابق العلوي تقوم الغرف. وربما هذا الشكل تطور في العصر الوسيط وأصبح يسمى الخان وهو مساحة مركزية يتجمع حولها عدد من الحوانيت تستند إلى الجدار الخارجي وتنفتح أبوابها على رواق ذي أعمدة مغطى وهو طراز الأقورا [1] الذي اتخذت منه مدينة الجزائر نمطا لأسواقها الحضرية. ومن ثم أصبح الرواق، سوقا يسفق بأقبية طويلة نصف أسطوانية مصنوعة من الطوب وتحملها أعمدة رشيقة وتحمي هذه السقائف من أشعة الشمس والتقلبات الجوية أفاريز من ضفائر (حصير قصب) أو من الكتان وتغليف ليلا بأبواب خشبية.[2] (شكل10)

ومن هذا المنطلق، يمكننا أن نتصور الهيئة المعمارية لأسواق مدينة الجزائر من خلال إرثها المعماري الروماني المتمثل في الجدار الذي وصفه البكري وهو عبارة عن رواق قام مقام السوق آنذاك. وبما أن له أزاج محكمة فإن هيئة العمارة تكون على شكل شارع طويل لأن وليام شالرShaler . ذكر أن شوارع مدينة الجزائر عبارة عن ممرات أي أروقة مفروشة بالحجارة [3] وبالتالي فهو رواق معمد يحمل قبوا (لوحة42) وبني من الحجر الصلب المنحوت كالذي عثر عليه تحت قندق القناصل(Rue des Consuls) وعند حفر شارع(Les Palmiers) وكذا الأعمدة لأنه عثر على بقايا أعمدة حجرية تحت قصر الجنينة بعد الاحتلال، حين قامت السلطات الفرنسية ببعض الأشغال العمرانية. وقد تكون أيضا من الآجر أو من الرخان، لأنه كان متواجدا من خلال تلك التماثيل التي عثر عليها في ضواحي شارع البحرية كشارع(La licorne) وشارع(Les Palmiers) وشارع (Les Lotophages) ...الخ[1] أما في شكلها فتكون

---

[1] - تغلب، المرجع السابق، ص.115-116

[2] - باسكوال(جان بول)، "إسهام في الطبوغرافية التاريخية لمدينة دمشق"، تعريب قاسم طور"، نشوء السوق واضمحلا له في القرن 16م في الحوليات السورية ، 1985، ص.237

[3] SHALER W, Esquisse l'état d'Alger, Paris 1830, P.97

[1] – LEGLAY , op.cit, P.22

أسطوانية، تطابقا مع الأعمدة الكثيرة التي تواجدت في الآثار الرومانية عبر البلاد[2](شكلل11)
وأما تيجانها فهي كورنثية لأنه نوع مسيحي والرواق يعود إلى بازيليكا وهي مؤسسة بنيت في العهد البيزنطي، استدلالا بتاجين كورنثين عثر عليهما عند مدخل صحن الجامع الكبير(لوحة43)
وتاج أيوني آخر من الفترة المسيحية عثر عليه عند تهديم المسجد، أثناء نفس الأشغال،(لوحة44)
إن تاج يزدان بزخارف حلزونية الشكلمحورة، فالجانبيتان منها على شكل وردة سداسية مفصصة أما الوسطى فتزدان بوردة واحد فقط. وهو تاج مشابه لتاج عمود عثر عليه في قصر أبو شمرابحمص في سوريا كما ذكر Leglay يعود تاريخه القرن السادس ميلادي ومن خلال هذا التطابق يمكننا تأريخ تاج مدينة الجزائر حسب Lassus P .[3] وهذا دليل قاطع أن بازيليكا مدينة الجزائر من الفترة البيزنطية.

وأما سقف الرواق فيحمل قبوا متقاطعا ككل الأروقة كما يصفها Boudhors [4] (شكل12) وقد يكون له بابان حسب D'Arvieux [5] في حين فرشت أرضيته ببلاطات منحوتة لوحظت أمام المسجد الكبير وباب البحر وساحة الحكومة أثناء العملية السابقة.

---

[2] - البعض منها محفوظ بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر العاصمة

[3] – Ibid, P.50

[4] – BOUDHORS, Souvenirs d'Afrique, Paris 1838, P.12

[5] – D'ARVIUX, op.cit, P.224

- **تخطيط الشارع :**

لقد توزعت شوارع مدينة الجزائر على مساحة قدرهـــا 62 آر و 54 هكتـــار و هـــي شوارع تشبه شوارع المدن الإسلامية في جزئها العلوي أي عبارة عن تيـــه وتلتـــف بالمبـــاني وتحيط بها، مما ينتج عنها كثرة الأزقة الغير نافذة أو الدروب[1] وهذا تخطيط واعي لأنه كمـــا يقول ثروت عكاشة "يوفر مساحات ظليلة و يختزن الهواء الرطب ليلا حتى يشيعه أثناء ساعات القيظ ملطفا حرارة الجو على عكس الشارع المستقيم الذي تبيحه الرياح صباحا ومساء، كمـــا أن له في هذا التخطيط ميزة سيكولوجية هي أنها توحي للسائر فيها بقصر المسيرة التي عليـــــه أن يقطعها."[2] بالإضافة إلى أنها تمنع الريح لتفادي الغبار وتضمن الأمن وتحمي الحيـــاة العائليـــة الخاصة وتقيها من الزلازل[3] أيضا وهي بذلك تضفي على المدينة جمالا ورونقا يلائمـــان ذوق المسلمين وعاداتهم.[4]

أما الشوارع المستقيمة التي قامت في القطاع السفلي والمركزي للمدينة المخصصة للنشـــاطات الإقتصادية، فهي عريضة نسبيا وأكثر اتساعا. إنها شوارع ورثتـــها المدينـــة عـــن التخطيـــط الروماني الذي كشفت عنه الحفريات وهما الكاردو وهـــو شـــارع بـــاب الـــوادي (شـــكل 13) والدكيمانوس وهو شارع البحرية (شكل 14) فكان يتراوح عرض كل منهما مـــن 5,60 م إلـــى 5,85 م وكانت لهما أرصفة لا تتجاوز 2,60 م[5] وهذا عرض مناسب لقيام الأسواق بها إذ ذكـــر حليمي عبد القادر أنها وصلت في العهد العثماني إلى 4 م مع نهج باب عزون الذي تركزت فيـــه عدة حرف.[6] أما وليم اسبنسر، فذكر أن شارع البحرية بلغ 36 قدم.[7]

وذكر Boudhors أن بعض الشوارع مغطاة بأقبية أو بطوابق عليا بارزة على الطابق الأرضـــي يتراوح عرضها مـــا بيـــن 6 إلـــى 7 أقـــدام وأحيانـــا أقـــل.[8] وأرضيتـــها كـــانت مفروشـــة بالحجارة (لوحة45) إذ كشفت التنقيبات الفرنسية عن بلاطات من الحجر المنحوت تحت المبـــاني وفي أماكن مختلفة ويقول Shaler أنه كان يعنى بصيانتها ونظافتها ولها إدارة خاصة بذلك.[9]

---

(1) RAYMOND, Grandes villes. pp. 172-173

(2) عكاشة، المرجع السابق، ص. 64-65

(3) PANANTI , op. cit., p. 12

(4) MOLBERT M , "L'Urbanisme et son application à Alger" in Bulletin municipal de la ville d'Alger , Mai 1951 n°5 – s.p.

(5) LEGLAY ,op. cit , p. 39

(6) حليمي (عبد القادر)، أثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر، ص.85

(7) اسبنسر (وليام) ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب عبدالقادر زبادية ، الجزائر 1980، ص. 44

(8) BOUDHORS , Souvenirs d'Afrique , p.12

(9) SHALER , Esquisse , p. 97

وعلى امتداد هذه الشوارع، تقوم الحوانيت وهي الخلية القاعدية للسوق، لهذا أتطرق إلى وصف الحانوت كهيئة مستقلة ووحدة بيع صغيرة.

**ـ وصف الحانوت :**

نجد الحوانيت الإسلامية في الفترة العثمانية تنتمي إلى نوع واحد لم يتغير منذ العصر الوسيط، من فاس إلى بغداد، لا تختلف إلا في الحجم مثلا[1] فحوانيت مدينة الجزائر كانت بسيطة لأنها محلات تقنية لا يسكن فيها ومعظمها بني باسم الأوقاف أو الحبوس حسب المصطلح المغربي[2] وهي سهلة وبسيطة لأنها مشدودة إلى بعضها البعض وتطل على الشارع تنفتح على شكل كوات صغيرة تحت المباني أي عبارة عن محلات مربعة صغيرة لا يتجاوز عرضها 6 أقدام تقريبا أي حوالي 1,65 م وعمقها 2,64 م وأحيانا يكون أقل من ذلك وهذه مساحة معروفة لكل حوانيت ذلك العهد[3] ويضاف لها في بعض الأحيان حجرة أخرى تكون مخل مخزن. أما أرضيتها فترتفع من 80 سم إلى 1 م، مما يتيح الفرصة للتاجر الجالس داخل حانوته، أن يكون في نفس الإرتفاع مع المارة و يسهل له الحديث معهم.[4] (لوحة 46)

يتكون الحانوت أحيانا من طابق أرضي يعلو بحوالي درجين وأحيانا بدور منخفض فوق الدور الأرضي، يمثل في نفس الوقت مكتب صرافة أو (Comptoir) بالفرنسية و يمتد من الخارج بمقعد يبنى على طول الواجهة وهو المصطبة يجلس التاجر فوقها مع زبائنه لتبادل أطراف الحديث،[5] يبلغ ارتفاعها حوالي 1 م، كانت تستعمل أحيانا أخرى لعرض البضائع عليها وكانت تبنى بالحجر والطوب (لوحة 47) وكان المحتسب يراعي عدم خروجها عن الحدود حتى لا تضر بالمارة.[6]

كانت أرضيتها تفرش احيانا بالحصير أو بالزرابي أو بالقصب وتبيض بالجير، الجدران التي كانت في معظم الأحيان عارية من الزخارف[7] وتخترقها ثقوب تستعمل كسلم للوصول إلى

---

(1) RAYMOND , Grandes villes, p. 239

(2) MONTAGNE DJ , Physiologie morale et physique d'Alger 1833, Alger 1834, p .57

(3) RAYMOND , op. cit..

(4) LE TOURNEAU , Fès , p .315

(5) RAYMOND , Artisans , p. 268

(6) محمد (محمد أمين) ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (648-923) 1250-1517، القاهرة 1990، ص. 22

(7) MAZEHARY, La vie quotidienne des villes musulmanes, p. 196

البضائع وكانت تمتد الرفوف على جوانبها لعرض السلع (شكل 15) وبعض الخزائن لوضعـــها. أما سقف الحانوت، فكان يعلو بحوالي 2 أو 3 أقدام عن ن مستوى الأرضية.[1][2] ويتكون مـــن كوابيل خشبية تمتد طوليا. (شكل 16)

وكي يدخل التاجر إلى حانوته، كان يشد إلى حبل مثبت في سقف الحانوت. أما عـــن طريقـــة غلقه، فكانت تتم بواسطة مصراعين خشبيين أفقيين مشدودين بصفيحة حديدية تغلق برمانة وبعد الفتح، يسدل المصراع السفلي ليشكل مكتب صرافة ويرتفع العلوي عموديـــا أو ينحـــدر قليـــلا بواسطة مزلاج ليشكل طنفا، وهكذا، يقترب الزبائن من الدكان دون دخوله (شـــكل 17) وعنـــد غروب الشمس، يغلق التاجر حانوته بأقفال كبيرة ومتينة وينيره من الخارج بشمعة يضعها فـــي فانوس من ورق حتى يأتي البوابون أو الخفير لحراسة الحوانيت[2] وكانت من مهمة البســكريين الذين كانوا ينتصبون أمامها، لمنع أي حركة بعد سقوط الليل و يشرفون على الإضـــاءة الليليـــة للمحافظة على أمن الأسواق.[3]

وهناك بعض الحوانيت الصغيرة، تعرض بعض البضائع في الشـــارع تحـــت إفريـــز عريض(لوحة48) أو تحت خيمة مرقعة[4] (لوحة 49) في حين اتخذت الحوانيت مـــن الطوابـــق الأرضية للمنازل، على شكل حجرات ضيقة عمقها يتراوح ما بين 1 م إلى 2 م ، يجلس فيـــها البائع في الخلف فوق منصة واضعا بضاعته أمامه فوق ألواح منخفضة أو معلقة فـــي حوائـــط المحل لتبقى الزبائن خارج المحل و يرافق التاجر أحيانا حرفي يقيم داخل المحل.[5] (لوحة 46)

وتجهيز حوانيت كهذه، كان بسيطا، حصير أو زربية ويجلس التاجر فوق مقعد حجري يمتد إلى الشارع وكان يشكل أحيانا عقبة للمرور، إذ في حالة ثورات وإضطرابات يستعملها الثـــائرون كحواجز ليسدوا بها الطريق مما يدفع السلطات أحيانا بالأمر بإزالتها وربما هذا ما يفسر غيابـــها في مدينة الجزائر.[6]

---

(1) LESSORE et WYLDE , op. cit. , p .6

(2) EUDEL P , L'Orfèvrerie algérienne et tunisienne, Alger 1902, p.6

(3) EMERIT , Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque, p. 13

(4) CHATTANT ET FRITZ M , Alger avant 1830 , Paris 1830, p. 14

(5) BOYER P , La vie quotidienne à Alger avant l'intervention française. p. 47

(6) RAYMOND , Grandes villes , pp. 239-240

وكانت الحوانيت مكتظة إلى بعضها البعض وذات أبعاد صغيرة مما يسمح ببناء مجموعة كبيرة منها في شارع واحد وقلما تتجاوز 3م في واجهتها ونفس الشيء بالنسبة لعمقها. وتفاديا للحرائق فقد كان ارتفاعها يحدد، فكل حانوت حسب حرفته وعموما لا تتجاوز 3,80 م.[1] (لوحة 29)

أما البسطاء، فكانوا يقيمون حوانيتا من الخشب،(لوحة 50) بسيطة المظهر الخارجي وعديمة الزخرفة وكانت منتشرة داخل النسيج العمراني.( لوحة 51 )

وأما عن واجهات حوانيت مدينة الجزائر، فهي في الغالب غير مزخرفة، ماعدا القليل منها الذي نجد واجهاته، منقوشة ومزخرفة بألوان مختلفة بالأرابسك المذّهبة.[2] وأما حوانيت القصابين وبائعي السميد، فنجدها مغطاة بالبلاطات الخزفية.[3]

وفي الدراسة الميدانية التي قمت بها في المدينة العتيقة، لاحظت أن الحوانيت قد فقدت هيئتها الأصلية وتغيرت ملامحها كليا حتى صعب علي التمييز بين القديم والجديد ولم أعثر سوى على تقريبا ثلاث محلات حافظت فيها نوعا ما على بعض العناصر المعمارية التي بقيت تشهد على أقدميتها وقارنتها بهذه الدراسة والتي لا تختلف عنها في الخطوط العامة من أنها محلات صغيرة وتكون مرفوقة أحيانا بحجرات أخرى من نفس العمق وكانت بالتأكيد تستعمل كمخازن للبضائع وواجهاتها ساذجة جدا بأبوابها التي فقدت زخارفها الأصلية حتى لا تعرف أنها محلات حوانيت إلا بعد الدخول إليها. وهي:

**ـ الحانوت الأول:**

ويقع في رقم 19 من شارع سيدي عبد الله وهو عبارة عن محل صغير مستطيل الشكل، مدخله يرتفع عن الأرض بحوالي 11 سم وارتفاعه يبلغ 1,92 م، طوله 1,84 م وعرضه 1,35 أما علوه فيبلغ 2,13 م تنفتح على يسار المدخل، كوة في الحائط لا تتجاوز فتحتها 0,82 سم، وسقفه يقوم على أوتاد خشبية متقاطعة.( مخطط 13 )

---

(1) MONTRAN , Istambul. pp. 461-462

(2) LESSOR ET WYLD : La régence d'Alger . p. 6

(3) MIGEON G , Les arts musulmans , p. 268

- الحانوت الثاني:

يقع في رقم 3 من شارع سيدي محمد الشريف وهو محل كبير نوعا ما و معقد يتكـون من ثلاث أقسام، مدخله يبلغ 2,70 سم و عتبته لا تتجاوز 1,49 م وترتفع بحوالي 54سم ثم ندخل قاعة مستطيلة الشكل، عمقها 3,55 م وهذا علو كبير بالنسبة للحوانيث الأخرى لأنـــه حـانوت نجار وهذا العلو لإبعاد تطاير النجارة وتتفتح في الحائط الأيمن، كوة صغيرة تبلغ 70سم و كـوة الحائط المقابل تبلغ 72 سم وبها عقد حذوي ارتفاعه 3,25 م. سقفه، يحمل هـــو الآخـر قبـوا متقاطعا ثم ندخل القاعة الثانية ذات ارتفاع مشابه حوالي 2,72 سم نّوعا ما ربما لأنها لا تجـوي فيها النجارة. أما المدخل، فيتألف من الواجهة والسقيفة والدكانات. (مخطط 14 )

- ورشة النجار:

وتقع في 28 من شارع سيدي محمد الشريف وهي عبارة عن محل بسيط يتكون مـــن ثلاث قاعات، مدخله يتكون من باب خشبي سميك متكون من درفتين كبيرتين، عنـــد الفتـح، تدخلان داخل الجدار وتغلق بواسطة متراس، توضع فوق عارضتين خشـــبيتين مثبتتيـــن أفقيـا بواسطة قطعتين عموديتين مغروزتين فيهما بواسطة دبابيز كبيرة من الحجم الكبـــير. ومدخلـه منخفض جدا و يزدان بعقد أصم يؤدي إلى قاعة، بحوائطها كوات مربعة، تســتعمل للإضـــاءة والتهوية، و تنعدم بها الزخارف. على يسار المدخل، فتحت حجرة صغـــيرة أيضـــا، جدارهـا الجانبي به عقد أصم أيضا، تنفتح به فتحتان مستطيلتان، الجزء العلوي منها، يحمـــل عقـدا و تحمل هذه الفتحتان رفوفا خشبية بطريقة مستعرضة.

أما أرضيتها فهي منخفضة على مستوى القاعة الأولى ومبلطة وسقفها، يحمل قبوا متقاطعا يقوم على أوتاد خشبية غير مصقولة، خشنة المظهر تمتد عرضيا يشدها وتد خشبي آخر موضـــوع شاقوليا حتى تثبت جيدا ليكون السقف صلبا. (مخطط 15)

## ـ حانوت القصاب :

يتكون من واجهة تنفتح بها كنتان، جدارها مبني من مداميك قرميدية موضوعة طوليا وعرضيا.(لوحة 52) ويفصل بين الكنتين، عمود مستطيل من نفس مادة بناء المحل وهي المداميك (شكل 18) مثبت فيه عارضة خشبية تعلق فيها اللحوم عن طريق حبال سميكة.

اتخذت الكنة اليمنى، من منضدتها مصطبة يجلس عليها القصاب في إحدى الزوايا والزاوية المقابلة يعرض عليها قطع اللحم، كما تعلق أيضا على جدار العمود الداخلي. ويعلو الكنة، إفريز خشبي هو الظلة التي تحميه من الشمس والمطر ويسدل على الواجهة حصير مشدود الفتلات، حتى يحجب أشعة الشمس عنها وربما لأن الرفرف الذي يعلو الواجهة لا يحجبها تماما، أو ربما لحجب اللحم عن الشمس لتجنب النتانة، خاصة وأن تقنية التبريد لم تكن معروفة بعد (لوحة 53)

ولا يظهر من الداخل، سوى التسقيف الخشبي المتمثل في العوارض الممدودة طوليا من جدار إلى جدار ونفس الشيء بالنسبة للكنة الثانية، إذ لا يوجد اتصال بينهما.

تنعدم الزخارف في هذا المبنى وذلك يعود ربما إلى الإمكانيات البسيطة التي يملكها صاحب المحل لزخرفة دكانه أو أنه يقع خارج المركز الإقتصادي الذي تكثر فيه حوانيت القصابين.

## ـ السويقة :

تصعب دراسة هذه الهيئة المعمارية الإقتصادية للأسباب التي ذكرتها سابقا لكن من خلال إعادة التصور التي قام بها الفنان محمد راسم[1] وإن كانت فيها نوعا من الخيال لكن العناصر الأساسية المتوفرة فيها ساعدت البحث بأن يعطي صورة تقريبية لما كانت عليه هذه الحوانيت التي كانت عبارة عن كتلة بنائية كبيرة يعتبر الجزء العلوي منها مساكن، أما الجزء السفلي، فهو عبارة عن صف واحد من الحوانيت وهي كوات صغيرة تنفتح في حوائط المبنى وترتفع عتباتها عن مستوى الشارع عن طريق مصاطب تكون في معظم الأحيان مقاعدا أو

(1) RACIM R., Miniaturiste algérien, texte de Khadda M., E.N.A.L., Alger1990,p.27-31

دكات يجلس عليها التجار مقابل الشارع مباشرة. وتفصل بذلك بين الحانوت والشارع. تغطى أحيانا بصف من القرميد، ليحمي الواجهة من أشعة الشمس والتي تكون بسيطة أيضا، أي عبارة عن طنف متكون من عارضتين خشبيتين، يشكل الطنف الأول حاجزا للشمس ورافعة تعلق عليها البضائع بواسطة صواري مثبتة في الحوائط وفي السقف نهارا وفي الليل تعلق فيها الفوانيس ثم يسدل عند غلق الباب (شكل 19). ويدخل التاجر إلى محله عن طريق القفز.

**- سويقة سيدي عبد الله:**

عبارة عن حوانيت فتحت تحت الطوابق الأرضية للمساكن وتحف بساحة مكشوفة كسيت أرضيتها ببلاطات من الحجر المهندم. تتكون هذه الحوانيت من ادهيشات عبارة عن كنات صغيرة ترتفع عن مستوى الأرضية بمصاطب يجلس عليها التجار او الزبائن للتحدث مع أصحاب المحلات. (لوحة 54)

أما الجزء العلوي من هذه الكنات فتعلوها أفاريز خشبية مشكلة عرضيا تكون في نفس الوقت الظلة التي تحمي المدخل من العوامل الطبيعية مشدودة بكوابيل تنغرز في حوائط المبنى. وأما حوانيت الجدار المقابل فاتخذت من المصاطب مبسط سلع على شكل منضدة يعرض التجار عليها بضائعهم بالإضافة إلى طريقة عرضها تحت إفريز المحل.

وتغلق هذه الحوانيت بأبواب خشبية عادية يتكون جزؤها العلوي من دفتين، تنفتح إحداهما نحو الأعلى لتكون الظلة ولتعليق البضائع. ويغطي المدخل رفارف متكونة من سقائف خشبية طولية تشدها كوابيل صغيرة مثبتة في الحائط وتعلو الحوانيت خواشك صغيرة تعلوها وحدات سكنية. وأما التسقيف، فيقوم على كوابل خشبية أيضا لها وظيفتين أساسيتين، الأولى زخرفية والثانية عمرانية تقي من حر الشمس.

## ـ سويقة سيدي محمد الشريف :

تشبه سويقة سيدي عبد الله في هيئتها ولا يظهر الإختلاف إلا فـي بعـض العناصر الطفيفة وهي أيضا حي شعبي تنفتح به حوانيت صغيرة عبارة عن كنات غـائرة فـي جـدار المباني، ترتفع أرضيتها عن مستوى الشارع عن طريق عتبات مكسوة بالبلاطات الخزفية.

وعن مداخل هذه الحوانيت فهي عبارة عن فتحات كبيرة تحمل عقودا تختلف من محل إلى آخر وتحملها أعمدة حلزونية رشيقة بدون تيجان مما يدل على وظيفتيهما الزخرفيـة فقـط لأنـهما ملاصقان في جدار المبنى. وتعلو هذه المداخل أفاريز من القوائم الخشـبية الرفيعـة وضعـت شاقوليا، يعلوها هي الأخرى شريط زخرفي قوامه كتابات. أما سطوحها فمغطاة بشـريط مـن القرميد الأخضر يتوج الواجهة للزخرفة. (لوحة 55)

## 2 ـ تخطيط الأسواق المغطاة :

لم تعرف مدينة الجزائر الوجه المعماري الضخم في بناء أسواقها المغطاة (القيسارية الفندق والبادستان والرحبة) لكن الخطوط العريضة في تصميمها لا يخرج عن القاعدة المعروفة كالساحة المكشوفة التي تحيطها الأروقة و يسميها ثروت عكاشة "بالعمارة التجارية وعلى أنها مستنبطة من عمارة البازيليكا البيزنطية لأنها على نمط مثالي، كحماية جمهور المصلين من العواصف و الأمطار و الإضاءة المباشرة، المنطلقة من الصحن المكشوف عبر الأعمدة التي تترك فراغات بينها".[1] ( مخطط 16)

وتتفق كل الأبحاث والدراسات الحديثة، على أن هذا الشكل المعماري موحد في كل البلاد الإسلامية سواء في المشرق أو في المغرب ولا تختلف إلا في الحجم و العدد و تختلف عن السوق، في اتساعها وفي أنها تحمل عدة أروقة والسوق يحمل رواقا واحدا.[2]

وفيما يخص قيسارية مدينة الجزائر فإنها اندثرت، وكذا قيسارية تلمسان التي كانت النموذج الأول لدراسة قيساريات المغرب الأوسط، إذ لم يبق منها سوى المدخل (لوحة 56) من جراء تدهور المعالم الأثرية كما كان للإستعمار الفرنسي أيضا يد في هذا التدهور إذ قضى على ملامح الحضارة الإسلامية بالمغرب الأوسط. ولهذا تصعب علينا دراسة القيسارية ونشر كواسي صورة تمثل رواقا مغطى يسميها خان المسافرين ويترجمها بالفرنسية بالقيسارية[3] لكنه لم يوثقها ولم يدرسها ولهذا، لا يستطيع البحث الإعتماد عليها على أساس هي قيسارية المدينة، غير أن العناصر الأساسية العمرانية والمعمارية فيها تنطبق عموما على الأسواق المغطاة. ومن خلال المقارنة العامة يمكننا تصور ملامح المبنى العام في الأسواق المغطاة ومن خلال هذه المقارنة، يمكننا تصور هيئتها على شكل مبنى مغطى مربع أو مستطيل الشكل، ينتظم حول صحن مكشوف في الغالب، كمصدر رئيسي في إضاءة وتهوية الحوانيت والبيوت الموجودة بها.[4]

---

(1) عكاشة، المرجع السابق، ص. 37

(2) STRECK , op. cit. p. 870

(3) KOUACI M , Algérie d'hier et Algérie d'aujourd'hui, E.N.A.L 1983 , s.p.

(4) رفعت (موسى)، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، دار المصرية اللبنانية، القاهرة 1993، ط.1، ص.41

تحيط بالصحن، أروقة تحمل سقوفها أقبية في الغالب متقاطعة كما كان الحال في شوارع المدينة وبما أنها بناية ضخمة فإنها ترتكز على أكتاف مربعة الشكل تزدان بعقود داعمة للعتبات، بالإضافة إلى الأقواس الجانبية التي يتحكم في حجمها وشكلها وعددها، الفناء الذي تتم به عملية إنزال البضائع.[1] (شكل 20) وأحيانا تقوم الأروقة على قوائم خشبية توصل بينها روابط خشبية أيضا. أما البناية نفسها، فهي من الصخر الصلب المنحوت (شكل 21) المتوفر في المدينة أو من الذي كان يجلب من مقالع بوزريعة أو من آثار تامندفودست كما يذكر حسن الوزان.[2]

وبما أنها سوق مغطى ومخصص للتجار الأجانب أو للبضائع الثمينة، فأكيد كان لها عدة طوابق مثل سوق الحرارين الذي يعتبر كما رأينا في الفصل السابقن فندقا وفندق الزيت الذي كان يتكون من ثلاث طوابق. وفي هذه الحالة يمكننا أن نتصور عدد حوانيتها ما بين 30 إلى 40 حانوت تقريبا استدلالا بما قاله روزي بأن فنادق مدينة الجزائر كانت تحتوي من 30 إلى 40 غرفة والفندق لا يختلف عن القيسارية وعدد الغرف يكون غالبا بعدد الحوانيت التي تفتح في طوابقها الأرضية، فنرجح إذن، أن يكون هذا الرقم صحيحا.

وتشتمل هذه الحوانيت على مصطبات ومقاعد ومخازن يضع فيها التجار بضائعهم وكانت ترفق بإصطبل وميضأة... إلخ [3]وأحيانا يتوسط الصحن، نافورة وقد ذكرت سابقا أن هناك كتابة تذكارية تخلد عينا بالقيسارية، زودت مياهها سنة 1176هـ/1761-1763 م.[4] (لوحة 19)

وأما الطابق العلوي، فكان يحتوي على مساكن، عبارة عن خلايا صغيرة مستطيلة، تطل عموما على الرواق وهي بنفس عمق حوانيت الطابق الأرضي.[5]

وحسب التنقيبات الفرنسية التي كشفت عن تخطيط شوارع المدينة، فإن أرضية القيسارية، قد تكون فرشت هي الأخرى، ببلاطات من الحجر الصلب التي وضعت بدون شك بطريقة ال Opus tesselatum (شكل 22) لتضمن نظافة المكان. وربما كانت من الحجر الأزرق على

---

[1] نقادي ، المرجع السابق ، ص. 57

[2] الوزان، المصدر السابق .

[3] ) رفعت، المرجع السابق، ص.40

[4] COLIN , op. cit

[5] DEVOULX , Alger

غرار شوارع المدينة التي بلطت بالحجارة الزرقاء كما ذكر ذلـــك Pasquali[1] لأن القيســـارية كانت مؤسسة ذات أهمية اقتصادية عالية.

وعن المداخل، لدينا وقف بتاريخ 1178هـ/1764م يذكر دكان قبلة باب القيسارية علـــى يميـــن الداخل لسوق الدخان، مما يجعلنا نرجح أن لها باب يطل على الجنينة لأن سوق الدخان يقع فوق الديوان وباب آخر يطل على درب رابغة النحاس لأن هذا الشطر منها، هو الساغة التي كـــانت تسمى بالقيسارية القديمة. وما جاء في البحث يدعم هذا التحليـــل، بالإضافـــة إلـــى مـــا قالـــه DEVOULX بأن لها بابان في طرفيها.[2] يطل الطرف الأول، على الجنينة والثاني على شـــارع البحرية وقد تكون هذه الأبواب على شكل بوابات تغلق ليلا وتحملها ركائز وعند المدخل، نجـــد مكتب صرافة أو مبسط سلع أو ما يسمى بالفرنسية(Le Comptoir) لقبض حقـــوق الدخـــول أو المكوس مثل أبواب الأسوار.[3] ونجد هيئته في صورة كواسي على شكل باب كبير يحمل عقـــدا مفصصا في جزئه العلوي يحمله عمودان (شكل 23)

## ـ تخطيط الفنادق :

إن هيئة الفندق، تشبه هيئة القيسارية في تخطيطها العام ولا يكمن الفرق إلا في الحجـم وفي عدد الطوابق ربما وفي الوظيفة خاصة وإن كانت الوظائف تغيرت فيما بعد، فالقيســـارية تجمع التجار طبقا لنوع السلعة المباعة فيها والفندق يجمع التجار من ذوي الجنسية الواحـــدة.[4] وفنادق مدينة الجزائر، شهد لها حسن الوزان، بكثرتها في القرن العاشر الهجري/السادس عشـــر ميلادي وفي العهد العثماني ذكر ROZET بأنه كان لها عدة بازارات ويعني بها الفنـــادق وأنـــها كانت مؤهلة لاستقبال التجار الأجانب وكل فندق له طابقان أو ثلاث طوابق مثل فندق النساجين

---

(1) PASQUALI, op. cit.

(2) RAYMOND , Grandes villes , p. 250

(3) نقادي ، المرجع السابق، ص. 45-46

(4) عكاشة، المرجع السابق.

الذي يذكره وقف 1216هـ/1801م و يسميه بالعلوي الكبير. والعلوي، يقصد به في مدينة الجزائر، الطابق. وكل فندق، يختلف عن الآخر في عدد الغرف، ففندق باب الوادي، يحتوي على إحدى عشر غرفة في الطابق الأرضي وثلاث عشر غرفة في الطابق العلوي. ويحتوي فندق المحتسب على ستة عشر غرفة وخمسة عشرة بيت ولا نعرف ما الذي يقصده من الغرفة والبيت. ويحتوي فندق المسلم الجديد على ست غرف بالطابق الأرضي وسبعة بالطابق العلوي. وهناك ثلاث فنادق، لها حوالي أربعون غرفة[1] لكنه لا يذكر أسماءها ولا مواضعها.

وذكر Raymond أن فنادق مدينة الجزائر، تشبه في تخطيطها العمراني فنادق تونس ومنه فندق الفرنسيين لأنه فندق وقنصلية في نفس الوقت،[2] بناه حمودة باشا المرادي سنة 1659م-1660م للجالية الفرنسية التي كان يمثلها الراهب Le père Levacher كقنصلية لحاشيته ولعتق الأسرى المسيحيين والتجار المسيحيين بمختلف جنسياتهم وله فيه جناح خاص يلتحم معه.[3] (مخطط 17)

وذكر Granchamp الذي وصفه ونشر عنه مقالا في المجلة الفرنسية[4] أنه كان من أكبر فنادق تونس وأجملها، بني على طراز الخانات والقيساريات بالمشرق أي عبارة عن مبنى مربع يشبه البرج المحصن، يتوسطه صحن مكشوف، تحط به الدواب ، يحيطه رواقان متراكبان بمعنى طابق أرضي وطابق علوي، يرتكزان على بائكتين تحمل عقودا (شكل 24 ) في الطابق الأرضي تقوم دكاكين و مخازن و في الطابق العلوي نجد الغرف، تحمل سقوفها أقبية متقاطعة وتعلوها سطوح يصعد إليها عن طريق فتحات الأبواب. له مدخل كبير يشرف على الشارع، بوابته من الصخر يحملها عمودان يدعمانها يتوسطهما باب خشبي ذو مصراعين ومسمرة، تفتح وسط حوائط مكسوة بالجير وبها بعض النوافذ الصغيرة الفتحات.[5] (شكل 25)

---

(1) ROZET , Voyage, p. 66

(2) RAYMOND , Grandes villes, p. 251

(3) REVAULT I , Le Fondouk des Français et le Consul de France à Tunis (1660-1860). C.N.R.S et recherches sur les civilisations . Paris 1984- Mémoire n°48- p 21

(4) GRANCHAMP P., Le Fondouk français à Tunis ( 1660-1861) extrait de la France au XVIIème s.(1651-1660) T. V, s.p.

(5) Ibid.

وفي سنة 1692م، أضيف جناح مشابه تماما في التصميم، احتل القنصل، البناية الأولى واحتل التجار، البناية الحديثة والذي سمي من ثم، فندق الفرنسيين. ويتكون من صحن مربع أيضا تنفتح مخازن صغيرة بالطابق الأرضي وغرف بالطابق العلوي ومتصلة ببعضها عن طريق الرواق المطل على الصحن والمؤدي إلى جناح القنصل. أما الباب، فنجده في إحدى الأروقة يعلوه السطح والرواق الآخر، فيه المقصورة وغرفة المجلس والرواق الثالث، نجد به غرفة الطعام والرابع، به المطبخ والمكتب. وأمّا السقوف فتحمل أقبية، يعلوها السطح الذي نجد به الصهاريج لخزن مياه الشتاء، بالإضافة إلى الفرن والكنيسة لتأدية شعائرهم.[1] (مخطط 18 )

بعد هذا، نتطرق إلى الوصف المعماري لبعض فنادق المدينة والتي اندثرت ولم يبق منها سوى فندق الزيت الذي عرف تغييرات وتعديلات كثيرة سنعرفها خلال هذا الوصف.

**ـ تخطيط فندق الزيت :**

نبدأ بوصفه حسب ما ذكره روزي من أنه كان يتكون من باب كبير يعلوه قبو مظلم، يؤدي إلى صحن مستطيل الشكل، تحيط به أروقة تقوم فيها نشاطات مختلفة رغم الإختصاص الذي يتميز به وهو تجارة الزيت. (لوحة 18)

تحمل هذه الأروقة، بائكة من الأعمدة تحمل عقودا بها تيجان للزخرفة وإضفاء نغمة عمرانية منسجمة مع طابع البناء في المدينة. تقوم في أروقة الطابق الأرضي الثلاثة، غرف صغيرة بمثابة الحوانيت، يجلس أمامها وتحت الرواق، أشخاص وسط أمتعتهم ودوابهم وهم تجار الزيت بأوانيهم الفخارية جالسين القرفصاء و يطهون طعامهم وعلى يسار المدخل، يقيم السباغون أي في الرواق الرابع. أما الطابق الثاني، فيحتله النساجون الذين يصنعون من خيط الأغاف أقمشة تسبغ في الطابق الأرضي، مما يبين ذلك التكامل في المهنة.أما الحوانيت، فلها مصاطب حجرية من الخارج.[2]

---

[1] REVAULT , Le Fonduk des Français et le Consul de France à Tunis. pp. 24-25-26

[2] ROZET , op. cit. pp. 66-67

ومن خلال اللوحة التي رسمها Genet والتي يعود تاريخها إلى سنة 1836[1] فإنه يبدو أن طرازه المعماري الإسلامي فقده. لكنه صمم في تخطيطه العام من بناية تتكون من ثلاث طوابق تقوم على أروقة تحيط بصحن مكشوف. تحمل أروقة الطابق الأرضي أعمدة أسطوانية تحمل بائكة من العقود الحذوية وتنفتح بهذا الرواق الحوانيت. أما الطابق العلوي فيحمل أروقة أعمدتها أسطوانية وأخرى حلزونية تحمل تيجانا كورنثية والتي تحمل هي الأخرى سقف الرواق الذي يتكون من عوارض خشبية طولية.

وفي الواجهة الأخرى تظهر العقود الصنجية الشكل (شكل 26) المعمول بنفس مادة البناء وهو كما يظهر القرميد مما يبعث بالقول أنه بني بالمواد المحلية وتظهر الغرف من خلال مداخلها عبارة عن فتحات صغيرة مستطيلة.

ونجد في الركن الجنوبي السلالم المؤدية من الطابق الأرضي إلى الطابق العلوي وهي مكشوفة وتنطلق من الصحن مباشرة وغير مغطاة.

**ـ بازار الكرموس (خان القوافل) :**

عبارة عن ساحة مربعة مكشوفة تحفها حوانيت تقوم تحت المباني والمساكن(لوحة11) وهي عبارة عن كنات صغيرة لها ظلات تحمي الزبائن من الشمس والمطر وهي عبارة عن أفاريز مكونة من سطح أفقي وبارز عن الجدار الخارجي يستند على أوتاد خشبية موضوعة بطريقة عرضية بواسطة كابلين خشبيين ذوي مقطع مستطيل ومثبتان في وضعية شاقولية مائلة بدايتهما تستند طرفي البلاطة ونهايتهما محشوتان في الحائط ويرتفع هذا الإفريز كثيرا عن مستوى الشارع.(شكل 27)

يغطي الظلة شريط من القرميد بطريقة مسننة وعلى شكل نصف قناة مخروطية، تستعمل كأطناف تتوج واجهات الحوانيت ويحيط بالظلة ويبرز جزء صغير منه بلون أخضر لغاية الزخرفة ومنع المياه من الإنسياب إلى الجدران وحمايتها من الإتلاف بفعل الرطوبة التي تسببها الأمطار. (شكل 28)

---

[1] مسلم (ليليان)، القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر 1984، ط.1، في تراجم موجزة.

وعلى كل، أينما كانت العملية فالتخطيط لا يختلف في أساسه من حيث الهيئة العامـــة المتكونة من ساحة مكشوفة، أرضيتها مغطاة ببلاطات مربعة من الصخر، تحفها أروقة يظهـر منها الرواق الغربي والجنوبي تشدها دعامات عريضة مستطيلة تحمل تيجانـا تحمـل عقـودا حذوية.

يظهر المدخل عبارة عن فتحة كبيرة تحمل في جزئها العلوي عقدا حذويا على شكل صابـاط، يمر منه الأسرى مما يبين أنه فعلا البادستان لأن دار السلطان لا يكون لها مدخلا واسعا علـى هذه الهيئة وهي مدخل رواق.

يصل بين الأعمدة، أروقة تتكون من عوارض خشبية موضوعة طوليا لحجب الـرواق عـن الآخر وكأبواب لها لحجبها عن الفناء كأن نقول أن كل رواق هو إقطاعة لنشاط معين، وهذا مـا ينطبق ربما على القيسارية لكن لوظيفة المبنى أستبعد ذلك إلا إذا أخذنا بما جاء فـي التحليـل التاريخي.

أما البادستان الذي نشره Esquer فهو عبارة عن ساحة مكشوفة، تحفها أروقة مستطيلة تكتنفـها بائكة من الأعمدة الأسطوانية تحمل تيجانا دورية قواعدها ترتكز عليها عوارض خشبية تحمـل عقودا. وبين البائكة والأخرى، ممر يجلس فيه أشخاص، مغطى بستور من الكتان أو الجخ مثبتة في تيجان أعمدة هذه الأروقة لتربط إلى بدن أعمدة الأروقة المقابلة وذلك لبعث الظل حتما.

أمّا سقف الأروقة فيقوم على عوارض خشبية أفقية مشدودة إلى بعضها البعض عن طريق مـدة الملاط ربما وتبرز عن المربع الذي يشدها والذي يكون طنفا يحمل عقودا في جهاته الأربعـة، لتقيه من حرارة الشمس ومن المطر.

أرضيته مبلطة بقطع حجرية مهندمة، مربعة الشكل والسـطح الـذي يغطـي الأروقـة فـهو مخروطي الشكل على الطريقة الموريسكية ، حتى تبعد حرارة الشمس صيفا وتمنع انسياب الماء إلى داخل الممرات العديمة الجدران.

يحيط بالمبنى سور به شرفات مسننة كأسوار المدينة وله مدخل كبير.(لوحة 16)

## ـ تخطيط الرحبة :

وفيما يخص الرحبة فالدراسة أصعب لأنها هيئة أقل اعتبارا مقارنة بـــالفندق والقيســارية وبالتالي فالإهتمام بها يكاد ينعدم إذ لم تحظ بلوحة فنية أو برسم هندسي ما عدا مخطط براون الذي يبقى المصدر الأول والوحيد للدراسة المعمارية للرحبة بمدينة الجزائر وإن كان الرسم قليل المصداقية لكنه يعطينا صورة تقريبية. (مخطط 2 ) ورغم أن طابعها المعماري أيضا متشابه في كل المدن الإسلامية ولايختلف كثيرا عن تخطيط الأسواق المغطاة.

فهي حسب المخطط، تستند جنوبا إلى سوق وبطارية العسل وشمالا جهة البحر برجا من أبــراج المدينة ولهذا، تظهر على شكل مساحة مكشوفة يظهر منها رواق واحد فقط، (شكل 2) تقوم فيــه بنايات صغيرة أظنها المخازن على شكل مستودعات أو Des Hangars ، واجهاتها تقابل البحــر، جزؤها العلوي على شكل مثلثات كواجهات البنايات الأوروبية، أما جزؤها السفلي فتنفتــح بــها فتحات صغيرة تحمل عقودا، هي الأبواب أو المداخل إلى المخازن. ( شكل 30 )

أما سطح هذه المستودعات، فهو مخروطي الشكل بمعنى أنه مغطى بصفوف من القرميد علـــى طراز الأبنية المحلية ذات الأسطح المائلة، مما يبين ربما قدم بنائها حينما كان الطراز المعماري بربريا محليا. ويفصل بين المستودع والأخر، فضاءات صغيرة ربما لتسهيل مرور الحرارة لكل المستودعات، خوفا من الرطوبة لأنها مخازن تحفظ الحبوب خاصة.

وتستند هذه المخازن، إلى حائط سميك قد يكون هو الأخر مخزنا كبــيرا و أســتبعد أن يكــون سورا. أما جدارها الجنوبي فيستند إلـــى ســور المدينـــة نفســه الـــذي يحمـــل برجيـــن فـــي هذه الجهة. (مخطط 1)

## 3 ـ الدراسة الفنية :

لم تشهد مدينة الجزائر في العصر الوسيط نموذجا فنيا كبيرا، بحكم أنـــها كـــانت ذات أهمية ثانوية ثم إن الحكام لم يولوها العناية الكافية في العمارة والتخطيط. وكان الفن فيها فـــي هذه الفترة ساذجا بمعنى بسيطا إذ تكاد تنعدم الزخارف في عمائرها والقليل منها كان ذو طـــابع بربري محلي. و بما أنها ورثت نظام الأروقة عن العمارة البيزنطية، فإن بعض عناصرها كـلن بيزنطيـــا بحتـــا مثـــل الأعمـــدة التـــي كـــانت أسـطوانية وتيجانـــها كورنثيـــة وأحيانـــــا أيونية (لوحة 43 و44) وعقودها نصف دائرية وتحمل أقبية متقاطعة و الأرضية تغطى ببلاطات من الصخر المنحوت.

ويظهر الفن البربري الإسلامي، على أسطح عمائرها المنشورية الشكل، اســتدلالا بمـــا عـــثر عليهDevoulx في 1830 في زاوية الكشاش من القرميد الأخضر.[1] (شكل 31) وكـــانت كمـــا يضيف ديفولكس دائما ذات طابق واحد.

وابتداء من القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، يبدأ التأثير الأندلســـي مـــع ارتيـــاد البحـــارة الأندلسيين إلى المدينة و نلاحظه في بعض المصطلحات المعمارية المستعملة بكثرة في المدينـــة إلى وقتنا هذا مثل امسيد وهو المدرسة و يذكر الشيخ طه الولي عن إبراهيم السامراني عن كلمة امسيد أن الأندلسيين حوروها عن كلمة مسجد (أي استبدلت الجيم بالياء) و من هذه الكلمة أخذت الكلمة الإسبانية Mesquida و الإيطالية Meschita و البربريـــة Ta Mesquida و فـــي اللهجـــة الأندلسية تحولت كلمة مسجد إلى امسيد ثم إلى مزد.[2] كما أن كلمة صاباط أطلقت على الممـــر المسقوف وهي كلمة لا نجدها في العمائر الإسلامية بالمشرق، ماعدا في الأندلس والتـــي منـــها انتقلت إلى المغرب، مما يدل على مساهمة الأندلسيين في حركة البناء بالمغرب. وكذا بالنســـبة لكلمة حومة التي تعبر عن الحارة لأنه كانت بقرطبة حومات كثيرة ونجدها بكثرة في الجزائـــر خاصة لأن تونس والمغرب لهما حارات .

---

(1) DEVOULX , Alger, p. 525

(2) الشيخ طه الولي، المساجد في الإسلام، ص. 138

أما عن المظهر الخارجي، فقد اكتسبته في العهد العثماني إذ أصبحت الأقبية تقوم على الدعامات التي تكتنفها الأعمدة الحلزونية الرشيقة للزخرفة. والتي تتوسطها أحيانا وكانت من الحجم الكبير وتحمل تيجانا كورنثية كما رأينا في رواق القوافل.( لوحة 42 ) وتظهر البلاطات الخزفية في خان القوافل وفي ممر الجنان (لوحة 11 و 46)، تغطي مدخل الحوانيت، وتحمل زخارف بسيطة قوامها زهرة مفصصة (شكل 29) وتزين بها المصاطب أيضا الموجودة خارج الحوانيت والتي يجلس عليها الباعة أو الزبائن والتي كان يفضلها العثمانيون لأنها أقل تعقيدا وتضفي جمالا أكثر على المباني.. وأما العقود فأكيد كانت متنوعة من حذوية ومفصصة كالتي كانت في خان المسافرين (شكل 23) وصنجية كما في فندق الزيت ( شكل 26).

**- مواد البناء :**

يعتبر الحجر، المادة الأساسية في بناء أسواق مدينة الجزائر، على غرار عمائرها الأخرى لأنه كان متوفرا بكثرة في محاجر بوزريعة وباب الوادي وفي آثارها الرومانية وفي الحجر الذي كانت تجلبه من شرشال وتامنتفوست واستعملت الطابية أيضا إذ عثر على أجزاء منها في أسوار المدينة، بالإضافة إلى الأجر والقرميد اللذان كانت تنتجهما . وتبيض هذه المنشآت من الخارج، بمادة الجير كما يظهر جليا في لوحة 42 وفي أقبية إحدى شوارع المدينة وهذا يؤكد ما قاله D'Arvieux بأن شوارعها ومساكنها تبيض بالجير من الخارج.[1]

ورغم أن الرخام استعمل في البناء كما سبق الكلام عنه إلا أنني أستبعد استعماله في الأسواق في العصر الوسيط و كذا في العصر العثماني الذي كان يستهلك منه بكثرة في القصور خاصة كالجنينة مثلا. أما الأسواق فكونها منشآت عمومية فلا أعتقد انه استعمل فيها لبساطة مظهرها الخارجي. وربما استعمل في القيسارية أو في بعض الفنادق التي كانت تسكنها الجاليات الأجنبية وبعض الأتراك الأثرياء. وإن استعمل فيها فقد اقتصر ربما على الأعمدة الحلزونية والأسطوانية الرشيقة التي تحمل تيجانا كورنثية لأن دارفيو D'Arvieux يذكر أيضا أن بعض الأروقة كانت تحملها أعمدة إما من الصخر أو من الأجر.[2](شكل 32)

---

(1) D'ARVIEUX, op. cit. P. 225

(2) Ibid. p. 227

- **تقنية البناء :**

لقد كانت تقنية البناء من المداميك، أي أن الحجر وضع بلاطات منحوتة و مشدودة إلى بعضها عن طريق مادة الملاط استدلالا بما ذكره D'Arvieux بوجود الحجر المنحوت[1] وبما أن المساكن كانت من الأجر الذي كان يوضع عن طريق مادة الطين، وكانت تبيض من الداخل والخارج بمادة الجير، فهذا يستدعي الفهم أيضا أن الأسواق بنيت بنفس التقنية كما لاحظناه في حانوت القصاب (لوحة 52) وفي فندق الزيت (لوحة 18). أما الخشب فاستعمل في الكوابيل التي تشد التسقيف (شكل 33) أو في الأبواب مثل باب البحرية (شكل 34 ) إذ وضع على شكل ظ ، فوق المدخل وكانت هذه التقنية عامة سواء في الحوانيت أو في الأسواق المغطاة وحتى في الشوارع (لوحة 45) للربط بين طوابق المساكن.

---

(1) Ibid p 219

# الفصل الخامس

## الأصناف و الحرف

1- مفهوم الطائفة.

2- التنظيم الطائفي.

3- أهم الطوائف الحرفية بمدينة الجزائر

## 1- مفهوم الطائفة :

إن السوق هو الوسط الذي يتحرك فيه الإنسان اقتصاديا وهو الإطار الذي تنتظم فيه التركيبة السكانية لأنه عندما تزداد حاجات الناس وتتطور، تصبح بحاجة إلى تجمع أو اتحاد، يخصص كل واحد منهم في عمل ما لأن الأعمال متصلة ببعضها وكل يحتاج الآخر.

وفي هذا الصدد، يقول ابن خلدون: "عندما يستبحر العمران و يكثر السكان، يزداد تطلعهم إلى ما وراء الضروري أي إلى الكماليات، فيتسع بذلك ميدان الصناعة"[1] و كان الصناع يشعرون بوجود رابط من نوع خاص يؤلف بين قلوبهم بالأخوة المهنية و بوحدة المصالح. وهذا الشعور بالحاجة إلى جماعة ينتمون إليها، تساعدهم حين لا تنفع قرابة النسب أو الدم في توفير الأمن، الأمر الذي أدى بوجودهم جنبا إلى جنب في سوق واحدة [2] والتي نعبر عنها بالمفهوم الحالي بكلمة الطوائف الحرفية.

يعود أصل نظام الطوائف إلى عصور قديمة جدا وربما ظهر هذا النظام في المجتمعات اليهودية القديمة. و سميت في عهد الإغريق " Les hétairies " أي المجمع أو " Collège ".و في عهد الرومان،أسس نوما "NUMA " إمبراطور روما مجمعات حرفية وظيفتها كانت تقسيم المدينة إلى طائفتين وتقسيم الشعب إلى طبقات صغيرة و عديدة وحسب الحرف والمهن، بحيث تنتمي كل واحدة منها، إلى مهنة معينة و كل طائفة تمارس حرفة ما.[3]

وفي العصر الوسيط، نجده يعني منظمة حرفيين و تجار تحفظ نوعية الإنتاج وتراقب عمل أعضائها و تسن القوانين و تسهر على تشكيل متمرنين و تعريفهم بالمنظمة التي تحمي أعضاءها من المنافسة وكانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدين سواء في البلدان الإسلامية أو البلدان الغربية الأجنبية.[4]

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص.401

(2) جودت عبد الكريم، المرجع السابق ،ص. 88

(3) MARTIN SAINT LOUIS , Histoire des corporations de métiers . T.1, Paris 1922, p. 123

(4) GOITIEN , «Artisans en Méditerranée au haut moyen âge». in Annales 1964, XIX , p. 858

ويسمى في الوثائق التركية، "بأهل الحرفة" أو "أهل الصنعة" وهي عبارة ظهرت في استانبول في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي في عهد بايزيد الثاني والتي نقلت من نظام الطوائف البيزنطي التقليدي،الذي تكونت فيه طوائف مسيحية و يهودية وغيرهما تحت مراقبة السلطة التي تهتم بسيره ومدى تنفيذ أوامره وقوانينه.[1]

وجد أيضا لفظ "طائفة" في مختلف الوثائق التاريخية بمعنى "جماعة" لتدل على "الفرق المهنية". وكذا بالنسبة للفظ "حرفة" أو "حرف" بمعنى "مهنة" أو "طائفة". أما "أهل حرفة" أو"أرباب الحرف" فيعني "نقابة" أو "طائفة حرفية". وأمّا كلمة "صنعة" فتدل علىٰ "حرفة" والتي قلما تشير إلى "طائفة" إلا إذا كانت مصحوبة بكلمة "أرباب"، غير أن المألوف هو أنه تحت مفهوم "طائفة" كانت تنتمي تلك الجماعات الحرفية أو الطوائف الحرفية المختلفة التي كانت تخضع لنظام واحد.[2]

و يعرف نظام الطوائف في فرنسا، باسم " Corporation " كانت تطلق على بعض الجماعات المنضمة في إطار المهنة أو الحرفة الواحدة مثل "السافويار" و "التيروليان" و "الأوفرنيا" الفرنسيين الذين كانوا يهاجرون إلى مختلف مدن أوروبا للبحث عن العمل وتحسين ظروف معيشتهم.[3] وهي مؤسسات اقتصادية حرة نشأت من ضرورة التجمع لتحقيق بعض الحاجيات الاقتصادية بدون تدخل السلطة في تكوينها أو تطورها و تحمل أسماء عديدة مثل : "Gilde " أو "Hauss " أو "Syndicat". ونشأت عموما من تجمع رجال يحترفون نفس المهنة في مركز مدني واحد، لحماية مصالحهم المشتركة وتوفير أمنهم ضد السلطة.[4]

ونجده في العراق يستمد شعائره وتقاليده من الطرق الصوفية التي تحث على امتهان الحرف وإتقان الصنائع وتجعل العمل قيمة روحية عالية لأنه هو نظام الفتوة الذي يتميز بضوابط أخلاقية رفيعة.[5] في حين تعني كلمة "حوطة" في المغرب الأقصى مجموعة "أرباب العمل والعمال والحرفيين" الذين يمارسون نفس المهنة سواء كانت حرفية أو تجارية وتضم عددا معينا من المهن التقليدية.[6]

---

(1) MONTRAN, op. cit. pp. 349-352

(2) RAYMOND, Artisans pp. 505-506-507

(3) DE FISQUET H., Histoire de l'Algérie depuis les temps anciens jusqu'à nos jours. Paris, 1842, pp. 401.

(4) GILISEN I., "Les institutions économiques et sociales des villes", in. R. S. J. B. Tome VII. p.16

(5) عبد السلام (رؤوف)، الملامح الإجتماعية لنظام الأصناف في العراق إبان العص العثماني في الحياة الإقتصادية للولايات العربية و مصادر وثائقها في العصر العثماني عبد الجليل التميمي . ج1-2 .1986.ص 446

(6) GOLVIN L. , Aspects de l'artisanat en Afrique du nord.Paris,1957, p.24

## 2 ـ التنظيم الطائفي :

بما أن السوق هو الإطار الذي تنشأ فيه الروابط العرقية و تخضع لنظام تسلسل العمل، فكل حرفة هي تخصص عرقي و تخصص مهني والعمل هو الإطار الذي تتحد فيه العرقيـــات لأن الإسلام لا يعرف مفهوم الفردانية، وضرورات الحياة الدينية تجـــبر الإنســـان أن يجـانب إخوانه. وهذا النظام الإقتصادي من جهة أخرى يحيل دون عزل الإنسان بسبب متطلبات الحيـاة اليومية، فكان المواطن ينتمي أولا إلى وسط عرقي ثم ديني ثم مهني ولا يخـــرج عنـــه لأنـــه الوسيلة الكفيلة للحياة والقاعدة نفسها لحمايته من ابتزازات موظفي الحكومة.[1] واستوجب لذلـك، طقوس وقواعد رسمية في التوظيف وتنظيم وتقدم العمل.[2] فالورشة الحرفية لها نظامها الخاص الذي يفرق بين المتعلم والصانع والمعلم، أما خارجها وعلى مستوى المدينة ككل فهناك قوانيـــن إدارية تمارسها السلطة في الحياة الاقتصادية تضبط الطائفة برقابة صارمـــــة لاحـــترام نظـــام الحسبة.[3]

وقد كانت هذه الطوائف كثيرة في المغرب قبل الإحتلال، تغطي تقريبا كل النشــــاطات الاقتصادية والقسم الأكبر من السكان المهنيين وكل طائفة لها نظامها الداخلي الذي يوزع العمال حسب التسلسل الوظيفي: رب العمل ورفيق وممرن ويضمن مباشرة مهمـــة الإنتـــاج ووظيفـــة التسوية والتنظيم[4] وهذا يعني مشاركة المدنيين في تنظيم وتسيير النشاط الاقتصادي باعتبـــاره تنظيمات اقتصادية اجتماعية ذات أسس أخلاقية خاصة، تنظم العلاقة بين الدولة وأرباب الحرف والعلاقات بين الناس وتضمن مستوى مقبولا للحرفة وتحدد أسعار منتجاتها.[5] وبما أن الطائفـــة الحرفية، نظام تأسيسي لعالم الشغل أو تقسيم للعمل[6] لأن المهنة هي تقسيم إداري أيضا للمدينة التي تنقسم هي الأخرى إلى أحياء مهنية والمهنة قد تكون حيا أو شارعا أي إحـــدى العنـــاصر الحضرية المهمة، نتيجة انتظامها داخل إطار معين لأن تجمع أشخاص، يعني تجمع أشـــياء[7]،

---

(1) MONTRAN. , Istambul , pp. 357-358

(2) CHENTOUF T , « L'évolution du travail au XIX ème siécle. La formation du salariat », in R.O.M.M. 31 , 1922, p.89.

(3) لقبال (موسى)، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب و نشأتها و تطورها. الجزائر، 1971 ،ط 1، ص86 .

(4) RESSAM et ZGHAL , Système urbain et développement au Maghreb - D.P.U. Tunis 1983, pp. 201-202

(5) عبد السلام (رؤوف)، الملامح الإجتماعية لنظام الأصناف في العراق إبان العصر العثماني، ص. 446

(6) TOUATI H. , Portefaix, chargeurs et déboucheurs d'Alger au XVIIIème s Alger 1982, p.8

(7) MAUNIER R ., L'origine et la fonction des villes , Paris 1910, p. 215

فيستوجب لذلك، شروط جغرافية معينة، تقوم كل طائفة في قطاع معين من المدينة أو من الحي أو من الشارع ماعدا المحلات ذات الاستهلاك الكبير مثل الخبازين والخضارين.[1]

وفي هذا الشأن، لا يمكننا تحديد تاريخ بدايته في مدينة الجزائر بالضبط، إذ ليست لدينا وثائق تعدد لنا عدد الطوائف الحرفية ولا مدونة أسماء، غير أن أول نص تاريخي يوحي بذلك، هو نص ابن الأبار كما سبق، حين يذكر باب الفخارين.[2]

فكلمة الفخارين، تعني التصنيف والتخصص بأنواعه، المادي والمكاني والعرقي. فالمادي، يعني أن الفخار كان له حرفيوه الخاصون وأنهم كانوا بذلك يكونون طائفة خاصة وهذا يؤدي بالقول بأنه نفس الشيء يقال عن الحرف الأخرى. والمكاني يعني أنه إذا كانت صناعة الفخار تقام خارج الأسوار وفقا لفن البناء الإسلامي المتبع من العصر الوسيط، فهذه الناحية لا تكون إلا باب الواد لاعتبارات عديدة منها، توفر المادة الفخارية وإبعاد الدخان والتلوث عن المدينة وسهولة نقله إلى الميناء ولأنها عملية تتطلب تقنيات كثيرة. والتخصص العرقي، فلا بد وأنه كان موجودا نظرا للهجرات التي عرفتها المدينة وتجمعت بها طوائف متعددة وكل واحدة تمارس حرفة ما والإصطخري نفسه، يذكر بأن "مدينة أو جزيرة بني مزغنة مدينة عامرة تحف بها طوائف من البربر."[3]

فهذا يعني أيضا، تصنيف رقي، لأن عبارة "طوائف من البربر" قد تعني أن سكان مدينة الجزائر مزيج من القبائل البربرية التي نزحت إليها من القرى المجاورة إلى جانب قبيلة بني مزغنة. وفي كلا النصين، يتضح أن المدينة عرفت التصنيف الطائفي بكل أنواعه منذ وقت مبكر وتحديدا منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي واستمر حتى العهد العثماني، حتى لما اتسع مفهومه وكبرت مهامه، أصبحت الطائفة تتسلم البضائع وتوزعها وتقضي في المنازعات التي تحصل بين أعضائها ولا تقبل الأجانب وترفض العمل الغير جيد.[4] وكان الحق في ذلك، للرجال وحدهم أي في عضوية الطائفة كما كان الحال في أي دولة إسلامية.[5]

---

(1) RAYMOND, Artisans p. 51 7

(2) ابن الأبار :المصدر السابق ،ص. 72

(3) الكرخي أو الإصطخري: المسالك و الممالك ، ص. 34

(4) BERQUE A., «La bourgoisie algérienne» in Hesperis 1948, pp.11-12

(5) DROUET F., Au nord de l'Afrique. Nice, 1896, pp.12-13

## 3 ـ أهم الطوائف الحرفية بمدينة الجزائر:

### أ ـ التصنيف العرقي:

كما ذكرت سابقا، لقد عمرت مدينة الجزائر بعناصر بشرية مختلفة من محترفين وعمال مهرة وتجار، يمارسون مهنهم في أسواق خاصة وذلك بتقسيمهم حسب العرق والحرفة، ما عدا الطبقة الحاكمة التي كانت تتكون من الأتراك وهي طائفة الأوجاق المهيمنة على المناصب الحكومية والتي كانت تعيش من مرتبها الإداري أو من مدخول دكان خاص أو بستان[1] ومنها طائفة الرياس التي أغنت المدينة بالتجارة البحرية ومقايضة الأسرى المسيحيين ومنهم من كان له حانوت يبيع فيه القماش والحلي وبعض المنتجات الكمالية إلى جانب طائفة الكراغلة التي أبعدت عن الحكم، فمارست مهنا صغيرة وكثيرة.[2] ورغم ممارستهم لبعض التجارات إلا أنهم لم يخضعوا لنظام الطوائف، بل كان لهم نظامهم الخاص، على عكس الطوائف الأخرى المتكونة من حضر وهم العرب والموريسكيين والبدو الذين نزحوا إليها من داخل البلاد سواء من ورقلة أو من بسكرة أو من القبائل أو بلاد ميزاب وهم طوائف كثيرة خضعت كلها للنظام الطائفي الذي كان يضبط لهم ساعات العمل وتقنيات الإنتاج ويخصص لهم فراغات اقتصادية خاصة لعملية التجارة أو لممارسة الحرفة تسهيلا بذلك، على الحكومة في تطبيق قراراتها المالية والاقتصادية والاجتماعية.[3]

ونعود إلى طائفة الحضر وهي المجموعة المتأصلة في البلاد وتعززت بالأندلسيين الذين هاجروا الأندلس واستقروا بمدينة الجزائر منذ فترة مبكرة وازدادوا تدفقا وعددا عندما مسهم الجلاء من طرف الأسبان في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي وهم طبقة أرستقراطية، وكان منهم حرفيون مهرة الذين بفضل نشاطاتهم وثرواتهم التي حملوها معهم نهضوا بالمدينة وأعطوها طابعا خاصا للحياة الحضرية ، فكانوا حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي، طائفة تعدادها أكثر من 16000 نسمة منهم حوالي 600عائلة أتت من فالنسيا تعيش من تربية دودة القز و200 نساج و46 جواهرجي و180 سكاك.[4]

---

(1) اسعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، ط.2، الجزائر 1981، ص. 42

(2) BOUTEMPS C , Manuel des institütions algériennes de la domination turque à l'indépendance,T.I, éd.Cujas, 1976 , p. 32

(3) BARKAN L , "Quelques observations sur l'organisation économique et sociale des villes ottomanes" p.302

(4) BAUDE (le Baron), l'Algerie , T. II, Paris Bertrand, 1841, p. 75

وباندماجهم مع السكان الأصليين، تعزز عدد سكان مدينة الجزائر وأصبح لهم تأثير كبير في مختلف مجالات الحياة وتجانسوا مع أفراد المجتمع وعكفوا على أهم الصناعات والمهن والتجارة، بغية تنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم، فأقاموا المشاغل وأنشأوا الورشات الصناعية كالحدادة والخياطة والنجارة ومعالجة الخزف والجلد والحرير واستحدثوا نسج القطيفة "المخمل" وصناعة الشبيكة ذات الطريقة والطراز الجميلين ونهضوا بصناعة الشاشية التي كان لها سوق خاص، في مدينة الجزائر وكذا صناعة نسيج الزرابي وتحسين صناعة الأسلحة وتحضير البارود وتطوير صناعة السفن، كما احتكروا المبادلات التجارية لامتلاكهم رؤوس الأموال وبهذا كله، نمت ثرواتهم[1] وظهر أغنياء منهم،كانوا يقدمون تبرعات عقارية باسم الحبوس للتكفل بنفقات الفقراء وخلق مؤسسات خيرية لمساعدة المعوزين منهم، وبفضلها قاموا بعدة أعمال ذات المنفعة العامة، كالإتيان بالماء، عن طريق القنوات وإقامة عدة عيون[2] وإنشاء أحياء سكنية خاصة بهم، خارج باب الجديد في أعالي الثغريين أو Les Tagarins نسبة إلى ثغور الأندلس. كما يعود لهم سبب تداول النقود الإسبانية التي كان التعامل بها بالجزائر آنذاك وسبب تحضر السكان والمدن الجزائرية، إذ كانوا يتميزون بذوق رهيف في المظهر والملبس والمأكل وفي أسلوب المعيشة والثقافة والفن وفي اللهجة الرقيقة.[3] أما طبقة العرب فكان منها من يبيع الأطعمة أو الخضر وآخرين كانوا يبيعون التبغ والغليون ومنها آخرون كانوا يبيعون أشياء أخرى وبأثمان قليلة.[4] أما الشباب منهم فكانوا يقومون بالحلاقة والتطريز أو كانوا يكسبون مقهى أو يبيعون الزهور أو يقومون بخدمة المنازل أو السمسرة أو مهنة الإسكافي أو صناعة المراوح وأما الشيوخ منهم، فكانوا تجار تبغ أو خبازين أو صانعي الحلوى أو موسيقيين أو بائعي التوابل رغم أنهم كانوا يفضلون أعمال الخياطة (كطرز البليغات وطرز الملابس)[5].

---

(1) اسعيدوني، "الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهمتها العمرانية ونشاطها الإقتصادي ووضعها الإجتماعي"، ص. 120-121

(2) DEVOULX , Alger, p. 122

(3) اسعيدوني، نفسه، ص.118

(4) MONTAGNE D.J. , Physiologie morale et physique d'ALger .1834 , p. 27

(5) FEYDEAU E. , Alger (étude). Paris 1884, N.E., pp .101

وأما الحرف الأقل أهمية والوعرة، فكانت تقتسمها المجموعة البشرية التي كانت تسمى "البرانية" وهم البدو الذين كانوا يقبلون كل شروط العمل الصعبة[1] وهم قبائل نزحت إلى العاصمة لممارسة الأشغال اليدوية والمهن المختلفة، فكانوا يأتون من القبائل وبسكرة والأغواط ومن واحات بني امزاب وبلاد الزنوج إلخ...[2] وكان عددهم حوالي 5000 فرد ومعظمهم عزب، تجمعوا في طوائف اجتماعية مختلفة ومنظمة، يشرف عليها أمين، كان يحفظ لهم امتيازاتهم و يلعب دور الوسيط بين الرعية والحكومة.[3]

وعلى رأس هذه الطوائف، نجد طبقة القبائل التي تمارس تقريبا كل المهن اليدوية، كالحفر والبناء والخبازة والزراعة[4] وفيها من كان يعمل كيالا للقمح في الرحبة، أو يشتغل فراغا أو حرفيا بسيطا، وكان ينام خارج باب عزون أو في محاجر باب الوادي أو في المناطق التي توجد فيها قمائن الجير[5] أو يخدم العائلات الحضرية الغنية أو التركية أو يقوم بمهمة جذب القوارب أو لأداء خدمة الشرطة.[6] أما الأغنياء منهم، فكانوا تجارا يأتون إلى العاصمة لبيع منتجاتهم الجبلية، كالزيت والتين والفحم والصابون... إلخ كما أنهم كانوا اقتصاديين مهرة. وكانت تمثل هذه الطائفة، في غالب الأحيان طائفة القبائل الصغرى وهم من منطقة امزيتة، و تمثل منطقة القبائل الكبرى طائفة الزواوة.[7] أما طائفة البسكريين، فكان فيها أناس فقراء، كانوا لا يستطيعون العيش في بلدهم، ويخرجون من ديارهم للبحث عن العمل في المدن الداخلية والساحلية.[8] فكانوا في مدينة الجزائر يكلفون بحمل الماء والجذف والتفريغ وتنظيف الآبار أو كانوا حراسا في الليل أو حمالين أو بوابين، إذ كانوا ينامون في الليل، أمام الحوانيت والأسواق والمنازل لحراستها[9] كما كانوا وسطاء أيضا، كما كان الحال بالنسبة لجماعة "السافويار" الفرنسية التي كانت وسيطة بين فرنسا وإنكلترا.[10]

---

(1) RAYMOND , Grandes villes p. 96

(2) FEYDEAU , Alger (étude) p. 79

(3) PIESSE L., Algérie et Tunisie , Paris 1889, p.27

(4) Ibid,.Préface.

(5) RAYMOND: op. cit. p. 96

(6) KADDACHE : L'Agérie , p. 206

(7) BOYER, la vie quotidienne, p. 22

(8) PIESSE , op. cit p.VIII

(9) RAYMOND, op. cit p. 96

(10) DE RAYNAUD P , Annales algériennes, Tome 1,. Alger 1854, p. 78

ولما اشتهروا بالثقة واللطافة، فكانوا يعملون داخل المنازل علاوة على احتكارهم لعملية تنظيف الشوارع والمحافظة عليها ومنهم عميان كانوا يوظفون كحراس على الممرات لمختلف أحياء المدينة[1] وعموما يعرف البسكري بقوة خارقة و أمانة واستقامة كبيرتين وقناعة معتبرة، و يقوم بكل الأعمال التي تتطلب قوة جسمية.[2]( لوحة 57)

أما طائفة الجيجلية التي كانت تمثل طبقة متميزة عن الطوائف الأخرى، ولها نفس الامتيازات مع الأتراك ماعدا الماهية و يسمح لها بحمل السلاح وأسندت لها إدارة المخابز والأفران خاصة أفران البايليك لطهي خبز الإنكشارية و ذلك اعترافا لها بما قدمته من مساعدات لعروج وخير الدين في حروبهما ضد الإسبان، فكان أعضاؤها يلبسون الملابس المطروزة بالذهب الذي كان محرما على الطوائف الأخرى وكان لهم أمين خاص و الداي وحده الذي كان يفضي في أمورهم ومعاقبتهم.[3]

وكانت طائفة الأغواطيين، تتقاسم وطائفة القبائل، تجارة الزيت وكيله وتصفيته ونقله[4] وتهتم أيضا ببعث قوافل الماشية[5] ثم طائفة المزابية المنحدرة من لاجئي الإباضية الخوارج، الذين نزحوا إلى العاصمة وسمح لهم بتكوين طائفة يشرف عليها أمين مع حق التقاضي عليهم من طرف قاضيهم في غرداية، وشكلوا أغلبية الجزارين والرحويين، والمشرفين على الحمام[6] وبيع الماشية وجذب القوارب الصغيرة في الميناء ونقل الماء[7] وجر العربات أو نجدهم أصحاب مطاعم أو تجار ثمار (لوحة 58) أو نجارين أو فحامين أو وسطاء أو صيرفيين أو ممولين صغار.[8]

كما كانت هناك، بعض قبائل بني عباس والشاوية، توافدوا على مدينة الجزائر لممارسة فن الخياطة أو للاشتغال في الرعي.[9] إلى جانب عرب وهران الذين كانوا ناقلين على الأحمرة أو بقالين. وبعض البرانية من المغرب كالريفيين والشلوح كانوا يمارسون مهنة الفحام

---

(1) اسبنسر، المرجع السابق ، ص 83

(2) MARGUERITE P., Alger l'hiver. Alger 1895, p. 9

(3) DE PARADIS, Alger au XVIIème siècle, p. 14

(4) اسعيدوني ، النظام المال، ص.45

(5) BOYER, op. cit. p. 22

(6) PIESSE, op. cit. p .XVIII

(7) FEYDEAU, op. cit.p.79

(8) MONTAGNE, op. cit. p .46

(9) اسبنسر ، المرجع السابق ، ص.84

ومهنة الحمال والأعمال اليدوية ومثلهم كان أهل تونس بالإضافة إلـــى الزنـــوج الذيـــن كـــانوا يتاجرون بالجير والكلس ويزوقون المنازل و يبيعون منتجاتهم الحقلية، ومنهم عمـــال يدويـــون وحفارون وحمالون[1] وقصابون، الذين كانوا يذبحون الماشية خارج الأسواق ثم يحضرون اللحم مقطعا إلى الدكان.[2] ورغم قلتهم، فـــإن معظمـــهم كـــان عبيـــدا عنـــد الأتـــراك والطبقـــات الأرستقراطية[3]، كان يشرف عليهم قائد الوصفان ومنهم من كان يقوم بمهنة البناء والتجصيـص والموسيقى أو يقوم بالتجارة أو الخبازة أو مهنة السلالة.[4]

كما لا يفوتنا أن نذكر طائفة اليهود الذين شكلوا حسب أيزنباث ونقلا عن شـــالر فـــي نهاية القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر ميلادي حوالي 5000 نسمة[5] وهي طائفة كانـــت قائمة في مدينة الجزائر منذ القديم والتي كانت تسمى بالشكليين نسبة إلى الشيكلة وهي صفيحـــة حديدية كانوا يعلقونها في رقابهم ثم سموا بعد ذلك أي بعد القرن الثامن الهجري /الرابع عشـــر ميلادي بالتوشابيم (Les Tochabims) بمعنى حاملي العمائم ثم انصهروا ابتداء من نفس القـــرن بالطائفة الإسبانية المتكونة من الميقوراشيم أو(Les Megorachims) بمعنى الهاربين أو الفـــارين ثم سموا بالســـيفراديم (Les Sepharadims) أيضـــا كمـــا أطلـــق عليـــهم الكبوســـيين أو (Les Kippoutsims) بمعنى الكبوسة الحمراء أو القلمونة التي كانوا يلبسونها. ثم تدعمت أكـــثر فـــي العصر العثماني بعد سقوط غرناطة. وفي نهاية القرن السابع عشر ميلادي عرفت هجرة يـــهود إيطاليا منهم يـــهود ليفـــورن وكـــانوا يســـمون بيـــهود النصـــارى أو(Les Juifs francs) أو الفورنية (Les Granas) .[6] استقروا في مدينة الجزائر لأن الظروف العامة كانت هادئة وآمنـــة ومستقرة فتعاطوا التجارة والمهن اليدوية ذات المردود المرتفـــع (لوحـــة 59 ) وعكفـــوا علـــى الأعمال المالية والتجارية وجعلوا مصالحهم المادية فوق كل اعتبـــار، رغـــم اندماجـــهم مـــع المسلمين، وفلحوا في إعادة بيع المنتوجات[7] وتخصصوا فـــي تجـــارة الصـــوف الطبيعـــي أو المصنوع

---

[1] PIESSE , op.cit. p. XVIII

[2] المدني (أحمد توفيق) ،كتاب الجزائر، S.N.E.D الجزائر 1982، ص.145

[3] ROZET , op.cit. p. 101

[4] BOYER, Op.Cit. p. 22

[5] EINSENBETH M , "Les Juifs en Algérie et en tunisie à l'époque Turque"(1516-1830)..in. R. Afr. 1952, p. 150

[6] BENAYOUN et BENSIMON D, Juifs d'Algérie, hier et aujourd'hui. Mémoire et identité. Toulouse 1989, pp. 15-18

[7] المدني، نفسه، ص .147

المصنوع والحرير والأنسجة والأصبغة والشموع وريش النعام وفي تجارة الكتب(لوحة 60) وبرعوا أيضا في تجارة الذهب والنحاس وصناعة الخمور والنبيذ[1] وعلاوة على ذلك فإنهم كانوا وسطاء بين كل من يبيع شيئا ومن يريد شراؤه. غير أن معظمهم احترف مهنة السياغة وتركيب المجوهرات وصناعة الآنية النحاسية والقصديرية والأباريق الفضية والسروج العربية وركابها وتجارة الذهب والزيت والفحم والنسيج وكان منهم الخياط الذي ينسج الملابس للأهالي والقياطيني ومن يقوم بحرفة الغزل والنحاس أو كان جزارا أو كان خبازا أو خضارا. ولم تكفهم هذه المهن كلها بل كانوا مقتطعين أيضا ومراب وسماسرة. أما الفقراء منهم، فكانوا حمالين أو بنائين وأما الأغنياء، فكانوا يقومون بعملية البنك وتجارة التصدير وفي عمل الحرير.[2] وكانت العادة في الطائفة اليهودية، بأن تختص كل عائلة منها في حرفة تتوارثها جيلا عن جيل، كعمل الحرير مثلا لأن الحرير كان معروفا في فلسطين قديما. كما كانوا يتوجهون إلى القطاعات التجارية الحرة للمنافسة، كصناعة الزجاج وضرب النقود (عمل المعادن المذابة) والدباغة لأنها حرف تستلزم عملا متواصلا وبالقرب من النار والناس لا يقربونها كثيرا نظرا لحرارة البلاد والشروط العملية البدائية آنذاك وهناك سبب آخر جعلهم يفضلون مهنة الصباغة وضرب العملة وكان الحكام آنذاك يفضلون إعطاءها إياهم لأنه في حالة غش أو سرقة لا يجدون من يدعمهم أو يذود عنهم عند عقابهم، على عكس الطوائف الأخرى التي تستنجد بأمينها أو بعشيرتها أو بجماعتها.[3]

ونذكر أيضا أن عملية البيع والشراء كانت تنفذ نقدا وهم الوحيدون الذين كانت لهم معرفة بالقيم النقدية والتصريف فيها لاحتكاكهم وعلاقاتهم بإخوانهم في ايطاليا وفرنسا.[4] كما كانوا يملكون عددا كبيرا من الحوانيت حيث فلحوا في تجارة التجزئة، خاصة في الماس والحلي والأثاث، مما جعل بعضهم يستقي من هذه التجارات غنى معتبرا، نظرا لشحهم وتقتيرهم المفرط[5] ولغياب المنافسة لهم من طرف آخرين.[6]

---

(1) EISENBETH op. cit., pp. 128

(2) FEYDEAU , op.cit.. p. 174

(3) GOITEIN , Artisans et commerçants en méditerrannée au haut moyen-âge, pp.852-854

(4) CLAUSOLLES , op.cit pp. 221

(5) MONTAGNE , op.cit p. 57

(6) RAYMOND , Grandes villes, pp.113

ـ نظام الأمين :

كما هو معلوم فإن كل طائفة كانت تخضع لإدارة معينة ولها قوانينها الخاصة، يديرها شيخ التجار، كانت تعينه السلطات الحاكمة وتوكل إليه مهمة حراسة سير العمل وتقييم و تنظيم أسعار البضائع (حسب قيمة وسعر المادة الأولية) ومراقبة نوعية البضائع. كان يسمى هذا النقيب في العراق "بالكتخدا" أو "الكاهية" وهو لقب بقي معروفا في وقتنا الحاضر، ينتخبه الأسطاوات البارزون في الطائفة وتتولاه في كل حرفة، أسرة معينة وله طقوس خاصة، مثل "المئزر" الذي يعتبر دليلا على دخول الصانع، الطائفة. وكان يقوم بمسؤوليات عديدة كالإشراف على شؤونهم الإدارية والمالية وكل المنازعات التي كانت تحصل بينهم وكان يرأس هيئة الإدارة.[1]

وفي الإدارة التركية كان يسمى باليغيت باش Yigit basi الذي كان يراقب الأسواق والبازارت والمكاييل والموازين والأسعار ونوعية البضائع ويعاقب الغشاشين.[2]

أما في المغرب، فكان يسمى الأمين وينتخبه أعضاء الطائفة بموافقة الحكومة المركزية بواسطة المحتسب أو شيخ المدينة الذي يعتبر الممثل الوحيد بين المنتخبين والسلطة، إذ في حالة مشاكل، كان يستشير بالمجلس الذي يتحول إلى محكمة لاستتباب الأمن والحفاظ على التقاليد والعادات وكان يقوم بمهمة الشرطي عند الخطأ والتزوير.[3] وفي مدينة الجزائر، كان يسمى في العرف الصناعي، بالمعلم، يشترك مع غيره من المعلمين أو الأمناء في اختيار رئيس عليم يأخذ عادة، لقب أمين الأمناء، يمثل دور الوسيط بين الحرفيين من ناحية والمحتسب من ناحية أخرى.[4] وفي قسنطينة، كان يعين الأمين، بالهتاف، ينصبه قائد البلاد أو قائد الدار الذي كانت له صلاحية التنصيب وصلاحية دفع الغرامة والعقاب.[5]

---

(1) BARKANE OMAR LOTFI , "Quelques observations sur l'organisation économique et sociale des villes ottomanes des XVIème et XVIIème s". in. R.S.J.B T.VII. p.230

(2) RESSAM et ZGHEL , op. cit. p. 201– 202

(3) BERQUE A. , La bourgoisie algérienne p. 12

(4) لقبال (موسى)، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ص. 86

(5) GOLVIN, Aspects de l'artisanat, p. 30

أما فيما يخص الطائفة اليهودية فكانت في العصر الوسيط تخضع لشيخها الذي كــان يسمى المقدم أو مقدم اليهود وكان المسلمون يعينونه حتى مجيء ريباش وراشباتز اللذان اسسـا نظام الحاخام الكبير طبقا للعادات اليهودية الإسبانية. وكان الحاخام هو الزعيم الروحـي لـهذه الطائفة ويسير أمورها ويحكم في المنازعات ويقنن النشاطات الإقتصادية ويضبط كل الأمـور الأخرى.(1)

وعن صلاحية هذا النظام، فإنها كانت تظهر في الميدان، حيث تتوزع أشخاص للتحقيـق في نوعية البضائع وحجم النقود التي كانت تستعمل في التجارة، ومن غش في ذلك، كان يحـرق حيا. وأشخاص آخرون كانوا يتجولون في المدينة والميزان في اليد، لمراقبة نوعية وزن السلعة، وإن وجدت في حالة رديئة، وزعت على الفقراء وعوقب أصحابها.(2) إلى جانب شـيخ البـلاد الذي كان يراقب الطوائف الحرفية والعرقية، وقائد الزبل الذي كان يشرف على نظافة المدينـة وقائد الشوارع الذي كان يشرف على نظافة المجاري المائية والقاذورات وقائد العيون الذي كان يشرف على نظافة العيون والجسور.(3) كما أن السكان كانوا أيضا منتظمين إذ كانوا يكنسـون أمام أبوابهم ويرمون القمامات والفضلات المنزلية في حفر مبنية عند أسفل حوائـط منازلـهم، بحيث كانت تمر مصلحة التنظيف فوق أحمرة صغيرة تحمل شواري كبيرة وتنقل الزبالة، إلـى خارج المدينة.(4) وبمناسبة حفل أو عيد، كان الناس يبيضون حوائط مساكنهم والتجـار أبـواب خاناتهم وحوانيتهم والهيئة المشرفة على العيون، فكانت تسبغ قنوات المياه.(5)

أما فيما يخص المكاييل والموازين، فربما كان الحال كما كان في تلمسان في العصر الوسيط، إذ كانت هناك معايير أقامها السلطان الزياني، مصنوعة من الزجاج وتحمل ختما رسميا لمقيـاس الطول ومحصورة في الرخام، وكانت بمثابة الأوزان للتحقيق في آلات القياس باعتبارها شـهود للنشاط الإقتصادي أو التجاري وكانت توضع في الأسواق، للمقارنة بها والقياس عليها.(6)

---

(1) سعد الله، المرجع السابق، ص. 152-153

(2) EMERIT M., "Un astronome français à Alger en 1729", notes et documents, in. R. Afr., n 184, 1940, p. 253

(3) RAYMOND A., Grandes villes, p.149

(4) MARCAIS G., L'urbanisme musulman in R. Afr, H.S, 1949, p. 27

(5) RAYMOND A., Grandes villes, pp. 215-216

(6) MARCAIS, L'Afrique du nord musulmane du VII$^{ème}$ au XIX$^{ème}$ s. in. Algérie et Sahara, T. I, Encyclopédie de l'Empire Français, Paris 1946, p. 57

وفي مدينة الجزائر، كانت الطوائف الحرفية تدفع رسوما و أسعارها كانت مضبوطة وتتقيد بها كل الأسواق.[1]

وأدت هذه المنافسة الحرفية إلى التحفيز في العمل والإتحاد في المهنة وهو وفاق اجتماعي مبني على القيم و المعارف المتوارثة.[2] غير أن هذا النظام تلاشى في الجزائر منذ نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر ميلادي، نظرا للسياسة المالية التي انتهجتها الدولة آنذاك.[3]

---

(1) قنان (جمال) ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، 1500-1830، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987، ص. 252

(2) BURCKHARDT , op.cit., pp. 292

(3) اسعيدوني، مخطوط قانون الأسواق، ص. 121

- لبـــاس التـــــاجر:

بالإضافة إلى التنظيم الإداري، فقد كانت الطائفة تعرف أحيانا، بملبسها الخـــاص ولا نكاد نعرف شيئا عن المظهر الخارجي الذي يميز طائفة عن أخرى في العصر الوسيط ، غــير أن المقدسي ذكر أن "أهل المغرب كانوا يلبسون الرداء بطاقين (وهو البرنوس) ثــم يطرحونــه على ظهورهم أصحاب قلانس مصبغة والبربر ببرانس سود وأهل الرساتيق بأكسـية والســوقة بمناديل والتجار يركبون أحمرة مصرية وبغالا وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق."[1]

ونستطيع من خلال هذا القول، أن نقارن تجار مدينة الجزائر في هذا العصر بما ذكره المقدسي بما أن سكانها كانوا بربرا ويتعاملون مع تجار المغرب. أما في العهد الثمــاني وكمـا ذكرت سابقا، فقد تعددت الطوائف بمدينة الجزائر وجلب تطور المدينة وحدات أهلية من بقيـة البلاد وبقوا يختصون وراثيا بعض الحرف وبعض التجارات الضرورية لكسب العيش، فكــانت طوائف عربية وقبائلية ومزابية وبسكرية وأندلسية ويهودية...إلــخ وبالتــالي، تعــدد المظــهر الخارجي المتمثل في اللباس الذي كان يميزها في معظم الأحيان، ويدل على حرفها نفسها وقــد أعطى البحث نماذجا للباس البعض منها لأن الوثائق قليلة ومنها:

التاجر العربي الذي كان لباسه يتكون من قمبص من الحرير أو من القطن وقميص آخــر مــن الجوخ، له أزرار أمامية وخلفية وكمان ضيقان يقفلان عند مقبض اليد ويصلان إلــى الخصـر وسروال عريض من الجوخ أيضا أو الكتان الأبيض، يصل إلى القدمين و يربط بحزام عريض. وفوق هذا القميص، يلبس ثوبا عريضا يصل إلى الركبتين و ينتعل بابوجا أو خفــا مــن جلـد الماعز أسود اللون له كعب لا يتجاوز بوصة واحدة و يحمل نصلا و يضع على كتفيه، برنوسـا من الجوخ الأبيض، محلي الصنع طبعا، فوق رأسه قلنسوة أو طاقية من الجوخ الأحمر، يــدور بها عمامة بيضاء وغالبا ما تكون له لحية أو شوارب.[2] (شكل 35)

---

(1) المقدسي، المصدر السابق، ص. 207

(2) RENAUDOT , Alger tableau du royaume de la ville d'Alger. n^elle^.ed- Paris 1830, p. 32

أما الطوائف الأخرى ومنها المزابي صاحب الحمام، فكان يرتدي جلابة عريضة عبارة عن فستان يمتد ببرنس أو بغطاء الرأس، له كمان قصيران وعريضان وعباءة (عباية) تسمى الزرقوطة.[1] (لوحة 61) وأمّا الزنجي الحمال، فيلبس عباءة محززة أو بها خطوط وكبوط أو معطف ببرنس ذو أكمام، مصنوع من الكتان الخشن ومزين بزخارف ملونة من الجخ المقصص والزنجي الكلاس يرتدي عباءة قصيرة وعريضة وأمينهم كان يرتدي الغليلة وهي عبارة عن سترة قصيرة بها أقفال أمامية وعباءة مفتوحة وعريضة بدون أكمام كان يلبسها فوق الغليلة ويضع قلنسوة من النوع التركي ويلبس التماغ الذي كان يغطي له ساقاه.( لوحة 62) والزنجي حمال الماء، فكان يرتدي معطفا ببرنس من الصوف الداكن به زخارف مختلفة من الجخ المختلف الألوانله أكمام عريضة، يستعملها لباسا وقبعة في نفس الوقت.(لوحة 63) وهناك شخص آخر لا تصف ربما الكتب التاريخية هيئته الخارجية، وهو جاب حقوق السوق أو المحتسب في المفهوم العام، فكان يلبس سروالا عريضا يصل إلى الركبتين، يغلق في جزئه العلوي بحبيلة حريرية تزلق في نهاية الجزء السفلي وصدرية بدون أكمام .[2] (شكل 36 )

وأما القراب أي حامل الماء فكان يرتدي صدرية بدون أكمام وسروال قصير وقلنسوة فوق رأسه ويحمل وربا على الصدر ووسادة صغيرة وخفيفة ليمنع الماء من تبليل ثيابه، يتدلى في جزئها السفلي، كيس صغير، يضع فيها دخله اليومي وكان يمسك بالقداح في يد وفي الأخرى، كان يمسك الجرس ويمر وسط الشوارع والأحياء ليبيع الماء.[3] وأمّا بائع الفطائر (أو السفنج) وهو البائع الأكثر شعبية، كان لباسه عبارة عن حايك يلفه حول الشاشية وسترة وسروال تركيان وكان يقيه من الزيت، إزار أو فوطة بها خطوط زرقاء، يشدها إلى خصره. وصاحب المقهى أو القهواجي فكان يلبس شاشية يشدها إلى رأسه بواسطة وشاح أو منديل ملون ويخبئ بها، شرابة تصفيفة الشعر وكان يلبس قميصا أو (قمجة) وصدرية وغليلة وسروال عريض.( لوحة 64)

---

[1] MARCAIS G., Le costume musulman d'Alger, Collection du Centenaire d'Algérie, Paris MCMXXX., pp. 10-11

[2] MARCAIS , Le costume musulman d'Alger , 14-15

[3] BELHAMISSY M. , Histoire d'Alger, p.46

أما الحلاق أو (الحفاف) فكان يرتدي سترة صوفية بنية، مزركشة بالأرابسك د الألوان البراقة وعند نطاقه، تتدلى قطعة جلدية يضع فيها موسى الحلاقة، ليدل على مهنته. وكان الحلاق يقوم بوظائف أخرى كالفصد في الرأس والذراعين والساقين وبطب الأسنان.[2] و يعرف السايغي اليهودي بالشاشية البنفسجية فوق رأسه فوقها عمامة سوداء.[3]

وفي النهاية، نذكر طائفة الدلالين المتجولين الذين كانوا يبيعون بالمزاد، حيث كانوا يمرون عبر الأحياء لبيع حاجياتهم التي يستلمونها من الناس، ويبيعون الملابس البالية وأواني منزلية قديمة و السروج والأكمة وبقايا أشياء أخرى من كل نوع.[4]

## ب- الإطار الجغرافي للطوائف:

كما هو معروف فقد كان التوجيه، بأن يجعل لأهل الصنعة سوق تختص بهم و تعرف صناعتهم فيها وذلك لتضادهم أوفق ولصناعتهم أنفق.[5] ويبقى الحي يكون الإطار المحدود لكل طائفة و يبقى الشارع ممرا فقط على غياب الساحة و الحديقة العامة لتجمع الناس و تجولهم، ليحدث هذا في السوق، فيذهب الناس ليتحدثوا في الحوانيت و يربطوا علاقات للتضامن والتكافل النفعي وإذا شعروا بالمشاركة في عمل مشترك فإنهم يتداولونه في المسجد الكبير الذي يعتبر النواة الأولى للمدينة الإسلامية[6]

وفي تونس نجد أن للحرفيين والتجار مكانة كبيرة في الحياة الاجتماعية إذ نجد أسماء الحرف والمهن تندرج في منظومة أسماء المدينة وتنضم في الأسواق الخاصة المحيطة بالمسجد.[7] كما كان الحال في مدينة الجزائر، إذ قسم المجتمع إلى طوائف وقسمت المدينة أيضا إلى أحياء وخطط أو فضاءات، أخذ كل صنف من هذه التركيبة البشرية حيزه الخاص به لممارسة نشاطه الإقتصادي وأطلقت أسماء الحرف على الشوارع. وفي غياب الساحات العامة التي يتجمع فيها الناس للتحدث والتجول، كان السوق هو المجال لذلك، فيذهب الناس إلى الحوانيت لربط العلاقات

---

(1) DE GALLAND CH., Métiers et types algériens, Alger 1895, p. 28

(2) KADDACHE ,op.cit. p. 5

(3) EUDEL P, l'Orfèvrerie algérienne et tunisienne, Alger1902, p. 71,

(4) DE GALLAND, op. cit., p. 24

(5) عبد الستار، المرجع السابق.

(6) MARCAIS. , La conception des villes, pp. 532

(7) PELLEGRIN A., Le vieux Tunis. Les noms des rues de la ville arabe , Tunis S.D- p.37

العلاقات والتحدث وتبادل الآراء. أما المسائل الكبرى، فيتداولونها في المسجد الكبير الذي يعتبر النواة الأولى في المدينة ونقطة جذب الأسواق إليه[1] والتي تحظى بمكانة كبيرة عند الناس كهيكلة أساسية في المدينة، تنتظم تحتها الطوائف الحرفية للوصول بالسوق الإسلامية كما يقول خضير الجنابي إلى التخصص في بيع وإنتاج السلع في الأسواق وهو تنظيم مكاني يسهل تنظيم منتسبيه ويسهل عملية جمع الضرائب ويخفض النفقات والمصاريف الإدارية.[2]

وعلى هذا الأساس، كان التخصص الحرفي المكاني مهما في المدينة إذ من خلاله نستطيع أن نميز بين الحرف في أهميتها وحظوتها ودرجة الإقبال عليها من طرف الناس. وكان ذلك وفقا لما تتطلبه القوانين العمرانية والفنية في فن البناء بصفة عامة. ففي العصر الوسيط لا يمكننا معرفة هذا التخصص بالضبط في مدينة الجزائر ما عدا ما ذكره ابن الأبار عن الفخارين بأنهم أقاموا خارج الأسوار وهذا يؤدي بالقول بأن المدينة اتبعت هذا التقليد أو شروط البناء المتبعة في المدينة الإسلامية بصفة عامة والتي لا نلحظها إلا في العهد العثماني وهذا لا يعني أن التصميم العام للمدينة حدث في هذا العصر وإنما لنقص الوثائق ولأهمية المدينة في هذا العهد، أصبح كل شيء ينسب له.

ومهما كانت الأسباب، فإن ورشات العمل كانت تشغل مركز المدينة أي في النقاط الأكثر توافدا عليها كنساجي الحرير وصانعي الشواشي الذين أقاموا بالقرب من الجامع الكبير وكذا بالنسبة للساغة والقيسارية.[3] وتمركزت بحي البحرية، الطبقة الأرستقراطية من الأتراك والمصالح التجارية البحرية. وفي حي القصبة الجديدة تمركزت طائفة الإنكشارية والدايات وأصحاب المناصب العليا في الدولة. وفي حي القصبة العتيقة قامت الطوائف الأخرى المتكونة من كل العناصر التي رأيناها سابقا والتي كانت تسمى بطبقة الأهالي. وفي حي باب عزون تمركز الأجانب وأصحاب التجارة من بعض الأهالي ويهود ليفورن في حين تمركز بعض يهود اسبانيا بحي باب الوادي.[4]

---

(1) MARCAIS, op. cit.

(2) الجنابي ، خصائص المدينة الإسلامية، ص.176-177

(3) RENAUDOT, Tableau de la ville d'Alger, Paris 1830, p.18

(4) حليمي، مدينة الجزائر، ص.225

كانت بعض الطوائف الحرفية التي تحظى ببعض الإمتيازات والمكانة الإجتماعية المرموقة في مجتمع مدينة الجزائر آنذاك كطائفة الدباغين مثلا يتمركزون وسط المدينة أي عند السوق الكبير الذي كانت تنطلق منه زقاق كثيرة، كانت مجالا خاصا ببعض الحرفيين مثل السباكين والنحاسين والسكاكين والخراطين وصانعي الحقائب والأدوات الجلدية وصانعي الأسلحة... إلخ. وقامت في الشوارع المجاورة طوائف مارست صناعات مختلفة أيضا كصناعة الأساور والأقفال والرمانات والأواني المنزلية.[1]

أمّا الطوائف الحرفية الأقل أهمية، فتقيم في ضواحي السوق المركزية، مثل الحدادين والنجارين وتجار الأثاث، كما كانت طائفة السباغين تقيم في نقاط قريبة من الماء.[2]

وأخيرا نذكر طائفة الفطارين، التي كانت تصنع فطائر مطبوخة في الزيت وتبيعها في الشوارع.[3] وطائفة الخبازين، إذ كان الخباز يعتبر تاجر القسط بدون تمييز في البضاعة ولم يكن حرا في صناعة الخبز ولا في فوائدها لأنه لا يعمل إلا في الطحين والإدارة هي التي تضبط الفوائد كل خمسة عشر يوما، فكان حرفيا بسيطا مكلف من الدولة بتوفير زاد المجتمع في كل موضع.[4]

ورغم أن الأدوات المستعملة في هذه الحرف كانت ضعيفة وبسيطة وبدائية وكانت ورشاتهم صغيرة، وطرق عملهم كانت روتينية إلا أنهم أنتجوا روائع الأشياء ببداعتهم وعبقريتهم فكانت هذه الحرف صورة الرخاء والرفاهية والغنى التي عرفتها مدينة الجزائر آنذاك إلى أن تقلص عددها مع نهاية القرن التاسع عشر وأصبح سوى ثلاثة وثلاثين طائفة، نظرا للركود الإقتصادي[5] الذي ساد البلاد والتقهقر والإنكماش والكساد الذي قضّى على أي تطور[6] ثم تلاشي نهائيا بعد 1830، عندما قضت فرنسا عليه سنة 1868 م لأنه حسب المفهوم الإستعماري أصبح لا يتماشى والمفاهيم الإقتصادية الحديثة نظرا لظهور الصناعات الكبرى والتجارات الأوسع.[7]

---

(1) BOYER, op. cit. p. 57

(2) MOULINE S., La Ville et la maison arabo musulmane, Alger 1981, p. 41

(3) DE GALLAND, op. cit., p. 24

(4) RAYMOND, Grandes villes, pp. 267- 268

(5) op.cit.p.93

(6) اسعيدوني ، الجالية الأندلسية، ص. 50

(7) BERQUE A. , La bourgeoisie algérienne, p. 12

# الخاتمـــــة

## الخــاتــمــة :

بعد التحليل التاريخي لنشأة أسواق مدينة الجزائر، نستنتج أن بدايتها كانت سوقا ريفيا في الهواء الطلق كانت ترتاده القبائل البربرية والصنهاجية خاصة المجاورة لإجراء التجارية ومقايضة بضائعها والنظر في الأمور التي تخص القبائل كعادة أصيلة وقديمة.

وكان لهذا الإرتياد أهمية إذ جلب التجار برا وبحرا بعد الفتح الإسلامي الذي فتح مجالا واسعا للإنتقال بين موانئ المغرب والأندلس بكل حرية وفي أمانٍ كبير، فكانت السفن تتنقل بين الموانئ لأغراض مختلفة منها التجارية خاصة. وبما أن ميناء مدينة الجزائر كان مأمونا وأكثر الموانئ كنا على حد قول ابن حوقل، فكان تجار أفريقية والأندلس يرسون بها للتمون بالماء منذ فترة مبكرة وكان هذا عاملا إيجابيا للمدينة التي أنشأت هيئات اقتصادية تؤمن التجار وبضائعهم وهي الأسواق المغطاة.

وعلى هذه الظاهرة، نزحت إليها قبيلة مزغنة في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي مما تطلب حياة حضرية تمثلت في بناء أجهزة اقتصادية وإدارية ودينية. فكانت النواة الأولى في تكوين طبوغرافية المدينة، السوق كجهاز اقتصادي يمونهم بما يحتاجونه في حياتهم اليومية ويضبط عملياتهم التجارية التي توسعت إلى مدن خارج الحدود، بعمليتي التصدير والإستيراد وأدى الجدار المتبقي من البازيليكا والذي كان على هيئة الرواق، وظيفة السوق المغطى. وقام المسجد الجامع فوق بقايا البازيليكا كرمز لدخول المدينة الإسلام للتعبير عن التغيير الجديد في الطابع المعماري للمدينة.

وبهذا التغيير وبعد أن تبين مركز المدينة الفعلي، اشتغل سكان المدينة في مختلف النشاطات الإقتصادية التجارية والحرفية منها، فكانت تجارة الحبوب والأنعام من فترة مبكرة (4هـ/10 م) مما أدى إلى الحفاظ على أسواقها الريفية التي كانت تقام في الهواء الطلق خارج أبوابها وهو باب عزون لأنه يطل على الريف وكانت ترتاده القبائل المجاورة إلى جانب الرحبات.

ومع تطور الظروف التاريخية، تطورت المدينة وتكثفت تجارتها وأصبحت دولية منتظمة مع مدن المغرب والأندلس ومدن البحر البيض المتوسط وإفريقيا، إذ كانت منطقة عبور لتجارات عالية كالقمح والذهب والرقيق، مما أدى إلى بناء قيسارية لحفظ كتان متيجة الذي كان ميناؤها يصدره والذهب الذي كان يأتيها من السودان عن طريق يهود توات عبر تلمسان وهنين لتصديره للمدن الإيطالية وكذا لتجارة الرقيق التي قامت بنفس البناية في العصر الوسيط أي ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي.

في هذه الفترة بدا التجار الأوروبيون يرتادونها بكثرة فأنشأت لذلك فنادق كثيرة لإيوائهم وحفظ بضائعهم ودار الديوانة التي كانت تتم فيها عمليات التخليص والرسوم الجمركية وحقوق الإرساء كما نصت عليه العهود التي أبرمت بين السلاطين المغاربة والملوك المسيحيين. وكانت الفنادق تنسب إما للبضاعة كفندق الزيت أو للجنس كفندق الجرابة أو للمكان الذي تقوم فيه كفندق باب عزون، فكانت إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي قد تبينت فيها أسس المدنية وجهزت بكل وسائل الحياة الضرورية والتي انتظمت داخل أسوارها تماشيا والتطورات التي كانت تطرأ على المغرب والعالم بصفة عامة كما أن التناحرات السياسية لم تكن تقل من أهمية التجارة بها، بل كانت في كل مرة تكتسب عنصرا معماريا جديدا يضفي عليها الجمال والرفاهية

وحول النواة الأولى التي كونها السوق والمسجد الجامع لمركز مدينة الجزائر، انتظمت الأجهزة الحضرية الأخرى وفق الشروط العمرانية الأساسية في بناء مدينة إسلامية إذ جعلت كل سلعة معينة داخل فراغ معين وهو توزيع الأسواق حسب معايير إجتماعية وطبيعية واقتصادية. فتمركزت حول المسجد الجامع أسواق ذات الأهمية الإقتصادية العالية كالقيسارية والساغة والحرارين لتكون نقطة جذب تجمع الناس إليها بعد خروجهم من المسجد وتوزعت الأسواق الأخرى حسب التسلسل الوظيفي أي كلما اقتربنا من أبواب المدينة وجدنا الحرف التي تقل أهميتها في السلم الإجتماعي كالحدادين والسمارين والرحبات التي تحفظ كل أنواع الحبوب.

وقامت وراء الأسوار، أسواق وحرف خضعت لاعتبارات اجتماعية كالصوت المزعج والروائح الكريهة مثل الدباغين وسوق الماشية خارج باب عزون وأخرى للتمون مباشرة من مصادر المواد الأولية كالفخارين خارج باب الوادي لوجود مادة الطين والمحاجر.

وأدى هذا التنظيم المكاني للأسواق، إلى تنظيم طائفي عرقي للتركيبة السكانية التي كانت تتكون من فسيفساء بشرية أتت من كل مكان واستقرت في مدينة الجزائر لأسباب مختلفة منها الأمن وتوفر فرص العمل. وهو ظاهرة عرفتها في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي وأصبحت ميزتها في العصر الوسيط، إذ قسم السكان حسب العرق والمهنة والدين. وبالتالي تموضعت هذه الطوائف في فضاءات معينة من المدينة حسب أهمية الحرف التي كانت تمارسها، فكان للسكان الأصليين قطاعهم الخاص وهي القصبة وللجاليات الأندلسية أيضا قطاعهم الخاص بما فيها مسلمون ويهود الذين استقروا بالمدينة بعد أحداث غرناطة، فكانت لهم حارات موزعة ما بين شوارع باب الوادي والبحرية وباب عزون، أي القطاعات الحساسة في اقتصاد المدينة. ونظرا للحرية التي اكتسبتها الأقليات الدينية فإن اليهود أنشأوا بها بيعتهم منذ الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي. ونفس الشيء يقال عن طائفة البرانية التي كانت تتكون من بعض العناصر الآتية من جيجل والقبائل وورقلة ووهران وغيرها وكانت تمارس فيها مهنا بسيطة مقابل كسب قليل. كما كانت ملتقى القوافل الآتية من داخل البلاد محملة بالبضائع، فقامت فنادق خصيصا لهم خارج الأسوار كخان القوافل" الذي ذكر Rozet أنه يقع في باب عزون وبين البحث أنه كان يقع داخل النسيج العمراني وأمام الديوان.

ومعماريا، اتخذت هذه الأسواق الهيئة المعمارية المعروفة وهي الشارع على هيئة رواق واحد اصطفت على جانبيه الحوانيت تحتله أحيانا حرفة واحدة وأحيانا تحتله حرف مختلفة وكان يسمى بالبازار. واتخذت الأسواق المغطاة ( القيسارية والفندق والبادستان والرحبة) عدة أروقة تحيط بصحن مكشوف وتحمل طابقا واحدا أو عدة طوابق. خصص الطابق الأرضي للحوانيت وخصص الطابق العلوي للغرف التي كانت بنفس عمق الحوانيت. وكانت لها إصطبلات وفرن وحمام ومصلى وكنيسة إن كان مخصصا للمسيحيين.

أما داخل المدينة فكانت الأسواق عبارة عن حوانيت تقوم تحت المباني تسمى السويقات لتموين أصحاب الحي الواحد بما يحتاجونه من المواد الغذائية اليومية دون أن ينتقلون إلى المدينة. وكان بناؤها سهلا أيضا عبارة عن فتحات صغيرة تحميها الأفاريز من العوامل الطبيعية وترفق بحجرات أخرى صغيرة تكون في معظم الأحيان ورشات الإنتاج وهذه خاصية حوانيت مدينة الجزائر، إذ كانت وحدات بيع وإنتاج تبنى للإستفادة من ريع إيجاراتها لتمويل المؤسسات الخيرية.

بحجرات أخرى صغيرة تكون في معظم الأحيان ورشات الإنتاج وهذه خاصية حوانيت مدينـــة الجزائر، إذ كانت وحدات بيع وإنتاج تبنى للإستفادة من ريع إيجاراتـــها لتمويـل المؤسســات الخيرية.

ورغم كل هذه البساطة، فإن أسواق مدينة الجُزائر أنتجت أشياء في منتــهى الجــودة والإتقان، كانت تسد بها الإستهلاك المحلي والخارجي إذ كانت تصدر منها إلى كل البلدان سـواء في المشرق أو في المغرب وفي مدن البحر البيض المتوسط وحتى أمريكا.

ومع نهاية القرن الثامن عشر بدأ تدب الرداءة في هذه الصناعات وأصبــح اقتصـاد مدينة الجزائر يتقهقر كما جرى للإقتصاد الإسلامي بصفة عامة على كل حال وبدأت أســواقها تضمحل وتقلص كل نشاط حرفي لأن الشركات الأجنبية ظهرت وبدأت تغزو العالم الإســلامي بمنتوجاتها وتطغى على الأسواق المحلية التي اقتصر دورها فيما بعد على بعــض الصناعــات الصغيرة وكانت للأقلية الدينية يهود ونصارى دور في هذا الغزو إذ ســهلت لـهذه الشـركات الدخول في أسواق مدينة الجزائر بالإمتيازات التي قضت على اقتصادها بالركود. إلــى جــانب الدور السلبي الذي آلت إليه فيما بعد مؤسسة الأوقاف التي أصبحت تستغل نفقات المباني الدينيـة لأغراض شخصية.

وكانت لهذه التغيرات كلها، تأثير على مدينة الجزائر إذ اختفت صناعاتـــها الحرفيـة وبالتالي ظاهرة التخصص وبقيت القصبة مأوى الطبقات الفقيرة بعد أن كان يســكنها الأثريــاء وزال التركيب السكاني القديم (طائفي ووظيفي وحرفي ) وتفكك المجتمع. وبغيــاب الطوائـف طبعا فإن نظام الحسبة زال ولم يعد يقوم في المدينة. ولم تصبح أسواق المدينة سوى ورشـــات صغيرة لبعض الحرفيين ومخازن لتجارة الجملة.

وحمل الإستعمار الفرنسي سنة 1830 أحقادا دفينة تبينت إثر ما وطئت أقدام الفرنسـيين أرض المدينة وعاثوا في المدينة وغيروا مورفولوجيتها وطمسوا ملامحها المعمارية الإســلامية التي كانت تميزها. وتمثلت هذه الأحقاد في مشاريع عمرانية حضارية جديدة في مفهومهم لكنـها انتقامية في مفهوم سكان مدينة الجزائر لأنه مشروع قبل أن يكون هدفه اقتصاديا بخلق منطقة

العملية الأولى في هذا الإحياء، كان خلق الأقورا الرومانية التي كانت تتوسط إيكوزيوم والتي قامت فيها الأسواق والقيسارية والمسجد الكبير[1] وذلك فوق برج البحر، بإرجاعها ساحة الحكومة أو ساحة الإيالة كفوروم لكل المنطقة، يتوسطه تمثال دوق اورليان"Le Duc d'Orléans" فوق حصان متأهب كرمز للإستعمار (لوحة 66).

وكما كان الفوروم يزدان دائما وأبدا بمبنى ديني، فإن السلطات الإستعمارية لم تتوان في إنشائه والظروف مواتيه والمادة متواجدة، فانصب الإنتقام الديني على جامع كتشاوة إذ أرجعته كاتدرائية، انتقاما من المسلمين الذين أرجعوا الكنائس مساجدا وانتقاما من سكان مدينة الجزائر الذين بنوا فوق البازيليكا، مسجدهم الكبير وقيسارتهم، فهذا انتقام صليبي بيزنطي قديم.

وقامت هذه الأقورا على الأسواق التالية : القيسارية والسباغين والمقايسية والساغة والبشماقجية والرصايصية والجقماقجية ومسجد المقايسية ومدرسة القيسارية ومسجد السيدة وحوالي 420 منزل وحانوت.[2] ثم كان دور الشوارع الأخرى التي استبدلت أسماؤها التي كانت ترمز إلى معلم ما أو ذكرى ما أو أي خاصية محلية أعطوها أسماء حيوانات وأخرى نسبت إلى الميتولوجيا وبعضها إلى التاريخ والجغرافيا وأخرى إلى حوليات المدينة. ويظهر جليا هذا الغزو في شارع سيدي الجودي الذي أطلق عليه ببساطة شارع الألوان الثلاثة وهي ألوان فرنسا وهذه عملية مقصودة وليست عفوية كما يزعم كلاين.[3]

وفي 30 جويلية 1830 كانت مصلحة الهندسة العسكرية قد أوسعت شارع البحرية بفتحة واسعة لمرور العربات[4] ربما مشحونة بالبضائع. وهكذا ففي الأسابيع الأولى للإحتلال بدأت عمليات الهدم والتحطيم والإتيان على كل ما هو جميل وله طابع إسلامي من منازل وحوانيت ومساجد خاصة والتي كانت حلتها من الناحية العمرانية والمعمارية والفنية وقد أشرف على هذه العملية الهدامة الجنرال و المهندسي المعماري Luvini كمسؤول عن المشروع ليسمح لفرقة العسكرية بالتحرك والمناورات وتسهل بذلك عملية تقل العتاد العسكري. وتبنى هذا المشروع فيما بعد،

---

(1) FOURNIER , Dans la lumière des cités algériennes, in. Encyclopédie d'outre –mer, Paris 1956, p.6

(2) KLEIN H., Feuillets d'El Djezair, Alger 1937, pp. 46-47

(3) Op. Cit. P. 52

(4) DAURE (E) , Création de la place du gouvernement in « B.M..V. A. » 1952- n°13

التخطيط الخماسي لسنة 1840 ليزيد في عرض الشارع جهة البحر فكانت الساحة ذات شكل مستطيل احتلت مساحة قدرت بـ 3,625 م$^2$.[1] ومرت بتسميات كثيرة مثل الساحة الملكية ثم ساحة الجمهورية ثم ساحة ستالينقراد لتصبح ساحة الحكومة سنة 1848 واستغرقت عشر سنوات لبنائها وبعد الإستقلال، أصبحت تسمى بساحة الشهداء. وفتح الجنرال Lemercier المجال أمام ساحة الجنينة إذ حافظ على قسم منها عن طريق قبوان Deux voûtes وبني فوق تلك الأقبية طابقا به مخازن للذخيرة العسكرية. أما الهومات أو ما يسمى طوابق تحت أرضية، فاستعملت مخازنا للمستشفى العسكري. وبرروا توسيع الشوارع الأخرى لأسباب المرور إذ أقاموا لها أقواس كما هو الحال في شارعي باب الوادي وباب عزون لوقايتها من الشمس[2]. وأقيم شارع البحرية بأقواس مسجد السيدة.[3] وهذه تبريرات ضعيفة لأن أسباب الهدم كانت عسكرية. وأمد الجنرال De Monfort هذه الشوارع الثلاثة من 6 إلى 8 م عرضا وأقام أروقة لإقامة حوانيت في الطابق الأرضي. وصنفت في 27 نوفمبر من سنة 1830 في منظومة الشوارع الكبرى بالإضافة إلى شارع القناصل حتى كما زعموا يخفف الإزدحام في شارع باب عزون مما وجب فتح شارع شارتر أيضا للإتصال بين الشمال والجنوب. وفي سنة 1837 وسعت بحوالي 6 م عرضا.[4]

أما الجنينة التي كانت تزخر بأجمل البيوت فتحطمت وأصبحت مرآبا للعربات أو سوقا أحيانا.[5] (لوحة 15) ولم يبق منها اليوم سوى دار عزيزة. وسميت الساغة بشارع البحرية وسميت القيسارية بساغة اليهود كما أنشأوا ساحة ماهون فوق البادستان كله وجزء من البشماقجية والرصايصية[6] كما تهدم أيضا الشارع الذي كان يوجد به بيت المال وينتهي عند مسجد السيدة في ساحة أقيمت فيه تسمى ساحة الخيزران أو Bambous على امتداد شارع البحرية وهو سوق الحاكة. أما فندق الدروج، فأصبح مقرا لمكاتب الشرطة المركزية وأعيد بناؤه في زاوية شارعي البحرية وماهون. وأما فندق القهوة الكبيرة فأصبح فندق البورصة.[7]

---

(1) KLEIN, Feuillets d'El Djezair, p. 48

(2) MOLBERT M., « L"Urbanisme et son application à Alger in." Bulletin municipal de la ville d'Alger, Mai 1951, n 5 s.p.

(3) BEGUIN F, Arabisances, éd. Dunod, Paris 1985, s.p.

(4) DAURE, op. cit.

(5) RAYMOND A., "Le Centre d'Alger en 1830", in. R.O.M.M., 1982, pp. 74-75

(6) KLEIN, op. cit.

(7) DEVOULX, Alger, p. 163

وفي شارعي الديوان والأركان العامة أقيم رواقين تحت الجنينة يؤديان إلى المدينـــة أو الحـــي العربي وهدم قصر الدايات سنة 1856. كما أقيمت ساحات عديدة من بينها ساحة بورنو Bornou فوق موقع سيدي بتقة وساحة شارتر فوق بلاصة اليهود وزنقة الحليب وساحة ديــدون Didon فوق قنطرة الأفران في شارع ما سمي فيما بعد بشارع قسنطينة وساحة Les Garamantes فــوق رحبة الفحم بالقرب من المسرح الوطني حاليا. أما الرحبة فبنيت فوقها ثانوية باب عزون. وفوق مخزن الزرع، أقيمت ساحة واسعة مستطيلة الشكل هي ســـاحة ماسينيســـا تمتــد مــن ســـاحة الجمهورية إلى مدخل باب عزون كما أقيمت فيها إدارة الحنفيات ومخازن الأشـــغال العموميـــة وثكنة المدفعية وسميت ساحة باب عزون بـــ Place Bresson ثـــم Square Bresson وســميت أيضاSquare Briand وهي حديقة عامة.وأما في ضاحية باب الوادي وفـــوق جبانـــة الباشـــولت فأقيمت طحطحة تسمى بساحة الوصع أوLes Troglodytes أو splanade Bab El Oued. وقبالـــة الجنينة أقيمت فوارة مياه[1] (مخطط 8 )

تلحق الخاتمة إعادة تصور لتوزيع شوارع مدينة الجزائر في العهد العثماني وتغييرها في العهد الفرنسي.

(1) KLEIN, op. cit. pp. 38-69-70

## إعادة تصور الشوارع:

كما جاء في البحث فقد قامت الأسواق في الشوارع التي تحمل أعمدة وعقود وهي مـــا أطلق عليها الأروقة التي تحميها الأقبية للحماية من العوامل الطبيعية، كما قامت بعض الأســواق في شوارع مفتوحة لممارسة بعض الحرف الصغيرة التي لا تتطلب محلات وورشـــات كبــيرة. ولكي نستطيع تحديد الأسواق وجب معرفة شوارع المدينة التي كانت ترمز إلى الأضرحة و إلــى المساجد و إلى الحمامات و إلى المدارس و إلى الزوايا أو كمـــا ذكــرت ســابقا إلــى التجــارة الممارسة فيها. وسأدرج منظومة هذه الشوارع بتســمياتها الأصليــة والحديثــة اعتمــادا علــى ديفولكس وكلاين باعتبارهما سباقين في هذا العمل. وتبدأ هذه المنظومة من **النهج الكبير** الــذي سمي **شارع باب الواد** وكان يمتد واد المغاسل أو واد قريش وبــالقرب مــن البــاب نجــد دار البارود التي كانت مقرا عاما للبومبجية ومنه نخرج إلى جبانة الباشوات، أما على امتداده فنجــد سويقة باب الواد وسوق البلاغجية وينتهي عند باب قصر الجنينة [1].

-شارع **دار النحاس** له درب على الشارع الكبير ويمتد حتى شارع الصاباط الأحمر ثــم أطلــق عليه شارع **المسبكة** أو Rue de la Fonderie وفوقه نجد حارة الجنان.

-**تريق باب الدزيرة** الذي كان ينطلق من حي القيسارية مارا بالساغة لينتهي عند باب البحر ثــم أخذ اسم شارع **البحرية** Marine

-شارع **باب عزون** وكان شارعا طويلا يمتد من باب القصر إلى باب الســمارين وكــانت بــه سلسلة من الأسواق كالسوق الكبير والخياطين وفندق الزيت والكساكسية والحدادين والسمارين.

-شارع **كوشة بن عدادة** وكان يمتد من النهج الكبير إلى شارع جامع **لالاهــــوم** ونســب إلــى صاحب الفرن ثم سمي بكوشة وريدة ثم حومة حارة الجنان وسماه الفرنسيون بشـــارع **ســيدي افرج** Sidi Ferruch.

-شارع **كوشة الكعك** يمتد من النهج الكبير إلى شارع لالاهوم وسمي كذلك نسبة إلــى حلويــات الكعك ثم أطلق عليه شارع **التجارة** Commerce.

-شارع **امسيد بوعشبة** ويمتد من كوشة بن عدادة حتى جامع علي بيتشين ثم أطلق عليه شــارع **المرسيليين** :Les Marseillais وجزء منه سمي شارع **هرقل** Hercule.

---

[1] ROZET, op. cit., p.120

-شارع **لالاهوم** Lallahoum وكان يسمى الجبيلة في القسم الأعلى ويمتد من جامع علي بيتشين إلى شارع الصاباط الأحمر ويحمل أيضا إسم حارة الجنان ونسب إلى امرأة ولية طاهرة بنت فيه مسجدا وبقي يحتفظ بتسميته خلال الإحتلال.

-شارع **بن عدادة** Benadada : بقي يحتفظ بتسميته.

-شارع **سيدي اهلال** Sidi H'lal: هو الآخر لم يتغير ويمتد من بن عدادة إلى الصاباط الأحمر ونسب إلى ضريح ولي طاهر من الفترة التي حكم فيها الإخوة بربروس .

-شارع **الصاباط الأحمر** وهو شارع طويل يمتد من لالاهوم إلى المسبكة لينتهي عند شارع الأخضر حيث كانت توجد الباب الشمالية للمدينة البربرية ويسمى في قسمه السفلي حارة الجنان وبير الزنق الذي أقامه سيدي أحمد بن عبد الله فوق سيدي اهلال وحرف في الفترة الفرنسية إلى شارع Lahemar. وجزء منه سمي شارع Villegaignon.

-شارع **الأخضر** وكان يحتل حيا أو حارة كبيرة تمتد من شارع الجبيلة إلى زنقة خربة ميمون وسمي بالأخضر نسبة إلى جامع سيدي الأخضر ثم حرف إلى Locdor وسمي جزء منه **العقرب** Scorpion والجزء الآخر سمي **القط** Le chat .

-زنقة **خربة ميمون** تمتد من بير الرمانة إلى شارع قطع الرجل ونسبت إلى محمد بن عبد الله بن ميمون الذي كان يملك في أواسط القرن الثامن عشر ميلادي مباني مهدمة ومخربة تقع في عقبة الشرشالي تحت القصبة القديمة ثم تحرف الإسم إلى Akermimoun .

-شارع **قطع الرجل** ويمتد من خربة ميمون إلى شارع سيدي رمضان وسمي كذلك لأنه صدر قانون منع المرور بعد ساعة معينة من الليل ومن خالف الأمر قطعت رجله وتحرف إلى شارع Kataroudjil.

-شارع **سيدي رمضان** كان عبارة عن حي كبير يمتد من مسجد سيدي رمضان الواقع عند خربة ميمون إلى حوانيت الزيان وكان يسمى حي الدروج وفي سنة 1679 سمي بالعين المزوقة ثم باسم حوانيت بابا أحمد القسنطيني المؤدي إلى صاباط الريح وسمي القسم الشمالي منه بحوانيت شلبي والجزء الذي بقي منه سمي دار سركاجي الجديدة ثم **بربروس** Barberousse وامتد حتى شارع المغاربة Maughrebins الذي كان يمتد حتى طحطحة القصبة وأطلق شارع **الفهد** Tigre على جزء من سيدي رمضان الممتد من بربروس إلى المغاربة وشارع **الإوز** Cigne أطلق على جزء من شارع سيدي رمضان الممتد من الفهد إلى المغاربة. وشارع **الدب** L'ours أطلق على الجزء الممتد من سيدي رمضان إلى المغاربة وشارع **الزواوة** Zouaves أطلق على

الجزء الممتد من سيدي رمضان إلى الدب وشارع **مارمول** Marmol أطلق على الجزء الذي يمتد من القصبة إلى سيدي رمضان .

-شارع **حوانيت الزيان** وهودرب يؤدي إلى شارع العين المزوقة وسمي جزء منه **بلالة اخديجة العريانة** Estrées ويمتد حتى شارع الطوبانات ثم سماه الفرنسيون بشارع **القنبلة** Bombe لقنبلة وجدت في هذا الموضع سنة 1830.وسمي الجزء الممتد من حنا بعل إلى القصبة شارع الأطلسAtlas

-شارع **سيدي شايب** Sidi Chaib احتفظ بتسميته وكان يمتد من العين المزوقة حتى سور حوانيت الزيان في شارع سيدي رمضان لينتهي عند طحطحة القصبة ونسب إلى ولي طاهر وكانت توجد به زنقة الوصفان. وسمي الجزء الممتد منه إلى حنا بعل بشارع تمبوكتوTombouctou

- شارع **سيدي الرمان** وكان يمتد من شارع البطحاء حتى شارع **الطوبانات** Topanet ثم أصبح يسمى بشارع **عنابة** Bône.

-شارع **جامع يطحة** أطلق على شارع طويل يمتد من علي بيتشين حتى طحطحة القصبة وحمل أسماء عديدة صعودا من النهج الكبير أي من

*جامع علي بيتشين على يسار هذا الشارع

*حمام يطو على يمينه

*الجبيلة فوق علي بيتشين

*بير الرمانة ابتداء من شارع الأخضر

*حمام الحمير ابتداء من شارع عقبة الشواش

*عين عبد الله العلج وهو نفس الشارع السابق

*بن شبانة ابتداء من شارع كوشة بولابة ثم استبدل باسم شارع حوانيت شلبي في القرن التاسع عشر ميلادي

*صاباط الريح ابتداء من شارع صاباط العرص

*حوانيت الزيان ابتداء من شارع سيدي رمضان

*وأخيرا طحطحة القصبة وهي الساحة العريضة الموجودة في قمة القصبة وتحت أسوار القلعة المطلة على المدينة .

-شارع دار **بوجناح** ويمتد من النهج الكبير إلى الجبيلة وكان قسمه الأسفل المطل على النهج الكبير يسمى بالرحبة القديمة ثم أطلقت عليه السلطات الفرنسية أسم **شارلكان** Charles quint .

-شارع **حمام الجنينة** ويمتد من النهج الكبير إلى شارع سوق الجمعة وهو عبارة عـن حديقـة كانت تقع قديما أمام قصر الباشوات تدعى الجنينة وهي بناية عظيمة تسمى أيضا بقصر الشـتاء أنشأها مصطفى باشا وأطلق عليها الفرنسيون إسم La Jenina.

-شارع **سوق الجمعة** وهو إسم لشوارع عديدة مذكور في عقود ملكات قديمة جدا وكان يطلـق في الأصل على ساحة كبيرة كان السكان في العصر الوسيط يقيمون فيها السوق أيـام الجمعـة ويبيعون فيها الحمام ثم أصبحت شارعا يمتد من دار بوجناح إلى الجنينة وحـرف فـي العـهد الإستعماري إلى Socgema.

-شارع **سيدي بو شاقور** نسبة إلى ضريح كان يقع في قسمه الأعلى وكان به ضريـح سـيدي صاحب التريق والزنقة الجديدة وكان يمتد من شارع باب السوق إلى شارع بولعبة ثم أطلق عليه في عهد الإحتلال إسم شارع **الأركان العامة** Etat Major .

-شارع **باب السوق** وكان يمتد من سيدي بوشاقور إلى شارع بولعبة وهو الذي كـان يسـمى الزنقة الجديدة وكان به جامع مصطفى باشا ثم سمي شارع **المعتمدية** Intendance .

-شارع عقبة **الشواش** وكانت تمتد من سوق الجمعة إلى شارع حمام الحمير وهي ما أطلقـت عليها السلطات الفرنسية إسم **الهدرة** Hydre وهو حيوان ميتولوجي .

-شارع **فرن بوشاقور** وكان يمتد من سوق الجمعة إلى كوشة بولابة وهو شارع **تولون** Toulon وسمي الجزء الممتد من بولابة إلى تولون بشارع **الهلال** Croissant .

-شارع **كوشة بولعبة** نسبة إلى كوشة السيد بولعبة وكان يمتد من باب السوق إلى صاباط بيالا وأطلق عليه Boulaba .

-شارع **صاباط بيالا** ويبدأ من بولعبة إلى العين الجديدة وهو ما أطلق عليه **دار فور** Darfour .

-زنقة **دار الخل** وهي شارع صغير يبدأمن زنقة حسن باشا إلى شارع صاباط بيالا وكان بـها مخزنا للخل ثم أطلق عليها شارع **سالوست** Salluste وجزء منها أطلق عليه شارع Regnard

-شارع **كوشة علي** وكان يمتد من شارع سيدي عبد الله إلى صاباط بيالا وكـان بـه الجـامع المعلق بمعنى أنه بني على شرفة ثم أصبح يسمى شارع **الأزرق** Bleue نسبة إلى المنازل التـي كان لونها أزرق.

-شارع **العين الجديدة** وكان ينطلق من شارع بن شبانة أو حوانيت شلبي وبه زنقـة العـزارة وكوشة علي حتى صاباط الريح وسمي القسم المؤدي إلى سيدي عبد الله بشارع عين العطـش العين الجديدة وفي العهد الإستعماري لأطلق على الشارع كله إسم **Desaix** .

-شارع **صاباط العرص** وكان يمتد من شارع العين الجديدة إلى زنقة سيدي بن علي ثم أطلق إسم **سوفونيسب** Sophonisbe على القسم الذي يمتد من ديزي إلى القصبة وشارع **الإمبراطور** Empereur أطلق على الجزء الذي يمتد من شارع سيدي عبد الله إلى سوفونيسب وشارع **الدلتا** Delta أطلق على الجزء الممتد من الإمبراطور إلى القصبة .

-شارع **صاباط الريح** وكان يمتد من العين الجديدة إلى العين المزوقة وكان يسمى كذلك شارع انفيسة وأطلق عليه الفرنسيون شارع **النظر** Regard.

-زنقة العزارة وكانت تمتد من العين الجديدة إلى صاباط العرص وسميت شارع **النيل** Nil.

-شارع **سيدي مصباح** نسبة إلى ولي طاهر وكان يمتد من سوق السمن إلى زنقة دار الخل ثم أطلق عليه في العهد الفرنسي شارع Saint Vincent De Paul أو**الخل** Vinaigre .

-شارع **بن جاور علي** نسبة إلى بحار عاش في القرن السابع عشر ميلادي كان يدعى بن كور علي أي الأعرج والميرج أيضا وكان هذا الشارع يمتد من سيدي مصباح إلى ساحة القوافل وفي العهد الإستعماري حرف الإسم إلى Ben Kourali.

-شارع **عين العطش** وكان يمتد من سيدي مصباح إلى العين الجديدة ثم اطلق عليه شارع **اسطاوالي** Staoueli.

-شارع **سيدي عبد الله** تسمية لم تتغير وهو شارع كان يمتد من عين العطش إلى صاباط الذهب وإلى بير الجباح وكانت به حوانيت سيدي عبد الله وهو ولي صالح كما كان به صاباط القطط الذي كانت تقوم فيه تجارة الملح وعلى يساره درب صغير كانت يقوم فيه مصنع صغير لنصابون ثم سمي بدرب الفرينة نسبة إلى الفرن الصغير وأخذ الجزء الممتد من طيبة إلى النخل إسم **الأهرام** Les Pyramides.

-شارع **بن علي** Ben Ali لم تتغير تسميته وكان يمتد من صاباط العرص إلى جامع بن رقيسة

-شارع **جامع بن رقيسة** وكان يمتد من عقبة جرجي إلى صاباط العرص ثم أطلق عليه شارع **العرب** أو Les Sarrazins .

-شارع **عقبة جرجي** وكان يمتد من صاباط العرص إلى العين المزوقة وكان به جامع بن رقيسة ثم أطلق عليه شارع **بن سراج** Les Abencerages.

-شارع **صاباط الذهب** وكان يمتد من صاباط العرص إلى بير الجباح حتى حوانيت سيدي عبد الله ويمتد إليه صاباط القطط ثم أطلق إسم طيبة أو Thèbes على جزء من صاباط الذهب الذي يمتد من الإمبراطور إلى **أبي الهول** Le Sphinx الذي يمتد من طيبة إلى شارع حنا بعل .

-زنقة **العين المزوقة** وكانت تمتد من بير الجباح إلى شارع جامع يطحة وهو ما سمي بشارع حنابعل أو Annibal .

-شارع **بير الجباح** نسبة إلى صانعي الحبال وكان يمتد من العين المزوقة إلى زنقة المزور وهو ما أطلق عليه الفرنسيون شارع الجمال Les Chameaux. وسمي الجزء الذي يمتد كليبر إلى حنا بعل شارع النخل Les Palmiers

-**زنقة المزور** نسبة إلى المزور او المحتسب الذي كانت له فيها مكتب وكانت تتواجد بها حوانيت الغريبة وجامع بن صديق وكانت تمتد من بير الجباح إلى طحطحة القصبة وسميت بزنقة الجرابة أيضا ثم أطلق عليه شارع **الغزالة** La Gazelle وشارع **الحوت** La Baleine.

-شارع **بن أشير** Ben Achere حافظ على تسميته وكان يمتد من زنقة الحاشيات إلى سوق السمن.

-شارع **مسجد علي مدفع** وكان يمتد من زنقة الحاشيات إلى مسجد السفير ثم سمي شارع **البرتقال** Les Oranges وسمي الجزء الذي يمتد من الحرباء إلى كليبر بشارع **الزرافة** La Girafe وسمي الجزء الذي يمتد من الزرافة إلى كاتون بشارع زافيرة Zaphira.

- شارع **سيدي بو قدور** نسبة إلى ولي طاهر ساهم كما تقول الرواية في دحر قوات شارلكان عن مدينة الجزائر وكانت به زنقة بن فارس أيضا ثم أطلق عليه شارع **كاتون** Caton.

-شارع **سيدي محمد الشريف** نسبة إلى ولي طاهر من القرن السادس عشر ميلادي وكان يمتد من سيدي بو قدور إلى الحاشيات ثم أطلق عليه شارع ابدرام Les Abderrames. واطلق على الجزء الممتد من باب الجديد إلى كليبر شارع دامفروفيلDamfreville

-شارع **جامع السفير** نسبة إلى صفر بن عبد الله العلج الذي أعتقه خير الدين وفي سنة 1534 بني في هذا الشارع مسجده وكان من انشط أحياء المدينة في العصر العثماني، اطلق عليه الفرنسيون إسم **زاما** Zama على الجزء الذي يمتد من باب الجديد إلى كليبر والجزء الذي يمتد من باب جديد إلى سيدي عبد الله إسم **كليبر** Kléber والجزء الذي يمتد من كليبر إلى العين المزوقة إسم **جبل طابور** Mont Thabor وأطلق إسم **كليبر** Kléber على الجزء الذي يمتد من باب جديد إلى سيدي عبد الله.

-شارع **عين الهجاجل** كان محصورا بين أزقة درب القصير الثلاثة ثم أطلق عليه في العهد الفرنسي شارع **الإسكندرية** Alexandrie.

- شارع أو **درب القصير** وهو شارع طويل يمتد حتى الباب الجديد ثم اصبح جزء منه الذي

يمتد من كليبر إلى باب جديد يسمى شارع **سيدني اسميث** Sidney Smith . والجزء الذي يمتد من الإسكندرية إلى درب بطليموس أطلق عليه شارع **المماليك** Les Mamelouks. وجزء من هذا الأخير سمي شارع **هليوبوليس** Héliopolis

– شارع **حوانيت الغريبة** وكان يمتد من هليوبوليس إلى الوندال ثم أطلق عليه **خيمينيس** Ximenes وأطلق على شطر منه إسم **الإنكشارية** Les Jannissaires وهو الذي يمتد من النخل إلى خيمينيس.

–شارع **الحاشيات** وهو شارع طويل أيضا يبدأ من باب عزون حتى الباب الجنوبية للمدينة قرب القصبة العثمانية وهو ما يسمى **الباب الجديد** Rue Porte Neuve كما أطلق عليه شارع **النصر** أو Victoire وحمل عدة أسماء في مساره منها:

*العطارين اليهود حتى السوق الجديد

*زنقة حنون وكان بها سوق السمن حتى حمام العرصة

*سوق الكتان حتى شارع البلاط

*كوشة بن عودة حتى شارع بوعقاشة

–شارع **كوشة الوكيل** نسبة إلى كوشة تحطمت قبل 1830 وكان يمتد من درب القصير حتى باب جديد أي بالقرب من القصبة ثم أطلق عليه شارع **الكندور** Condor .

–شارع **جامع جعفر** ويمتد من زنقة المزور إلى باب جديد ثم سمي **الثور** Taureau .

–شارع **حمام العرصة** نسبة إلى عرصة أو عمود مسجد ميزومورتو ويمتد من باب عزون إلى شارع باب جديد وكانت سويقة عمور والكبابطية وهو ما أطلق عليه **شارتر** Chartres .

–شارع **الخضارين** ويمتد من حمام العرصة إلى شارع بين السور والسطارة وكانت به الثكنتان الإنكشاريتان العليا والسفلى وأطلق عليه شارع **ميدي** Médee .

–شارع **حمام الفويطة** ويمتد من حمام العرصة إلى الخضارين به تبارن بن الأغا وأطلق عليه شارع **نيمور** Nemours.

–**شارع عين الخرى** ويمتد من حمام العرصة إلى شارع تيبرغوتين وهو ما أطلق عليه فيما بعد شارع Rue du Chene .

–زنقة **سمسوم** وتمتد من حمام العرصة إلى تيبرغوتين ثم أصبحت **آمون** Ammon .

–**زنقة خبز الردوم** وتمتد من حمام العرصة إلى تيبرغوتين ثم أصبحت **بالما** Palma وأعتقد أن هذه التسمية ليست بالصدفة لأن هذا الحي هو قطاع قام فيه التجار اليهود وخبز الردوم هو الخبز

الذي كان يرمى امام الأبواب في أيام معينة من السنة العبرية بمعنى أنها عادة يهودية وهذا يعني أن هذا الشارع نسب لليهود حتى أن السلطات الفرنسية أطلقت عليه بالما نسبة أيضا إلى يود بالما الذين سبق الكلام عنهم.

-شارع **تيبرغوتين** نسبة إلى حشرة البرغوث وهو الشارع الوحيد الذي يحمل تسمية بربرية ويمتد من حمام الفويطة إلى زنقة الحاشيات ثم أطلق عليه **الكنارة** Lyre .

-شارع **جامع البلاط** يمتد من حمام الفويطة إلى زنقة الحاشيات ثم أصبح **بومبي** Pompee .

- زنقة **بوعقاشة** تمتد من الخضارين إلى زنقة الحاشيات ثم أصبح **غرناطة** Grenade .

-زنقة **القنداقجية** وتمتد من باب عزون إلى حمام العرصة ثم سمي شارع **القفطان** Cafetan .

-شارع **السراج** وتمتد من باب عزون إلى حمام العرصة ثم أصبح Rene-caille .

-شارع **خيضر باشا** من باب عزون إلى حمام العرصة ثم أصبح **سيبيون** Scipion .

-شارع **سبع لويات** نسبة للمنعطفات أو الإلتواءات ويمتد من باب عزون إلى شارع حمام العرصة وكان يدعى صاباط اللوح أو زنقة اليهود ثم أطلق عليه شارع **القديسة** Sainte و **بعلبك** Baalbek .

-شارع **حمام حمزة خوجة** من باب عزون إلى شارع المارستان ثم أصبح شارع **الرند** Laurier

-شارع المارستان بمعنى المستشفى وكان يمتد من باب عزون إلى حمام حمزة خوجة سمي أيضا بالثعالبية ثم أصبح في العهد الفرنسي شارع

-زنقة **الحوى** من باب عزون إلى المارستان ثم أصبحت شارع **الصقر** Aigle .

-زنقة **حمام البوزا** نسبة إلى مشروب كحولي مصري كانت تباع فيها وهي زنقة صغيرة غير نافذة تطل على باب عزون كان يسكنها بعض البسكريين وبعض اليهود حتى أطلق هليها حمامات اليهود ثم أطلق عليها الفرنسيون شارع **بوسا** Bosa و**بالمير** Palmyre .

-شارع **باب السوق** كان يطل على زنقة حسن باشا وعلى الجنينة عن طريق ممر ما بين زاوية الشرفة ثم أصبح شارع **بروس** Bruce .

-زنقة **حسن باشا** وتمتد من باب عزون بالقرب من الجنينة إلى شارع الديوان وفوق منزل حسن باشا تسمى دار الخل وهو قصر الشتاء ثم اصبح شارع **السودان** Soudan .

-شارع **الديوان** نسبة إلى ساحة كان يقوم فيها سوق الخضر والفواكه محاذيا لحي كتشاوة ويبدأ من باب عزون إلى سيدي مصباح وسوق السمن وأطلق عليه فيما بعد Le Divan وشارع التاج La Couronne وأطلق على الجزء الذي يربط بينه وبين سوق السمن إسم شارع **جنسريق** Genséric .

-شارع **سوق السمن** يمتد من الشباغلية إلى شارع مسجد علي مدفع ثم اصبح **الحرباء** Lézard

-شارع **دار سركاجي القديمة** أو مخزن دار الأغا وتمتد من الديوان إلى سوق السمن كان بـــه صاباط الرجم كان يباع فيه اللبن ثم أصبح يسمى Rue au Beurre

-شارع **السوق الجديد** أو سوق اللوح ويمتد من زنقة الحاشيات إلى شارع الديوان ثم أطلق عليه الفرنسيون شارع **الأيل** Antilope و يوبا Juba.

-زنقة **تيرالي** وتمتد من شارع الديوان إلى كتشاوة وهي ما كانت تسمى بحي كتشـــاوة إذ كـــان يوجد بها مخزن الزرع ثم اصبحت ممر **جيني** Jenne.

-شارع **سيدي الجودي** من تريق باب الدزيرة إلى الرحْبة القديمة ثم اصبح يسمى شارع الألوان الثلاثة Rue des trois Couleurs

-**البادستان** أصبح يسمى شارع **ماهون** Mahon وينطلق من باب الواد إلى شارع la charte .

-شارع **الشماعين** أصبح يسمى Cléopatre.

-شارع **عرباجي** وهو شارع صغير ينطلق من البحرية ثم سمي شارع الجرادSauterelles

-شارع **كوشة بن السمان** من زنقة عنقني إلى الرحبة القديمة وهي شارعDuquesne

-شارع **الحاكوراه** من البحرية إلى زنقة عنقني وهي شارع **الطاووس** Paon

-شارع **كوشة النصارى** من البحرية إلى الرحبة القديمة كان بها امسيد الغولة ثم أصبح يطلـــق عليه شارع **الصحراء** Sahara.

-شارع **الجنايز** نسبة إلى الجنازات التي كانت تخرج من الجامع الكبير تمر به للوصـــول إلـــى مقبرة باب الوادي وكان يمتد من البحرية إلى مفترق شوارع سيدي علي الفاسي والرحبة القديمـــة ثم أطلق عليه شارع **أورليان** Orléans وشارع **Eginais**. وسمي الجزء الذي يمتد من اورليـــــان إلى القناصل شارع **رينو** Renaud

-شارع **زاوية الكشاش** من البحرية إلى شارع حمام ملاح أطلق عليه **القناصل** Consuls

-شارع **جامع مقرون** من زاوية الكشاش إلى شارع سبع تبارن ثـــم أصبـــح **النوميديين**Les Numides.وشارع Licorne أطلق علي جامع مقرون الذي يمتد من القناصل إلى مقرون .

-شارع **سبع تبارن** من زاوية الكشاش إلى صاباط الحوت وله تسميات عديـــدة مثـــل كوشـــة البطحاء وسيدي افليح ثم أطلق عليه إسم Belisaire.وشارع **14جوان** 14 Jun أطلق على شـــارع سبع تبارن الممتد من بليزار إلى الحوت .

-شارع **صاباط الحوت** من زاوية الكشاش إلى سبع تبارن وهي شارع Les lotophages

-شارع **سيدي علي الفاسي** من شارع الرحبة القديمة إلى زاوية الكشاش وهـــــي Rue de la Traversière.

-شارع **الرحبة القديمة** من باب الواد إلى سيدي علي الفاسي ثم اصبحت تسمى شارع الثـــورة Rue de la Révolution طبعا ويقصد بها الثورة الفرنسية؛

-شارع **فرن الخطيب** من باب الواد إلى الرحبة القديمة وهو شارع **تورفيل** Tourville .

-**درب العين الحمراء** وكان يقع على يسار سيدي عل الفاسي وهو ما أطلق عليه درب الشـــمس أو Impasse du Soleil.

-شارع **حمام ملاح** من سيدي علي الفاسي إلى القهوة الصغيرة المطلة على شارع النهج الكبـــير وكان يسمى حي سيدي اعمر التنسي ثم اطلق عليه **نافارين** Navarin واطلق إسم Jean-Bart على الشطر الذي يمتد من نافارين إلى دوريا Doria.

-شارع **سيدي الخيضر** يمتد من النهج الكبير إلى شارع حمام ملاح وهو ما كان يسمى بشـــارع سيبيون Scipion .

جدول بأسماء شوارع مدينة الجزائر

| التسمية التركية | التسمية الفرنسية | التسمية الجزائرية |
|---|---|---|
| اتريقف باب الدزيرة | شارع البحرية | المرابطين |
| النهج الكبير | باب الواد | باب الواد |
| كوشة بن عدادة | سيدي افرج | تهدم |
| كوشة الكعك | التجارة | تهدم |
| امسيد بوعشبة | المرسيليين | تهدم |
| لالاهوم | لالاهوم | لالاهوم |
| بن عدادة | بن عدادة | تهدم |
| سيدي اهلال | سيدي اهلال | تهدم |
| شارع صاباط الأحمر | لاحمار | تهدم |
| صاباط الأحمر | فيلقينيون | محمد سيدهم (خير الدين) |
| شارع الأخضر | العقرب | تهدم |
| شارع جامع الأخضر | القط | يهوني عبد الكريم |
| خربة ميمون | أكرميمون | مروان محمد و ابنه |
| قطع الرجل | كتاروجيل أو صالمون | قطع الرجل |
| شارع سيدي رمضان | بربروس | بربروس |
| شارع سيدي رمضان | المغاربة | عزوز محمد |
| شارع سيدي رمضان | الفهد | زراري علي |
| شارع سيدي رمضان | الإوز | تريكي العربي |
| شارع سيدي رمضان | سيدي رمضان | سيدي رمضان |
| شارع سيدي رمضان | الدب | بوهراوية صادق |
| شارع سيدي رمضان | الزواوة | الزواوة |
| شارع سيدي رمضان | مارمول | ماجن عبد القادر |
| شارع حوانيت الزيان | القنبلة | بوكاس عمر |
| شارع لالة خديجة العريانة | استري | تهدم |
| شارع سيدي شعيب | سيدي شايب | تهدم |

| | الطوبانات | الطوبانات |
|---|---|---|
| تهدم | عنابة | شارع سيدي الرمان |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | جامع علي بتشين |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | الجبيلة |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | بير الرمانة |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | حمام الحمير |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | عين عبد الله العلج |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | بن شبانة |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | صاباط الريح |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | عين المزوقة |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | حوانيت الزيان |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | جامع يطحه |
| سيدي ادريس حميدوش | القصبة | طحطحة القصبة |
| بوخيط أحمد | شارع لكان | شارع دار بوجناح |
| زواوي مختار | الجنينة | حمام الجنينة |
| | سوكجمة | ساحة الديوان |
| مالك محمد أكلي | سوكجمعة | سوق الجمعة |
| مشري أحمد و محمد | الأركان العامة | سيدي بوشاقور |
| الادارة | المعتمدية | باب السوق |
| شبوبة رشيد | الهدرة | عقبة الشواش |
| مغراوي محمد وفريد | طولون | فرن بوشاقور |
| عيادي السعيد | الهلال | فرن بوشاقور |
| بولابة | بولابة | كوشة بولعبة |
| قاوة محمد (قمري محمد) | دارفور | صاباط بيالا |
| الأطرش مصطفى | شارع الأزرق | كوشة علي |
| بورحلة حسين | ديزي | العين الجديدة |
| مواحة بوعلام | سوفنيسب | صاباط العرص |

| صاباط العرص | الامبراطور | انفيسة |
| --- | --- | --- |
| صاباط الريح | النظر | اسمالة رابح |
| زنقة العزارة | النيل | معوش محمود |
| صاباط العرص | الدلتا • | عزوري محمد |
| سيدي مصباح | الخل، القديس فانسون دوبول | |
| بن جاور علي | بن كور علي | |
| زنقة عين العطش | اسطاواليّ | اسطاوالي |
| سيدي عبد الله | سيدي عبد الله | سيدي عبد الله |
| بن علي | بن علي | |
| جامع بن رقيسة | العرب المغاربة | بورقيقة قدور |
| عقبة جرجة | الأبنسراج | بني سراج |
| صاباط الذهب | طيبة | الأب و الأبن بوديرس |
| سيدي عبد الله | الأهرام | الأهرام |
| عقبة جرجة | ابي الهول | ابي الهول |
| زنقة العين المزوقة | حنابعل | قاضي السعيد |
| حوانيت الزيان | الأطلس | بوغلية مصطفى |
| سيدي اشعيب | تومبوكتو | محيوز عبد الحميد |
| بير الجباح | الجمال | الاخوان راسم |
| بير الجباح | البيتوبز | الأحمر علي |
| شارع المزور | الغزالة | امقران محمد |
| بن آشير | بن آشير | ابن عاشر |
| شارع مسجد علي مدفع | البرتقال | لاوسي |
| مسجد علي مدفع | الزرافة | فاتح ابراهيم |
| سيدي بوقدور | كاتون | بن عيسى ملايكة |
| مسجد علي مدفع | زافيرة | واصل مصطفى |
| زنقة سيدي محمد الشريف | الأبدرام | الأبدرام |
| سيدي محمد الشريف | دامفروفيل | ياسف مقران |

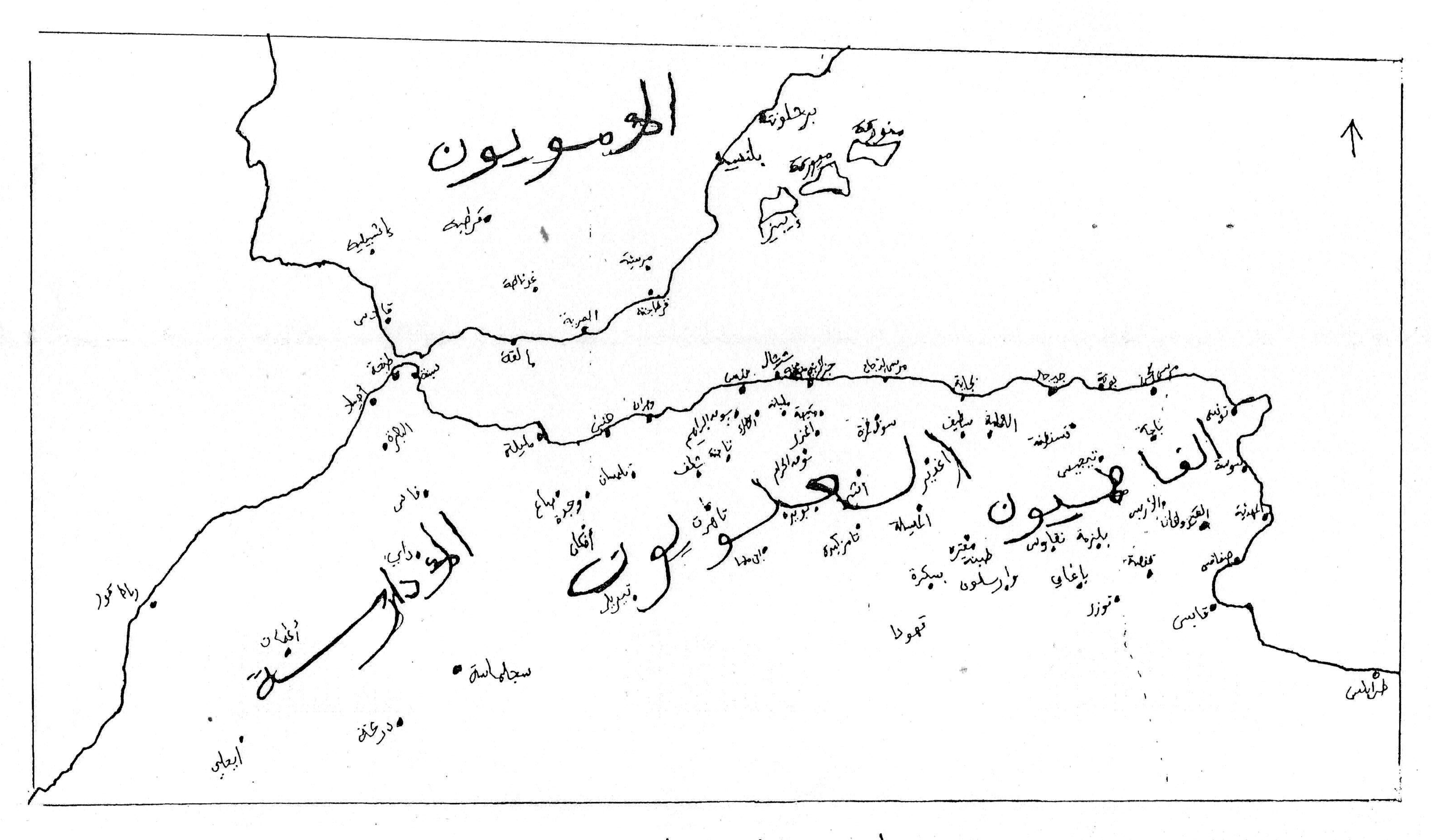
| شارع جامع السفير | زاما | بوصورة عبد الرحمان |
|---|---|---|
| شارع جامع السفير | كليبر | الاخوة بشارة |
| شارع جامع السفير | جبل طابور | روان عبد الحميد |
| شارع بير الجباح | النخل | سيدي امحمد الشريف |
| سيدي بوقدور | الأسد | عمارة السعيد |
| شارع عين الهجاجل | الاسكندرية | الاسكندرية |
| درب القصير | سيدني اسميث | |
| درب القصير | المماليك | المماليك |
| درب القصير | هليوبوليس | حمروش اسماعيل |
| حوانيت الغربية | خيمينيس | قاوة عبد القادر |
| حوانيت الغربية | الإنكشارية | الانكشارية و باي صالح محي الدين |
| حوانيت الغربية | غربية | اوشفون حسين |
| درب القصير | بطليموس | بوشلاغم بوعلام |
| زنقة المزور | البال | |
| باب الجديد | النصر | مهدوم |
| كوشة الوكيل | الكندور | مهدوم |
| حوانيت الغربية | اليمامة | مهدوم |
| شارع جعفر | الثور | مهدوم |
| شارع حمام العرصة | شارتر | عمار القامة |
| شارع الخضارين | ميدي | علام أحمد |
| شارع حمام الفويطة | يمور | لعجالي مصطفى |
| شارع عين الخرى | البلوط | بن محمد حماد |
| زنقة سمسوم | آمون | الديب عمر |
| زنقة خبز الردوم | بالما | |
| شارع تيروغوتين | الكنارة | بوزرينة أحمد |
| شارع جامع البلاط | بومبي | بومبي |

| زنقة بوعقاشة | غرناطة أو الرمانة | زنودة خير الدين |
| --- | --- | --- |
| زنقة القنداقجية | القفطان | احمد او الشريف السعيد |
| زنقة السراج | روني كاييي | علي الحاج علي |
| شارع خيضر باشا | سيبيون | الاخوة العيشي |
| سبع لويات | القديسة وبلعبك | مهدوم |
| شارع حمام حمزة خوجة | الرند | مهدوم |
| زنقة الحرى | الصقر | آيت موسى يوسف |
| زنقة حمام البوزا | بوسا او بالمير | الهاشمي حمود (مهدوم) |
| شارع باب السوق | بروس | الحاج عمر (مهدوم) |
| شارع الديوان | جنسريق | مهدوم |
| سوف السمن | الحرباء | الاخوة اوسليماني |
| مخزن دار الاغا | الحليب | مهدوم |
| زنقة حسان باشا | السودان | الشيخ القنبعي |
| شارع الديوان | الديوان divan | خباشي رشيد |
| الديوان | الاكليل | مهدوم |
| السوق الجديد | الأيل | مهدوم |
| سوق اللوم | يوبا | بوشالي نور الدين |
| زنقة تيرالي | جيني | مهدوم |
| الشماعين | كليوباترة | مهدوم |
| سيدي الجودي | الألوان الثلاثة | مهدوم |
| شارع عرباجي | الجراد | مهدوم |
| كوشة بن السمان | دوكاسن | مهدوم |
| الحاكوراه | الطاووس | مهدوم |
| كوشة النصارى | الصحراء | |
| زنقة الجنايز | اورليان | مهدوم |
| زنقة الجنايز | رينو | مهدوم |
| زاوية الكشاش | القناصل | مهدوم |

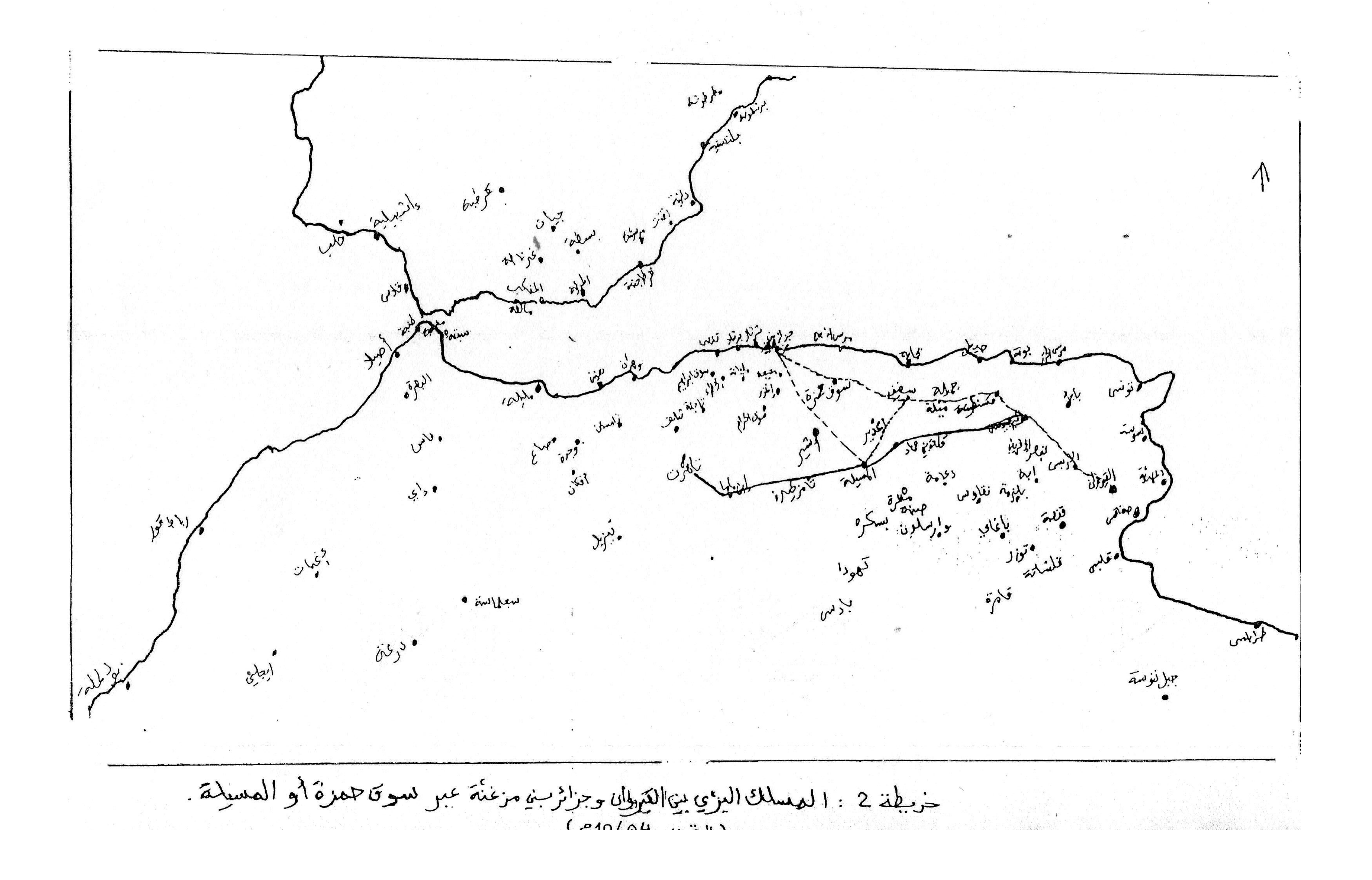
| شارع جامع مقرون | النوميديين | مهدوم |
|---|---|---|
| شارع جامع مقرون | ليكورن | مهدوم |
| شارع سبع تبارن | بليزار | مهدوم |
| شاعر سيدي افليح | الحصان | مهدوم |
| شارع جامع مقرون | مكارون | مهدوم |
| شارع سبع تبارن | 14 جوان | 14 جوان |
| صاباط الحوت | الحوت أو Lotophages | حصن Bastion 23 |
| كوشة البطحاء | بروز | مهدوم |
| شارع سيدي علي الفاسي | ترافرسيار | حماني السعيد |
| الرحبة القديمة | الثورة | مهدوم |
| درب عين الحمراء | درب الشمس | مهدوم |
| شارع حمام ملاح | نافرين | مهدوم |
| شارع حمام ملاح | جان بروت | بودينة أحمد |
| شارع حمام ملاح | دوريا | بودينة أحمد |
| شارع سيدي الخيضر | سيبيون | بودينة أحمد |

# ملحق الخرائط

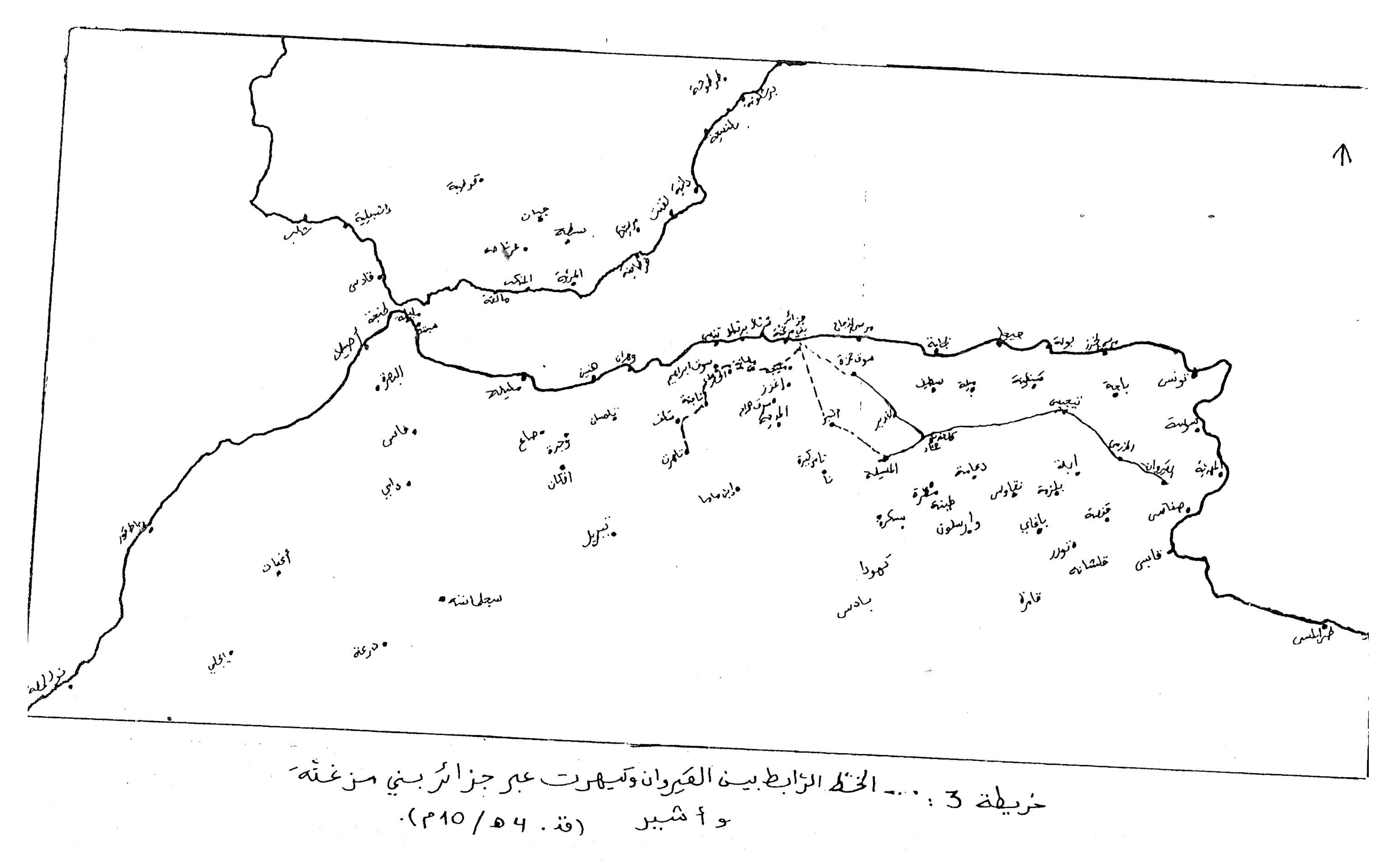
# و المخططات



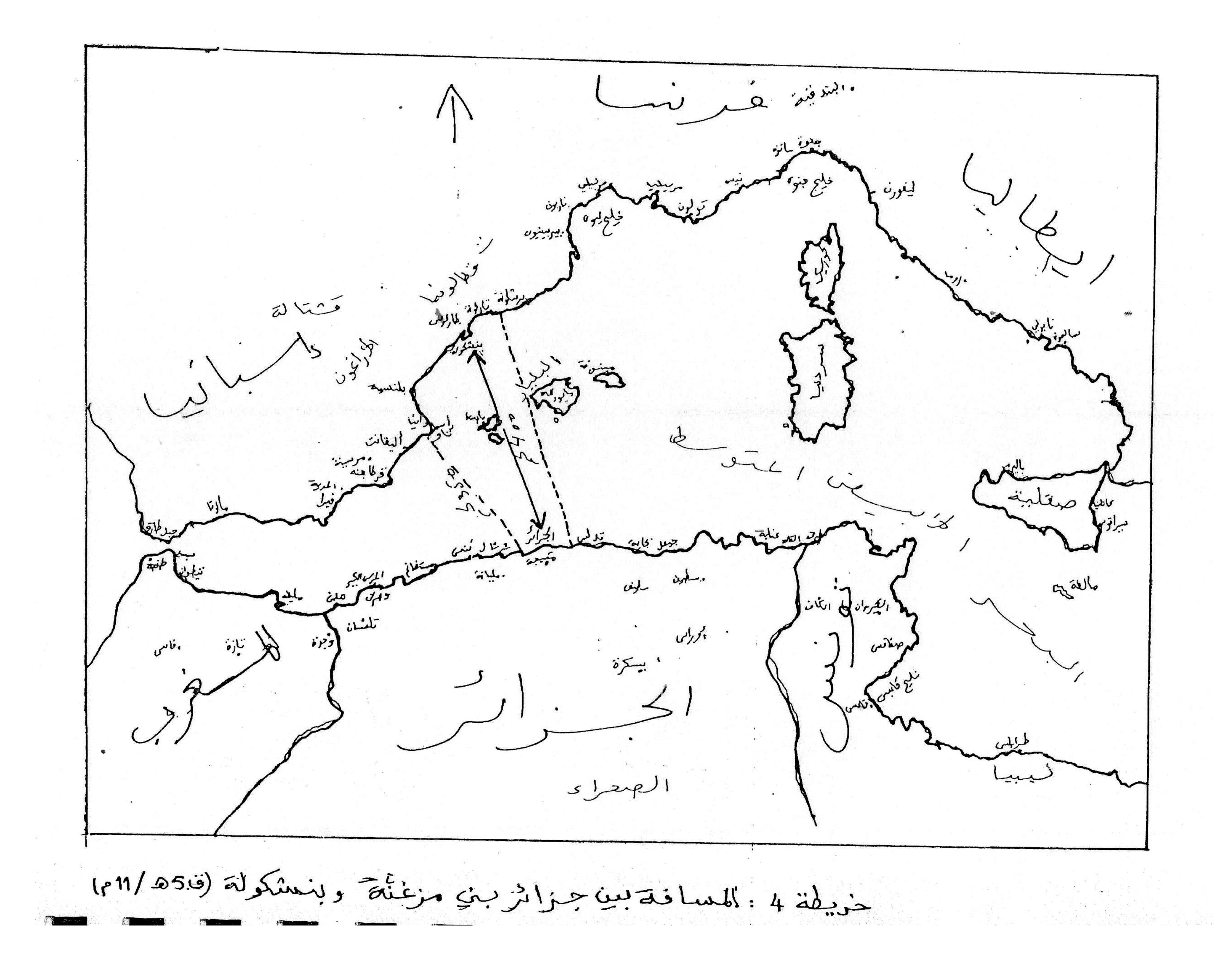

خريطة 1 : المغرب السياسي (ق. 4هـ / 10م)



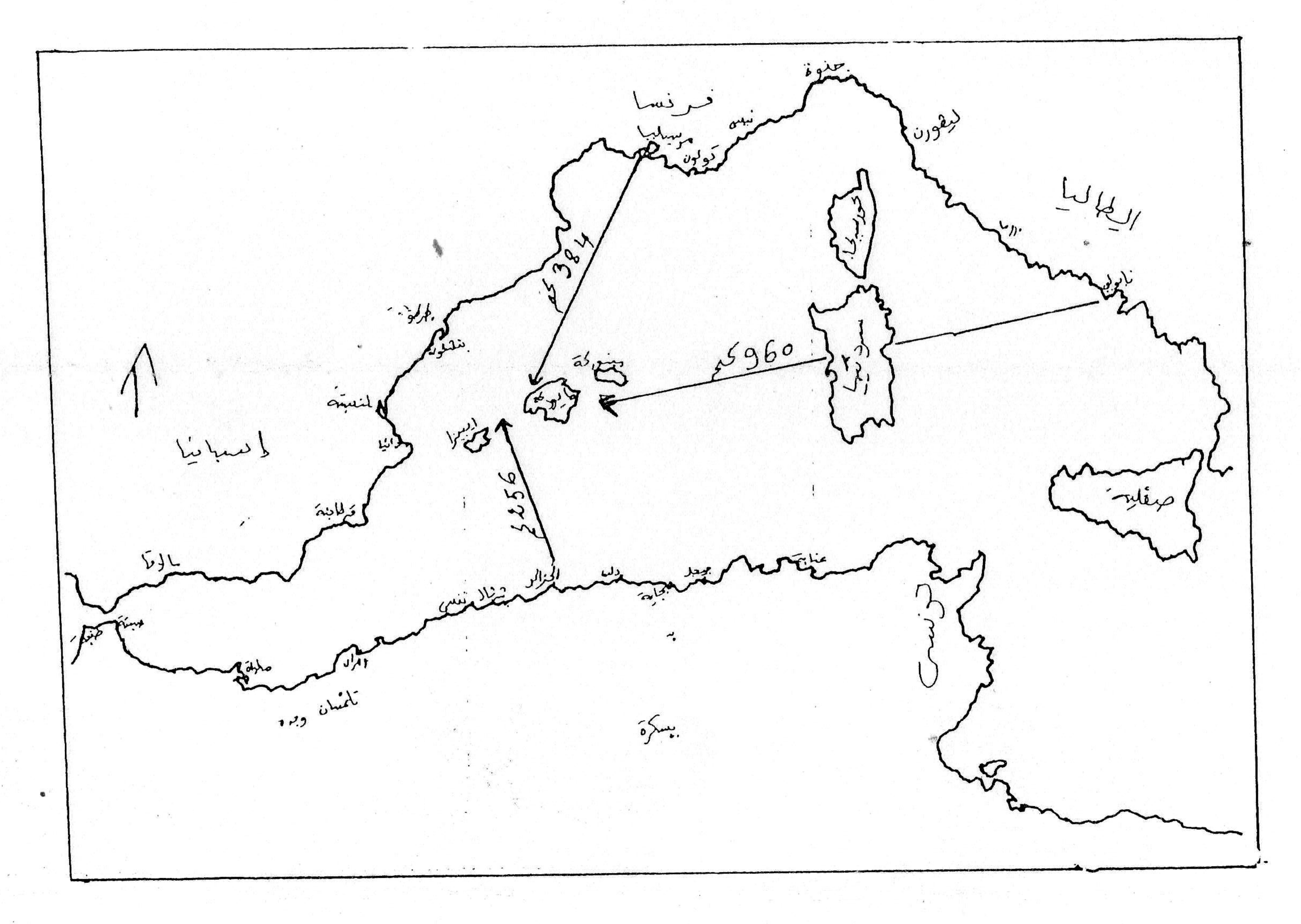

خريطة 2 : المسالك البرية بين القيروان وجزائر بني مزغنة عبر سوق حمزة أو المسيلة.



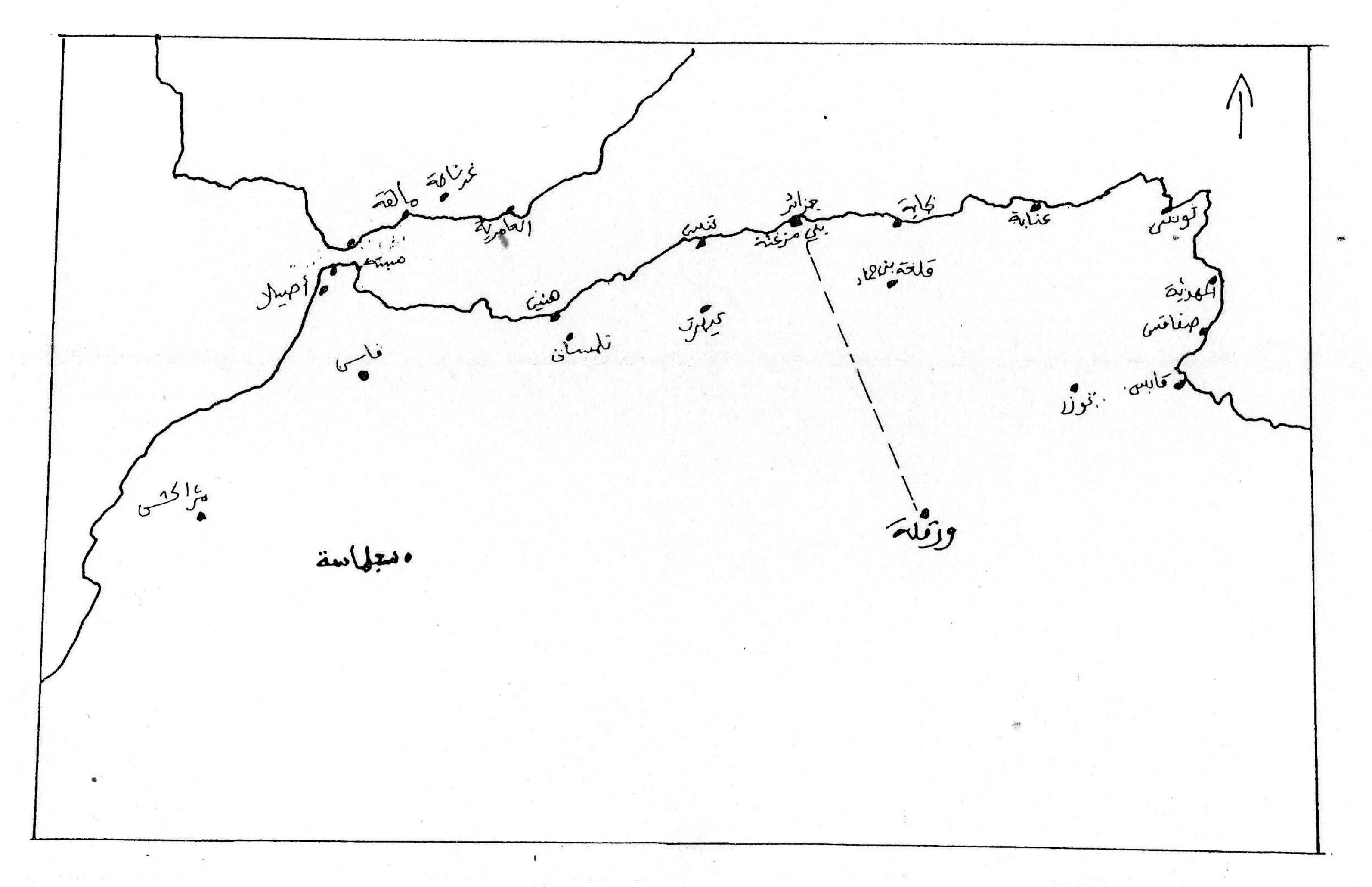

خريطة 3 : ..... الخط الرابط بين القيروان وتيهرت عبر جزائر بني مزغنة وأشير (ق. 4هـ/10م).



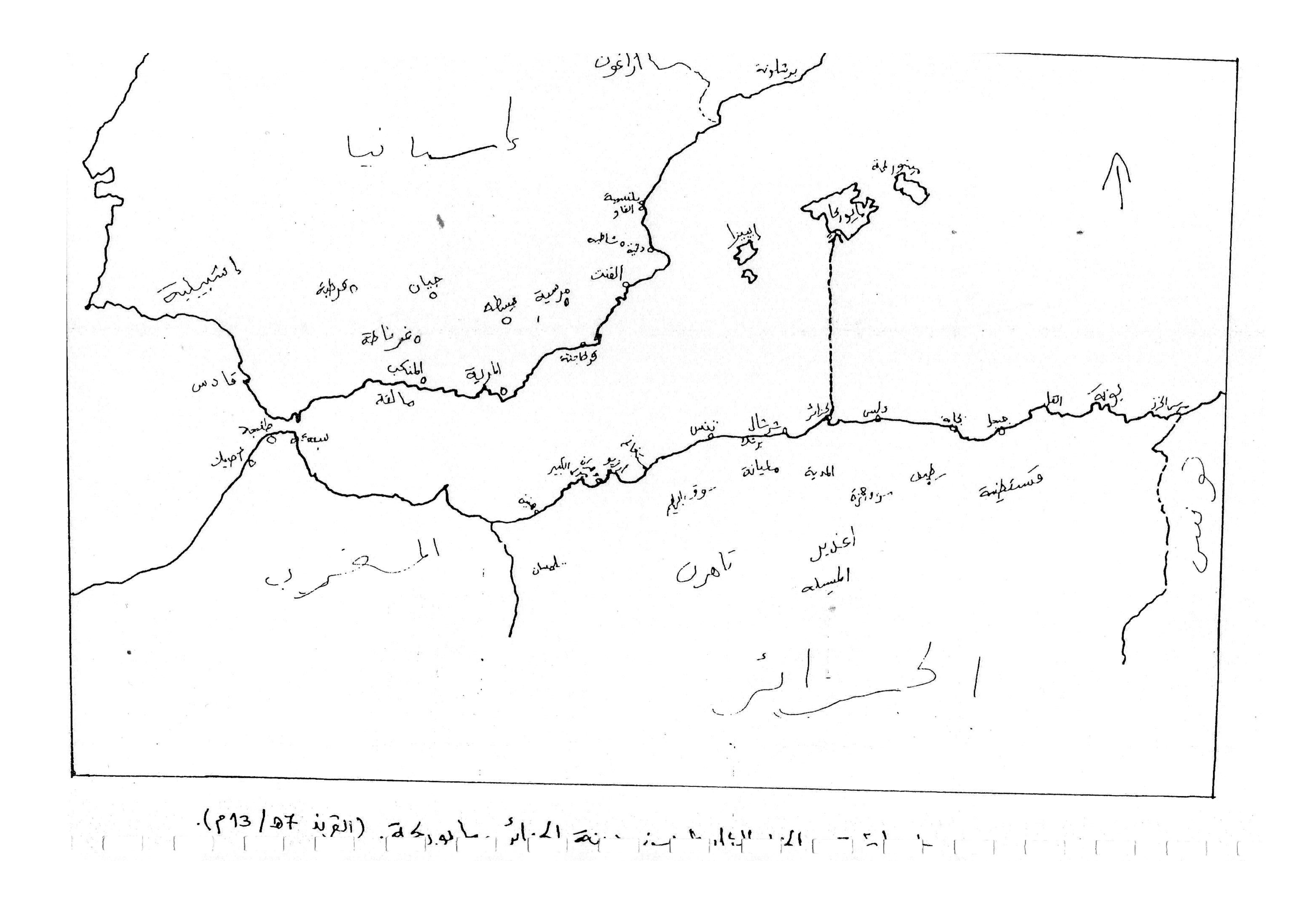

خريطة 4 : المسافة بين جزائر بني مزغنة وبنشكولة (ق5هـ/11م)



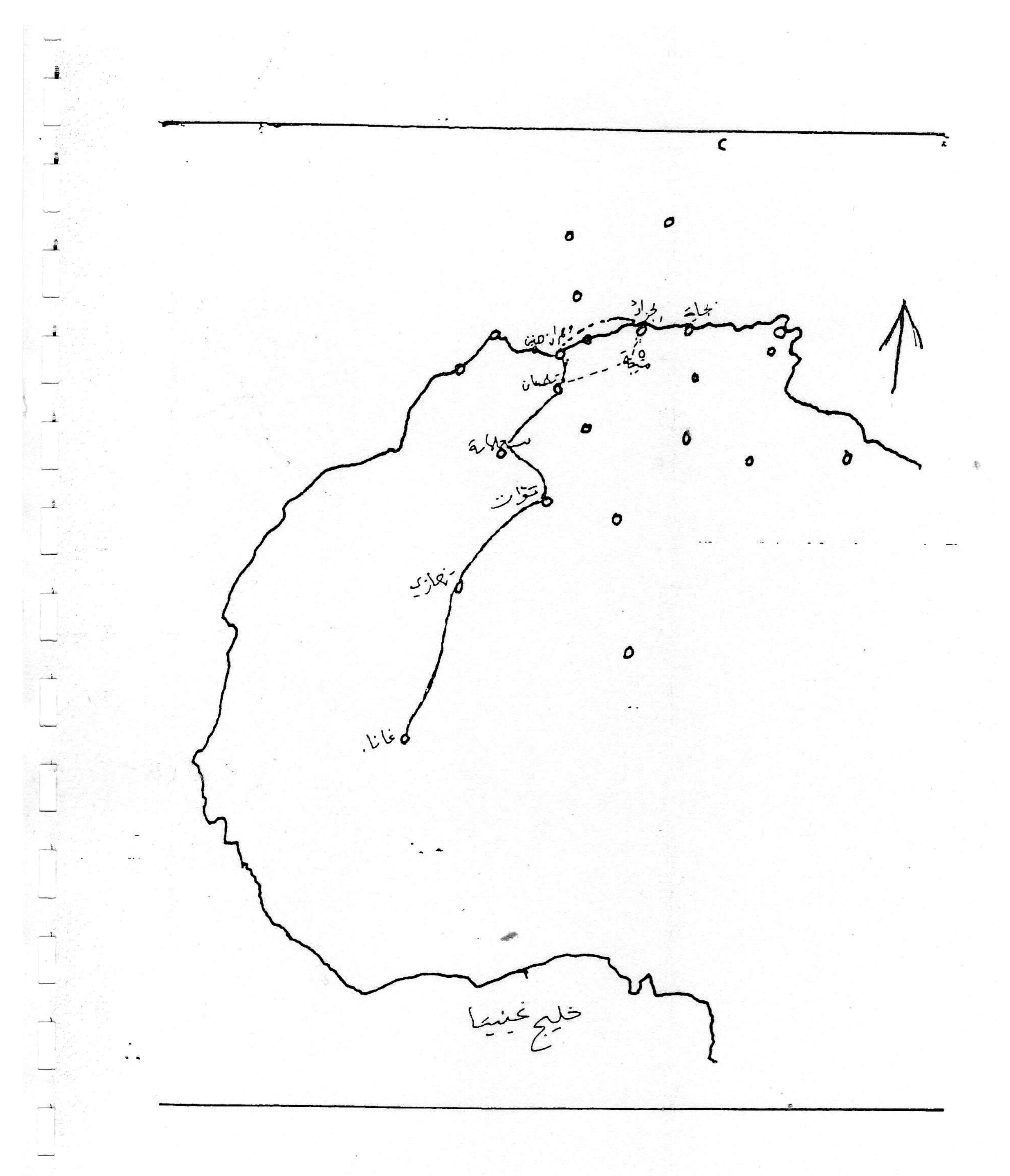

خريطة 5 : الخط بين مدينة الجزائر وجزر البليار وبين ايطاليا وفرنسا وهذه الجزر



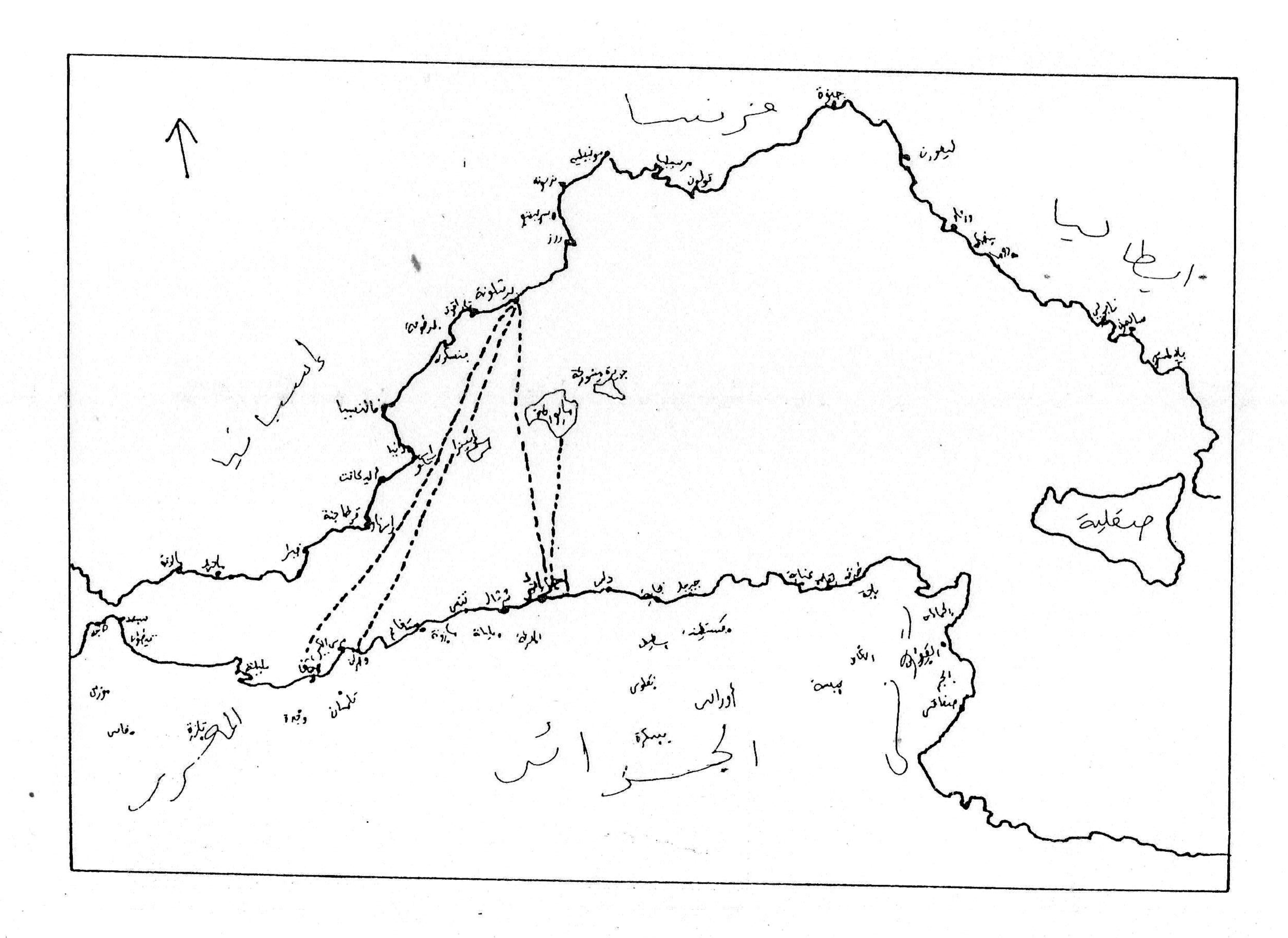

خريطة 6 : الطريق الصحراوي بين مدينة الجزائر وورقلة.
(القرن 6هـ/12م)



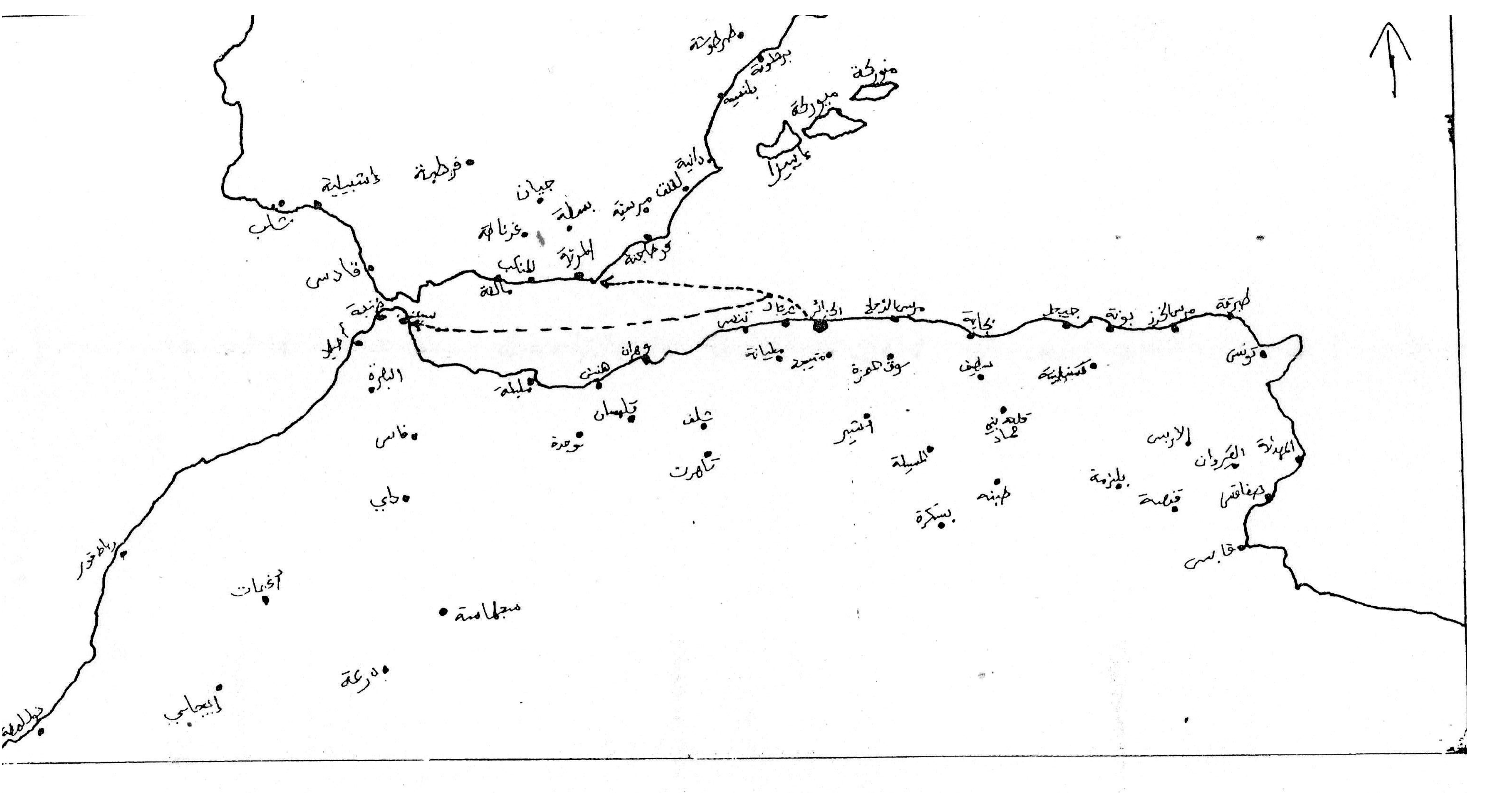

(القرن 7هـ/13م).



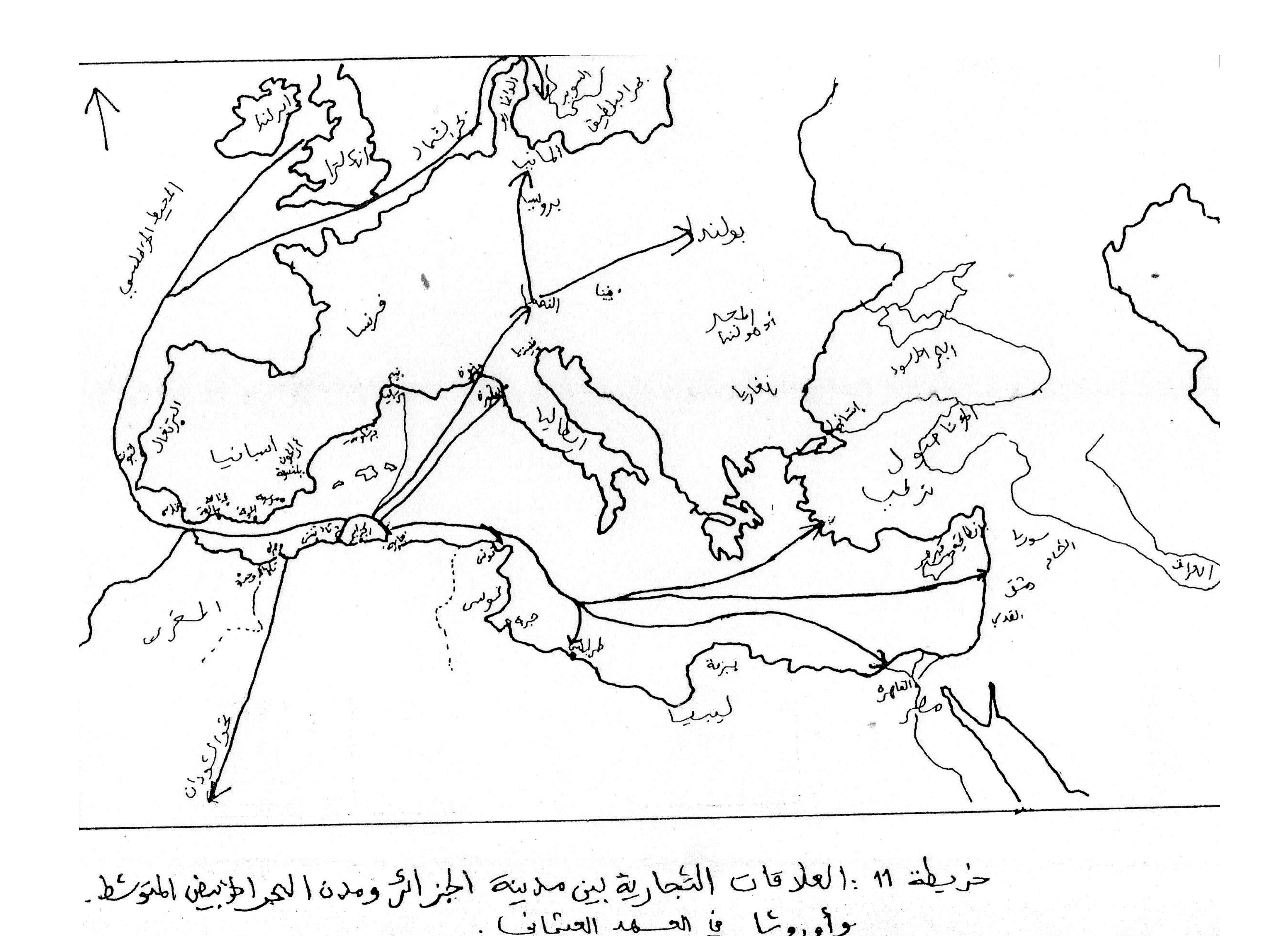

خريطة 8 : الخط الرابط بين مدينة الجزائر وتوات عبر تلمسان وهنين
(القرنين 7-8 هـ / 14-15م)




خريطة 9 : الخط بين برشلونة ومدينة الجزائر ووهران وهنين

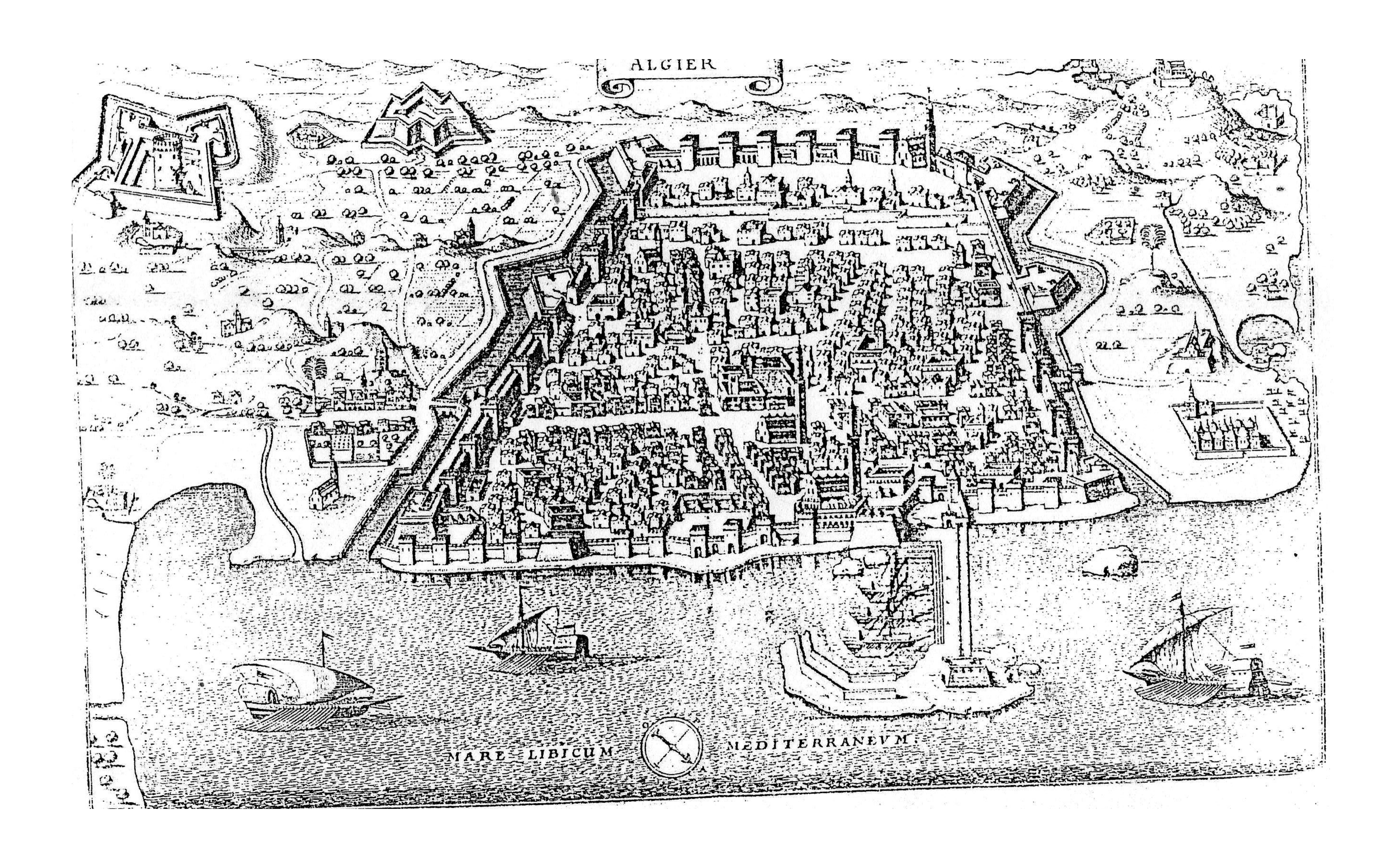


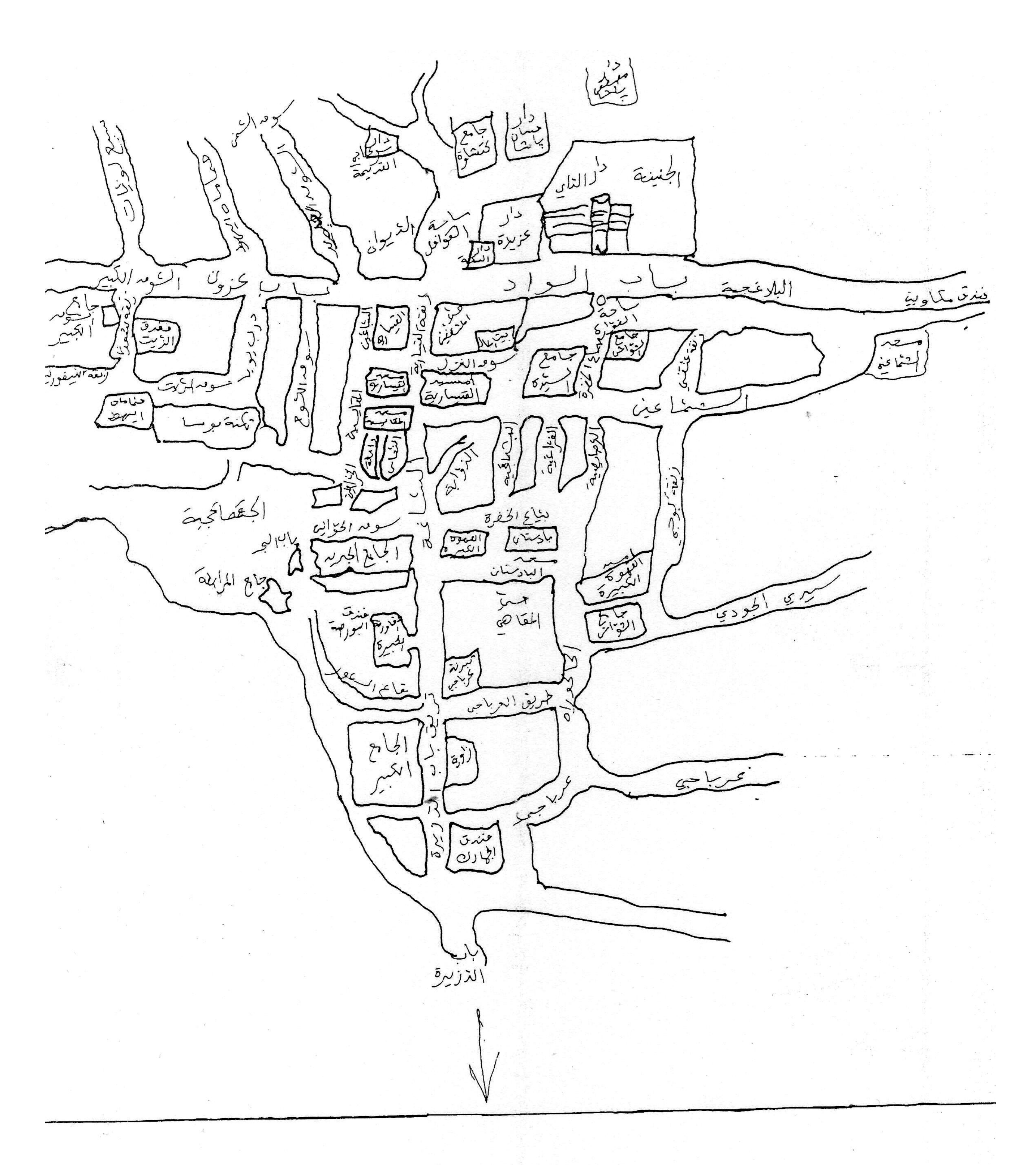

خريطة 10 : المسلك البحري بين مدينة الجزائر وبين المرية وسبتة.
(القرن 9هـ / 15م)



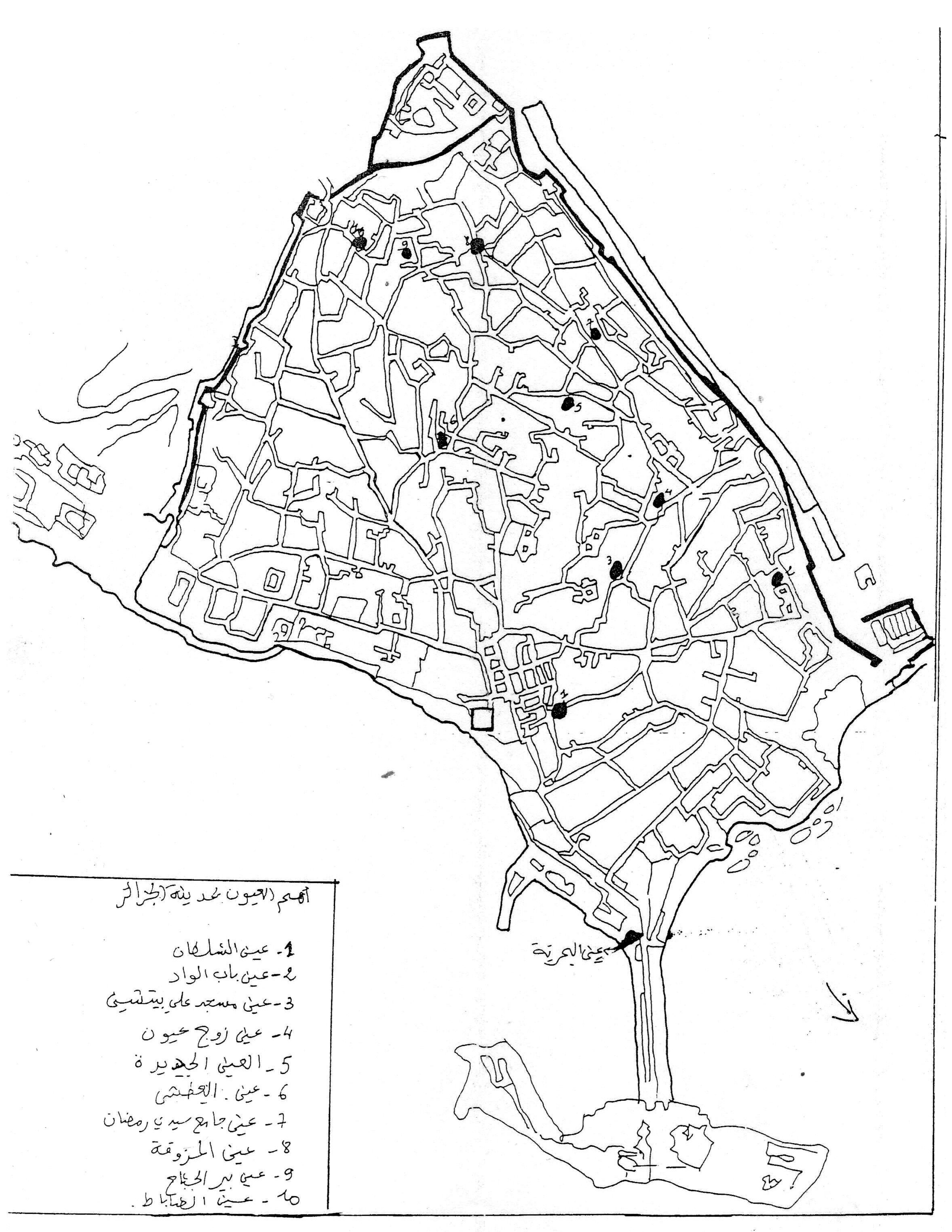


خريطة ١١: العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدن البحر الأبيض المتوسط وأوروبا في العهد العثماني.

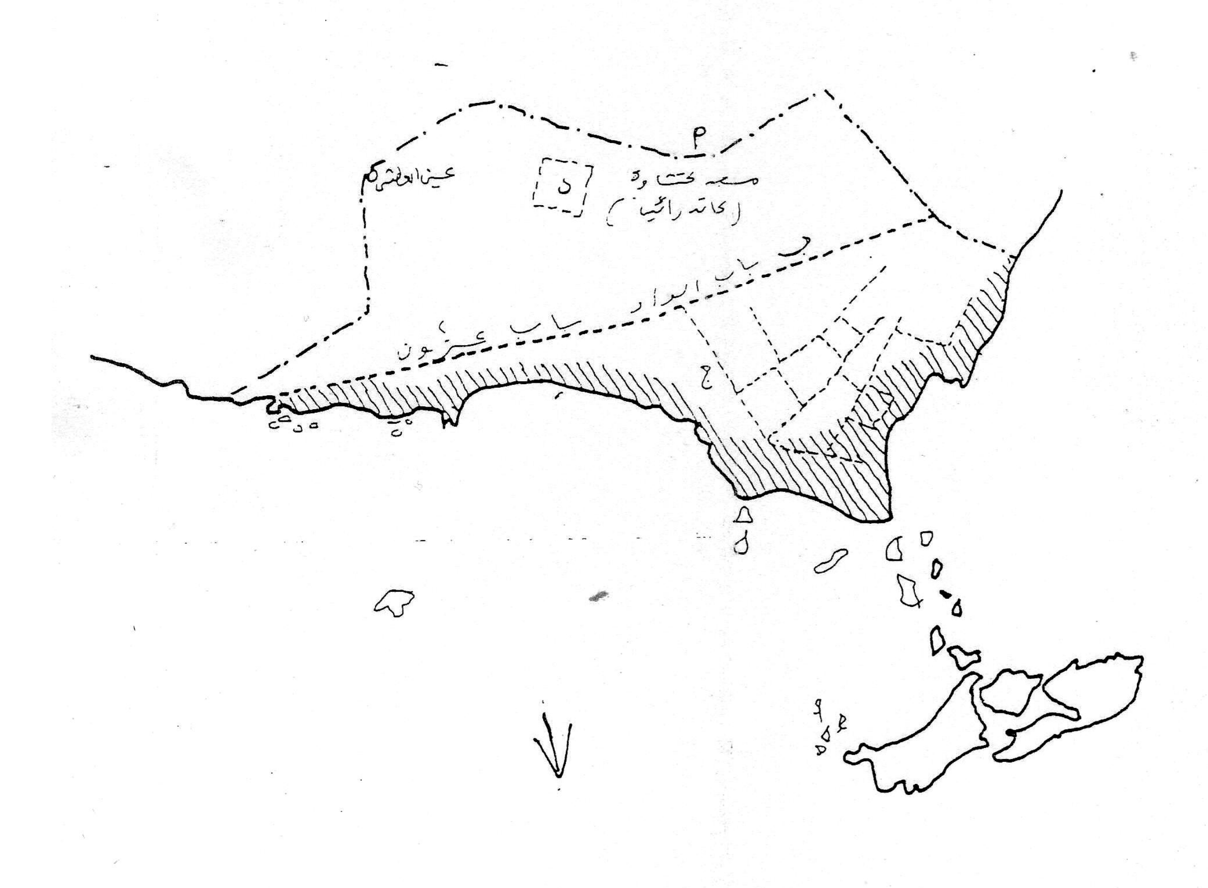

ALGIER
MARE LIBICUM
MEDITERRANEVM




مخطط 3 توزيع الأسواق بمركز المدينة
(بتصرف الطالبة)

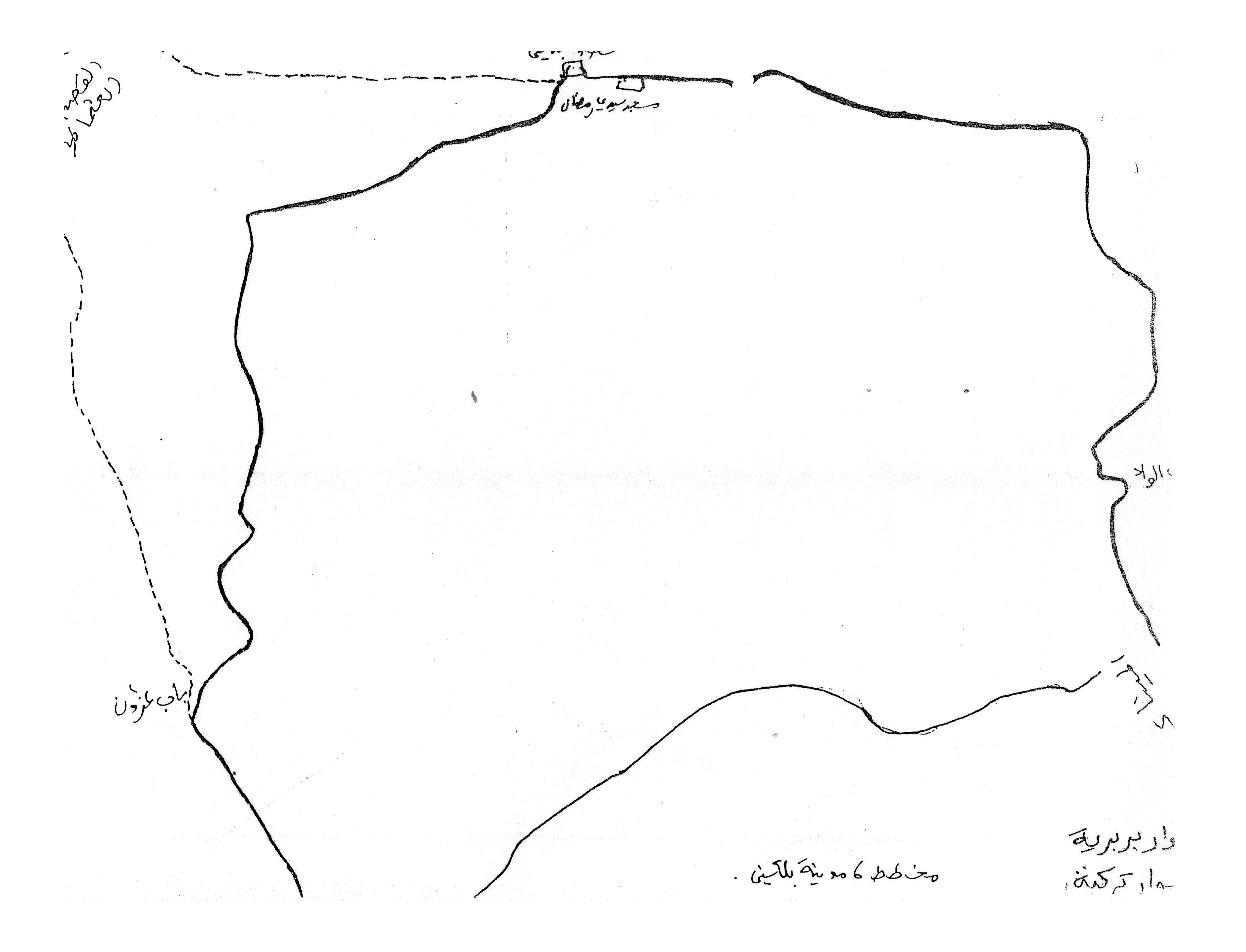


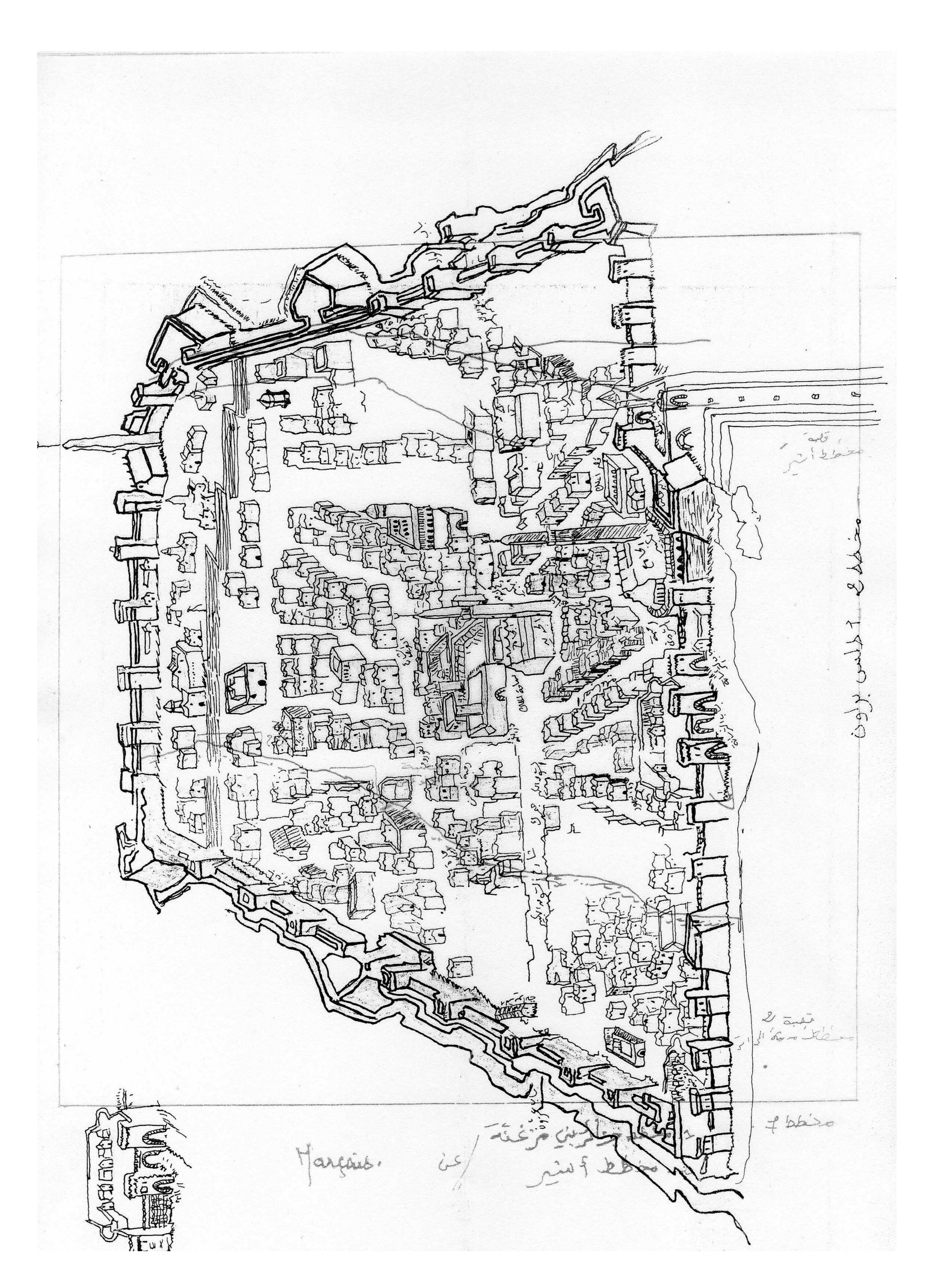

مخطط ٧ توزيع المياه بالمدينة.

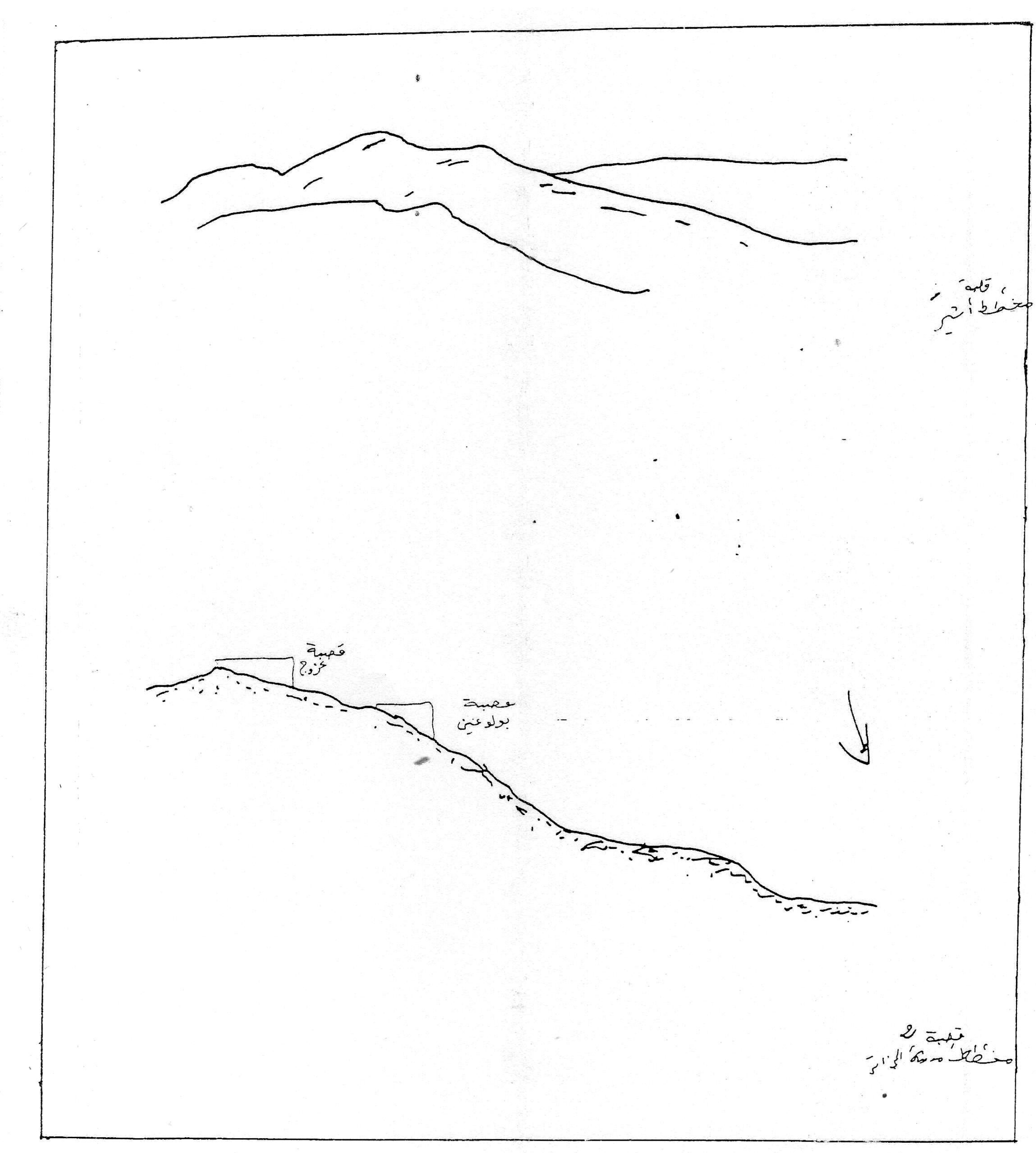



مخطط 5 إيكوزيوم عن/ Pasquali

أ- أسوار رومانية
ب - الكاردو
ج - الديكيمانوس
د - مسجد
||||| - محطة فنيقية


مسجد سيدي رمضان
دار بربرية
مخطط 6 مدينة بلكين.

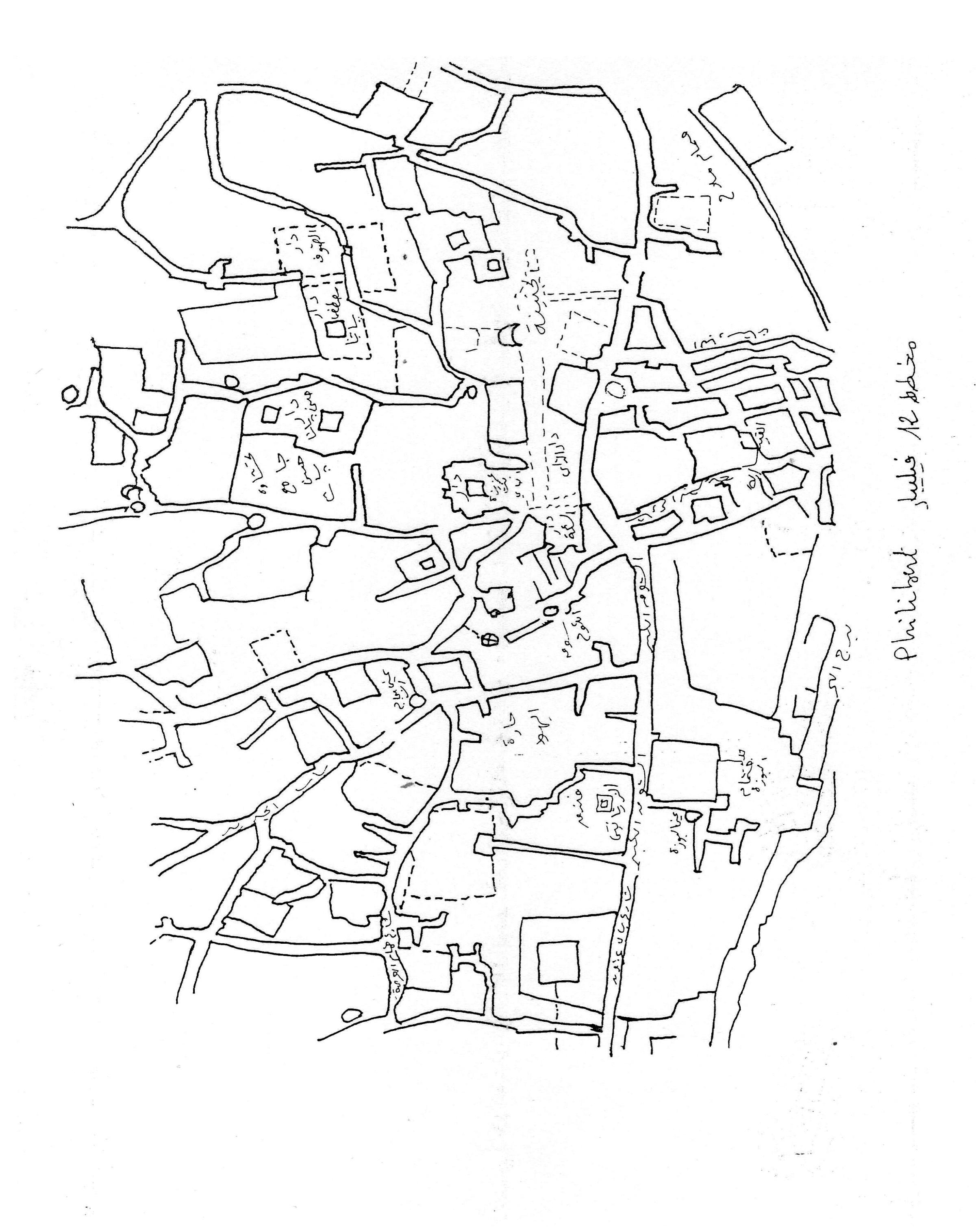


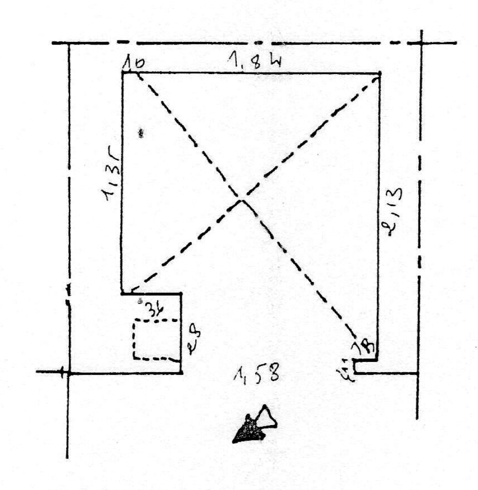



مخطط 7.

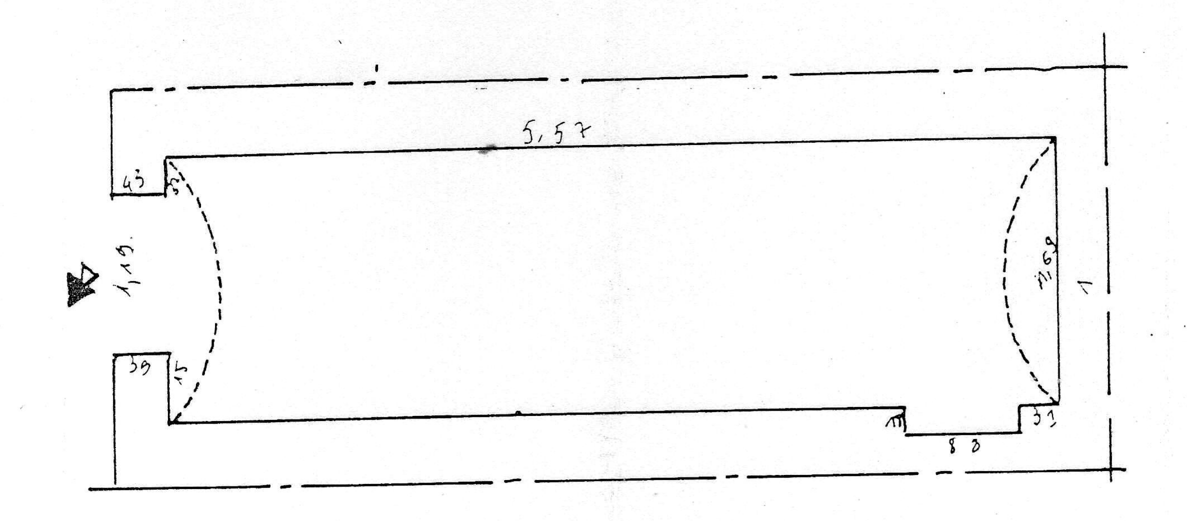
1. مخطط جزائر بني مزغنة
2. مخطط أشير

عن/ Marçais.

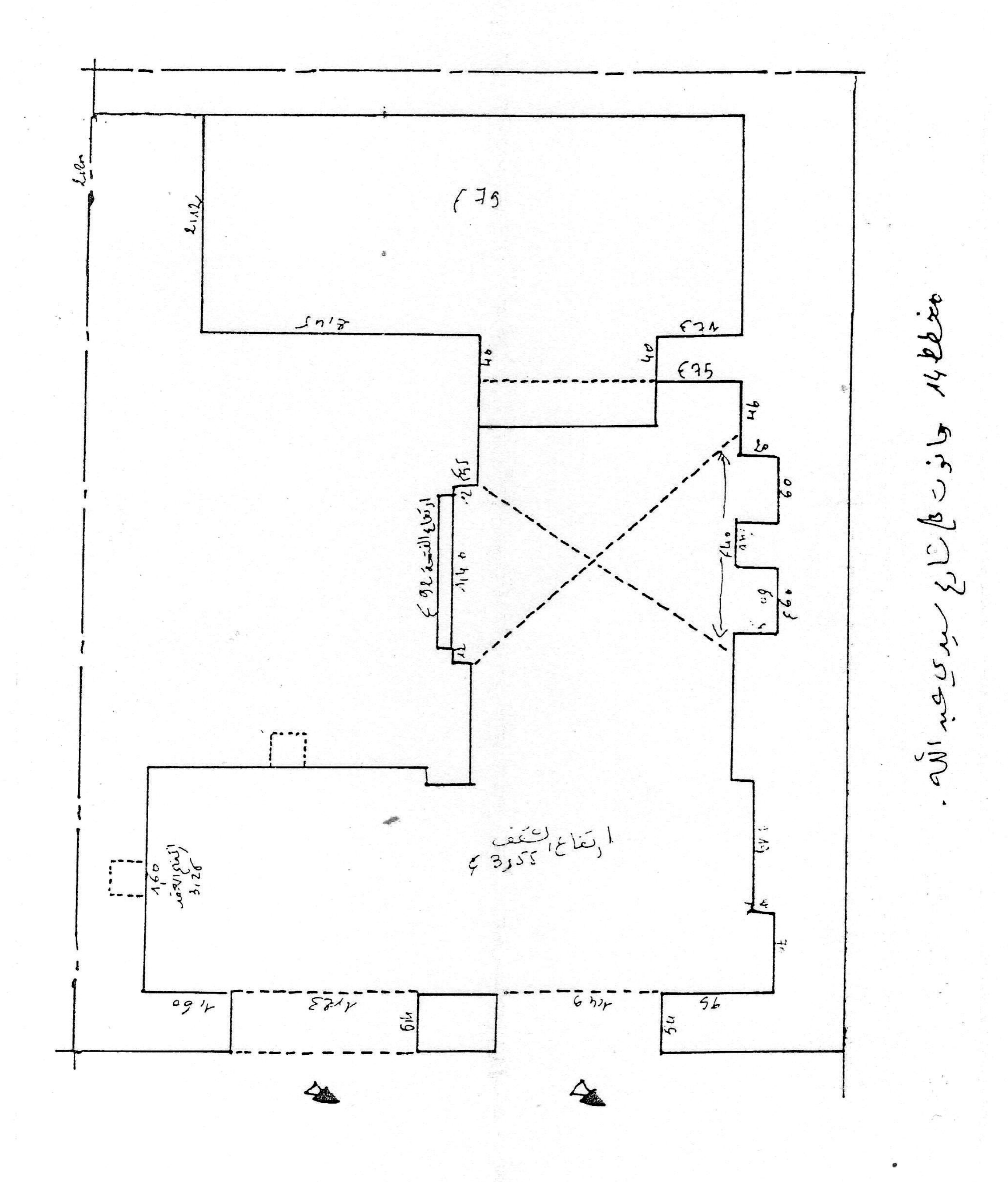

مخطط 12 فيليبر Philibert




مخطط 13 حانوت في شارع سيدي عبد الله.



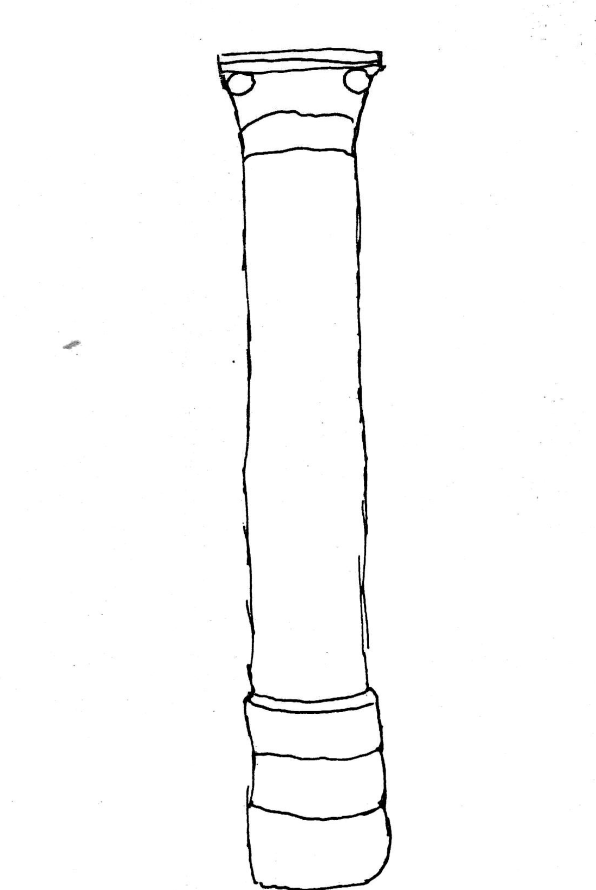

مخطط 15 ورشة النجار.



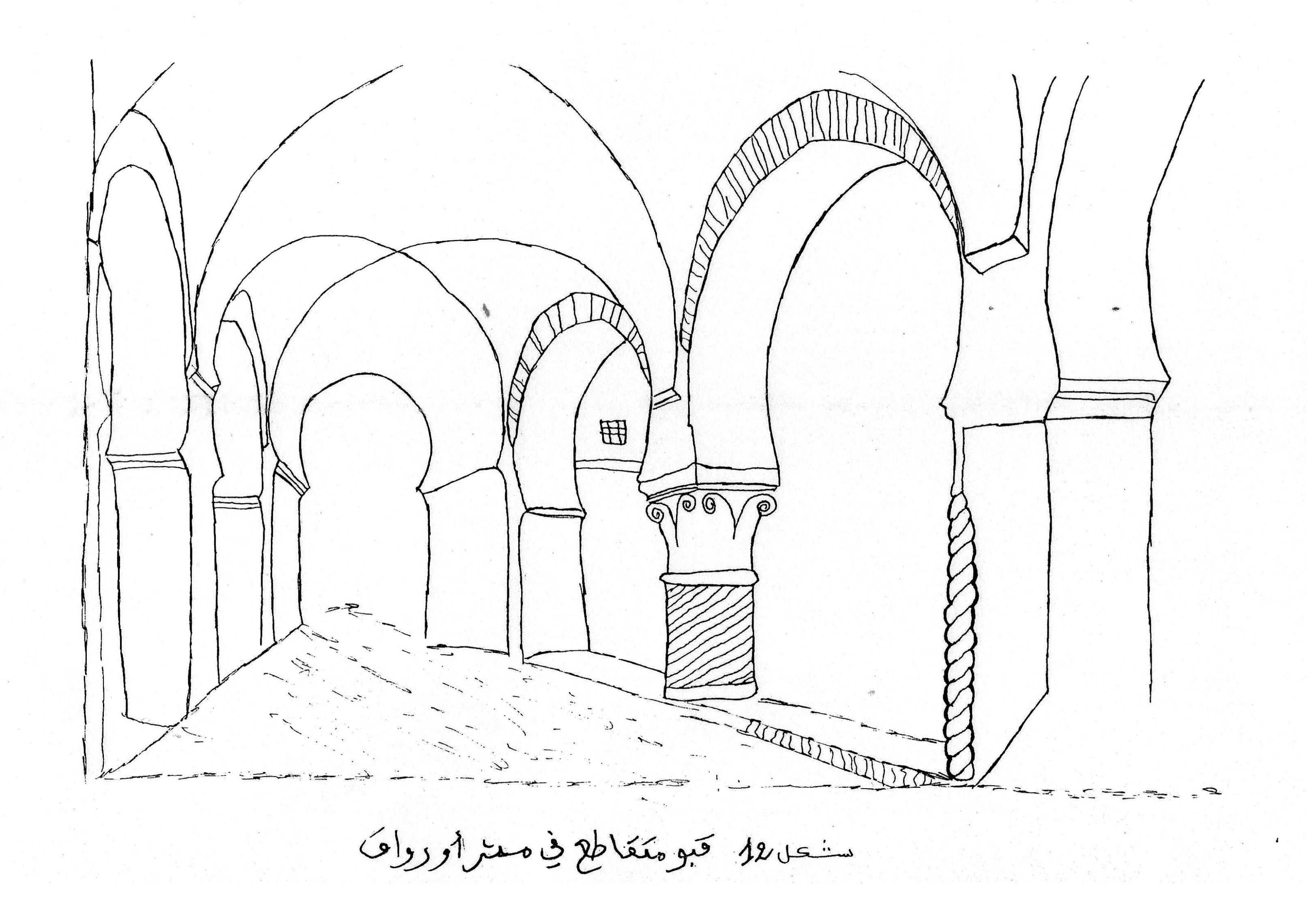
مخطط 14 حانوت بشارع سيدي عبد الله.



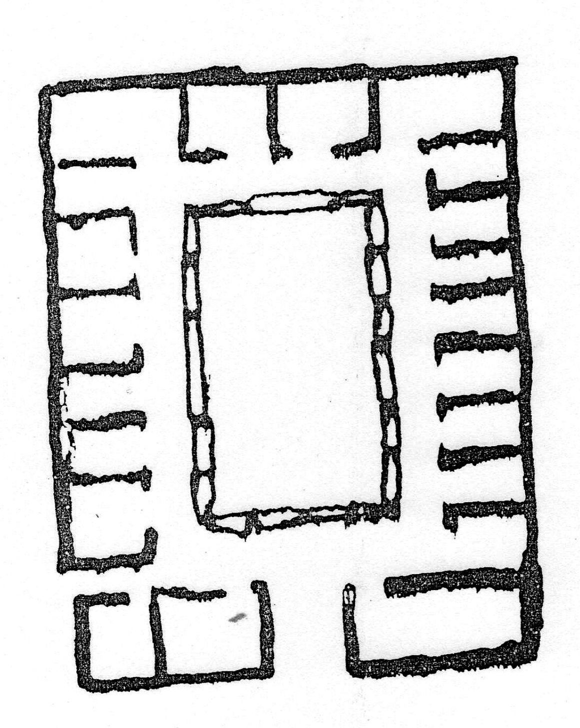
شكل ١٥ سوق قديم مغطى بأفاريز



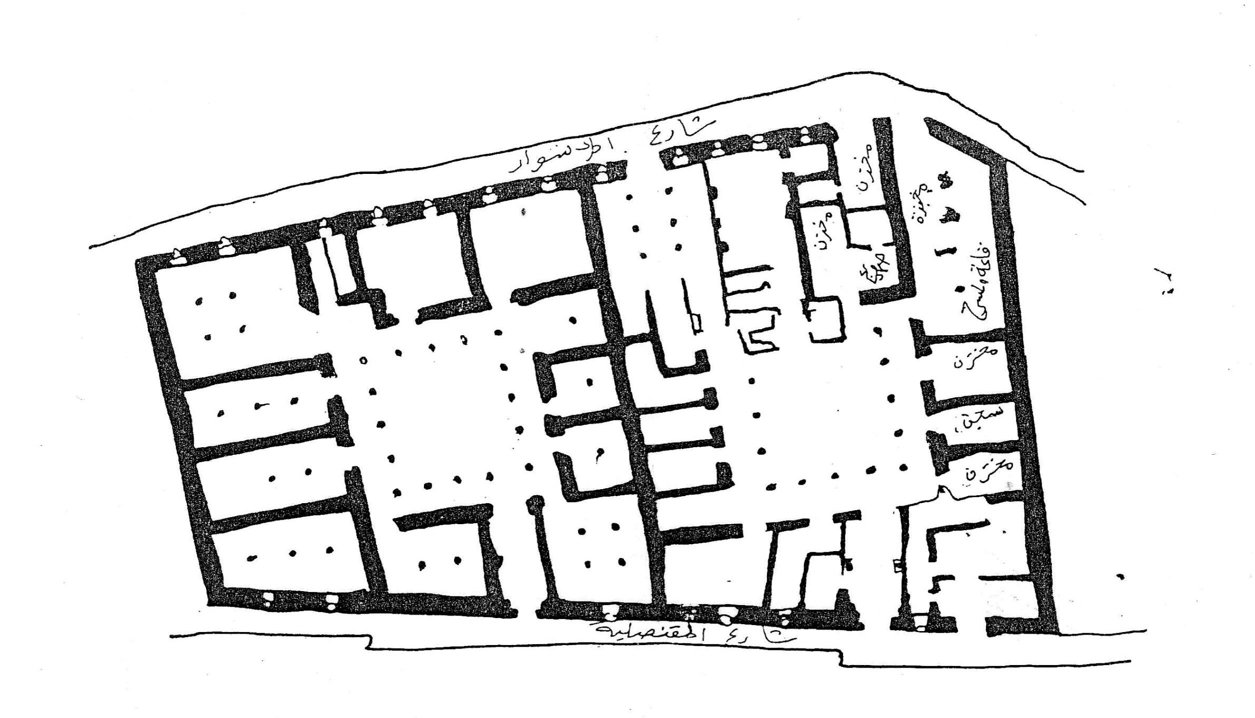
شكل ١١ عمود أسطواني



شكل ١٢ قبو متقاطع في ممر أو رواق



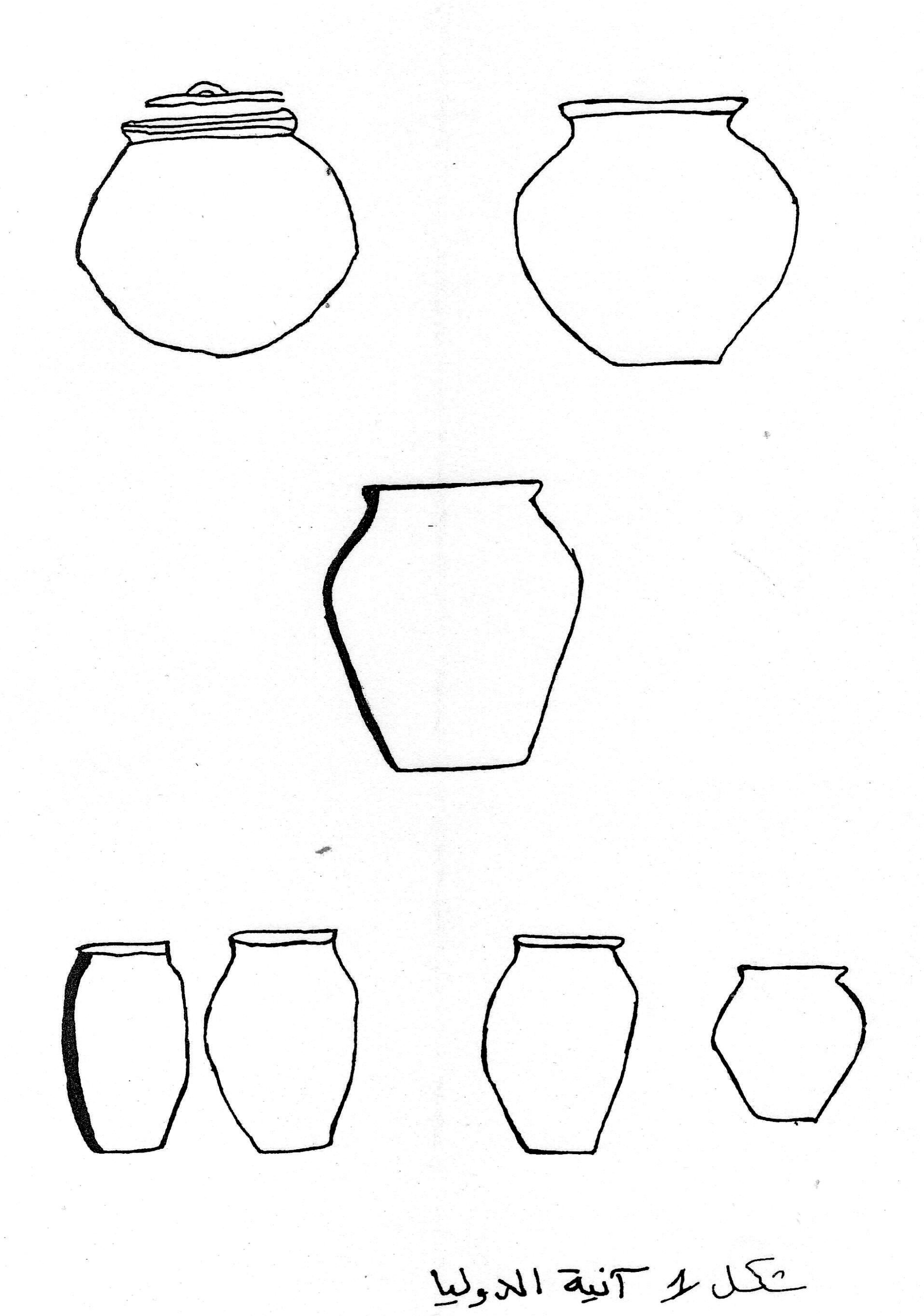
مخطط 16 السوق المغطى عن/ Le Tourneau



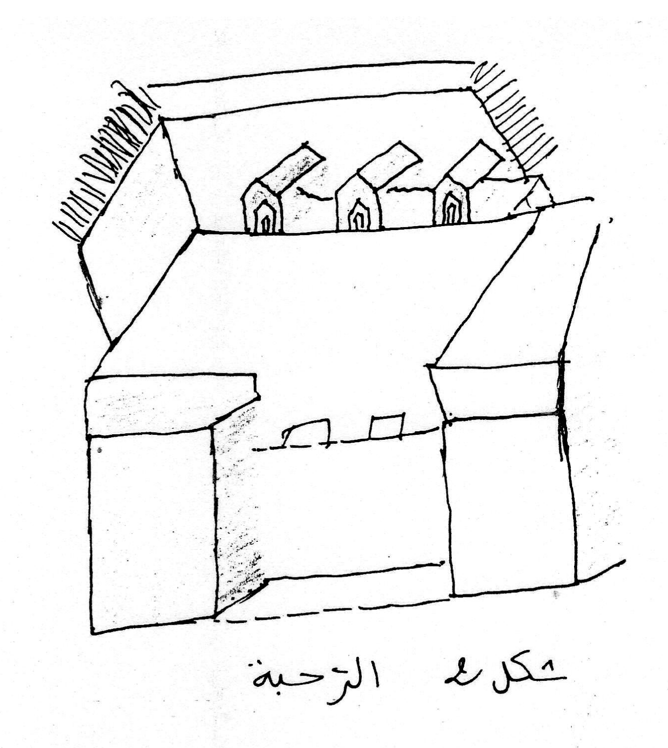

مخطط 18 فندق وقنصلية الفرنسيين

# ملحق الأشكال

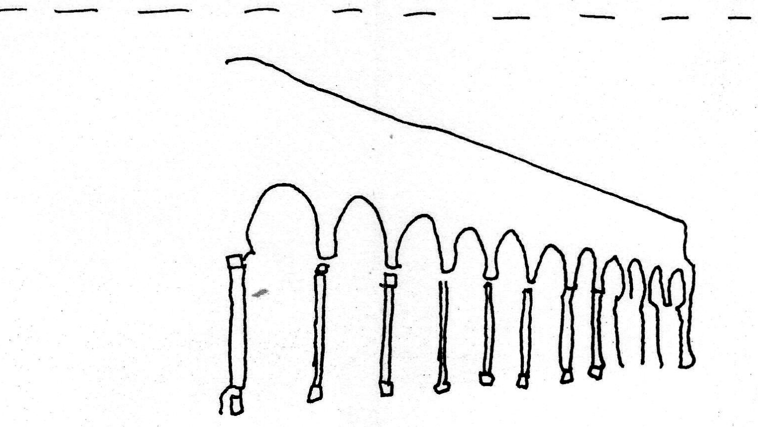
# و اللوحات

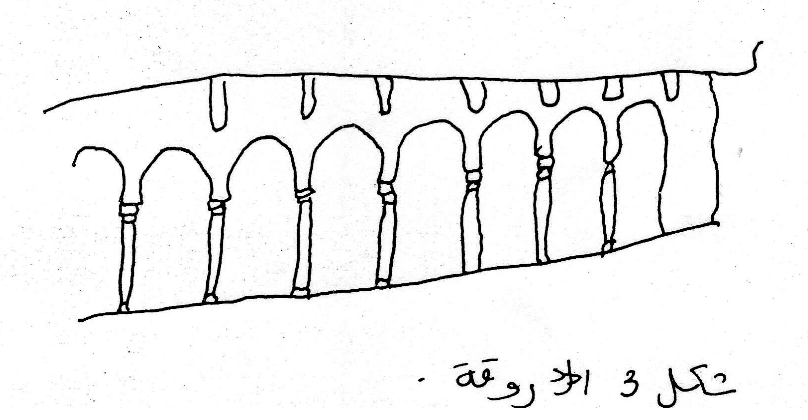


شكل 1 آنية الدوليا

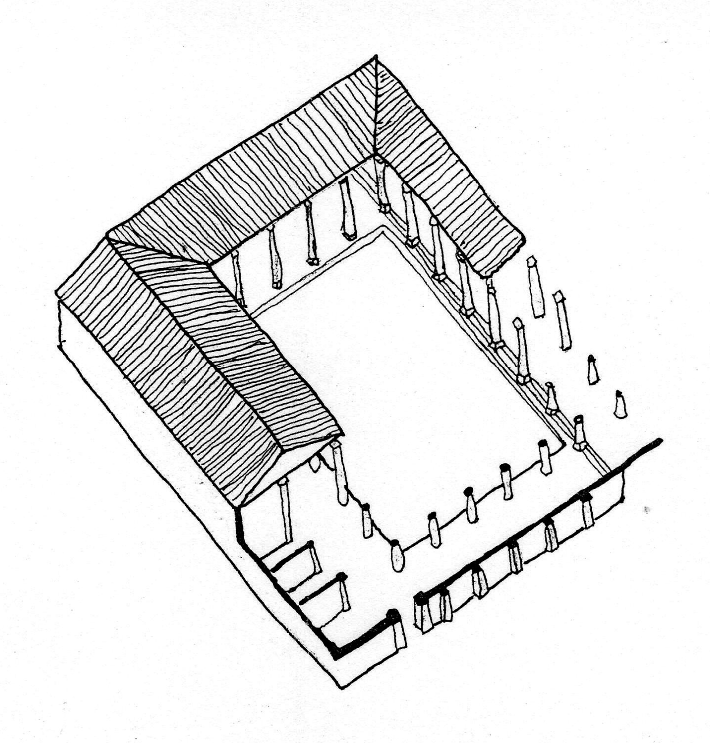


شكل 2 الرحبة

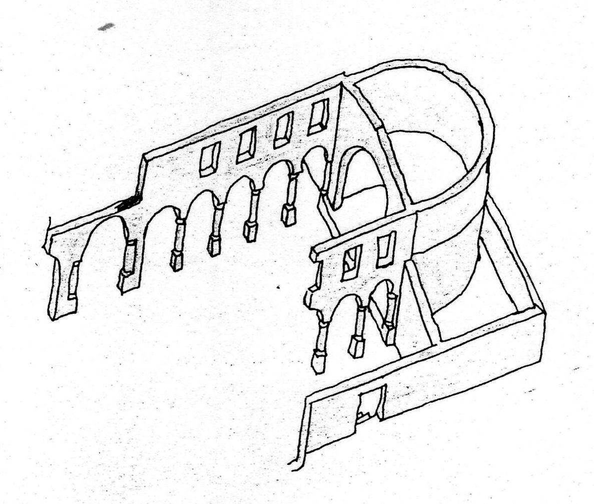




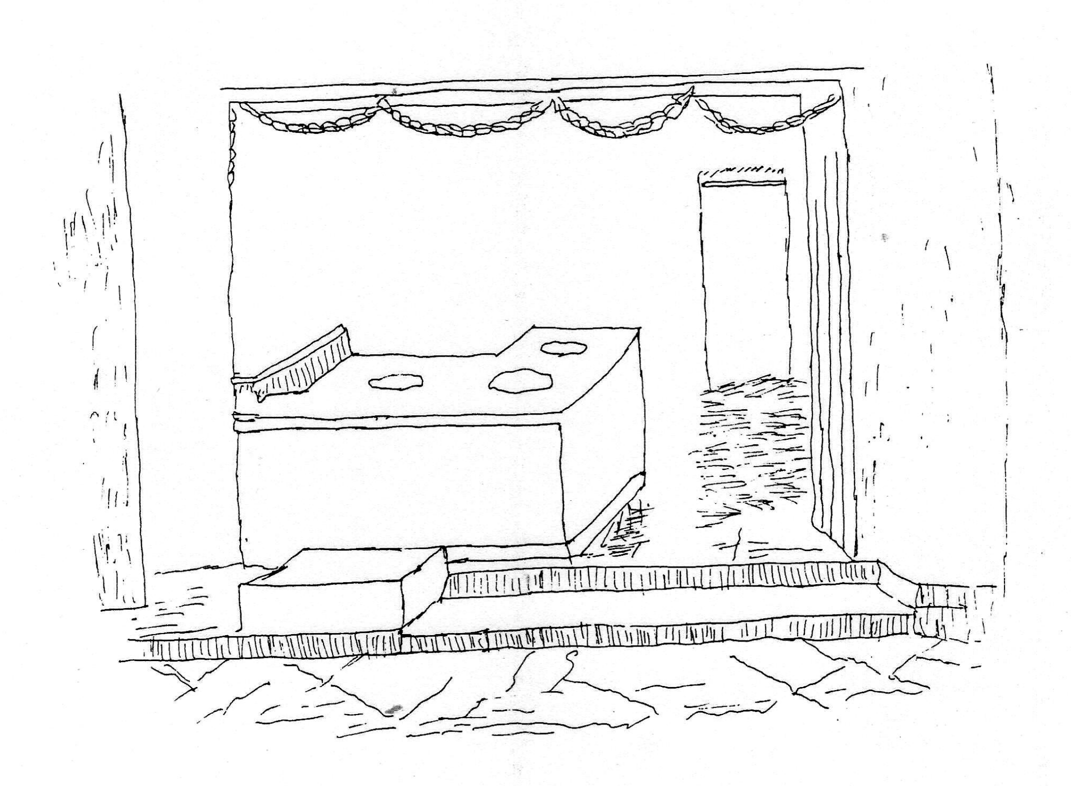
شكل 3 الأروقة .



شكل 4 الفوروم



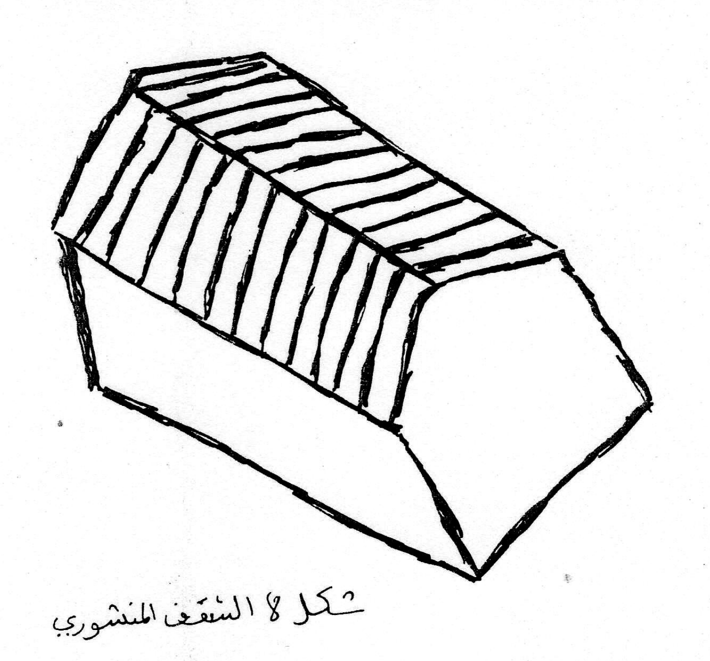
شكل 5 البازيليكا.



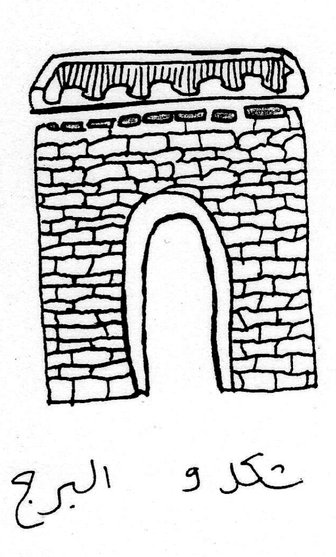
شكل 6 : حوانيت الفوروم.



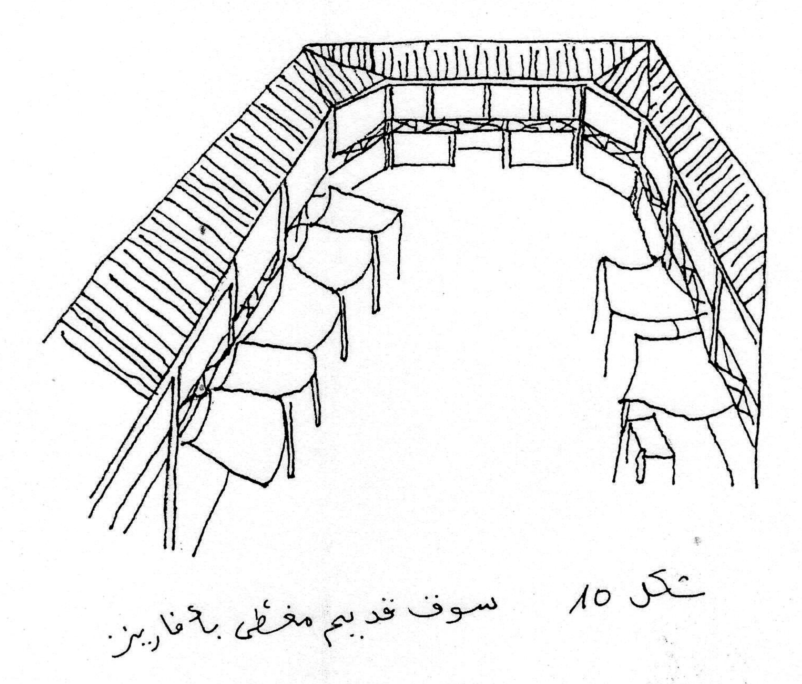
شكل 7 الصاباط.



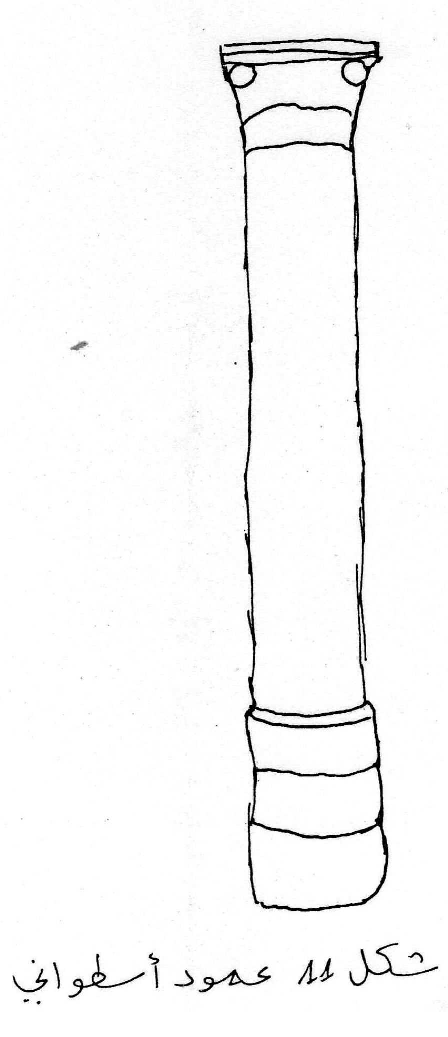
شكل ٨ السقف المنشوري



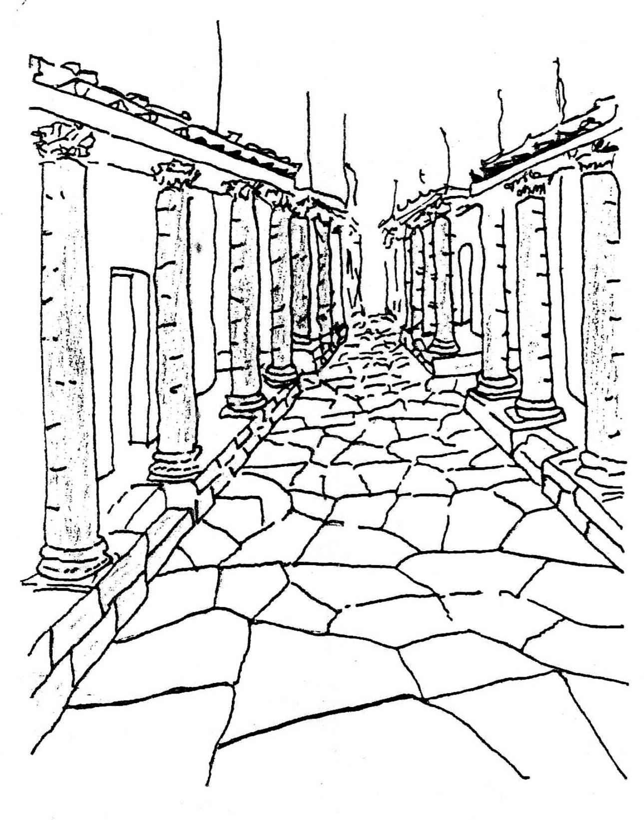
شكل ٩ البرج



شكل ١٥ سوق قديم مغطى بأفاريز



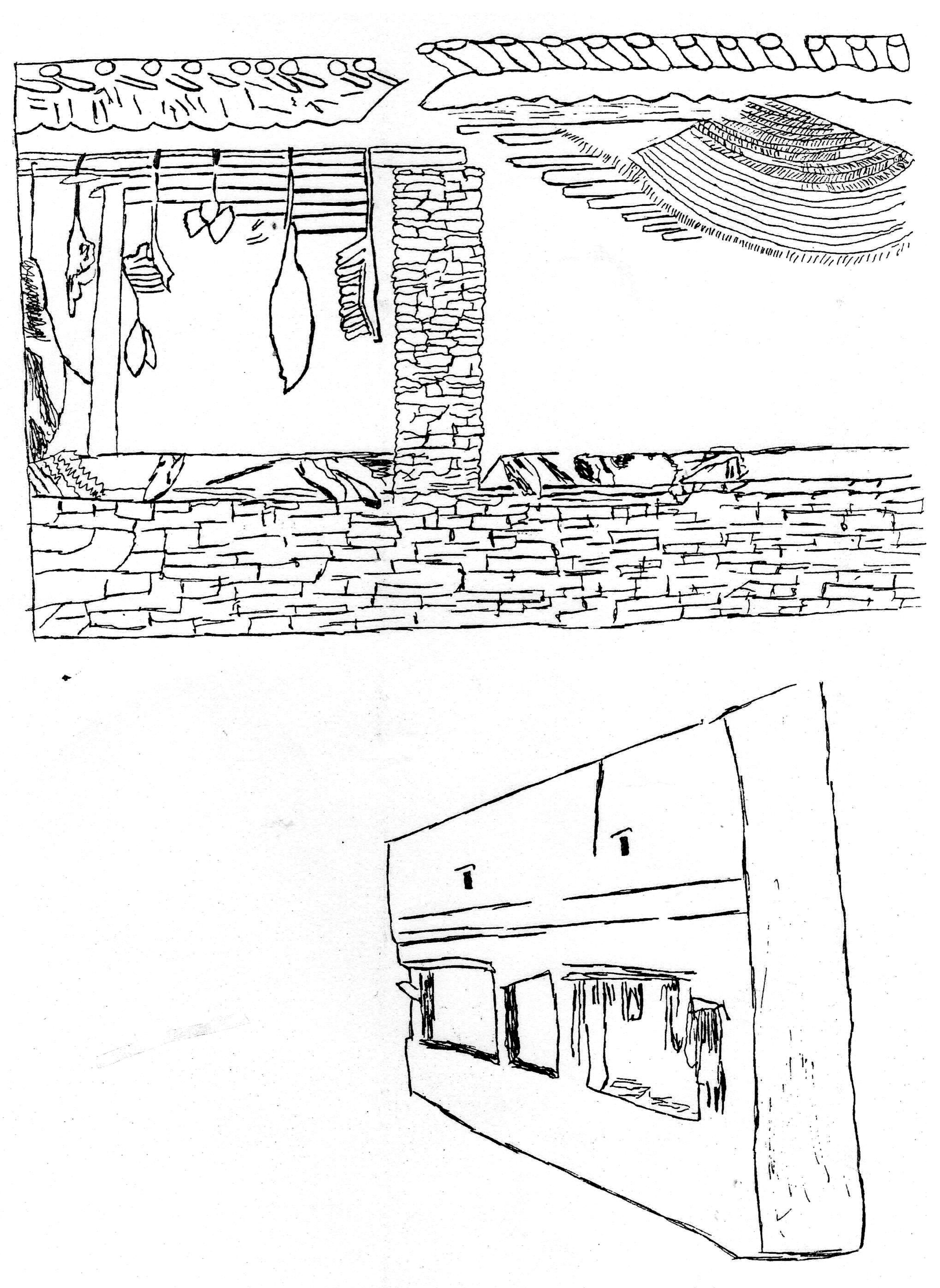
شكل ١١ عمود أسطواني



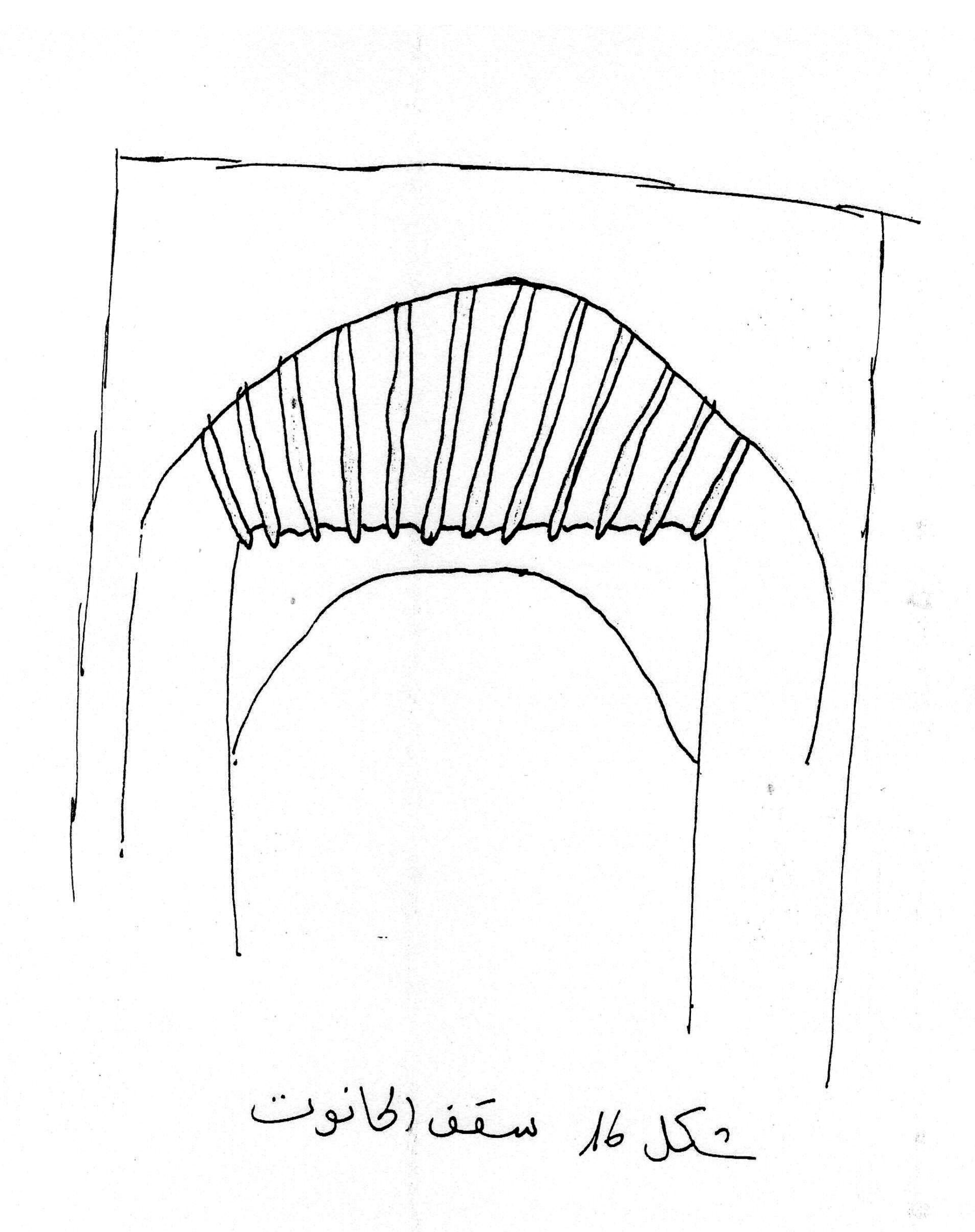
شكل 13 الكاردو



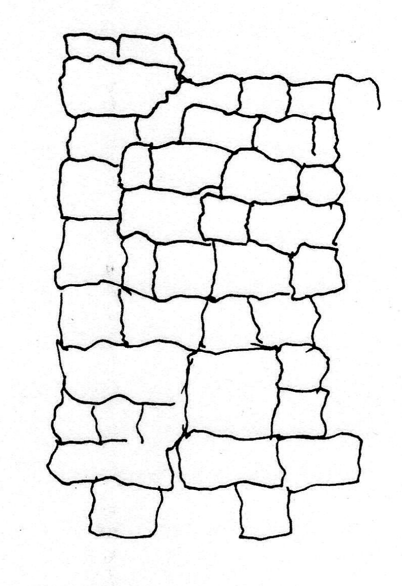
شكل 14 الدكيمانوس



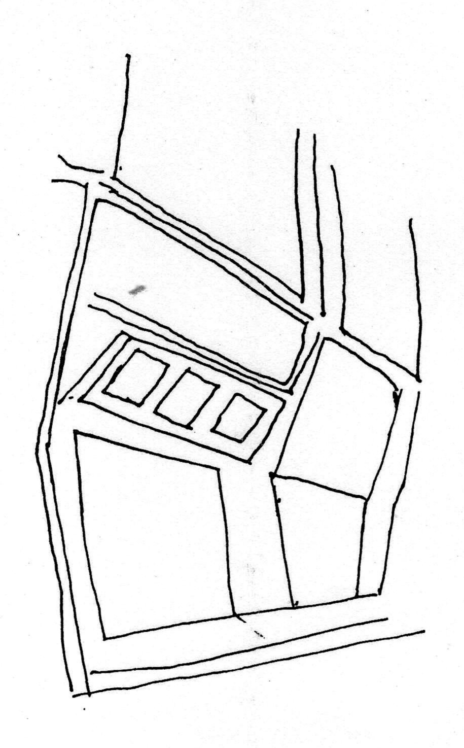
شكل 15 طريقة العرض



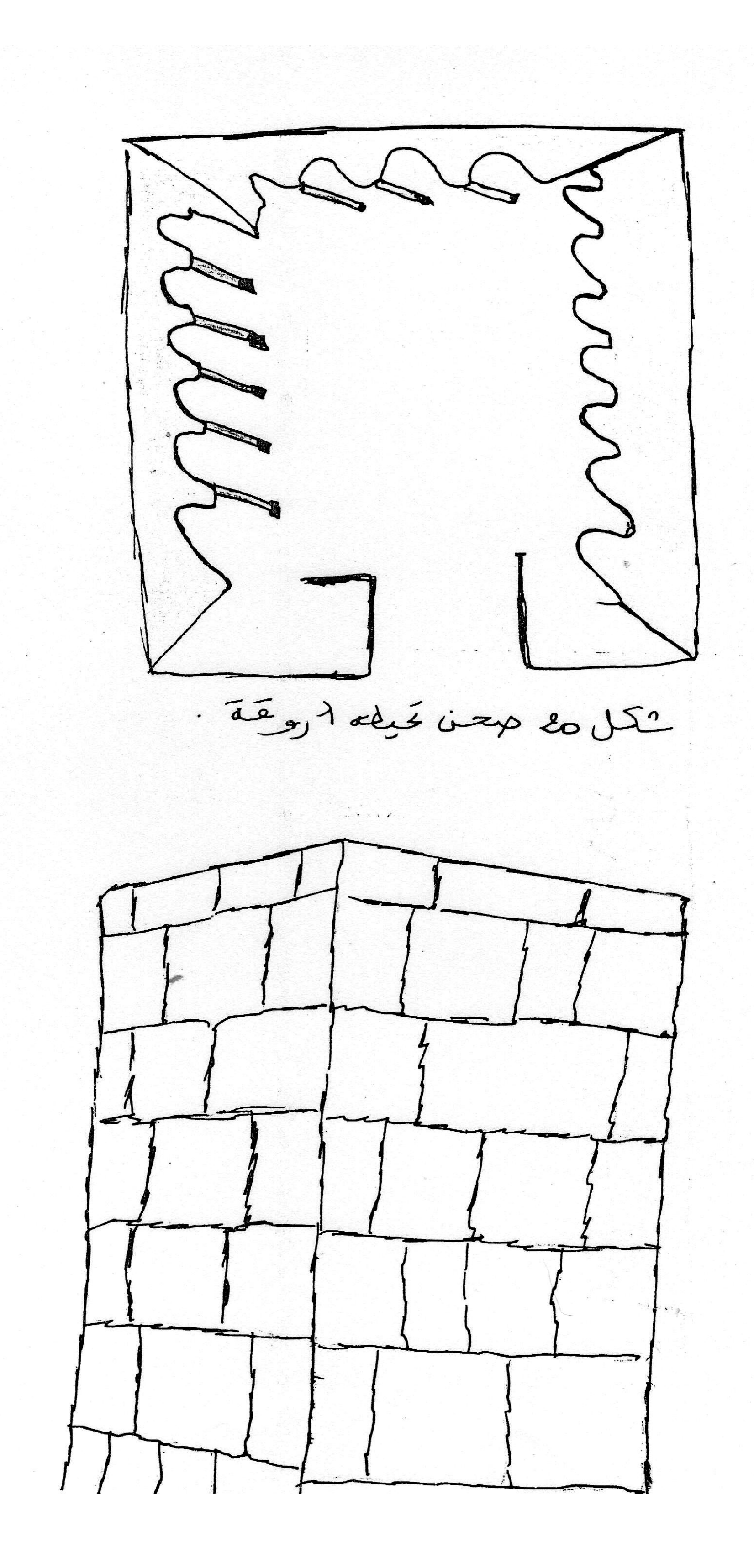
شكل 16 سقف الحانوت



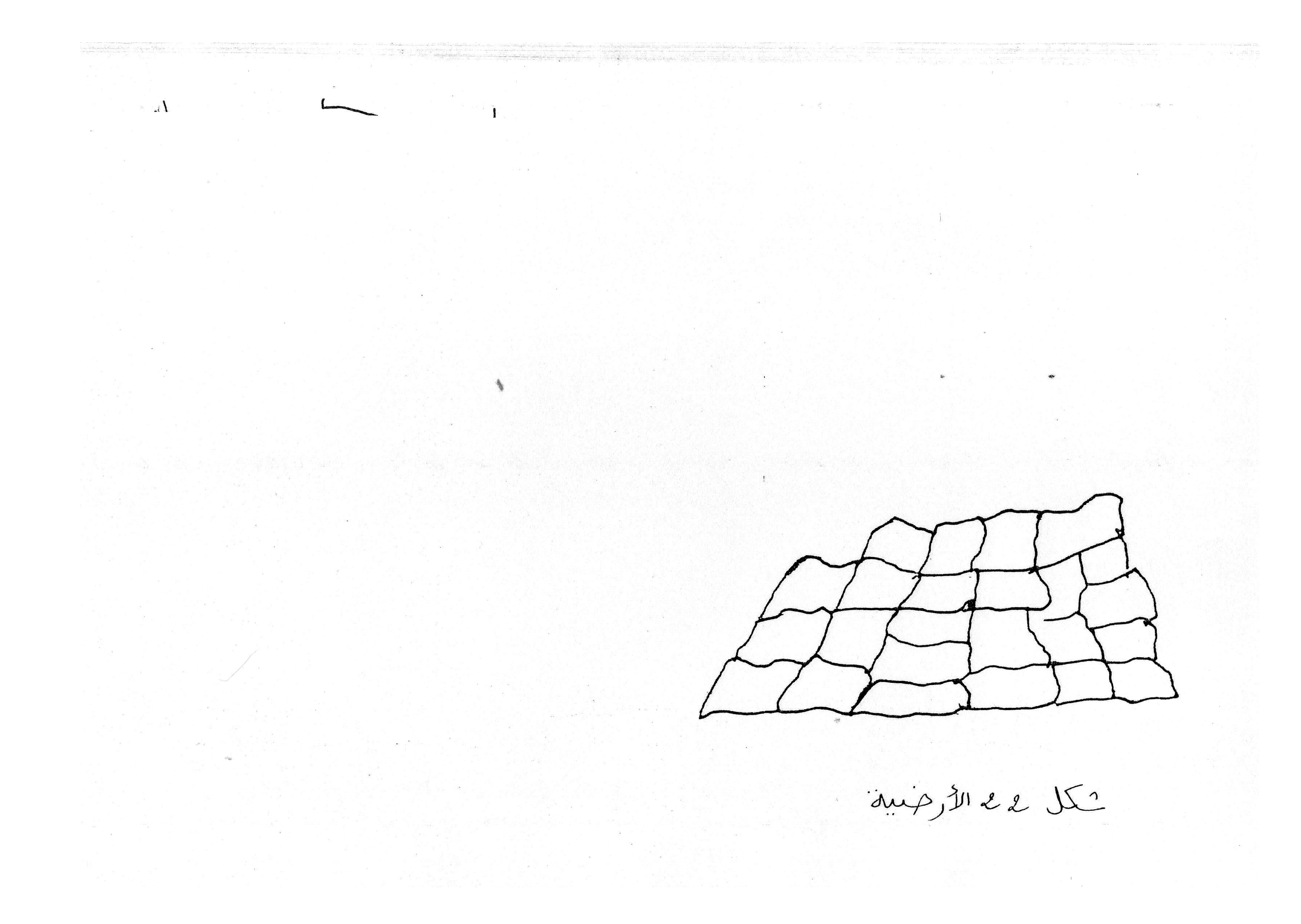
شكل 18 المداميك



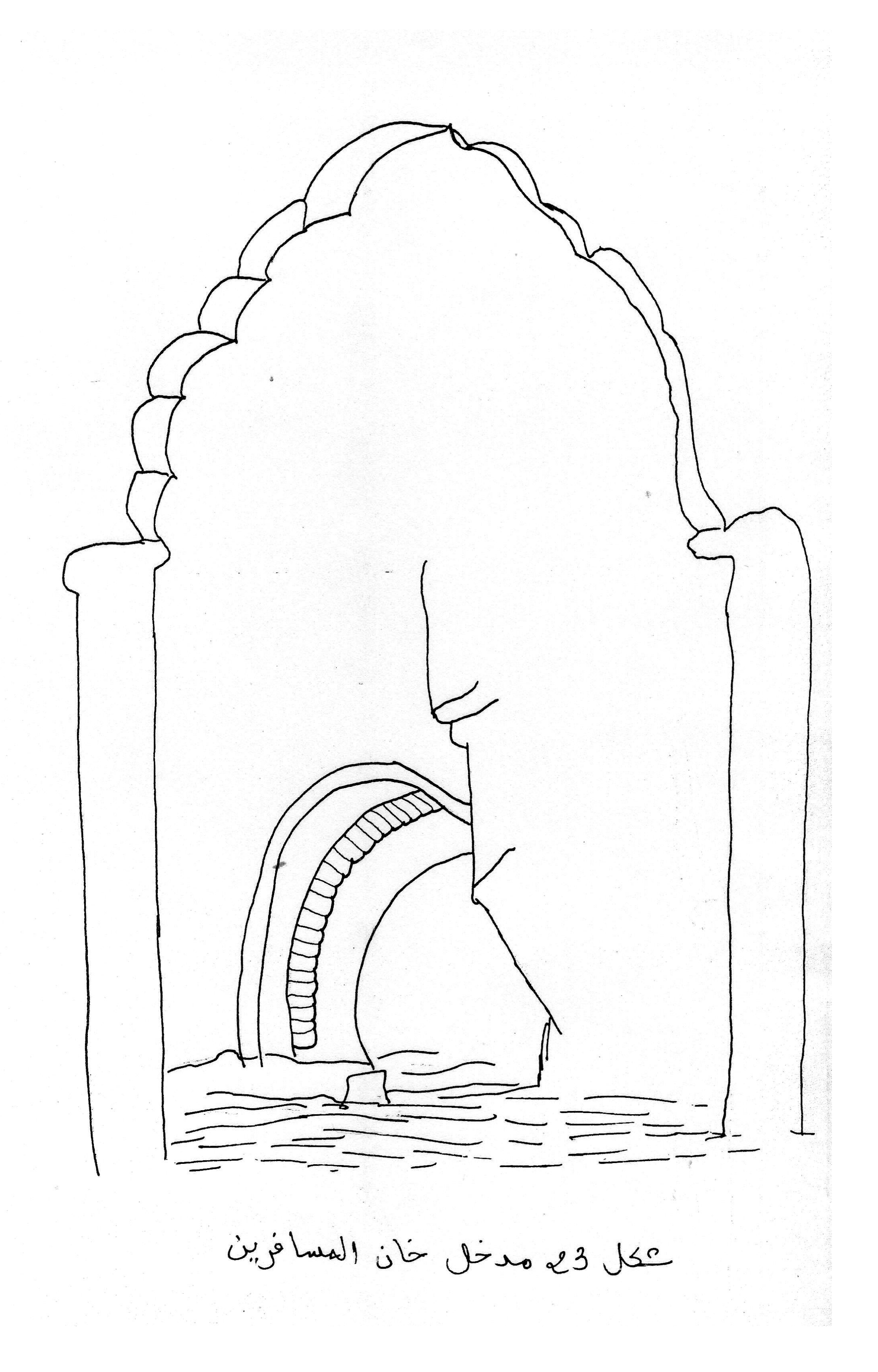
شكل 19 الأكنف



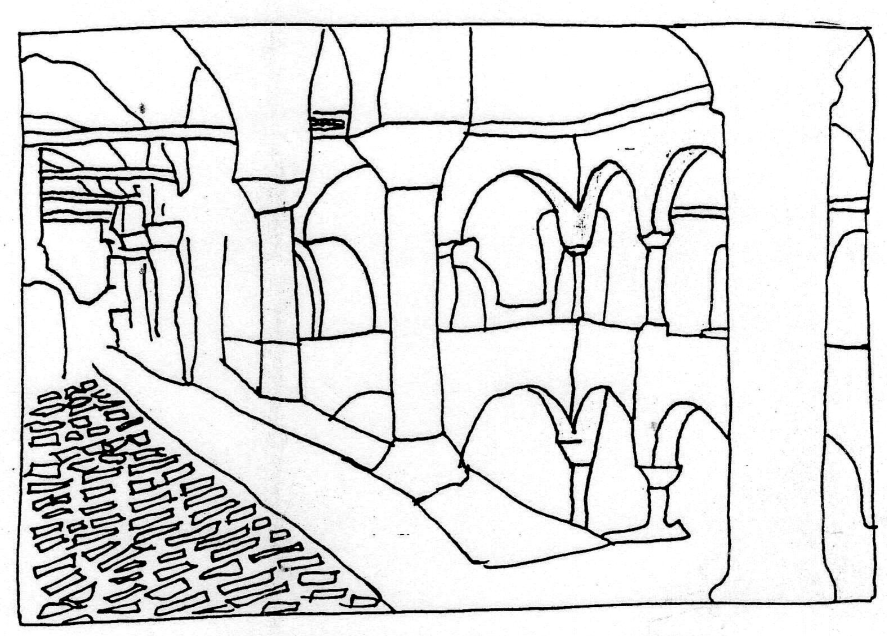
شكل ٤٥ صحن تحيطه ٦ أروقة .



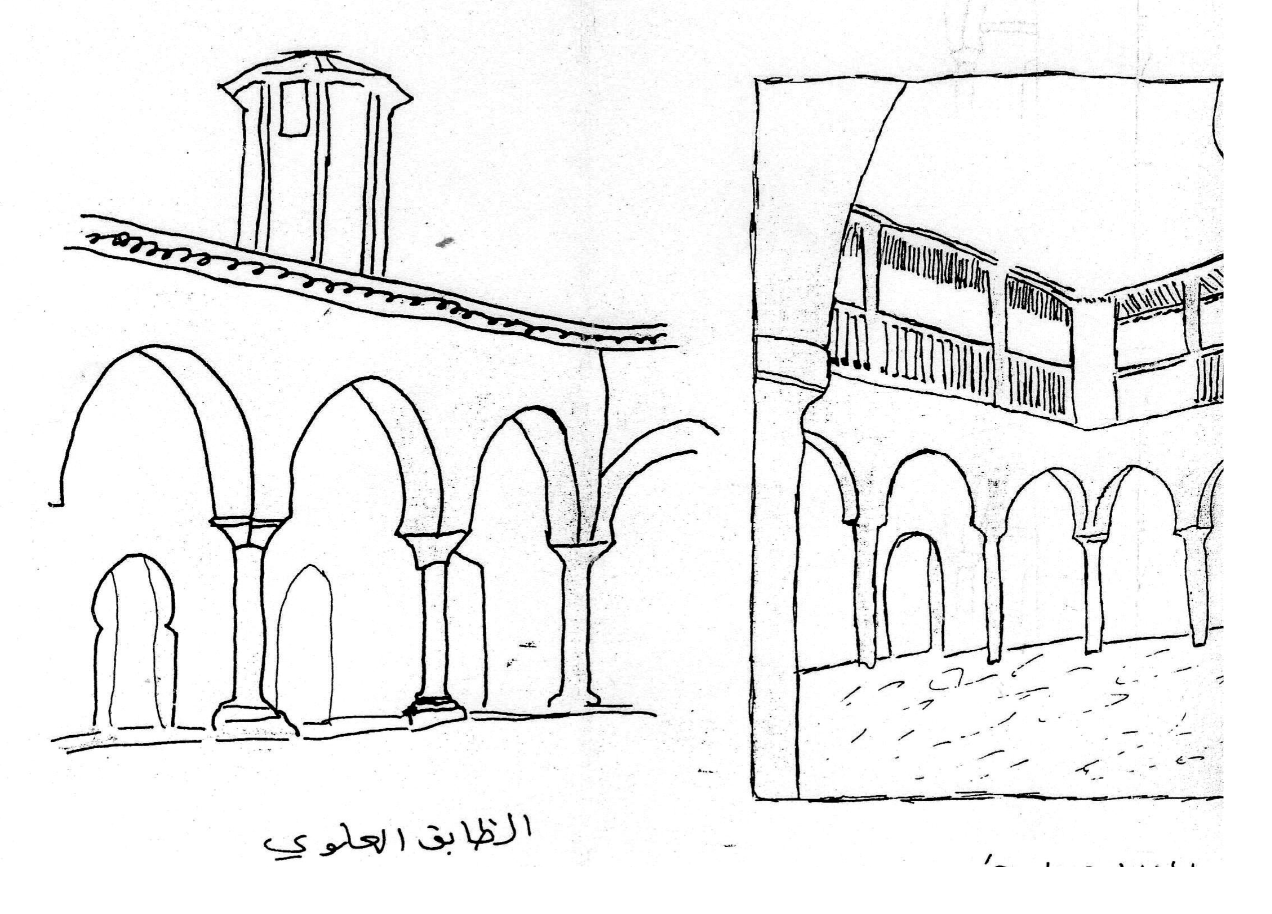
شكل ٤٤ الأرضية



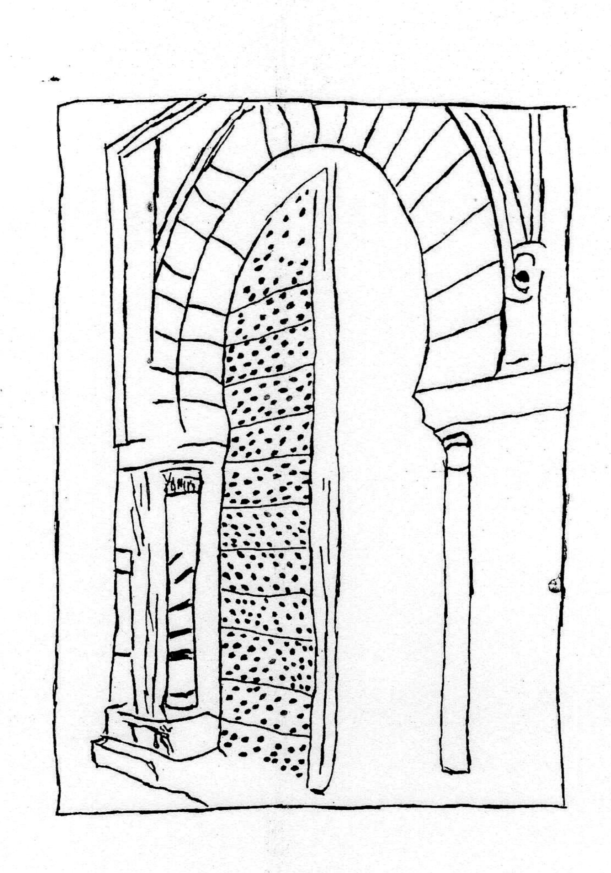
شكل 23 مدخل خان المسافرين



شكل 24 فندق الفرنسيين



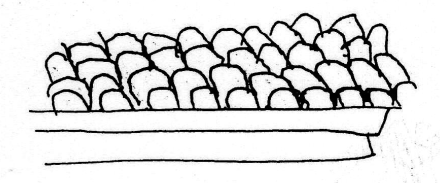
الطابق العلوي



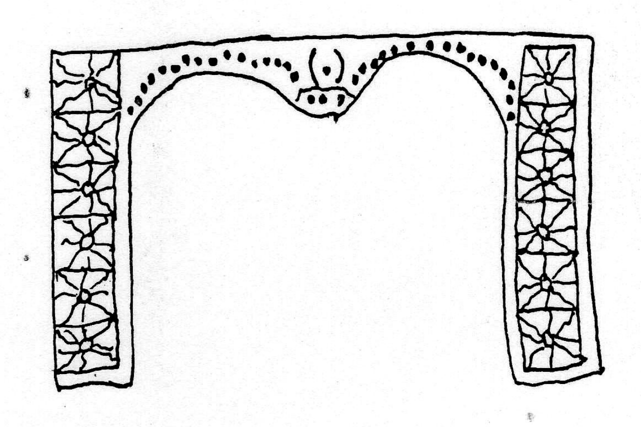
شكل 25 مدخل فندق الفرنسيين.



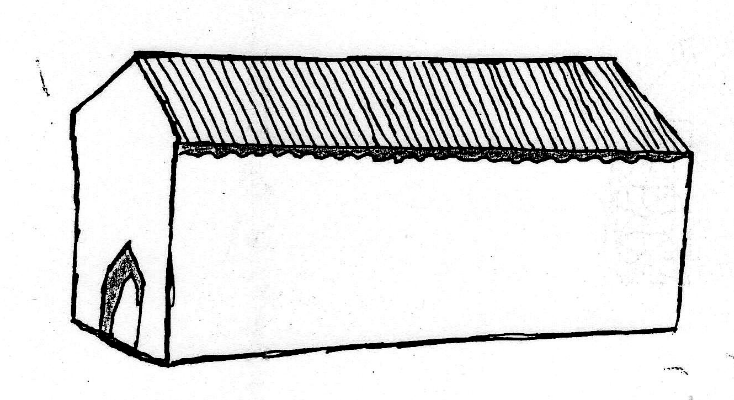
شكل 27 الظلة



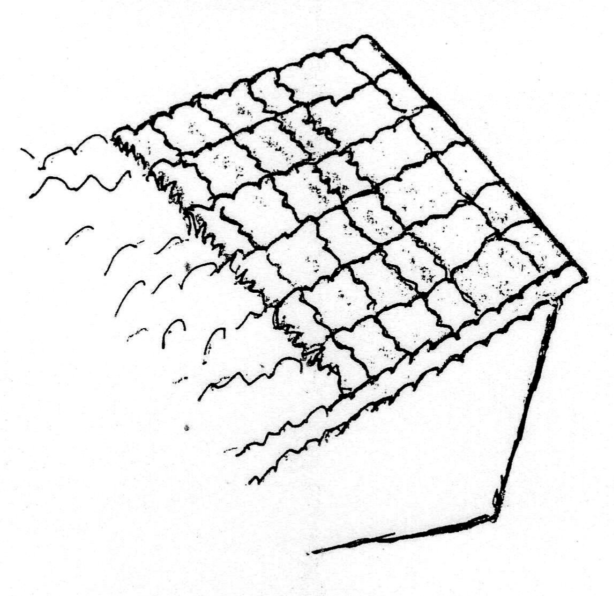
شكل 28 شريط من القرميد



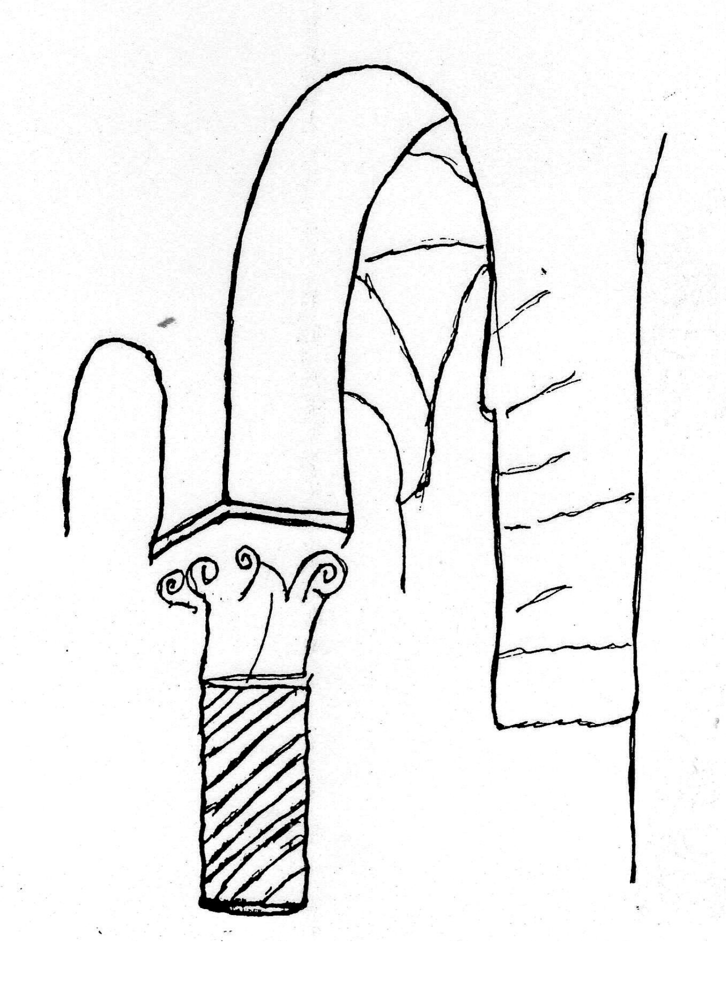
شكل 29 مداخل الحوانيت في البازار

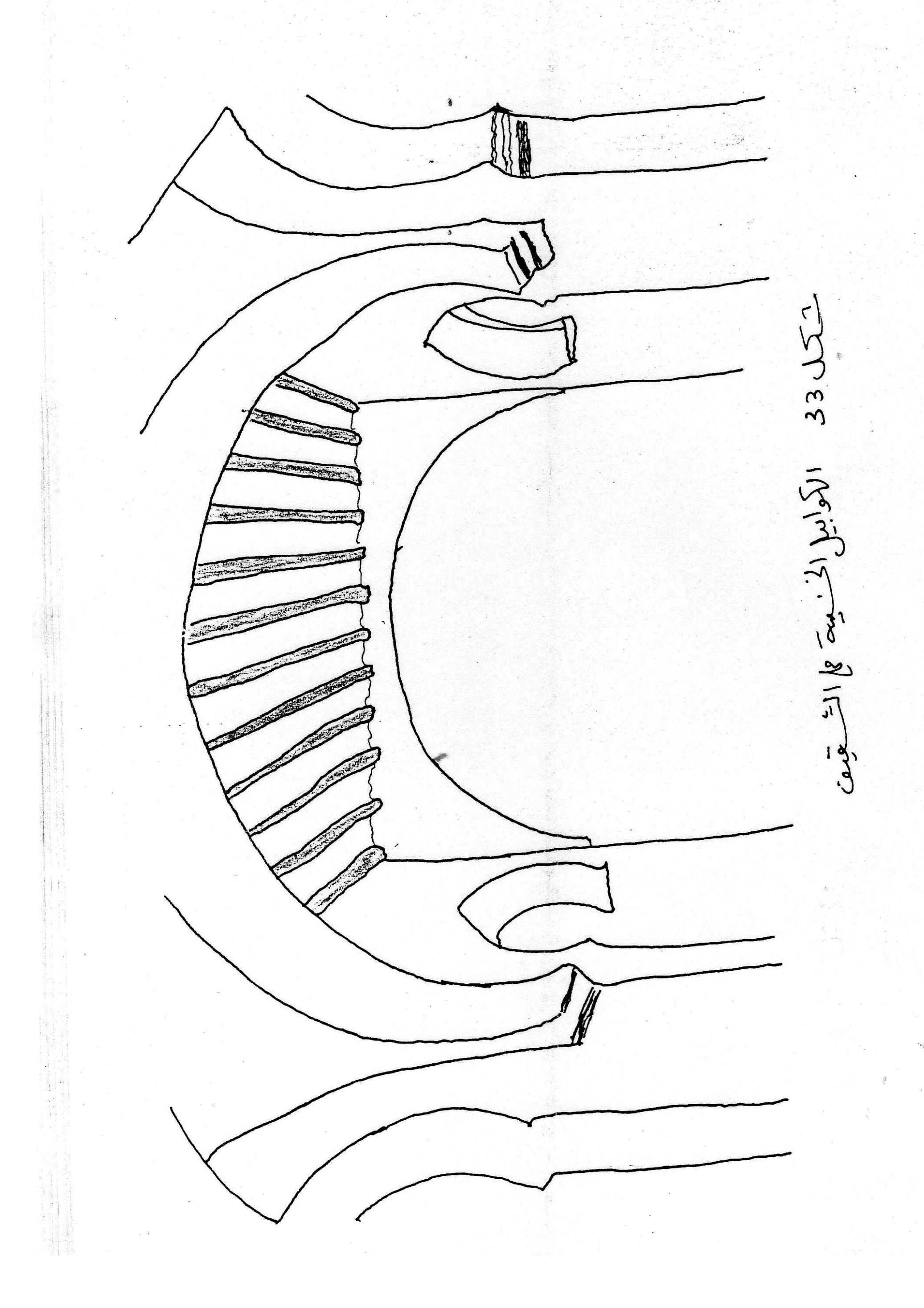


شكل 30 مستودعات الرحبة

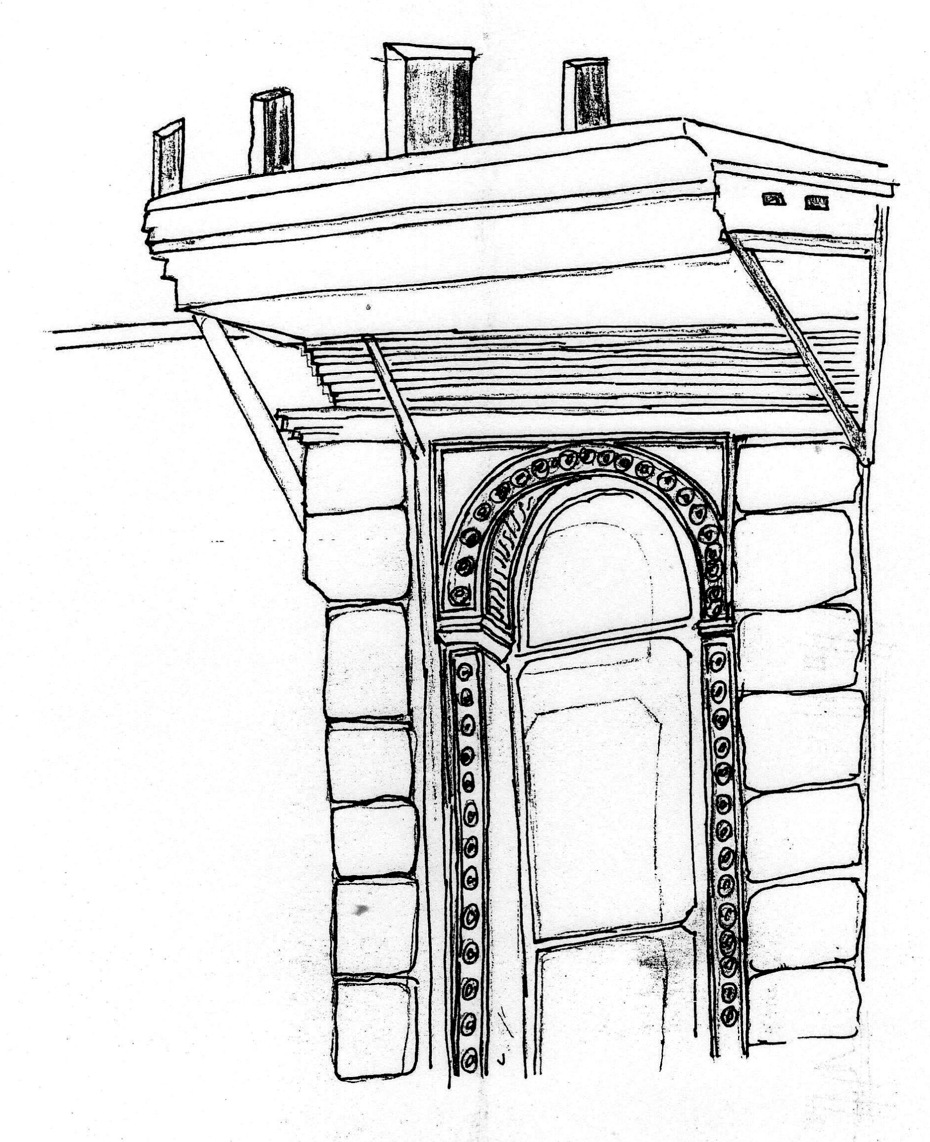


شكل 31 سقف مائل مغطى بالقرميد

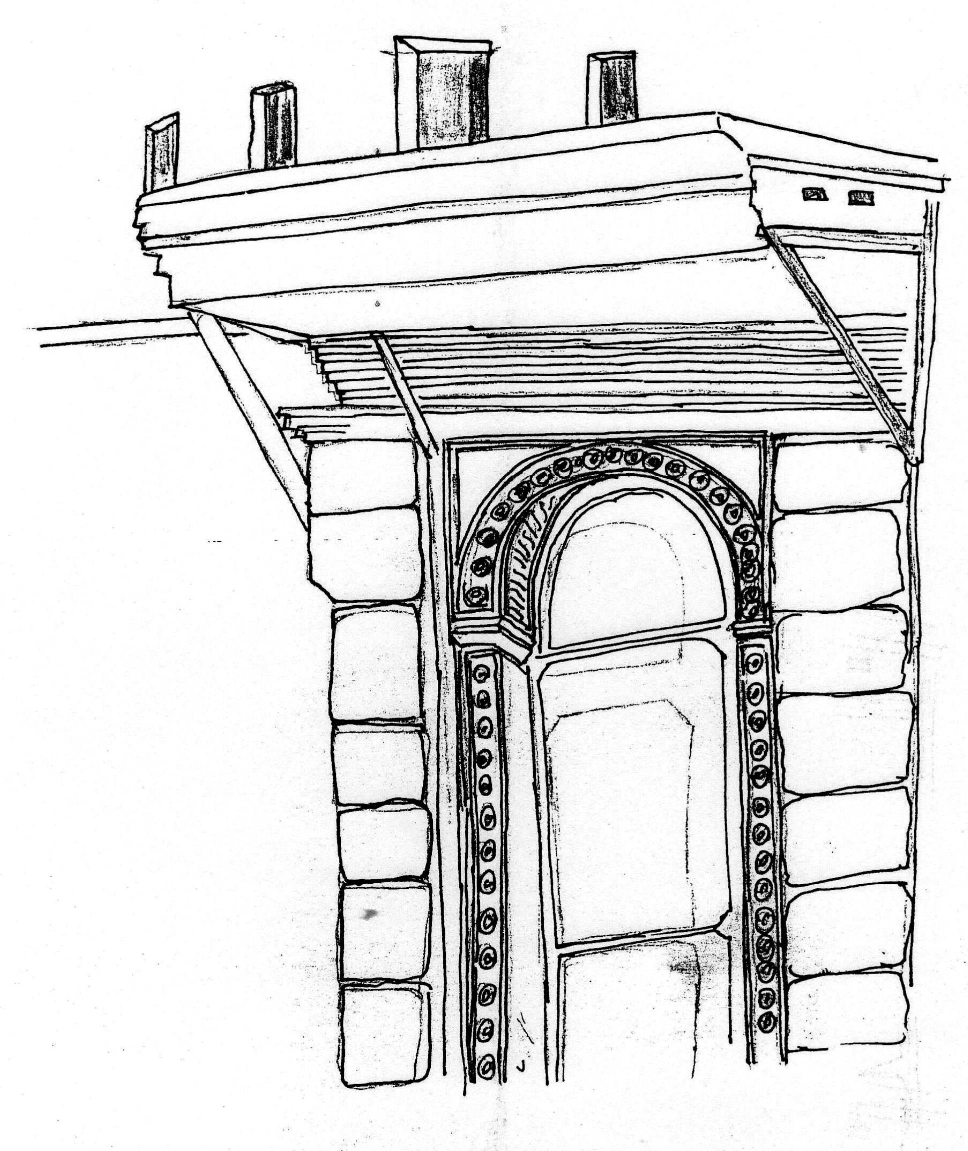




شكل 33 الكوابيل الخشبية في السقف



شكل 34 - باب فندق البحرية



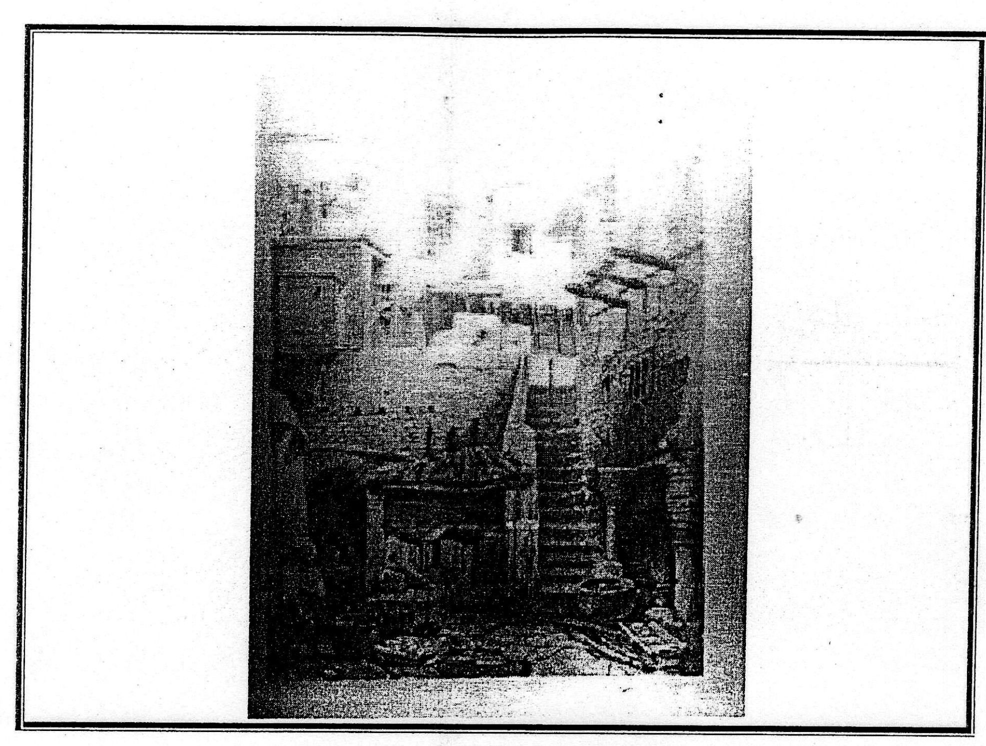
شكل 34 ـ باب فندق البحرية



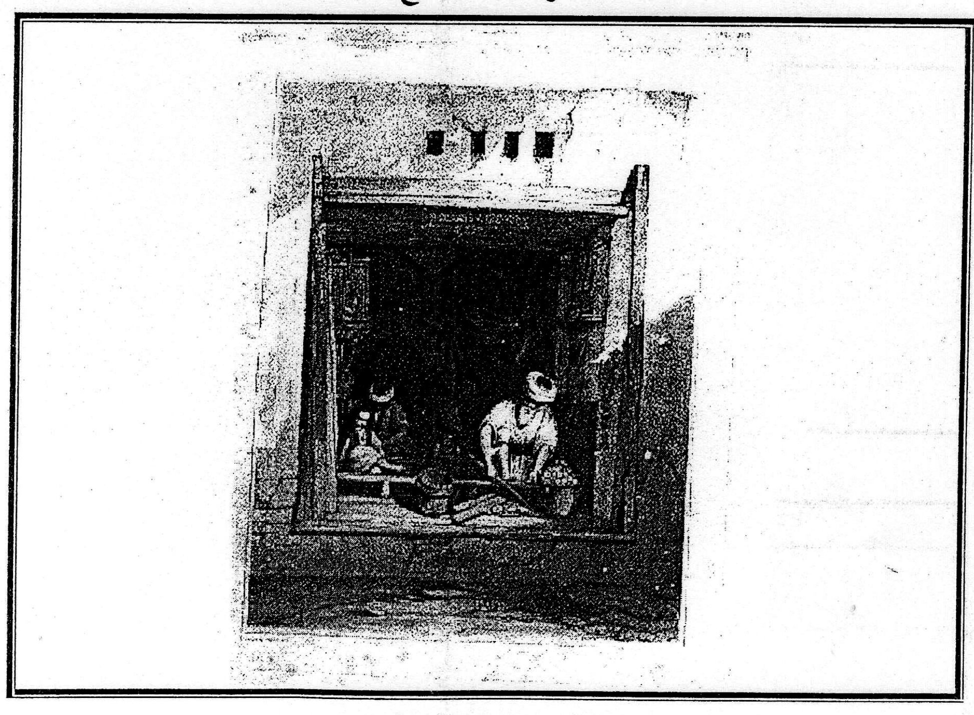
شكل 35 التاجر العربي.



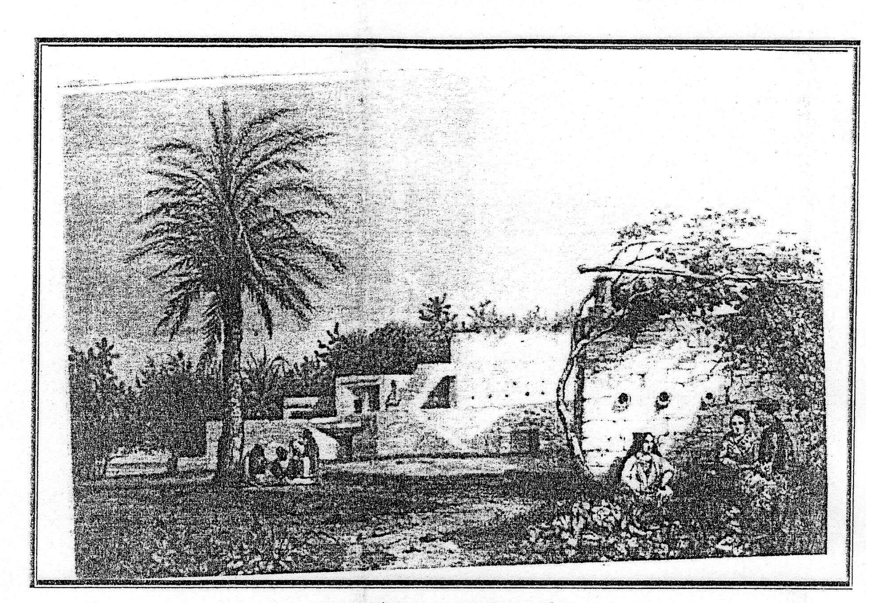
شكل 36 ناظر الشوعه،



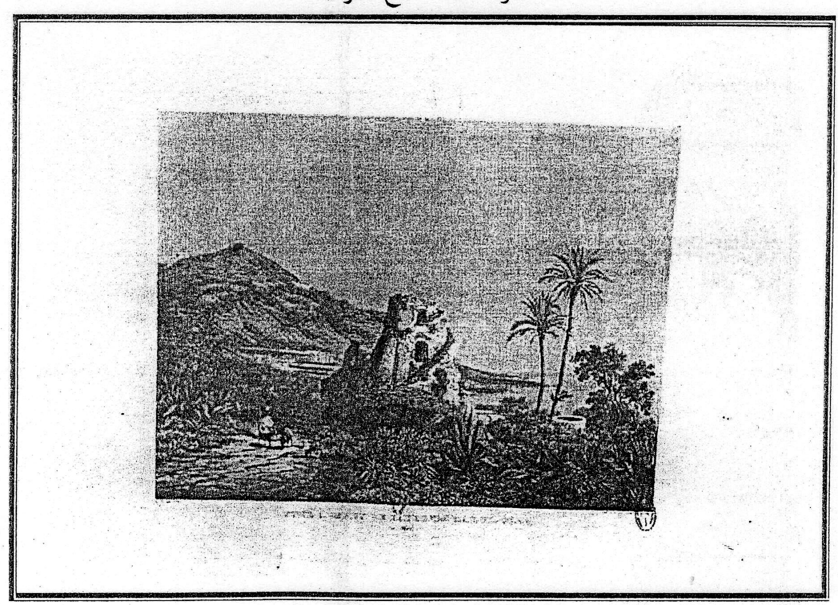
لـــوحة 1: السباغ



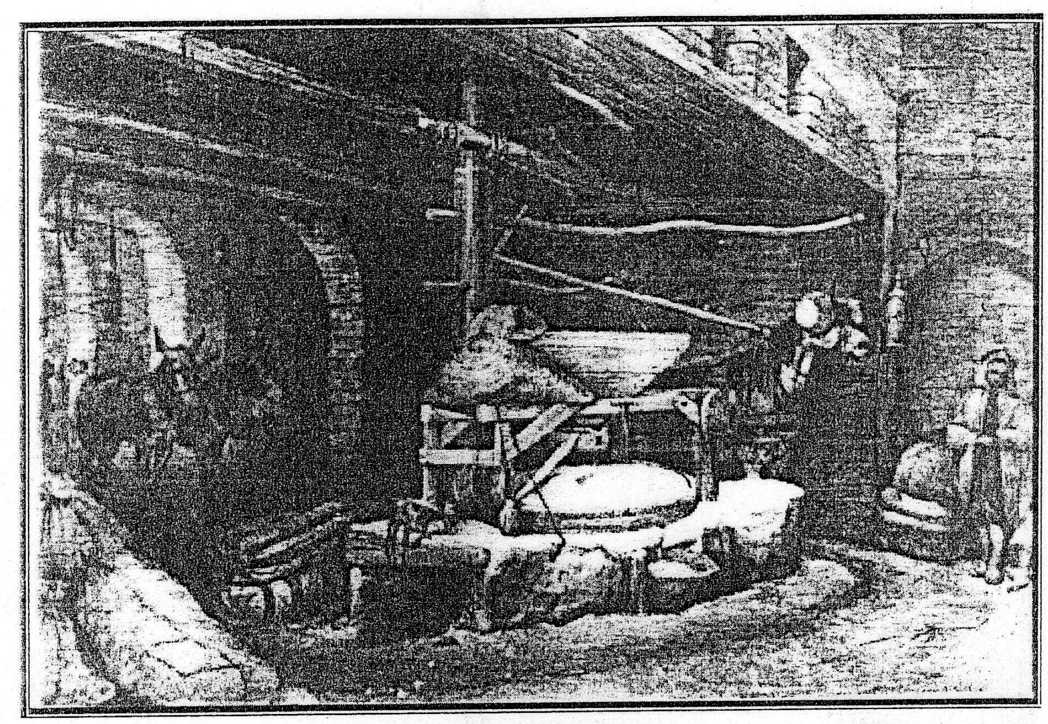
لـــوحة 2: الخراط



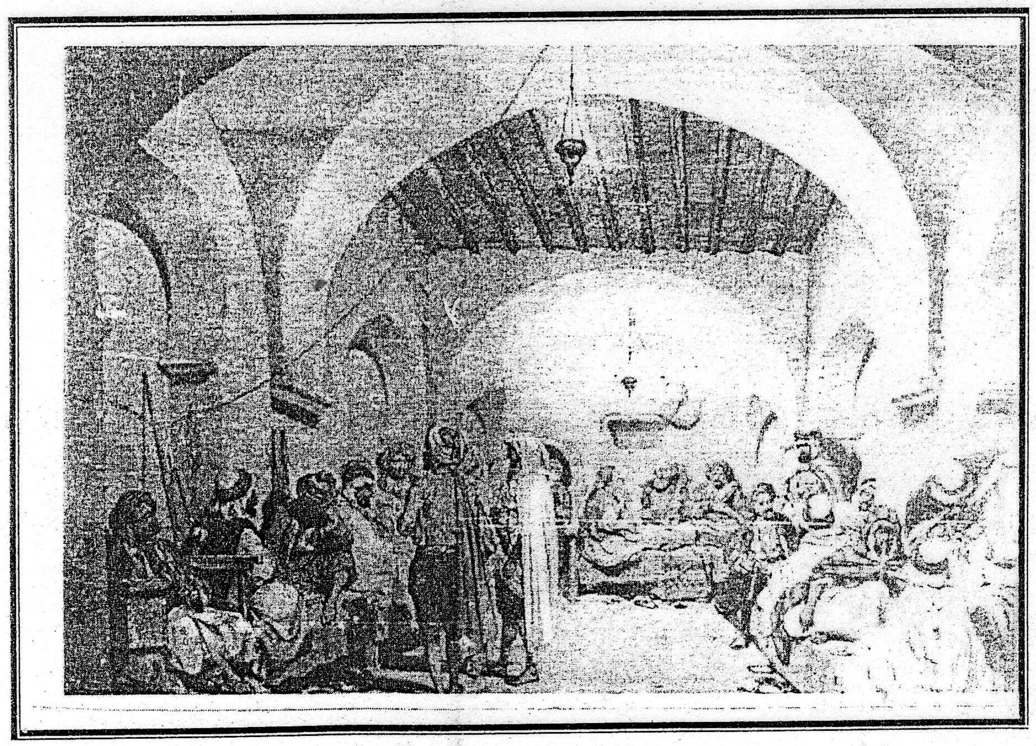
لــوحة 3: مصنع القرميد



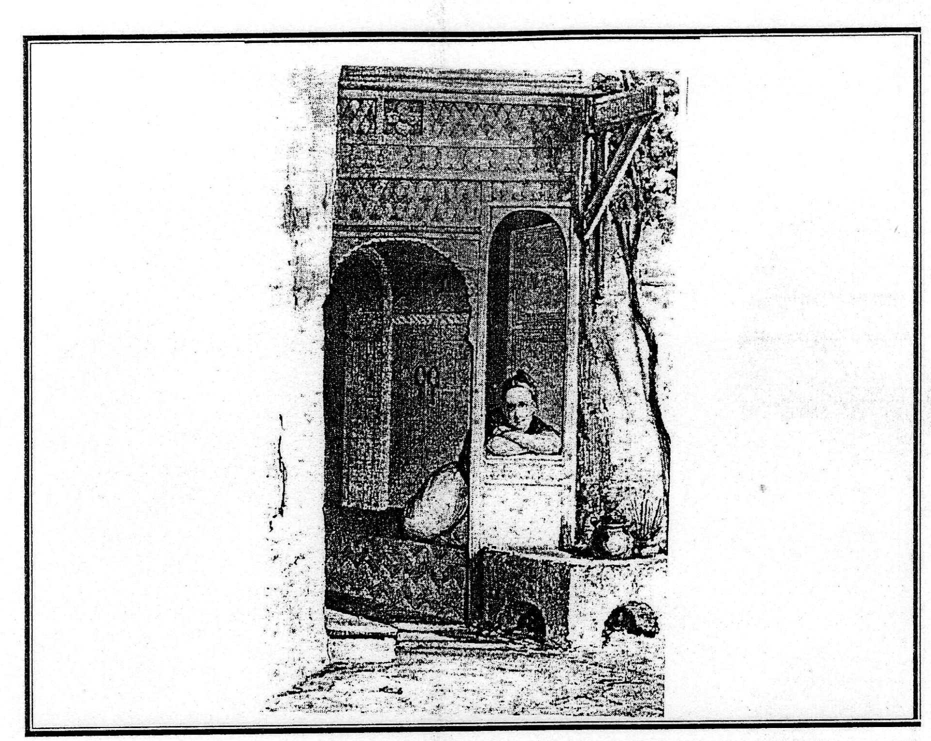
لــوحة 4: فرن لصناعة الجير



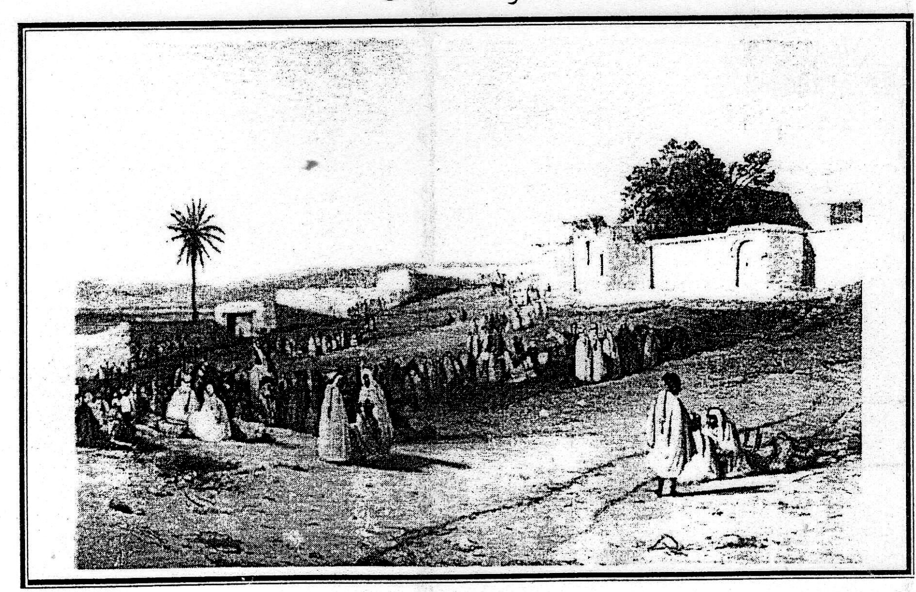
لــوحة 5: مطحنة



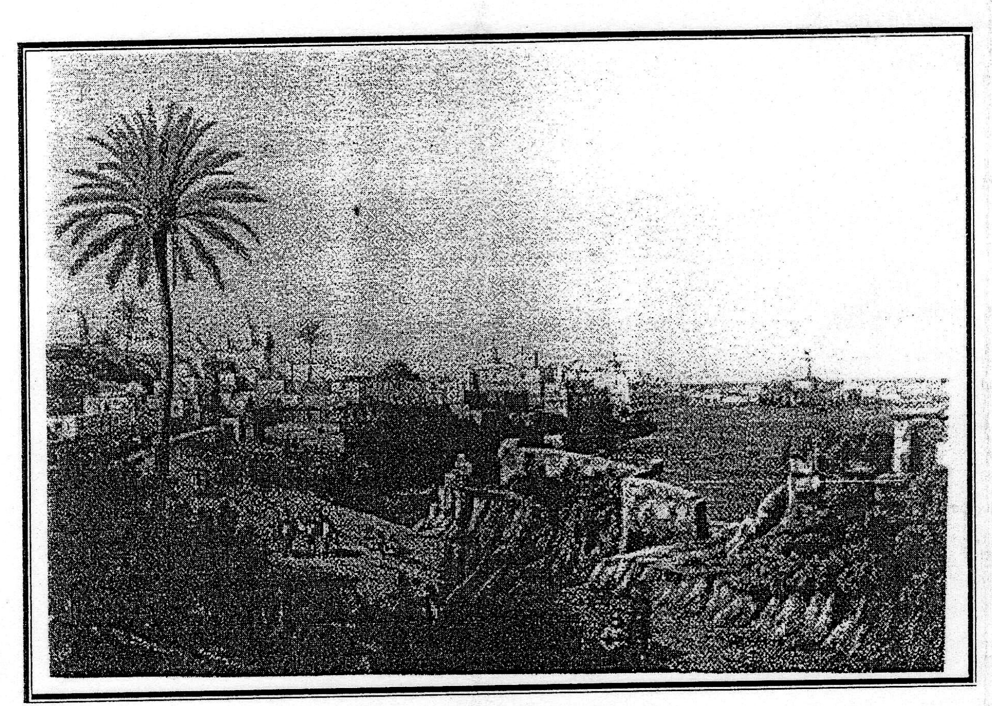
لــوحة 6: مقــهى



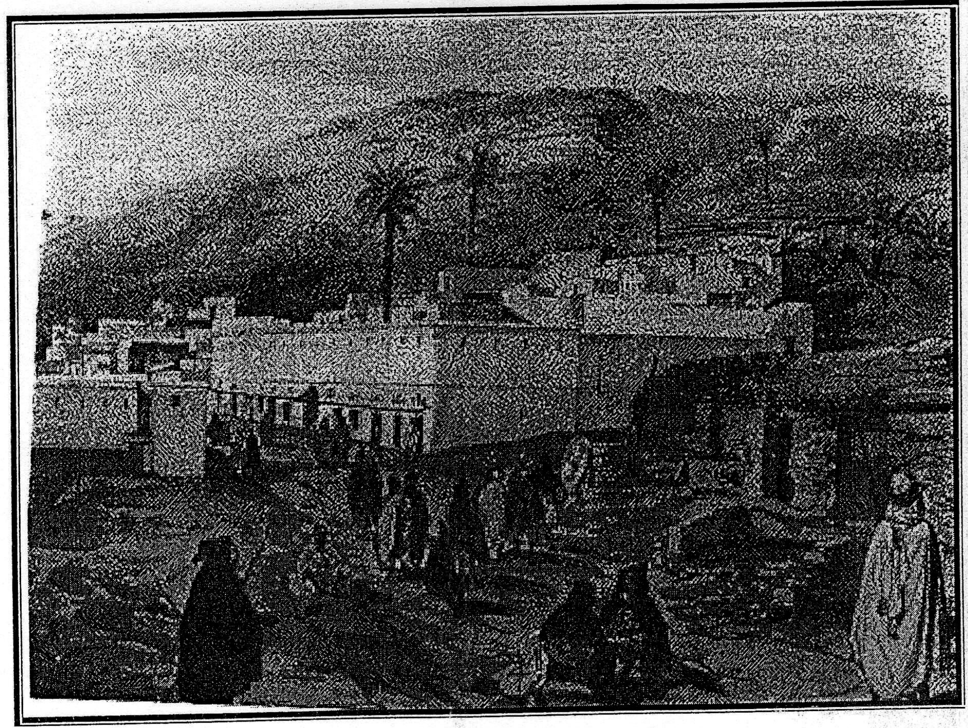
لــوحة 7: حلاق



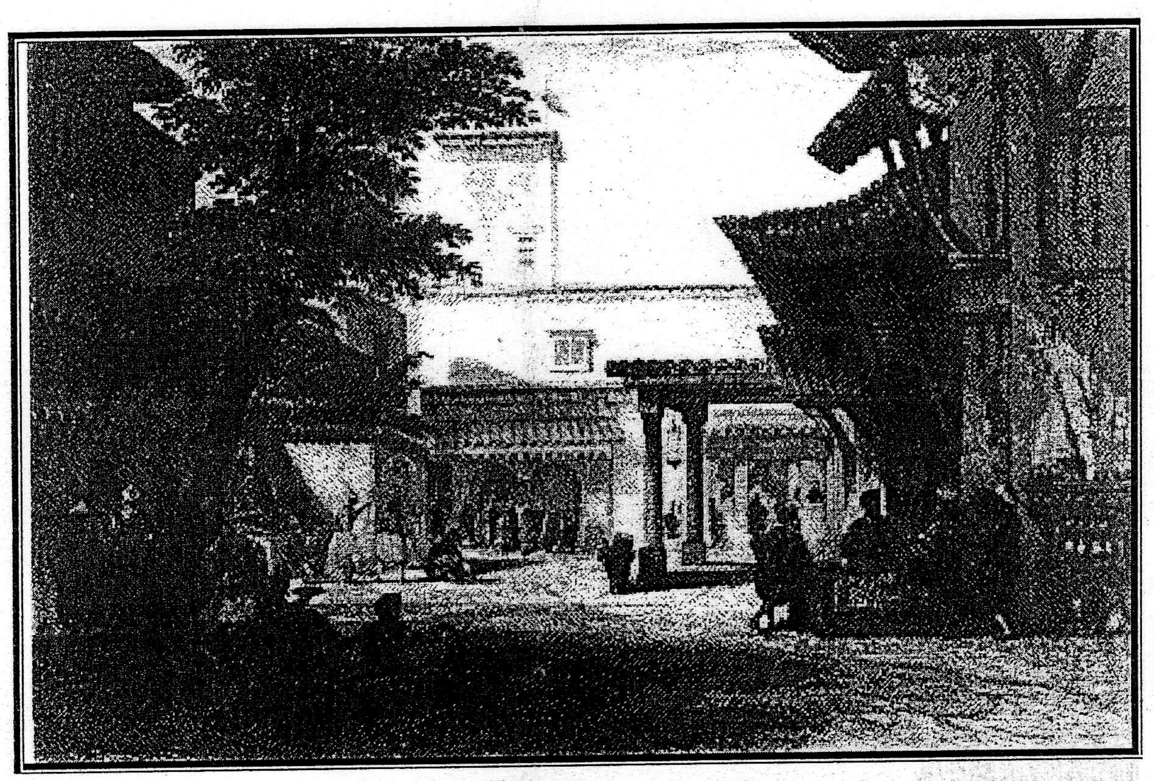
لــوحة 8: سوق باب عزون



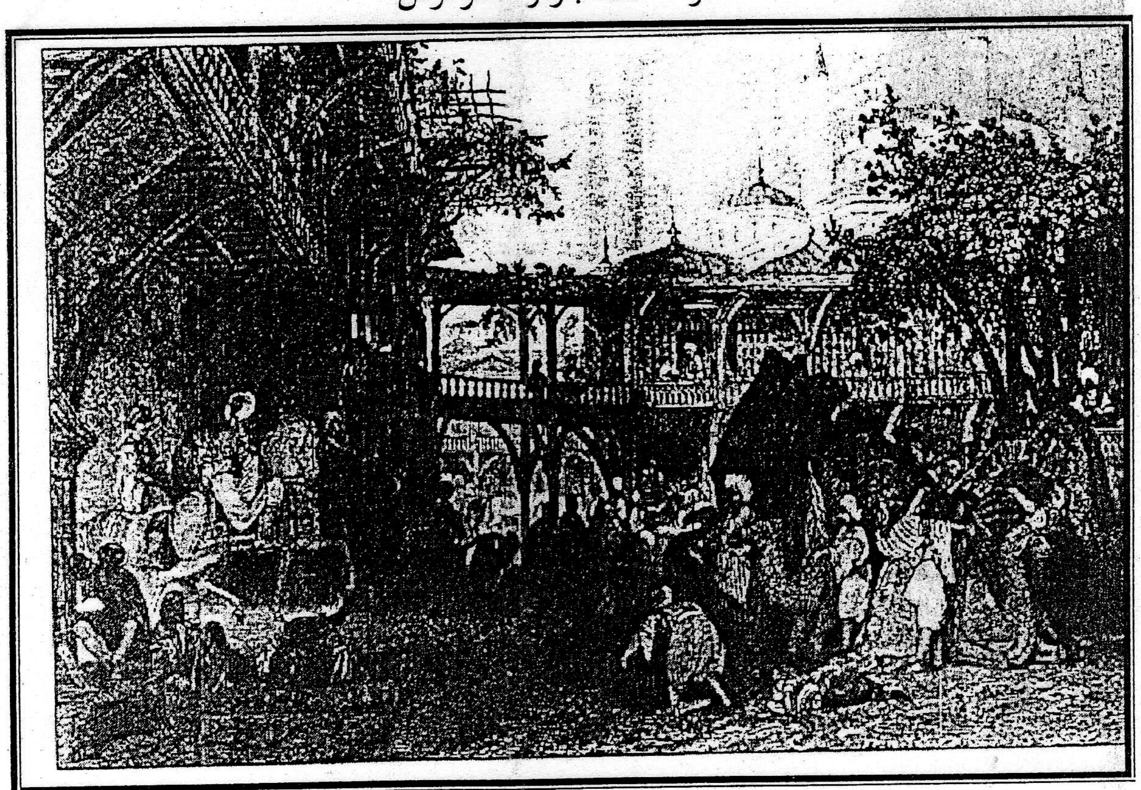
لـــوحة 9: ضاحية باب عزون



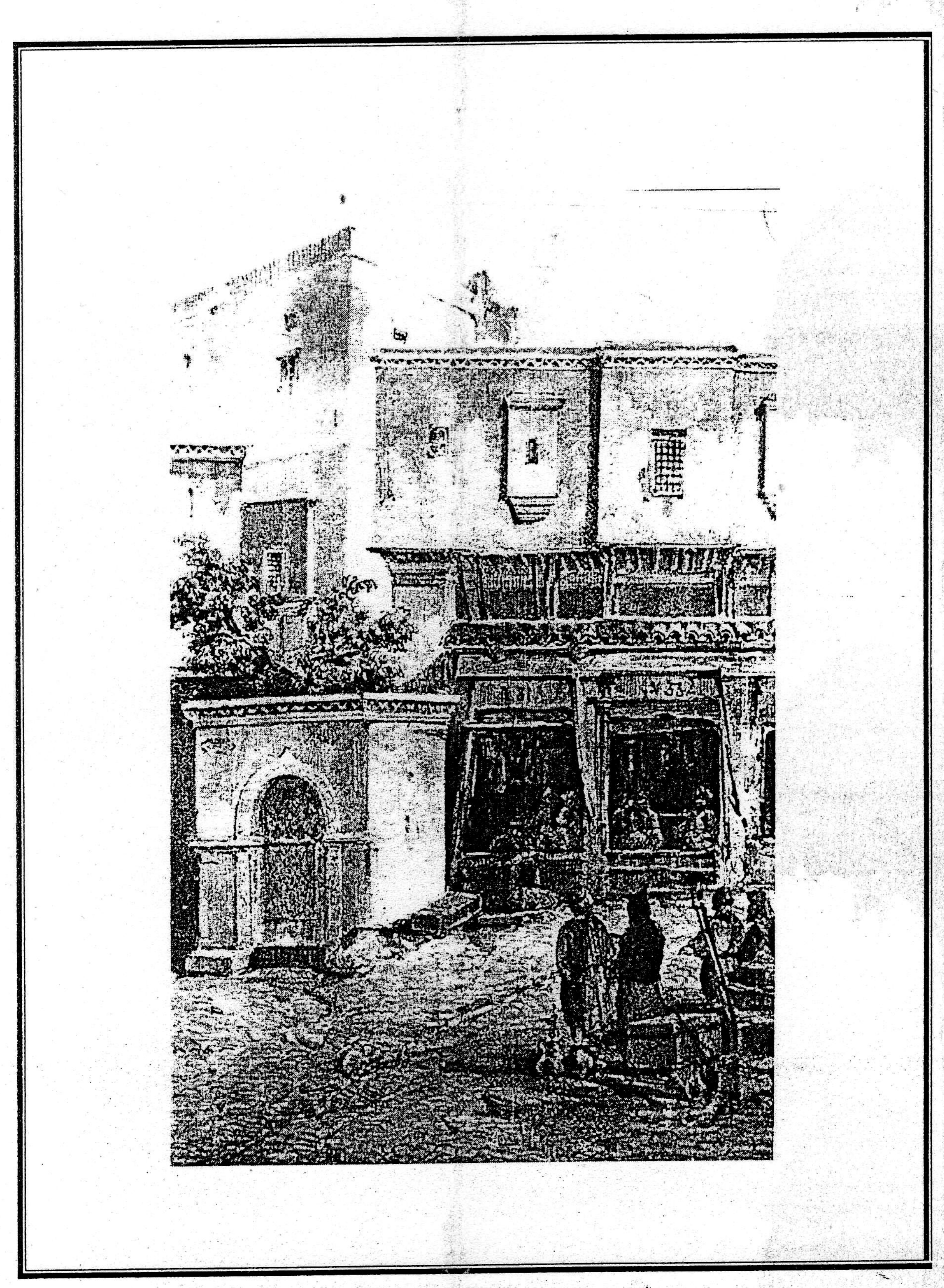
لـــوحة 10: ضاحية باب عزون



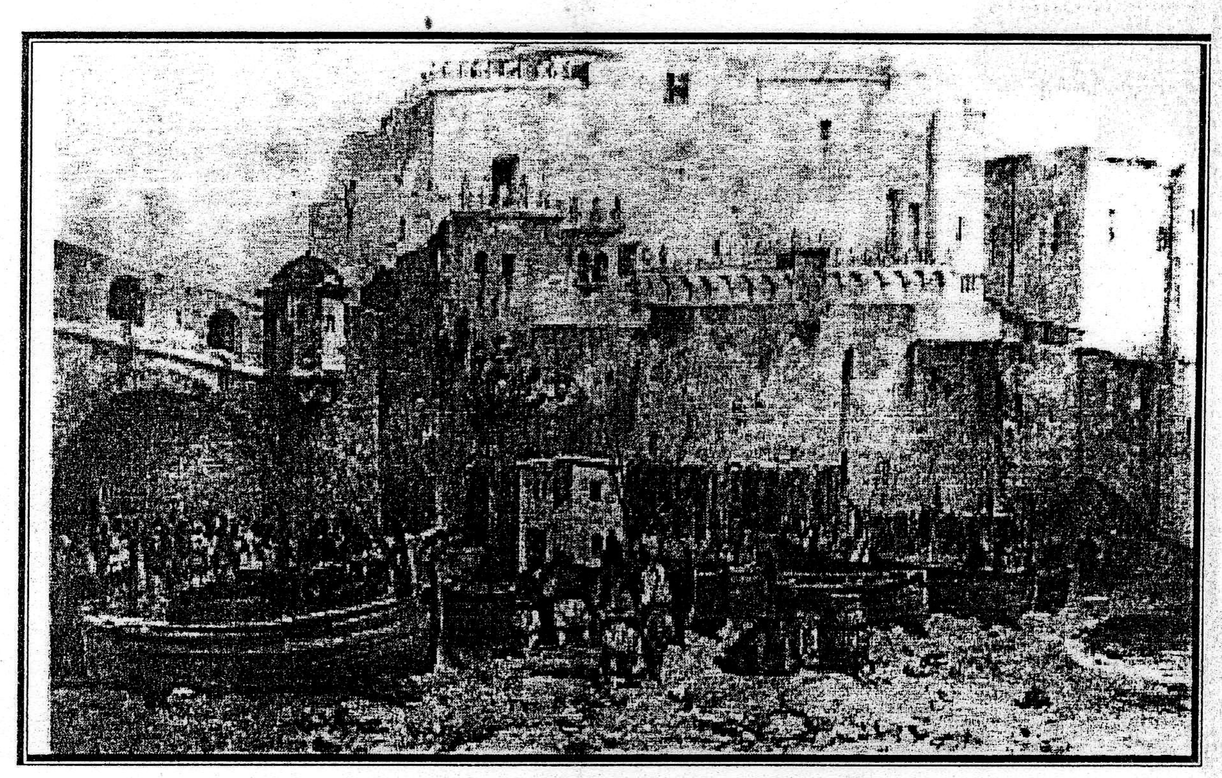
لــوحة 11: بازار الكرموس



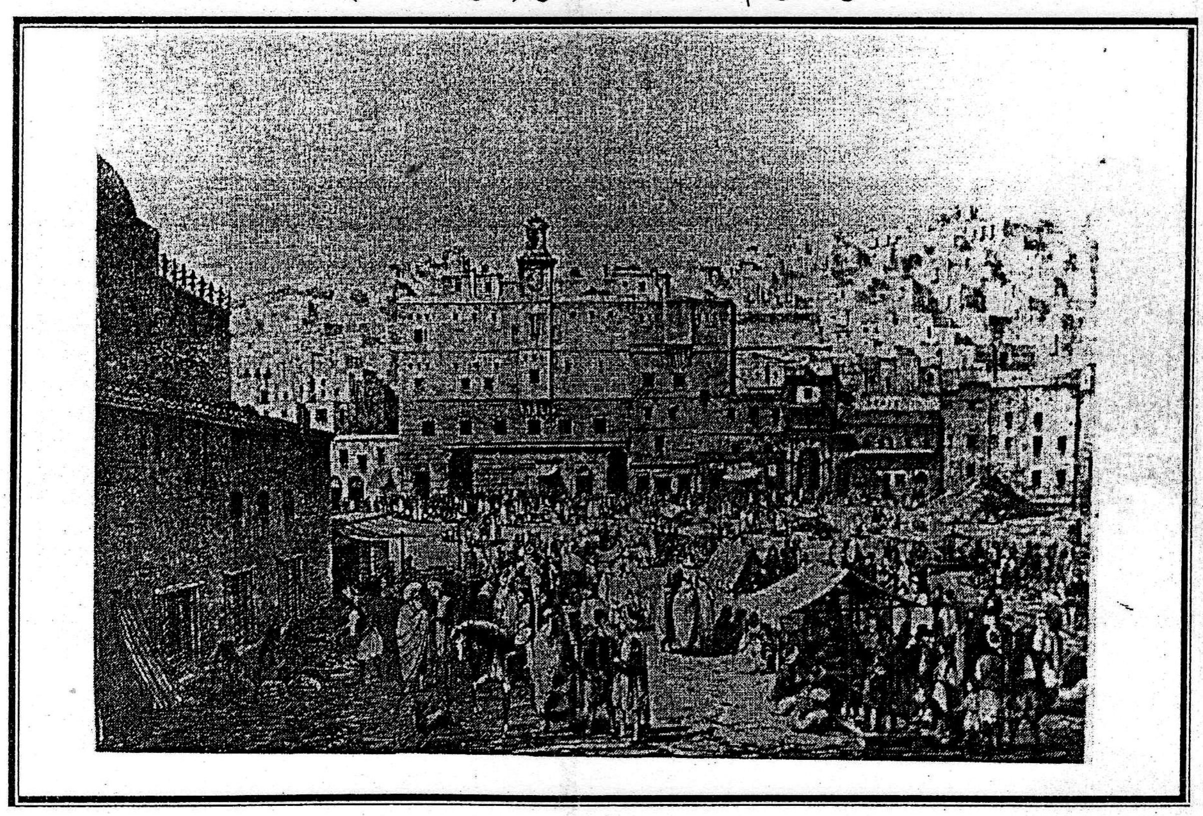
لــوحة 12: خان القوافل بالأناضول



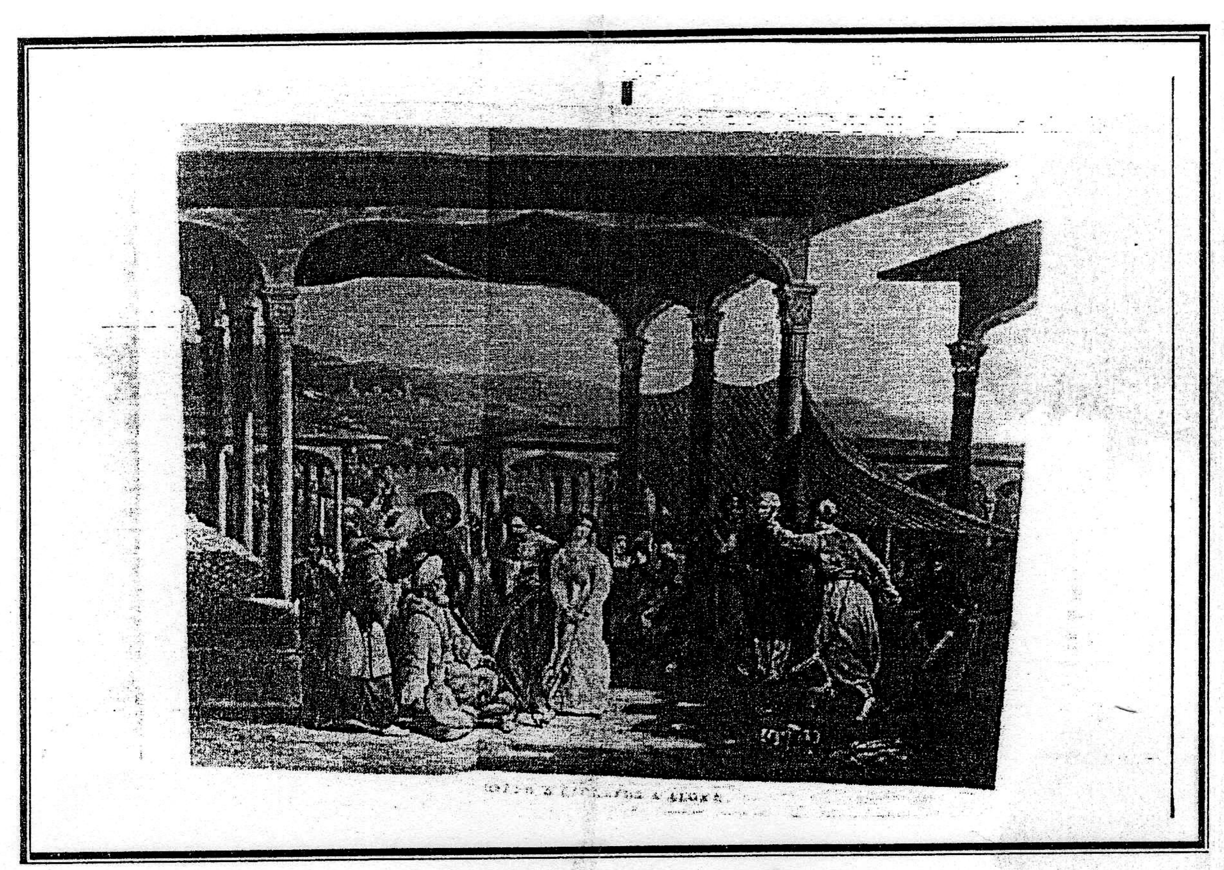
لـــوحة 13: ساحة القوافل (يوبــا)



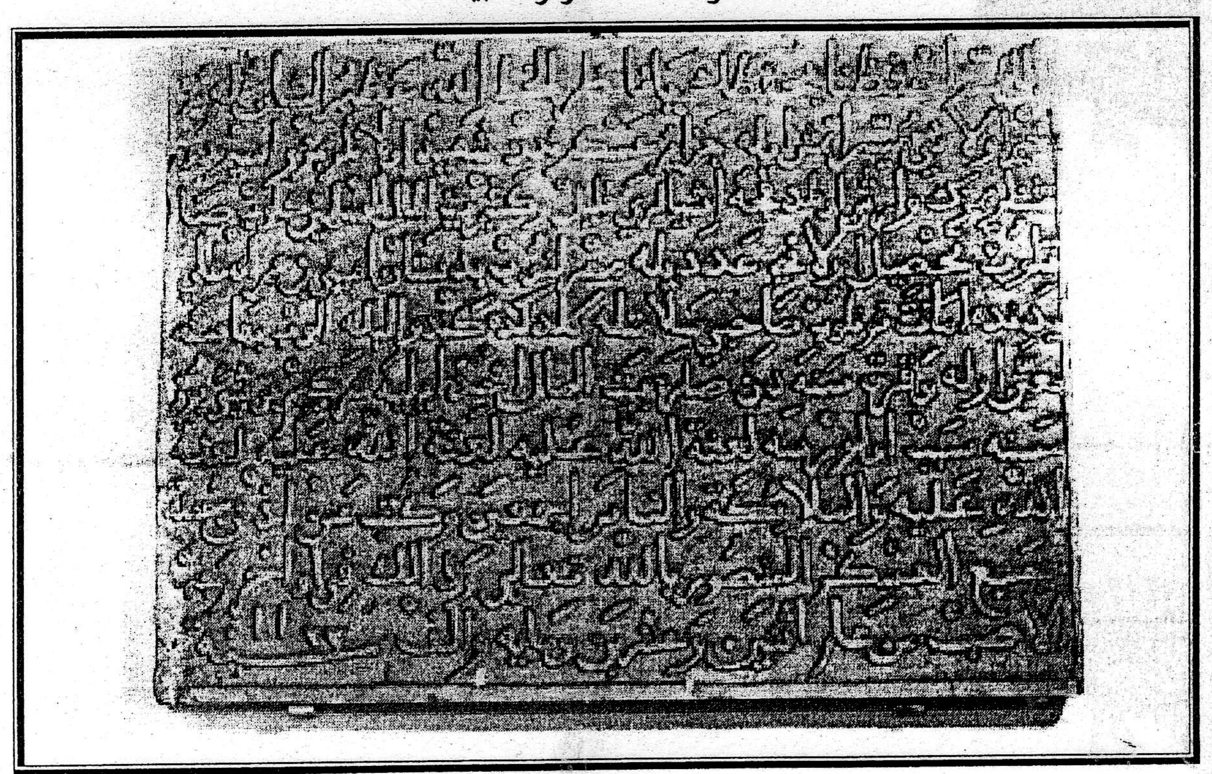
لوحة رقم 14: باب البحر (دار الصناعة)



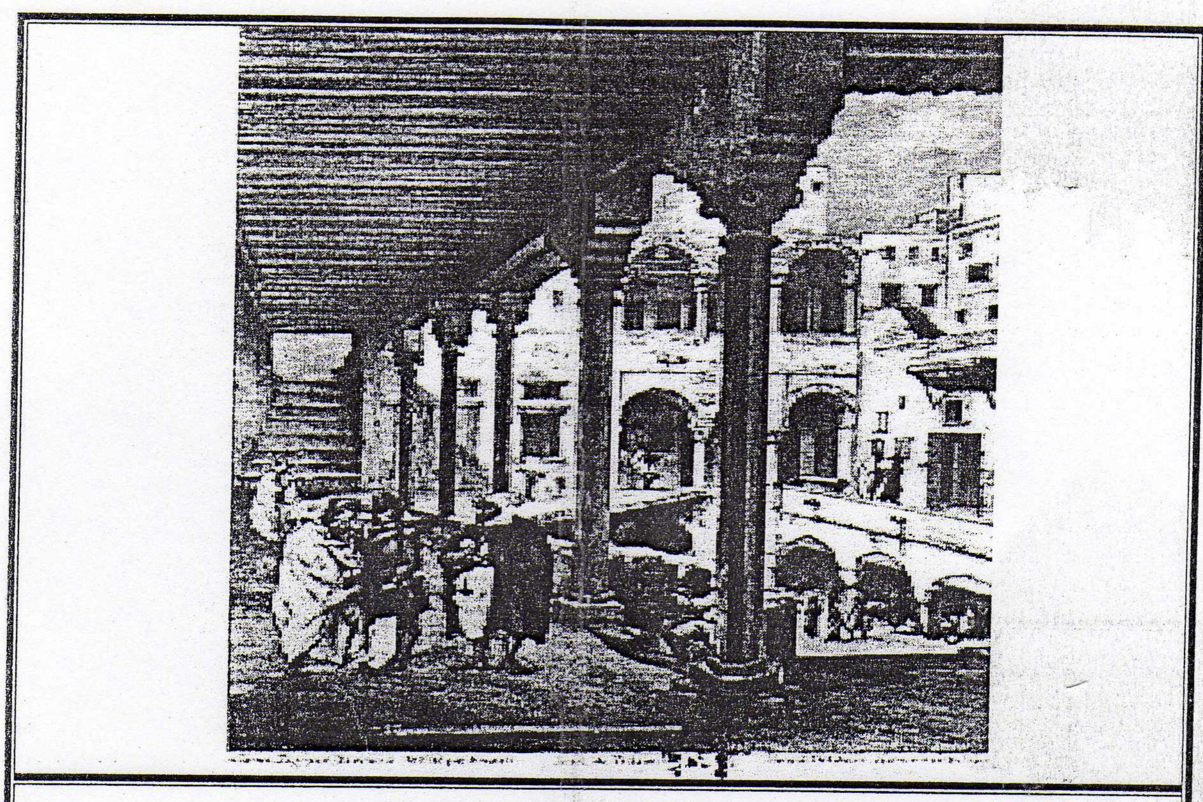
لــوحة 15: ساحــة الجنينة (دار السكة)



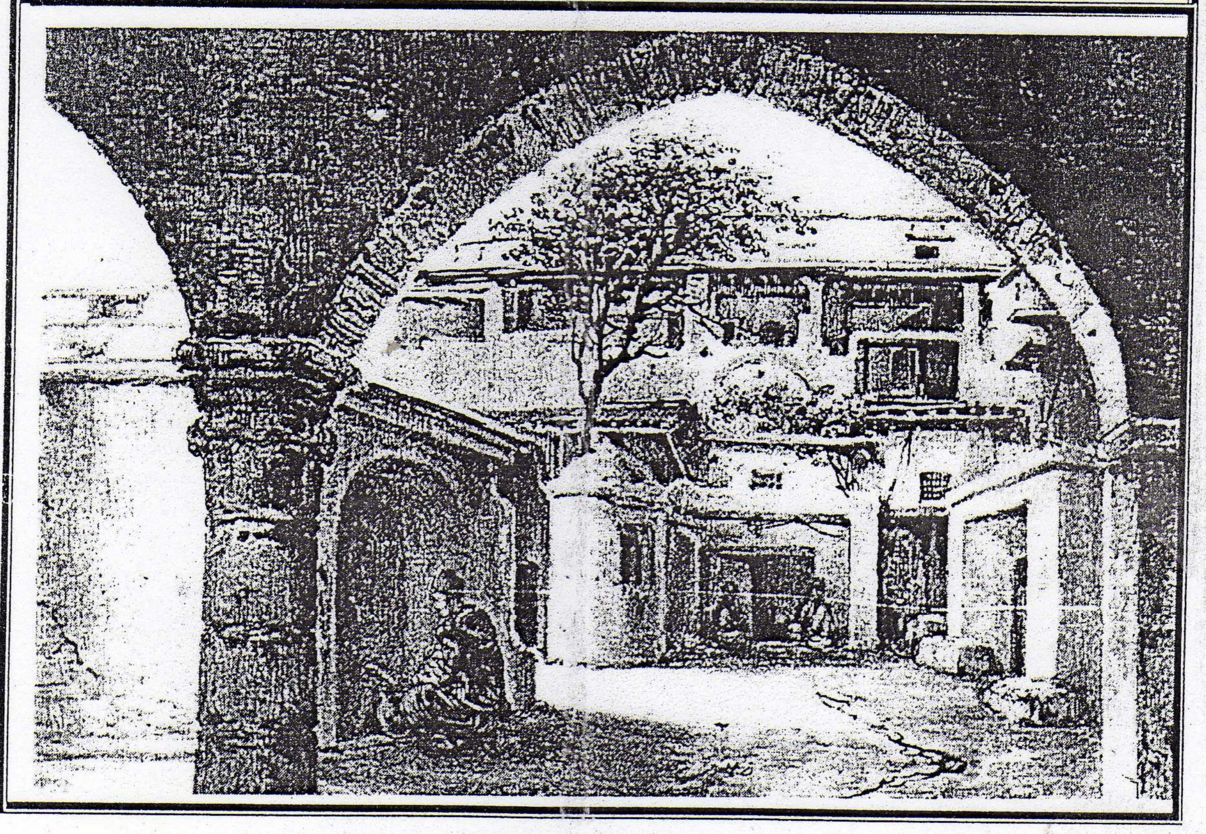
لـــوحة 16: بازار العبيد



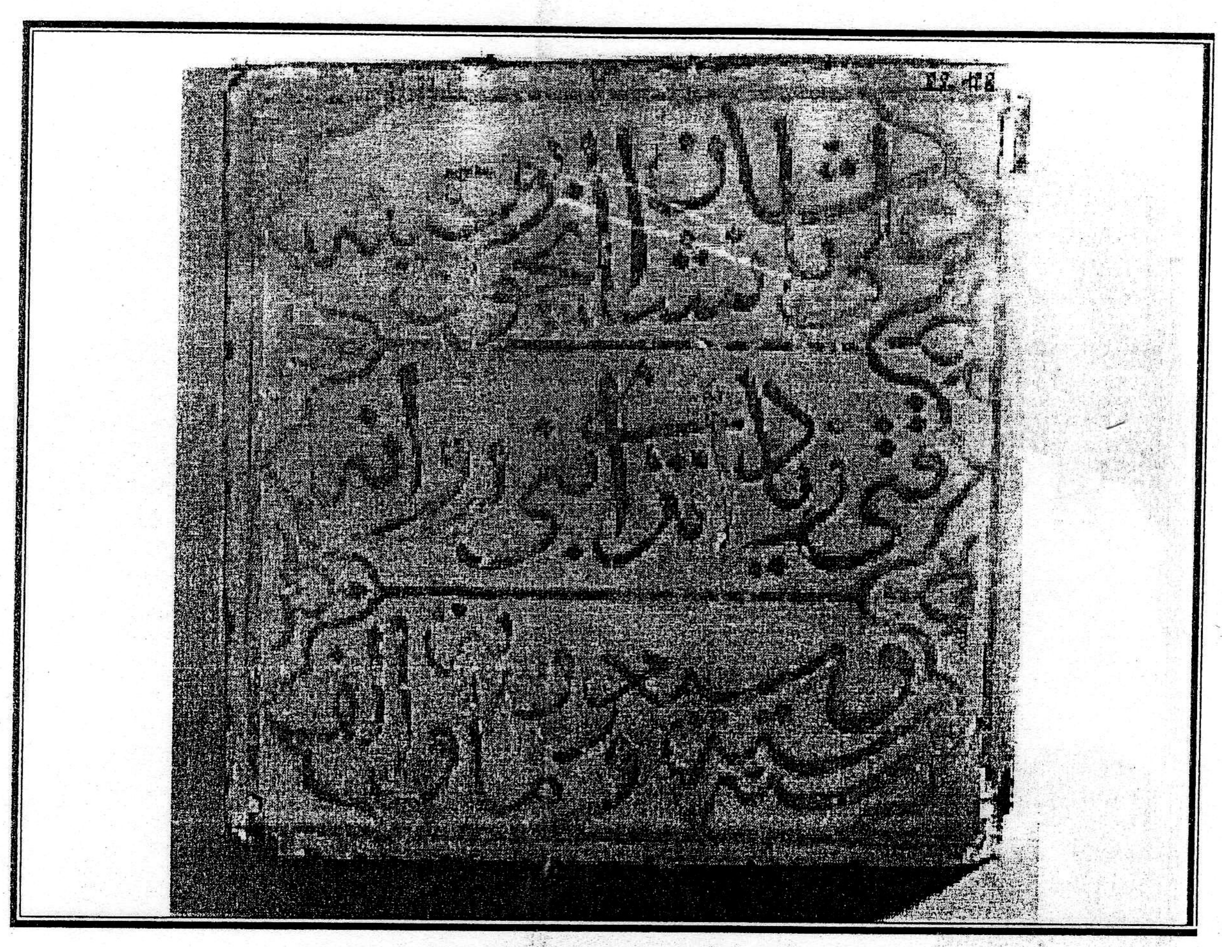
لـــوحة 17: كتابة تذكارية (البادستان)



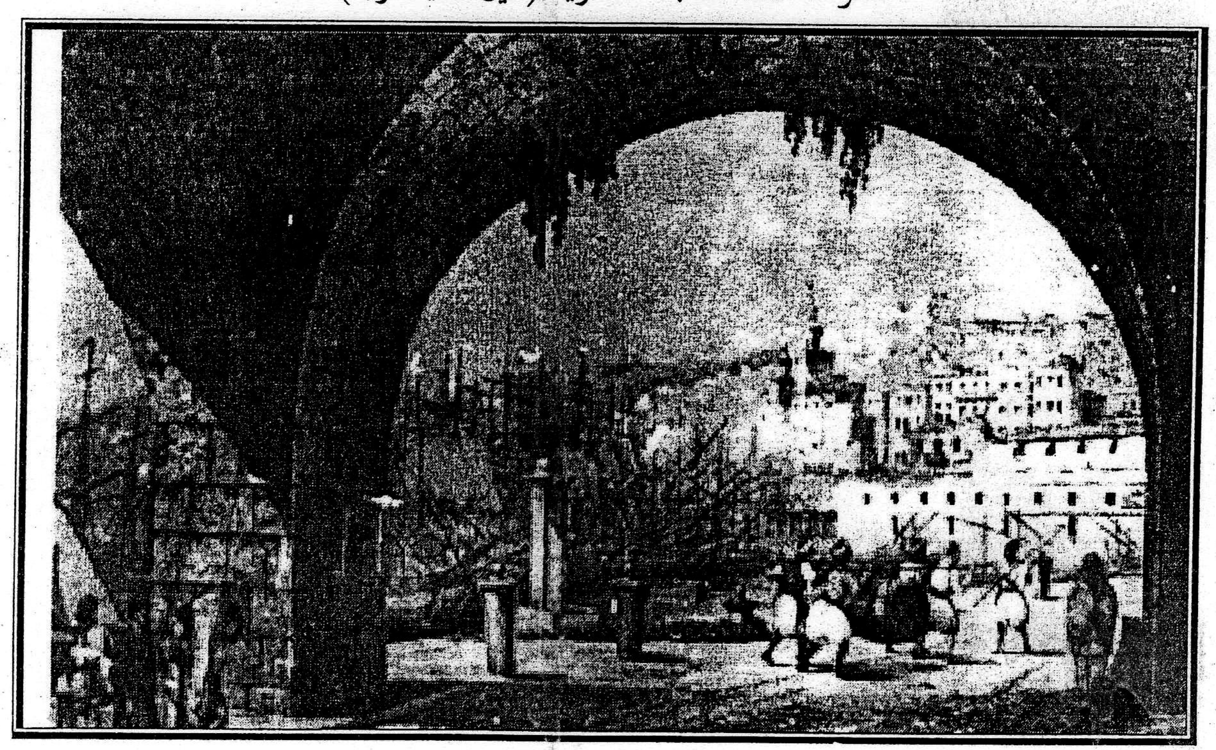
لـــوحة 18: فندق الزيت



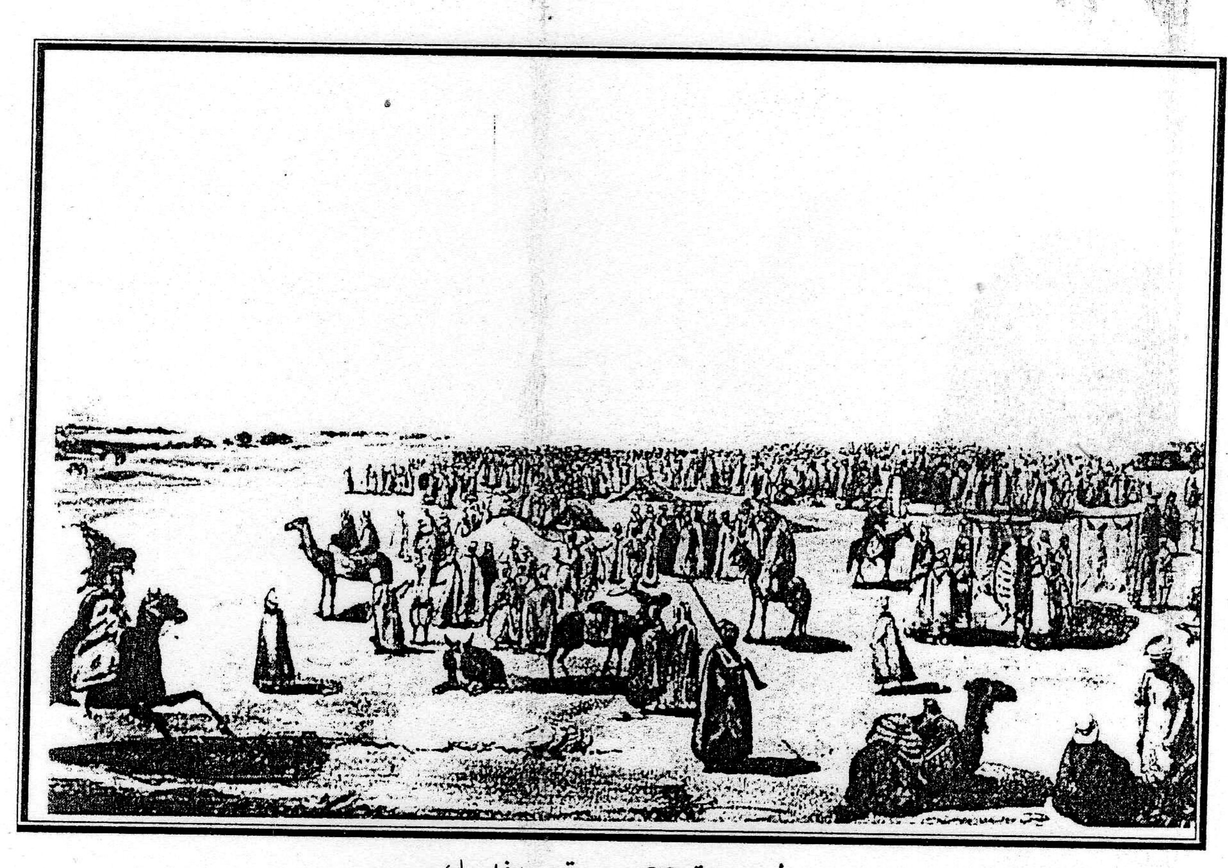
لـــوحة 19: فنـــدق



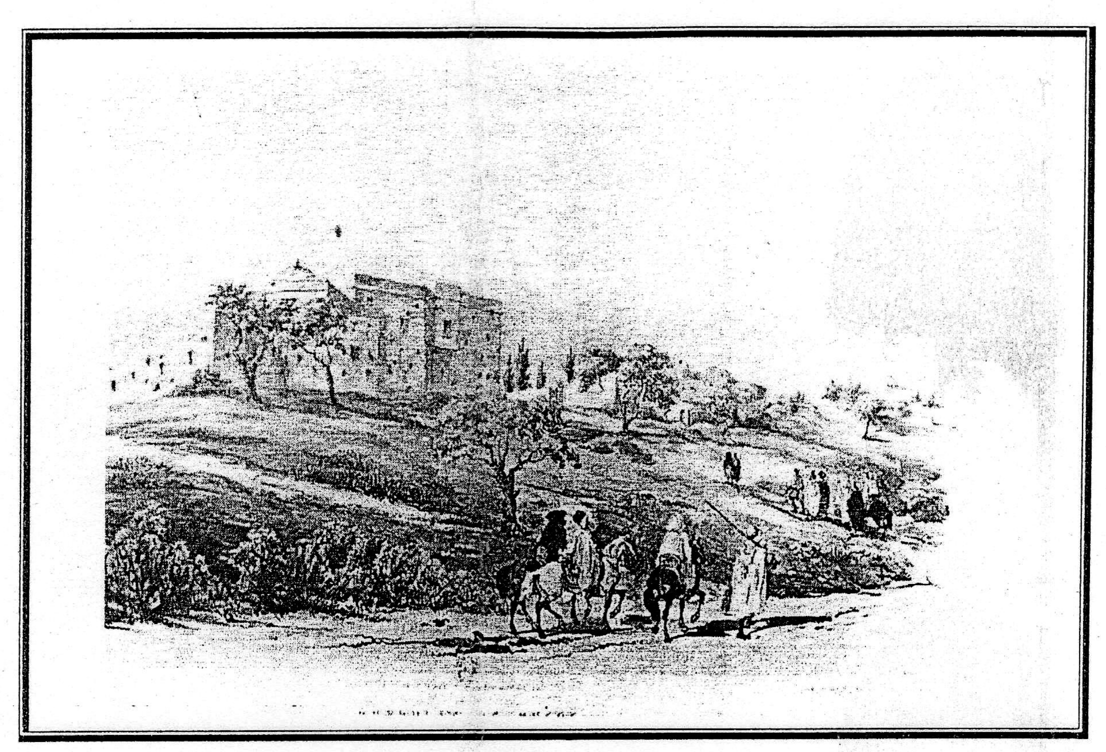
لـــوحة 20: كتابة تذكارية (عين القيسارية)



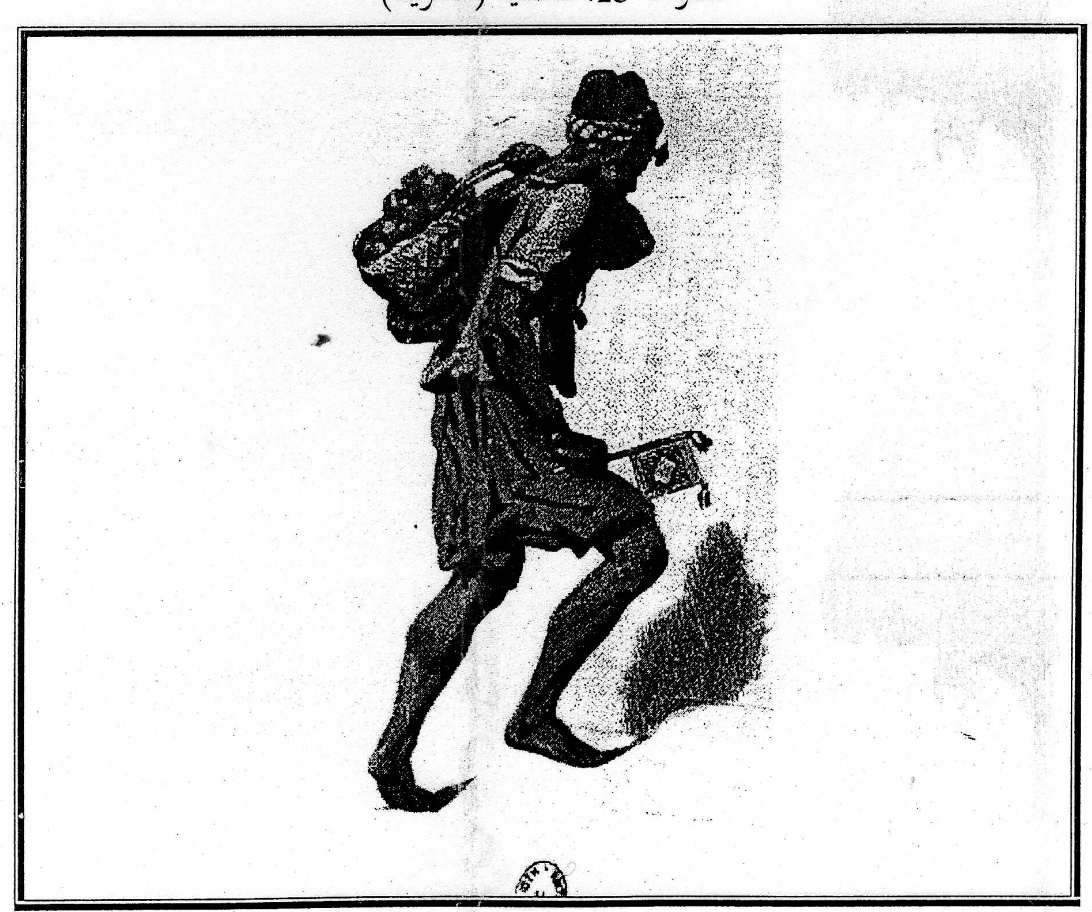
لـــوحة 21: صاباط الديوانة



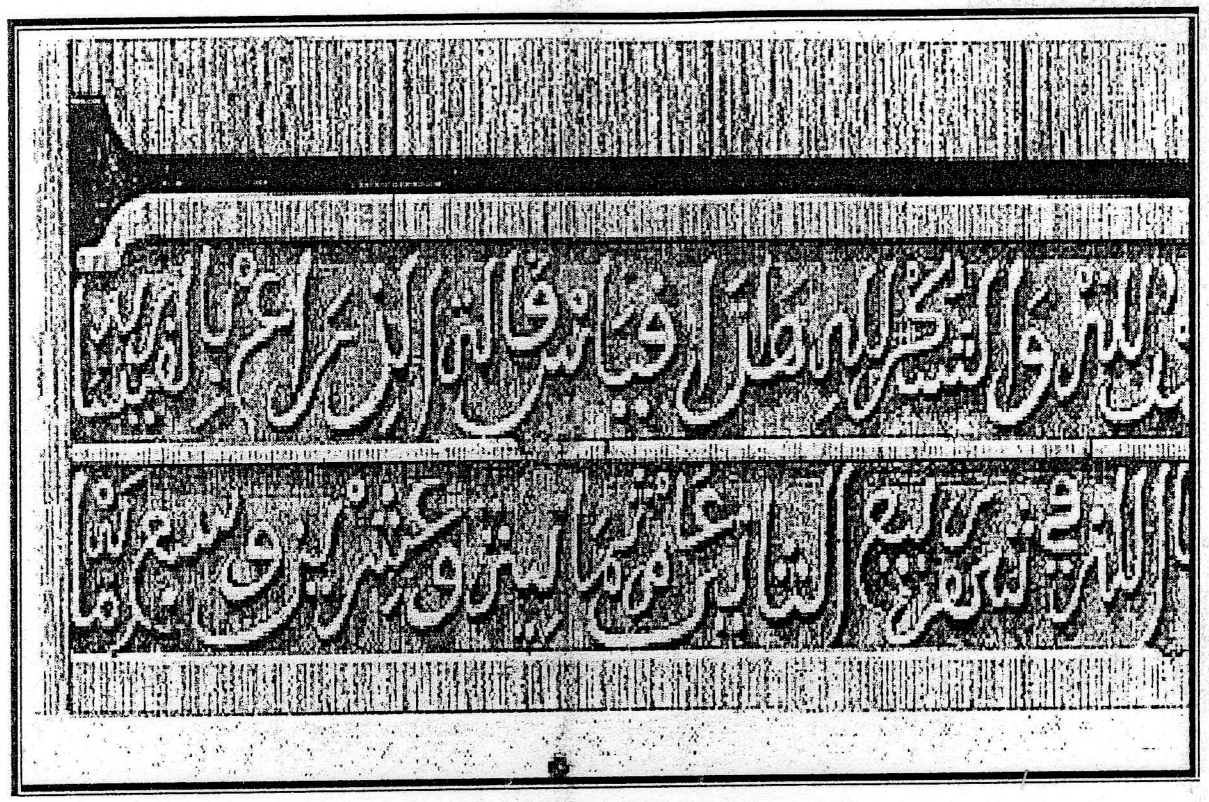
لـــوحة 22: سوق بوفاريك



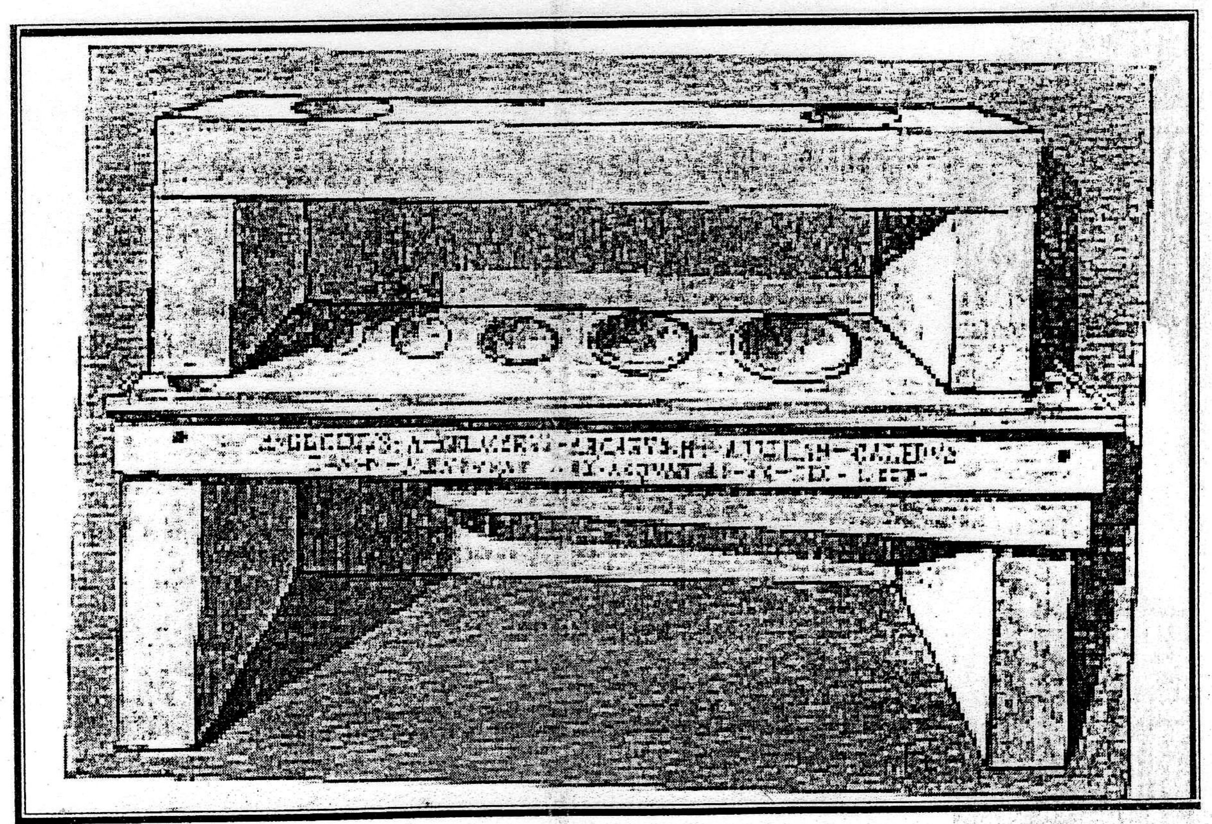
لــوحة 23: قنصلية (السويد)



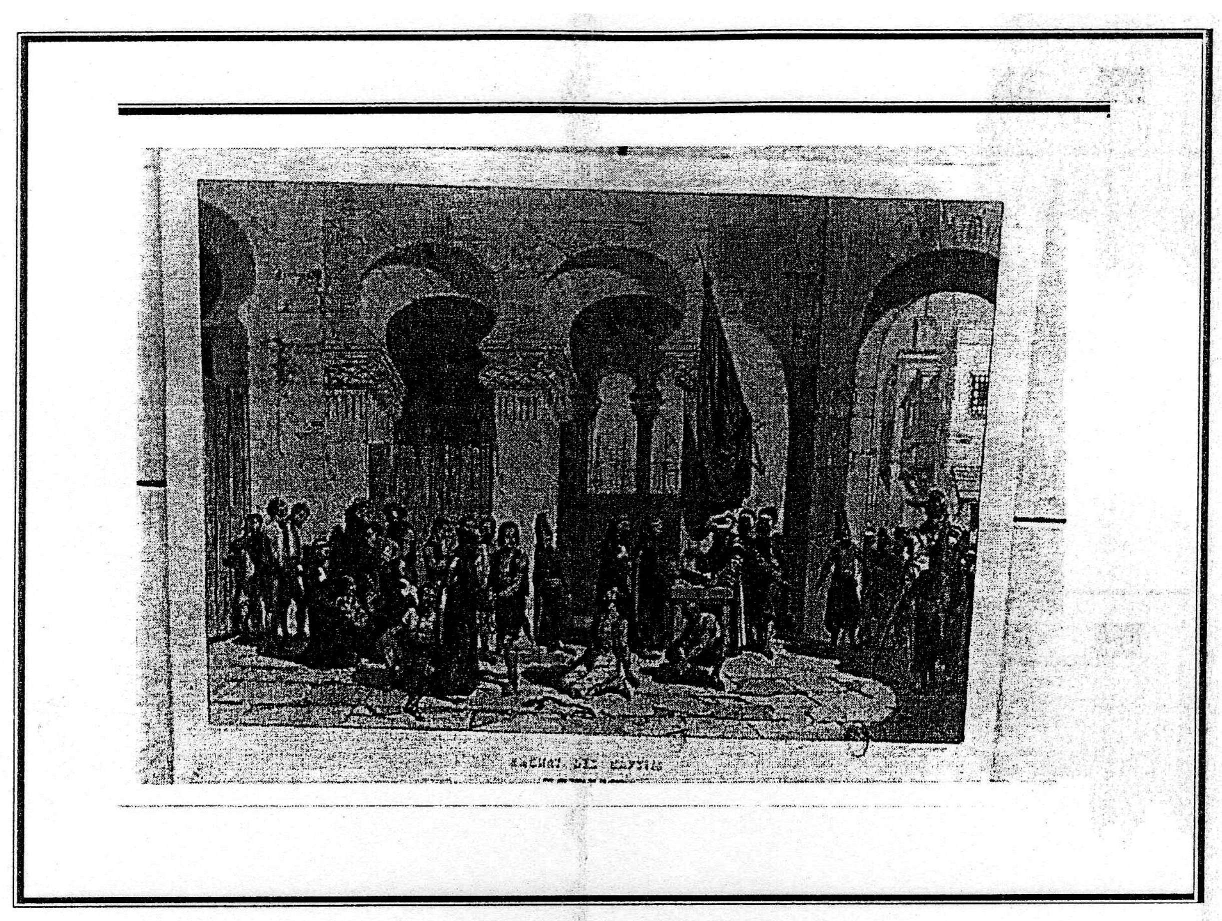
لــوحة 24: ساعي القنصلية



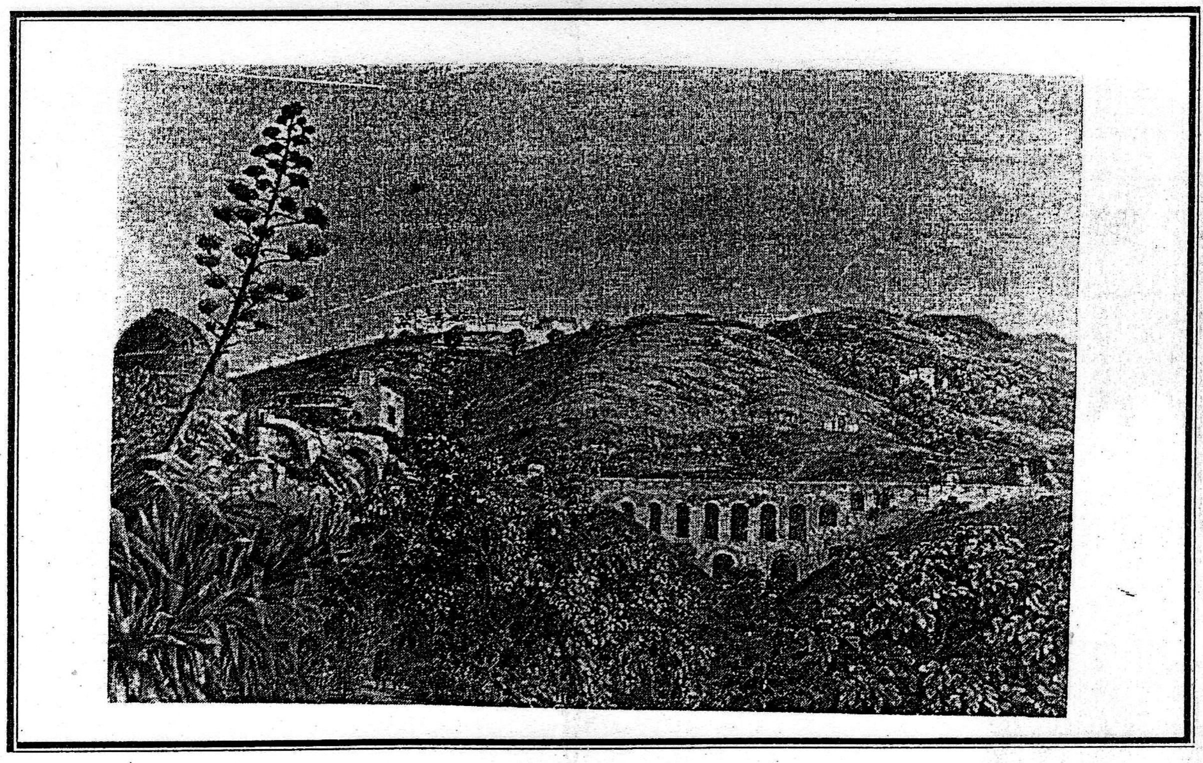
لــوحة 25: الذراع الملكي (تلمسان)



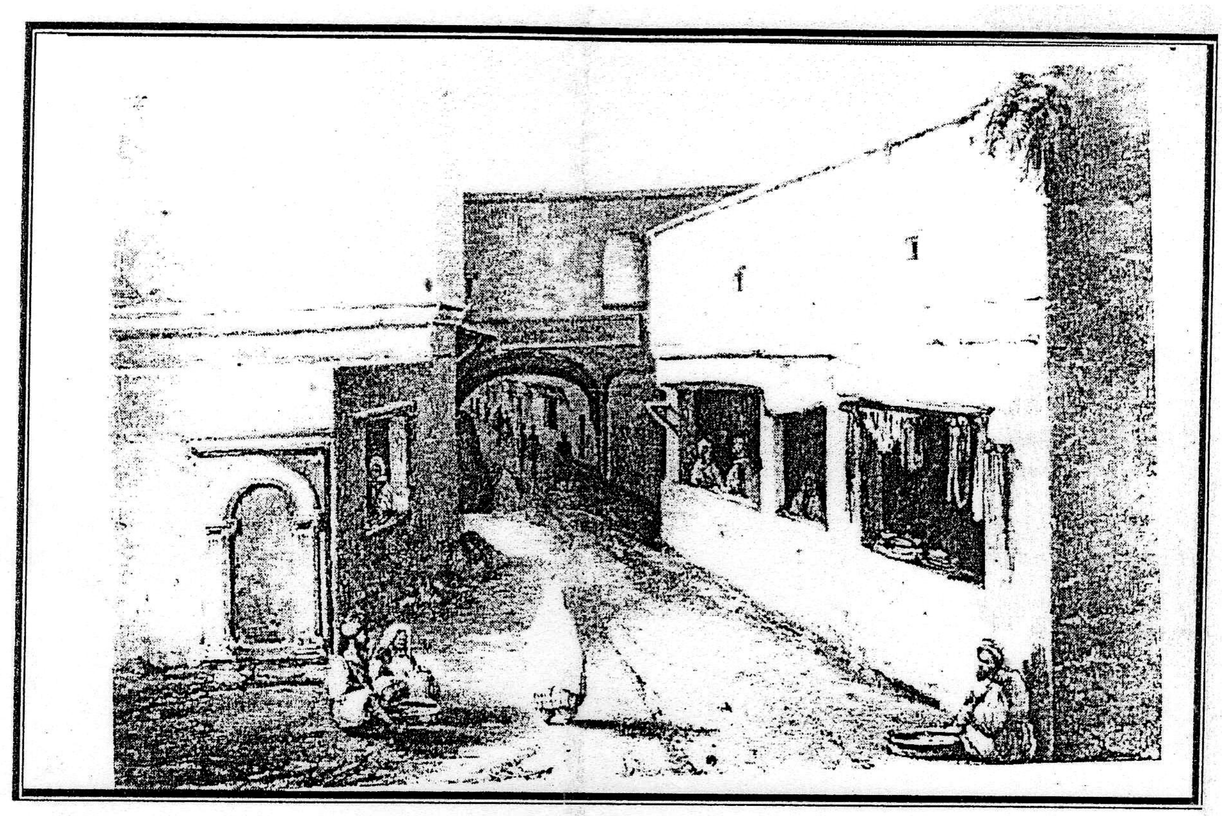
لــوحة 26: مكيال القمح (بومبي، إيطاليا)



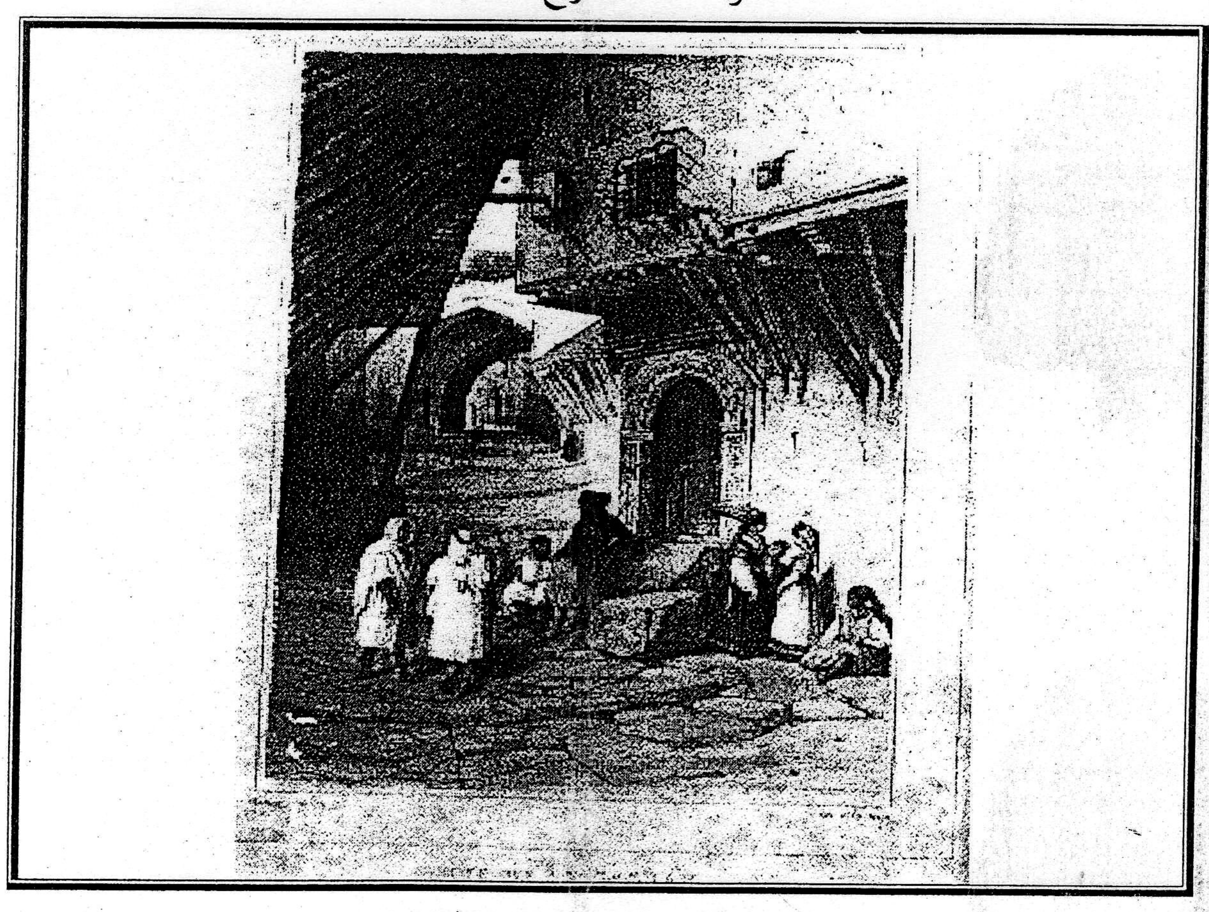
لــوحة 27: عتق الاسرى



لــوحة 28: قناة باب الواد



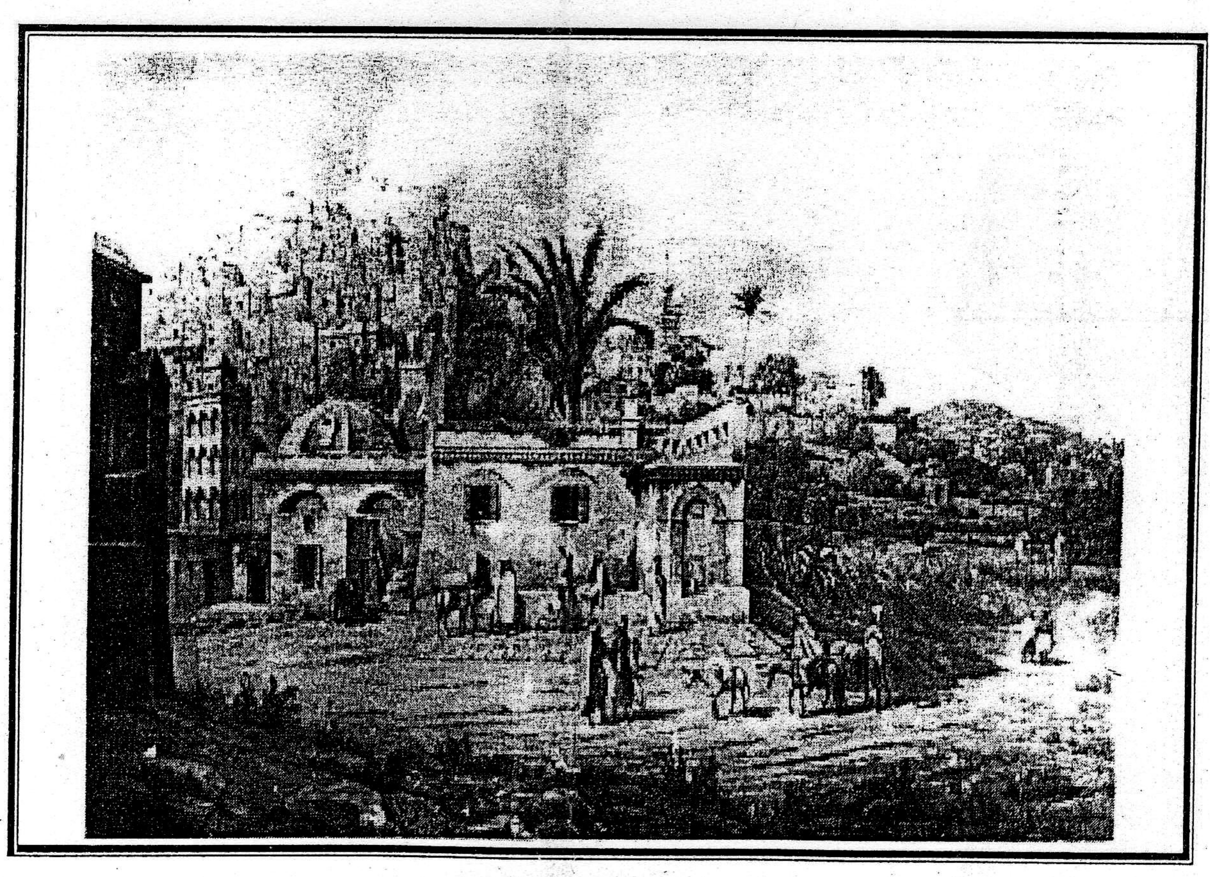
لـــوحة 29: شارع القصبة



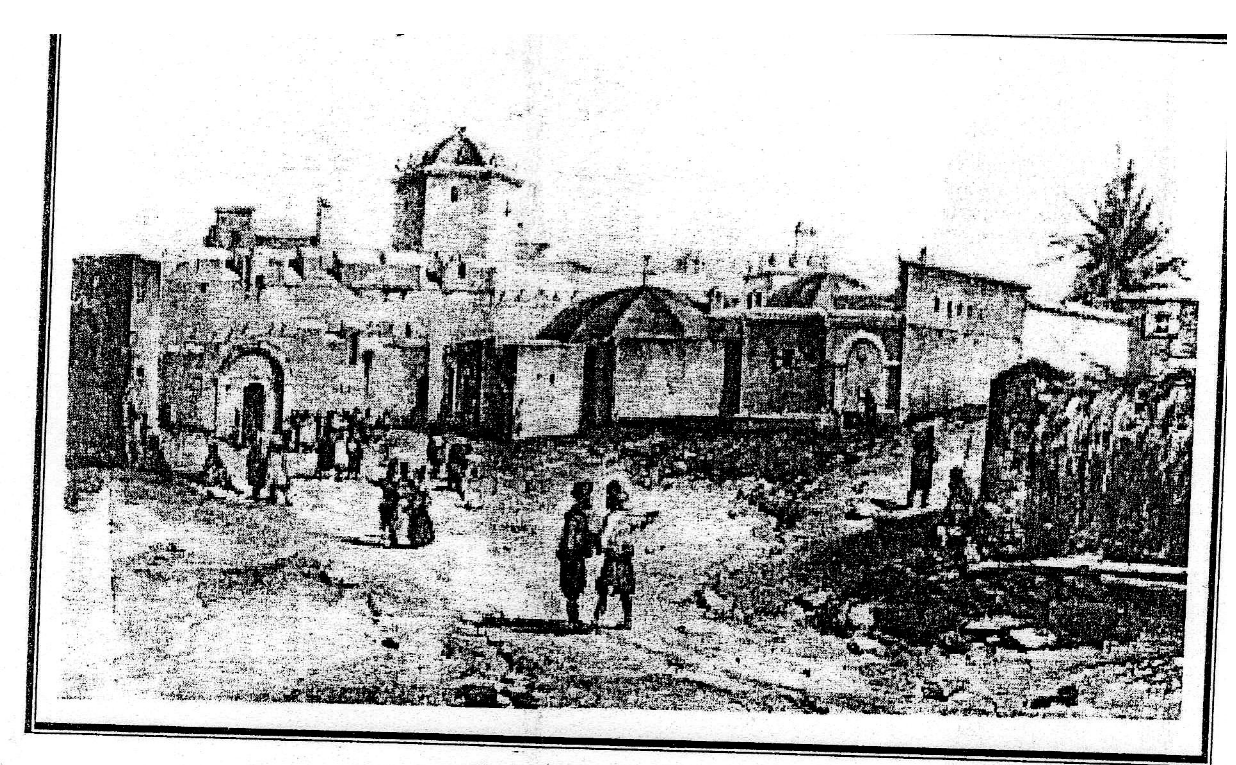
لـــوحة 30: شارع باب الجديد



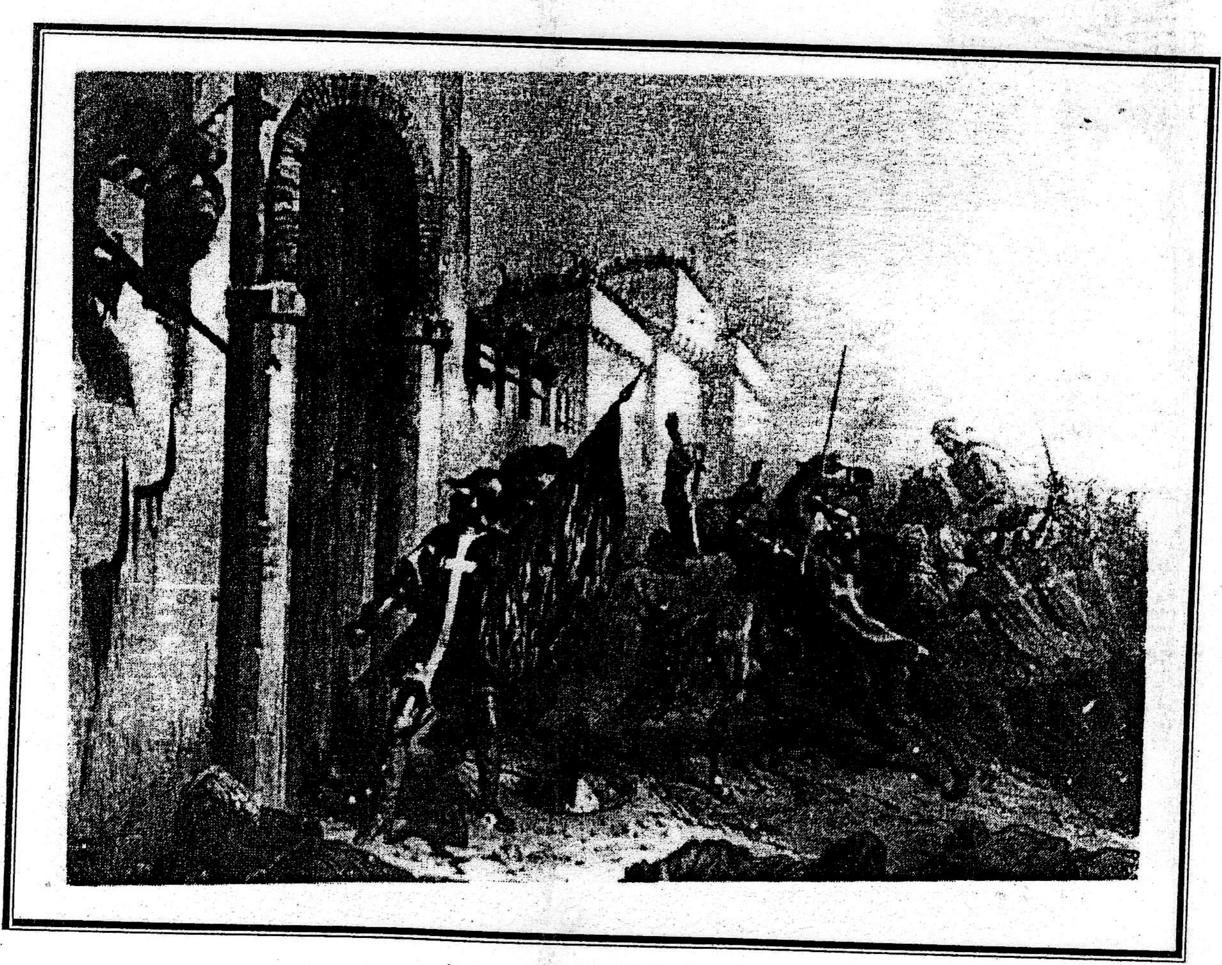
لــوحة 33: بومون (إلهة الزراعة)



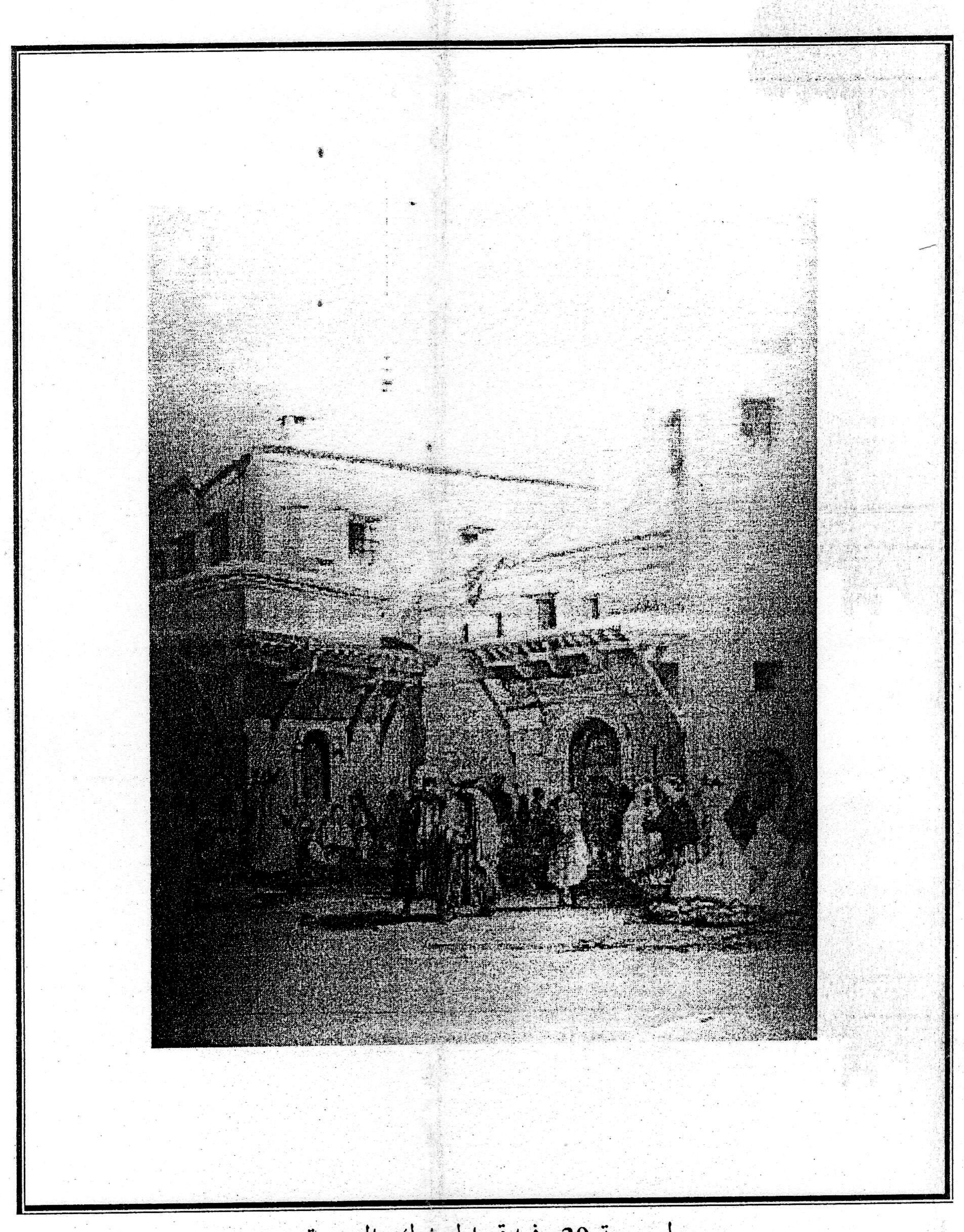
لــوحة 34: جنان الفحص



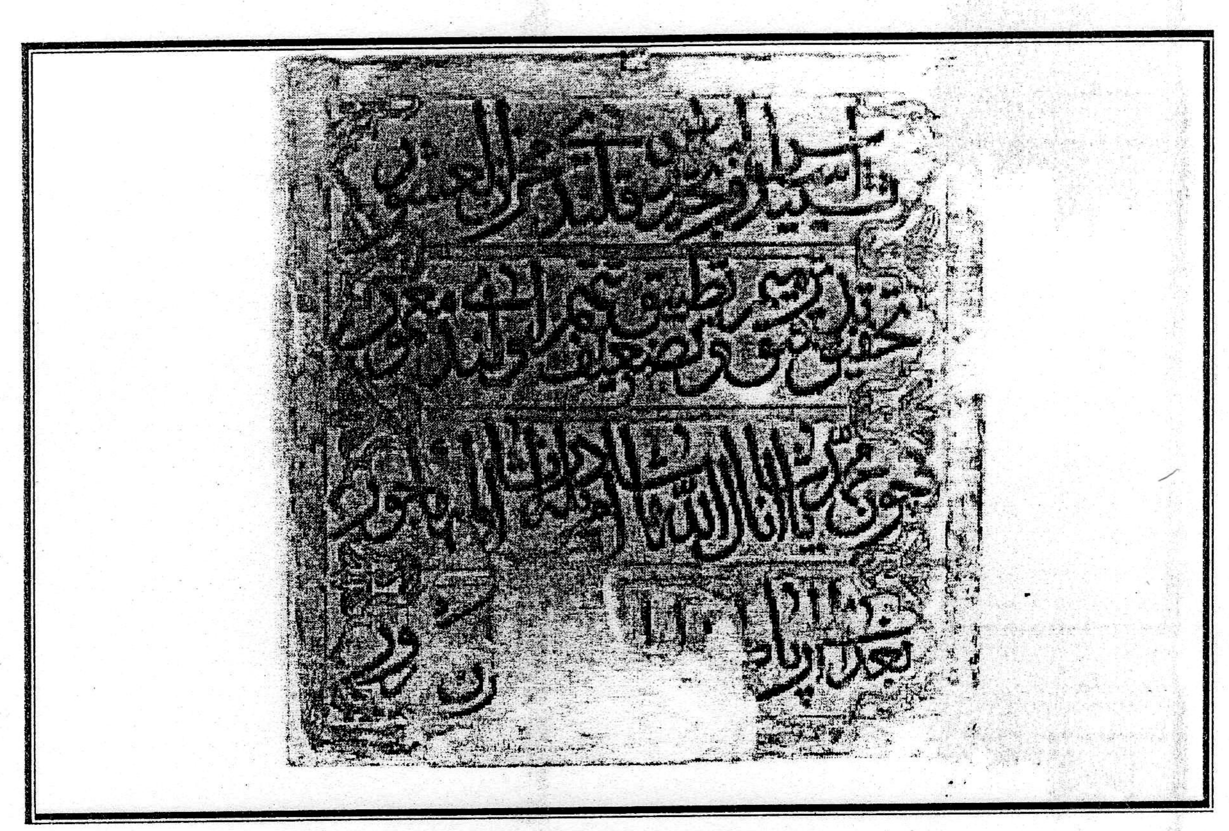
لــوحة 35: باب (باب الواد)



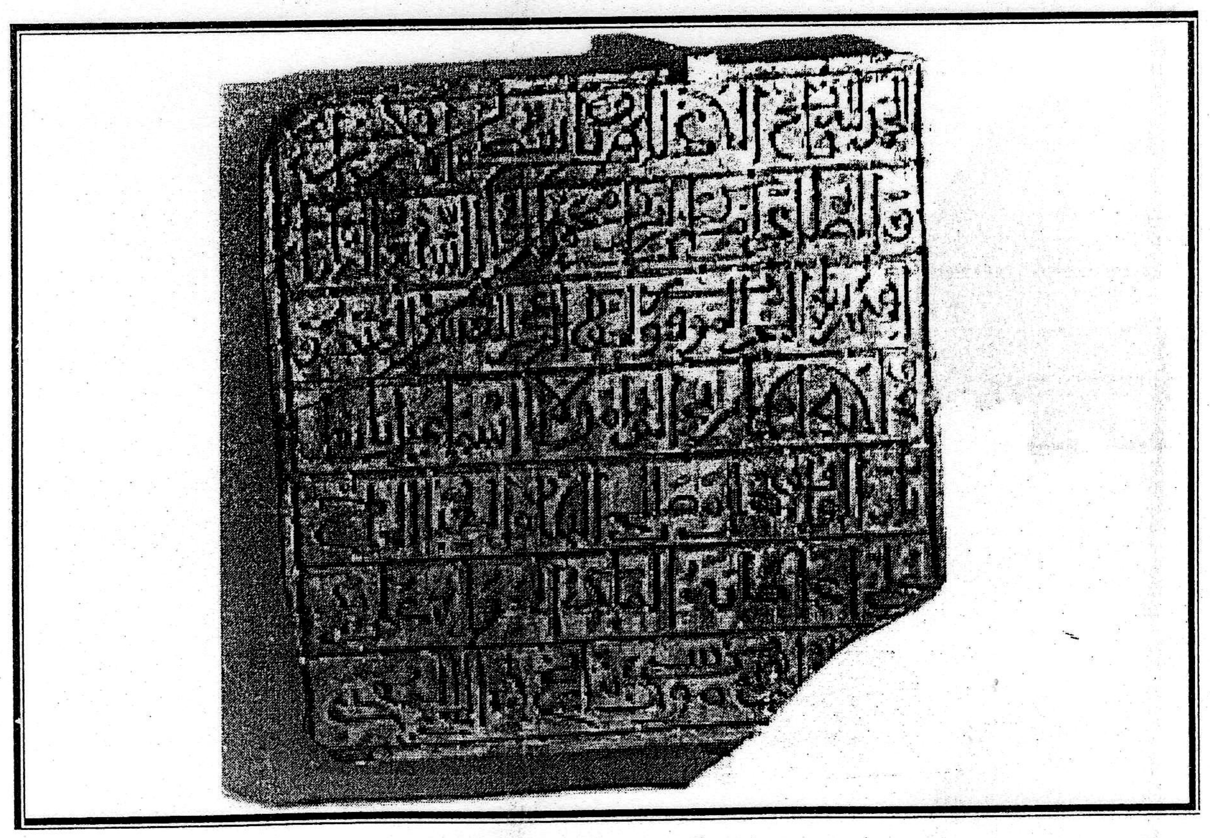
لــوحة 36: باب عزون



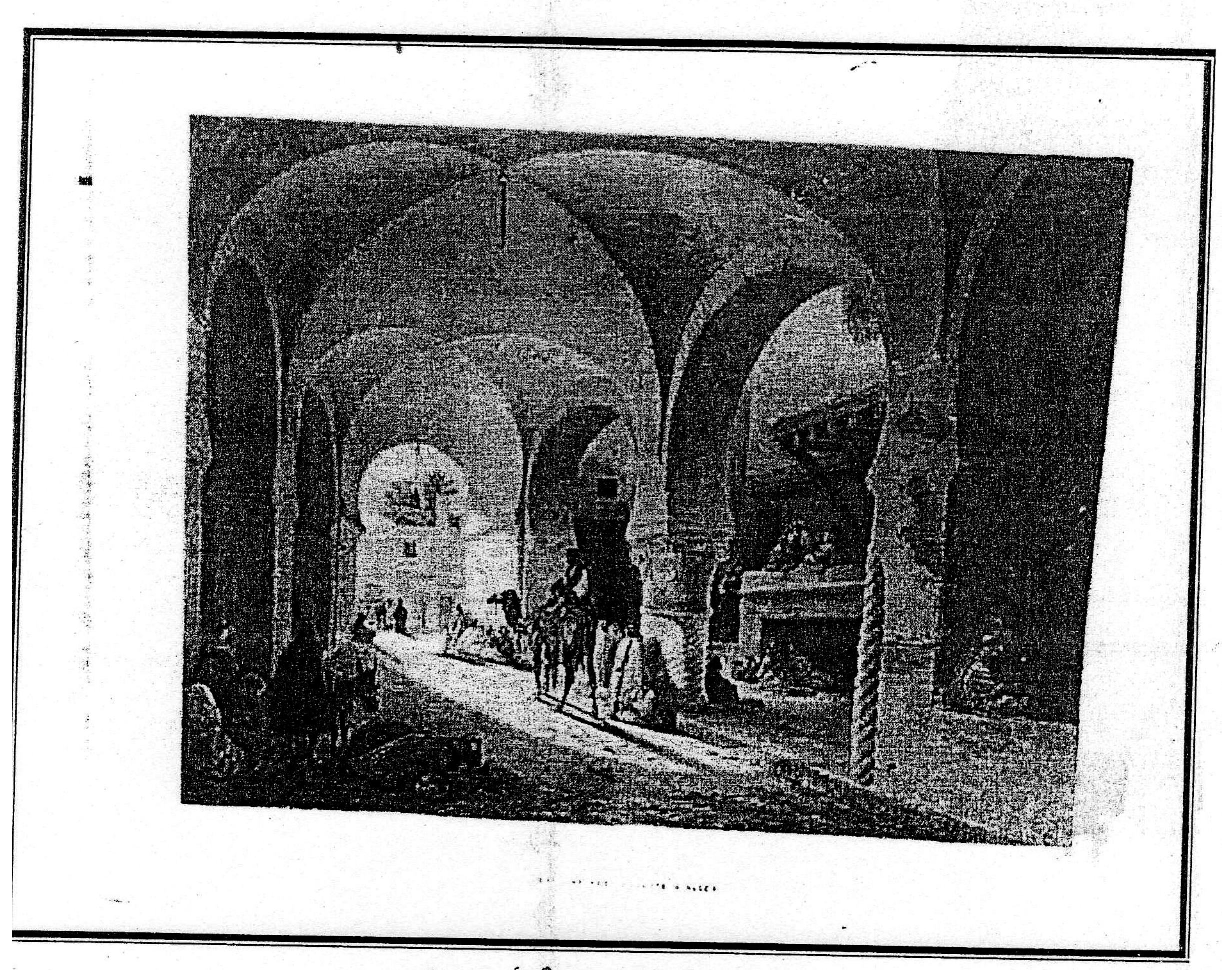
لــوحة 39: فندق الجمارك (البحرية)



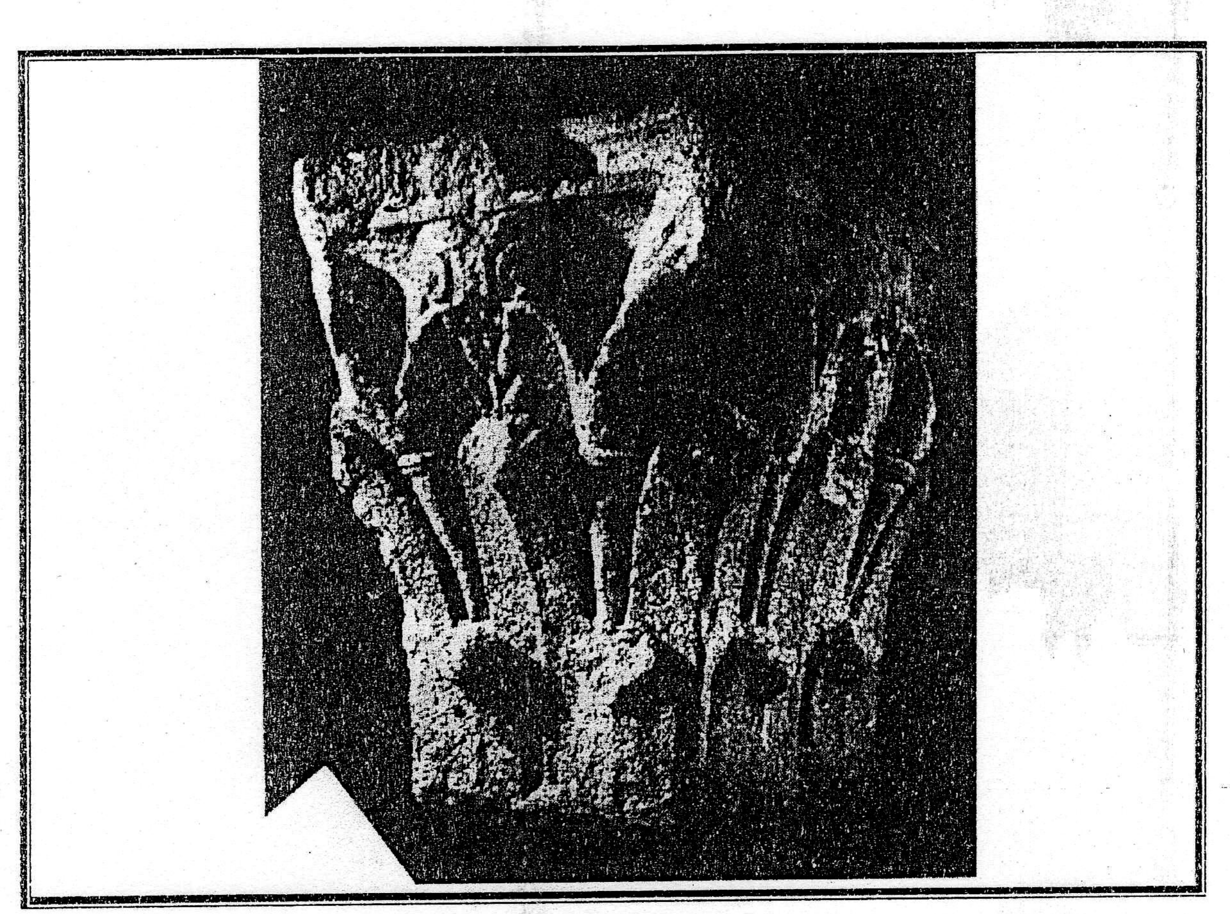
لــوحة 40: كتابة تذكارية (مخزن العشور)



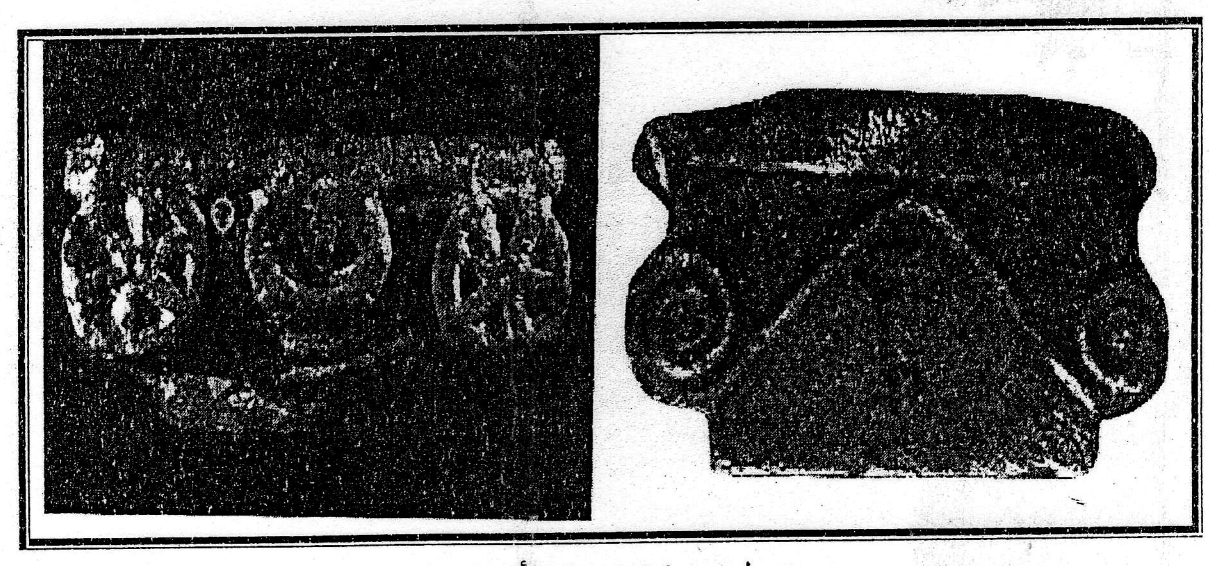
لــوحة 41: كتابة تذكارية (مخزن القمح)



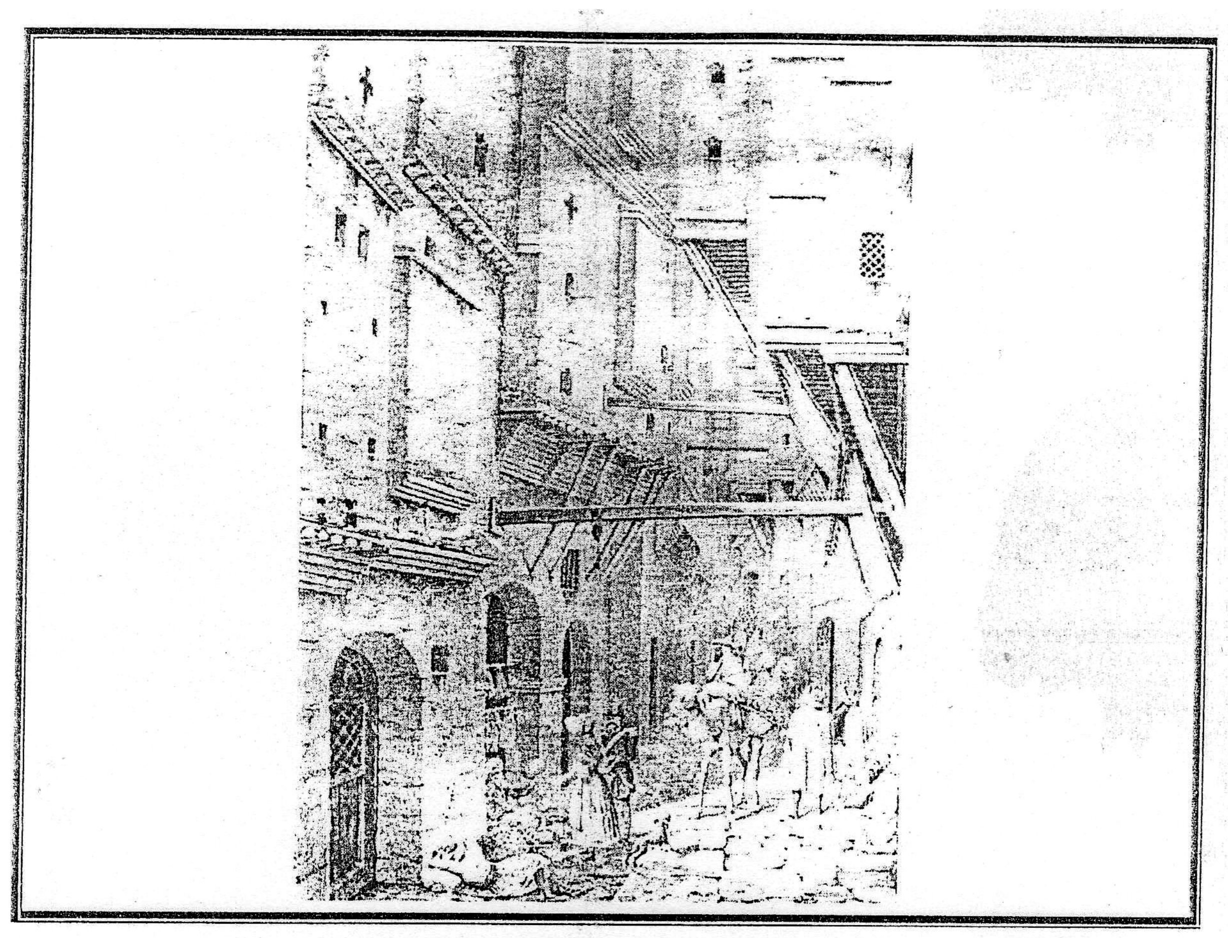
لــوحة 42: شارع أو رواق



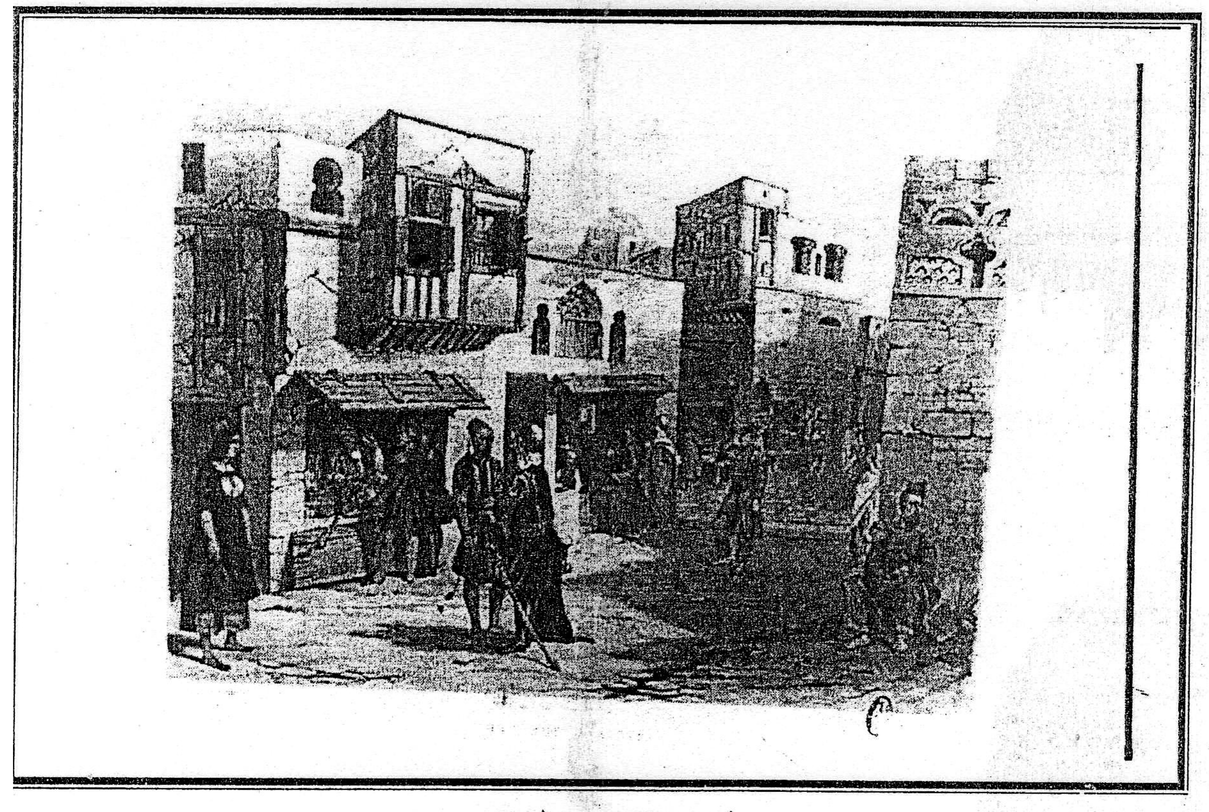
لــوحة 43: تاج كورنثي



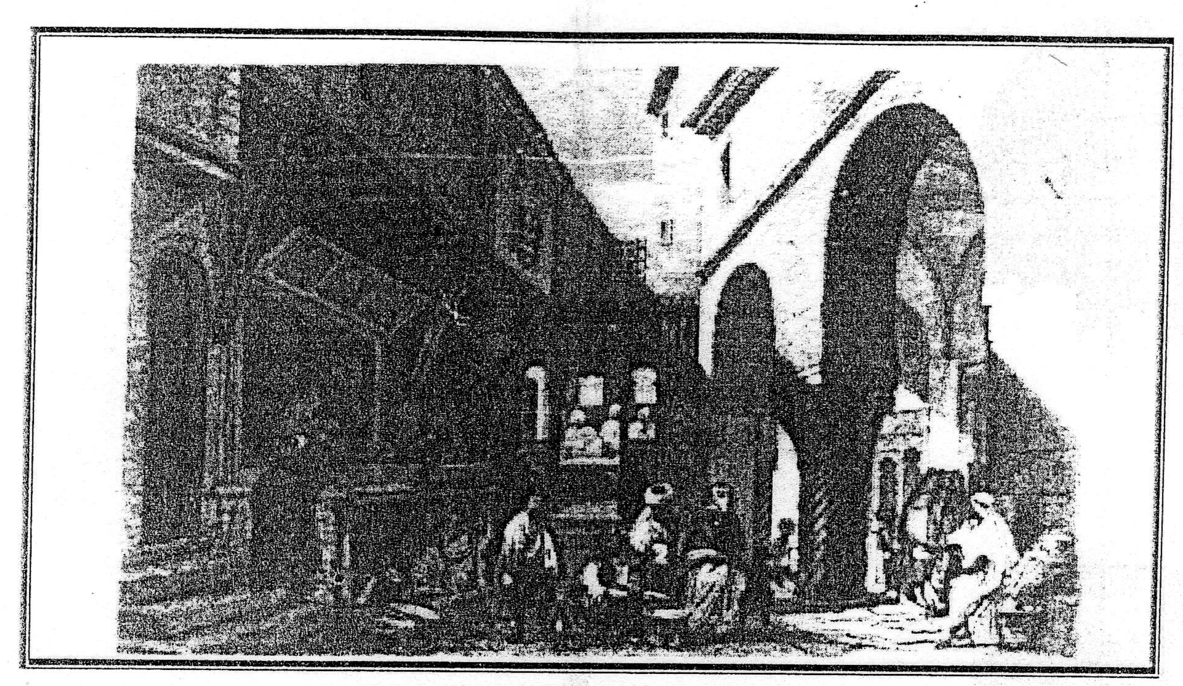
لــوحة 44: تاج أيوني



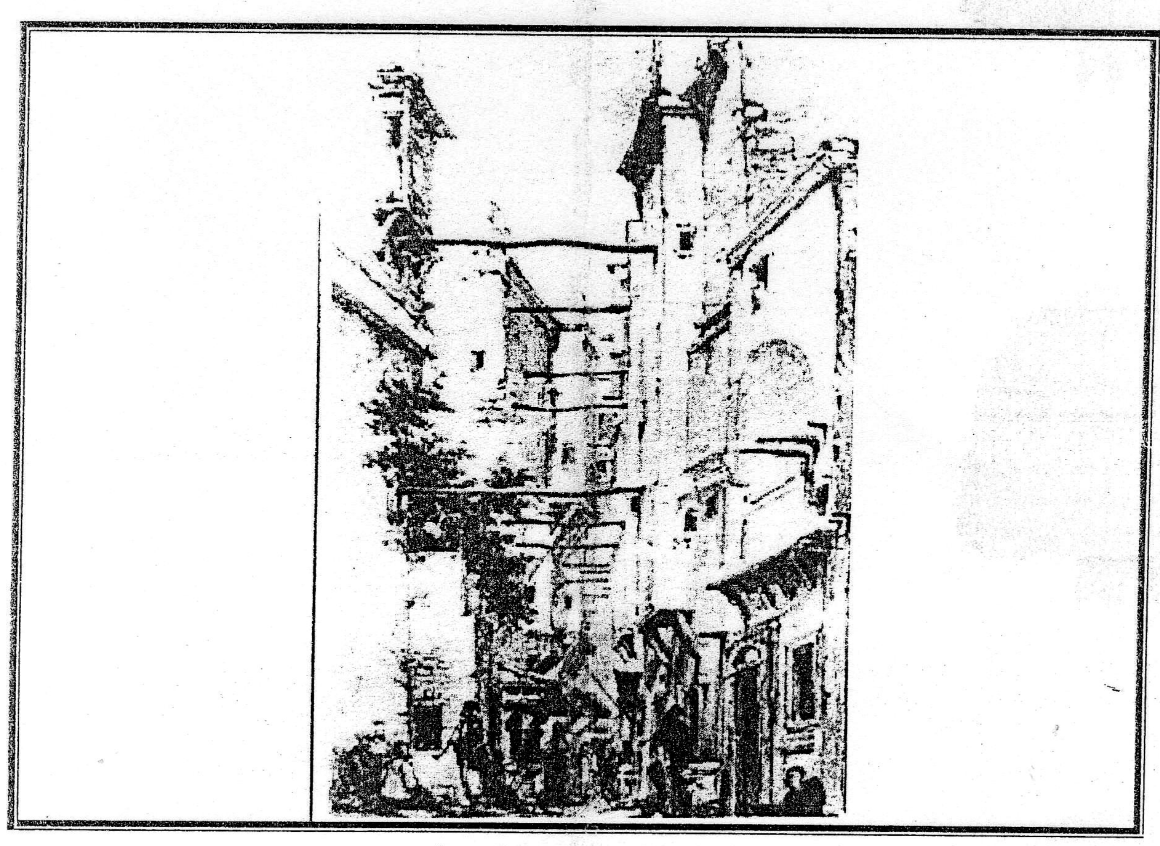
لــوحة 45: شارع ذو طوابق



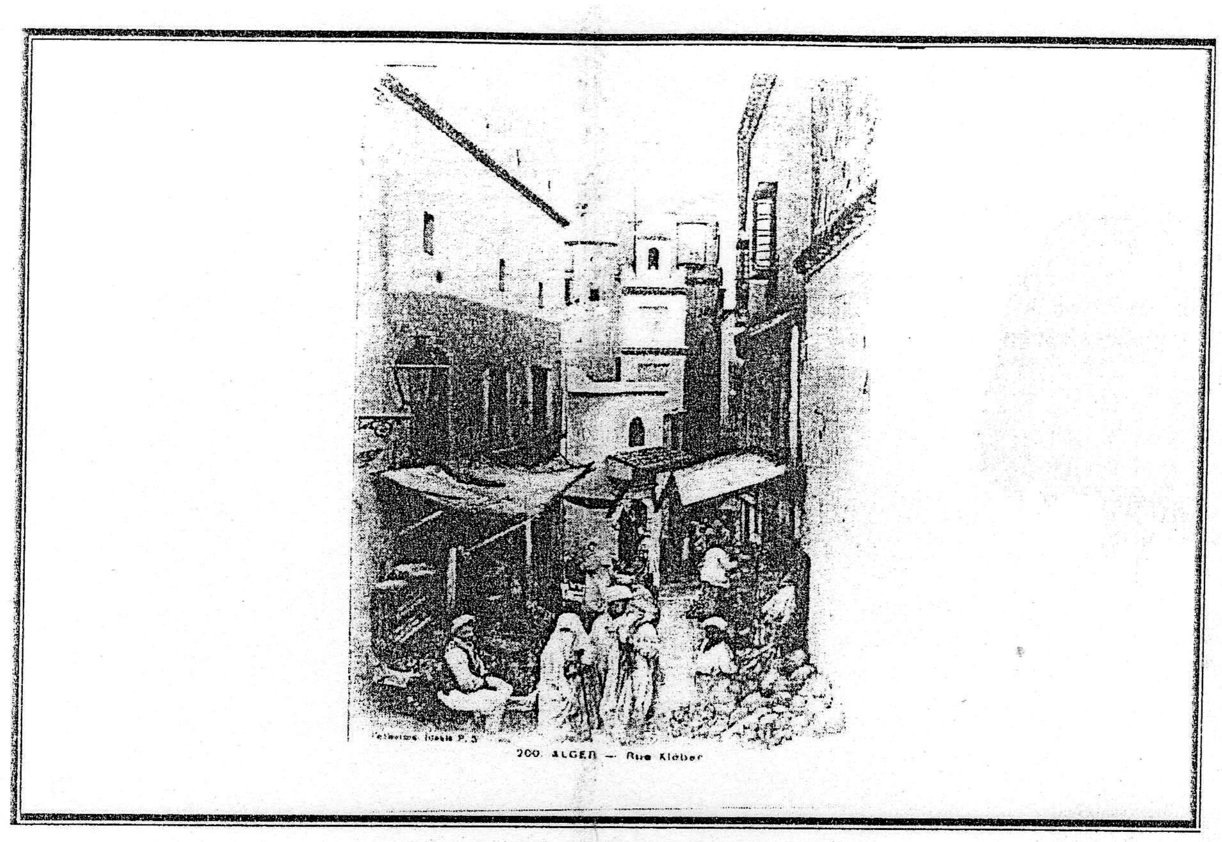
لــوحة 46: الحوانيت



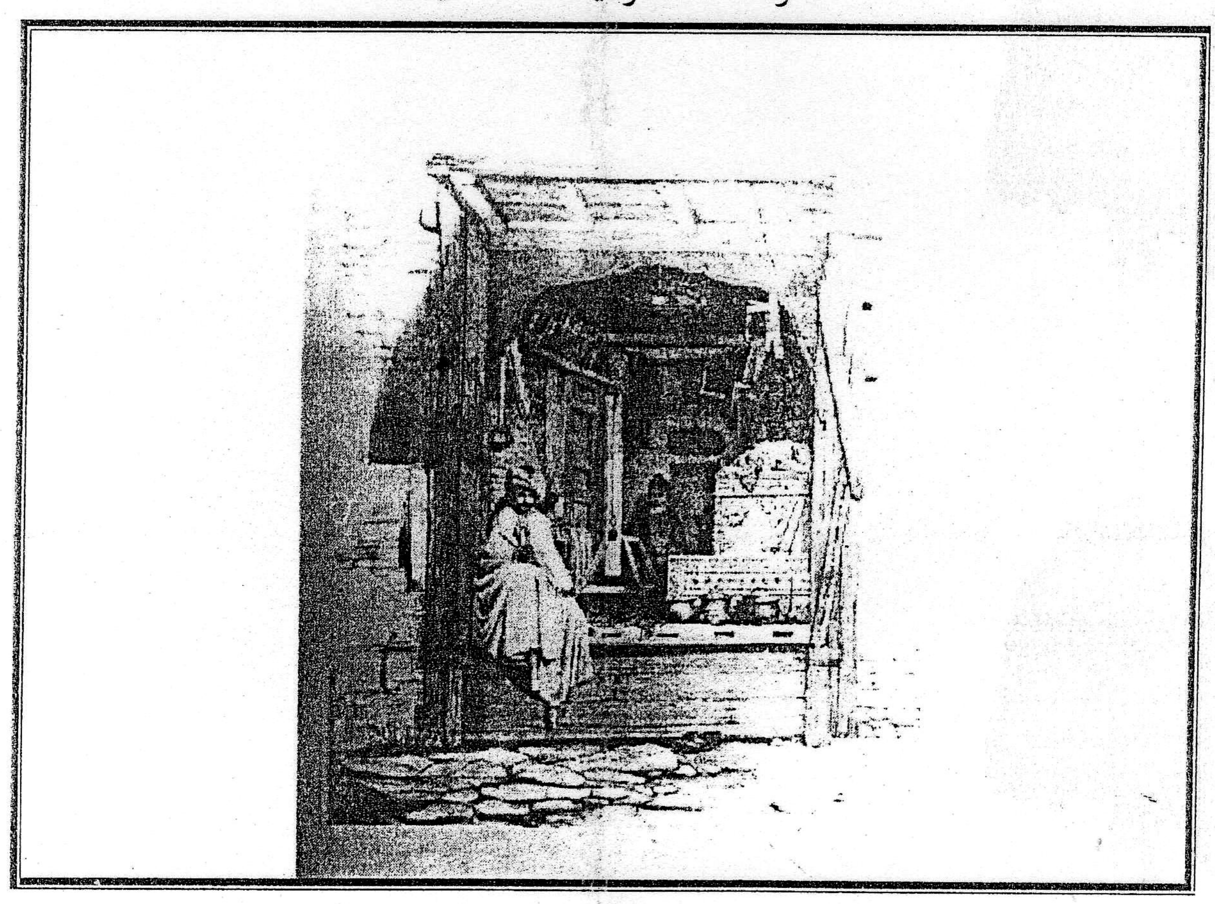
لــوحة 47: حوانيت ذات مصطبة



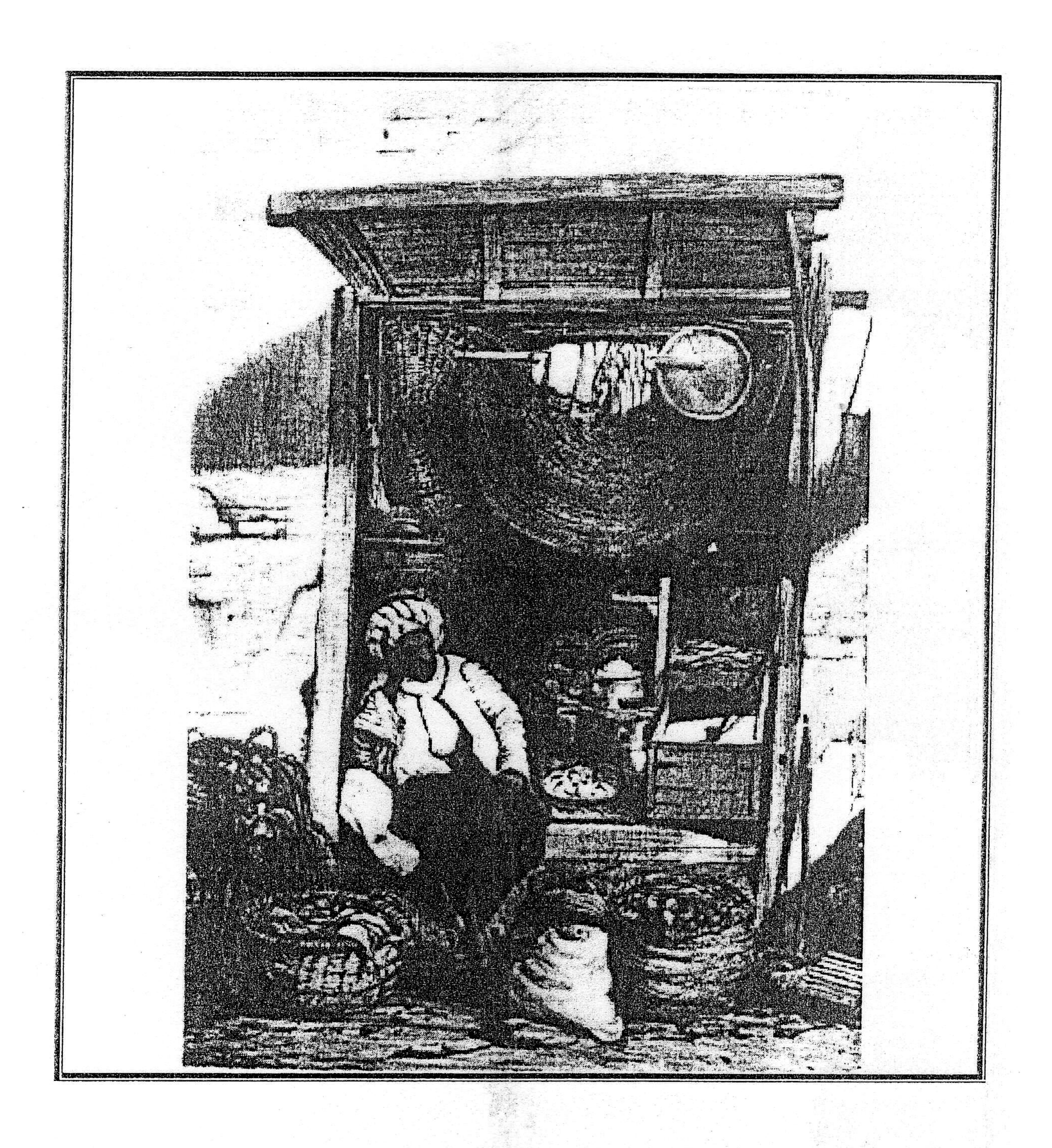
لــوحة 48: حوانيت تحت أفاريز




لــوحة 49: حوانيت تحت الخيمة



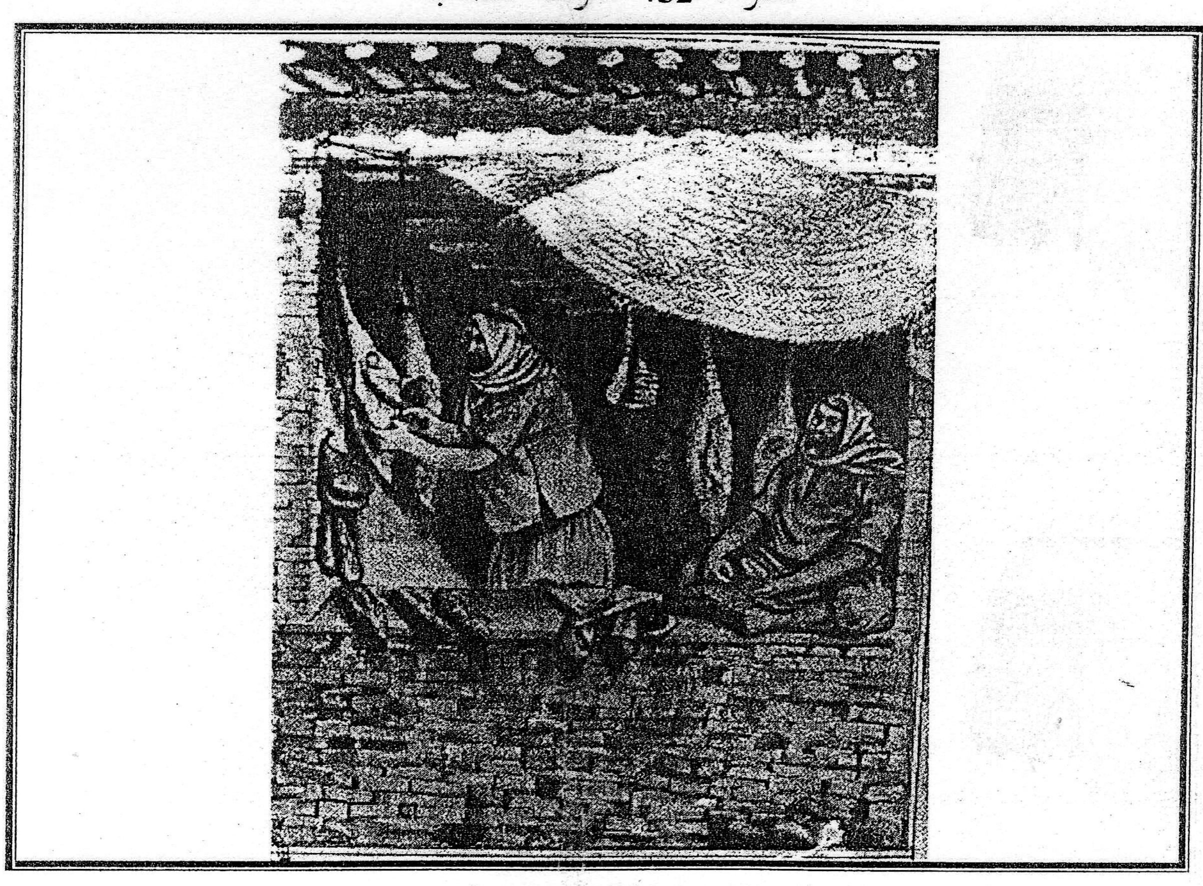
لــوحة 50: حوانيت من الخشب



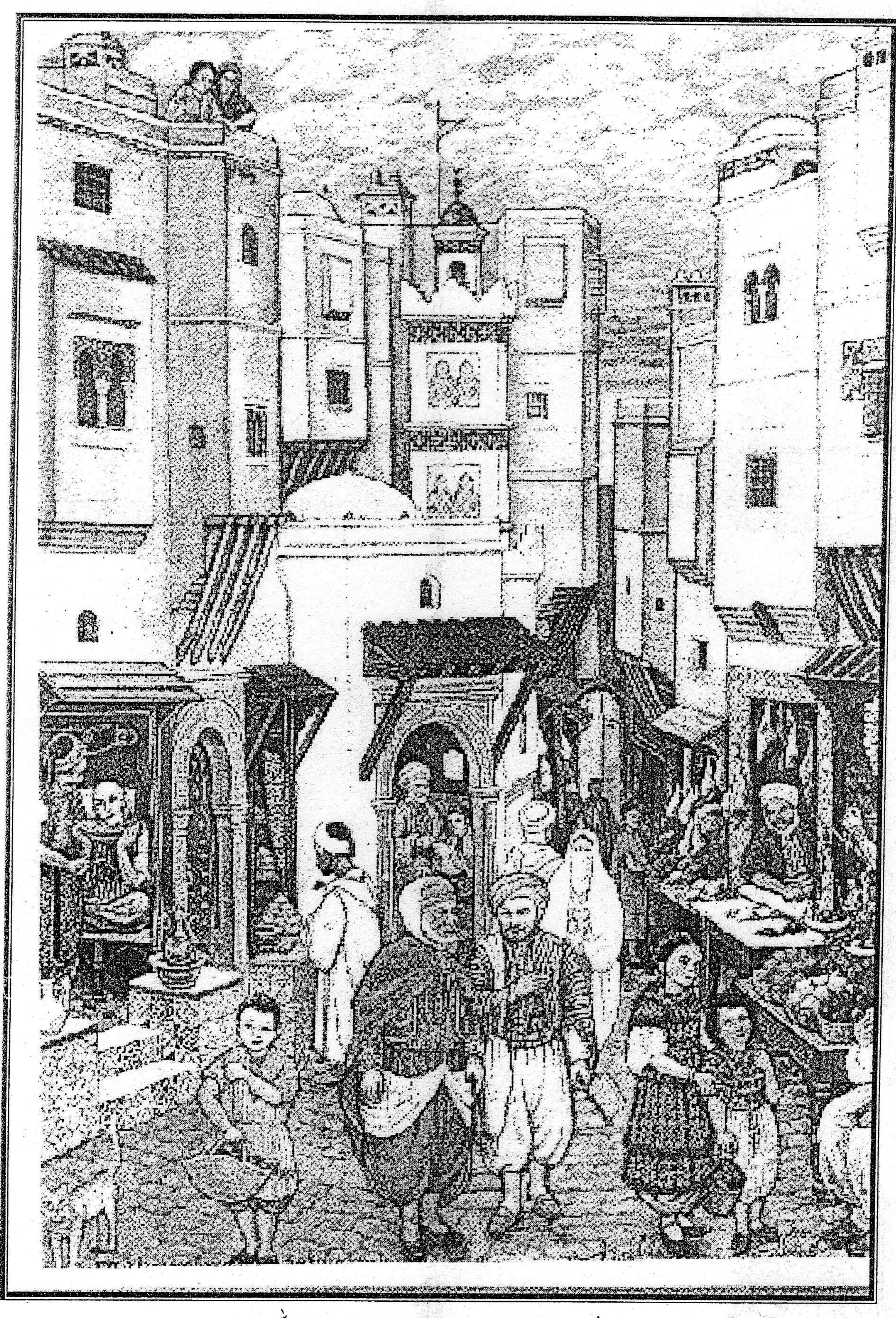
لـــوحة 51: حوانيت بدون واجهة



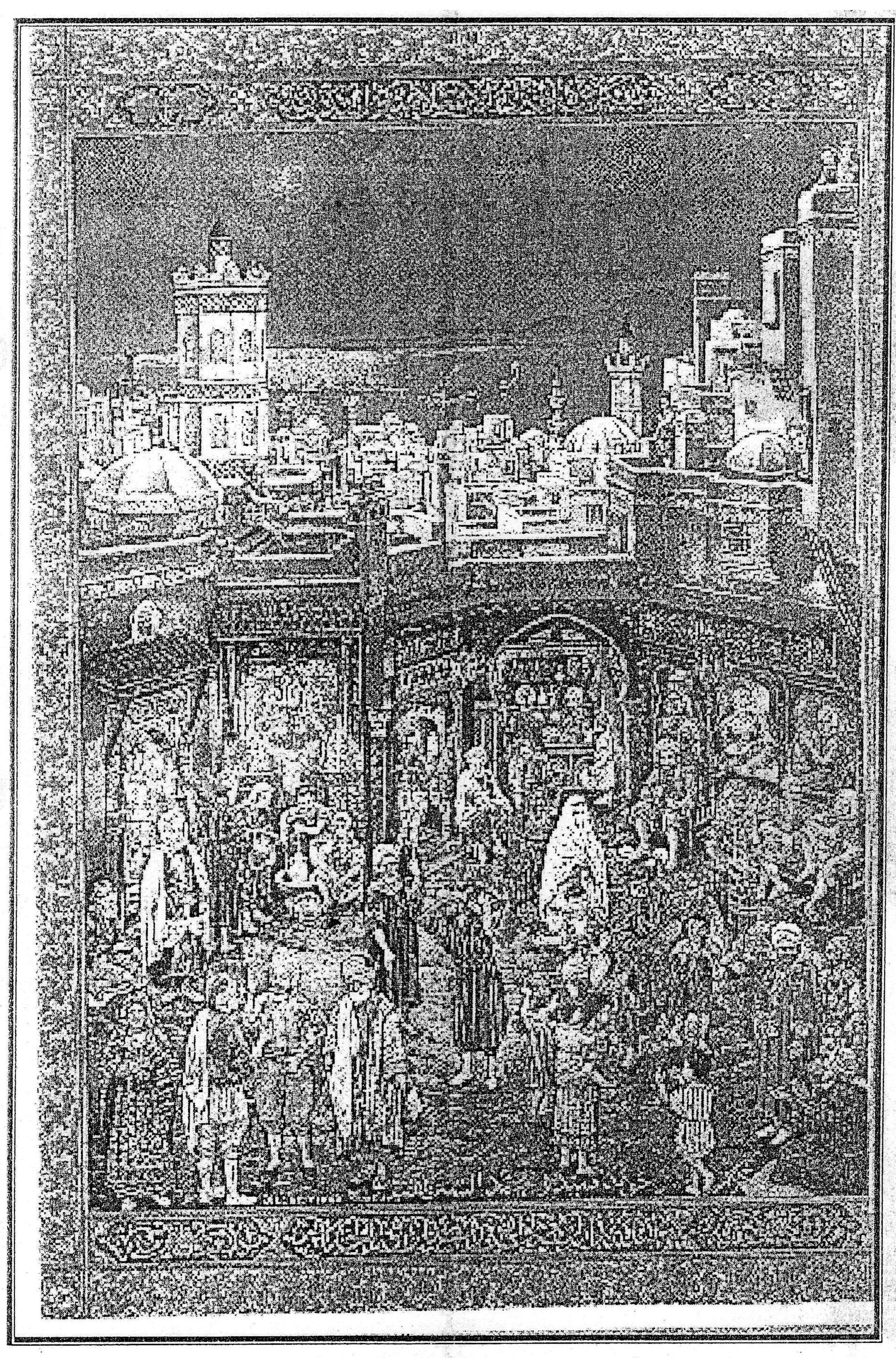
لــوحة 52: حانوت القصاب



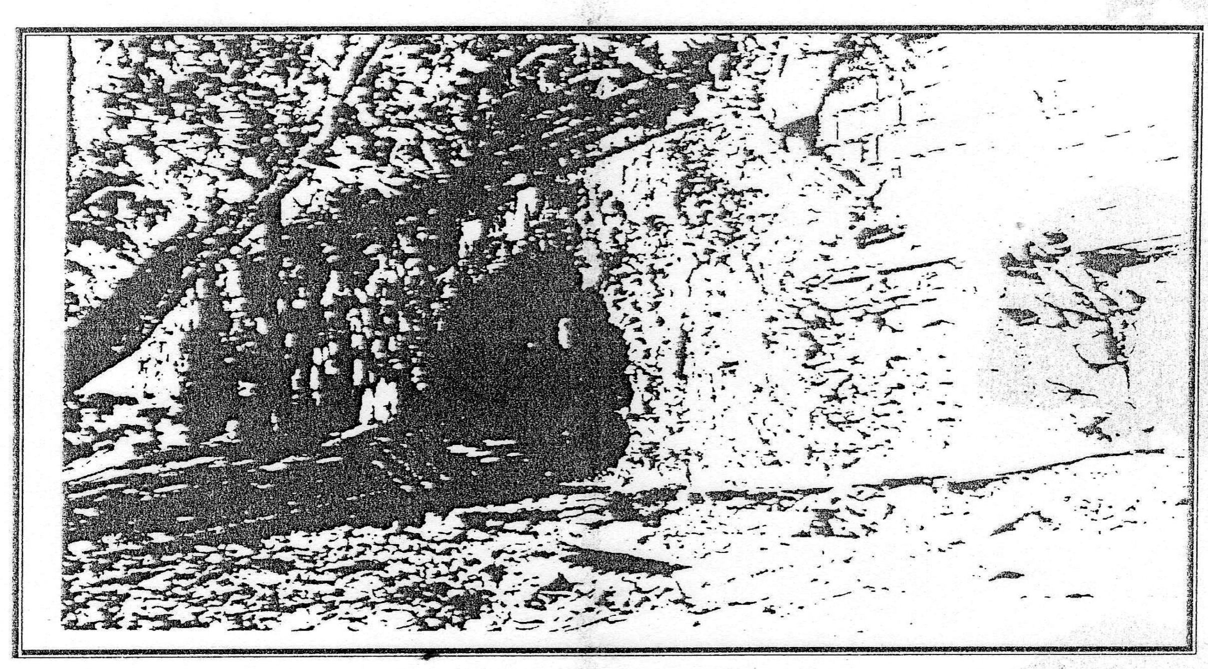
لــوحة 53: ظلة حانوت القصاب



لـوحة 54: سويقة سيدي عبد الله



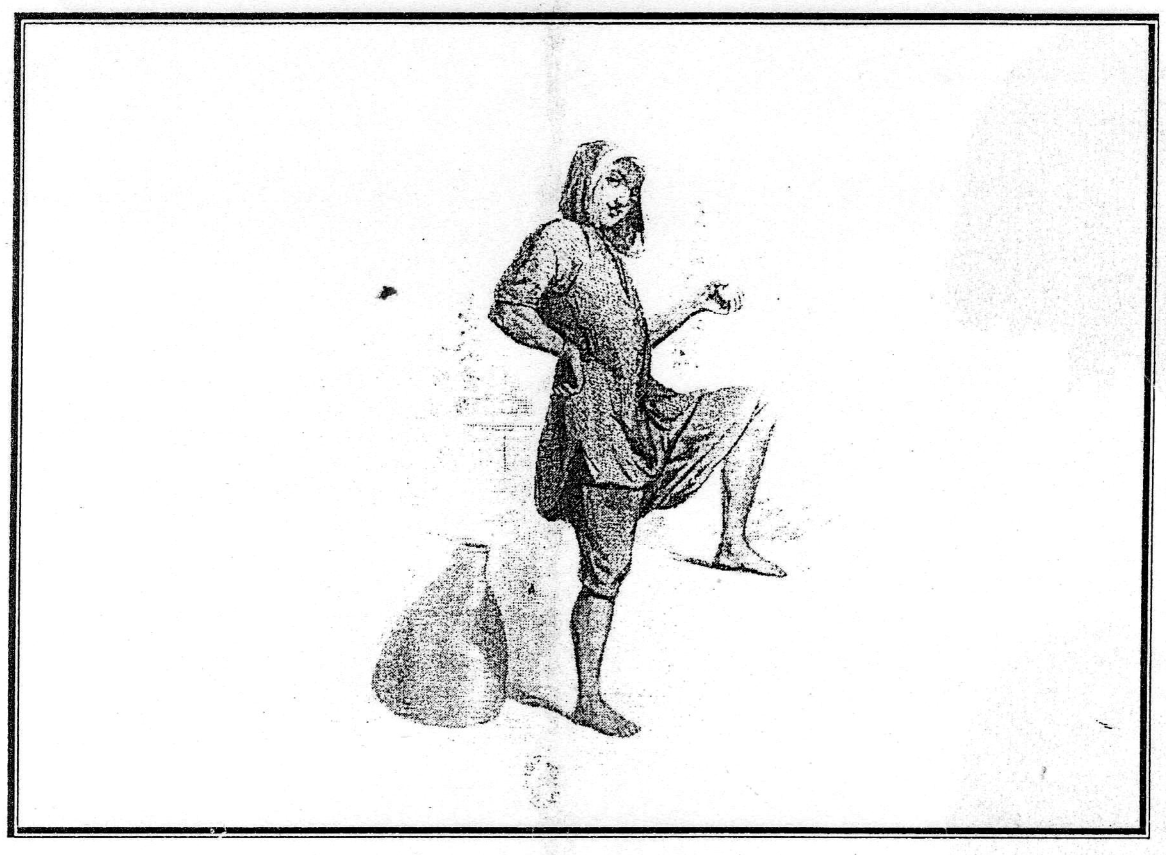
لــوحة 55: سويقة سيدي محمد الشريف



لـوحة 56: باب قيصرية تلمسان



لـــوحة 57: بسكري



لـــوحة 58: امزابي تاجر فواكه

لـــوحة 58: امزابي تاجر فواكه



لـــوحة 59: تاجر يهودي



لـــوحة 60: تاجر كتب يهودي




لـــوحة 61: امزابي حمامجي



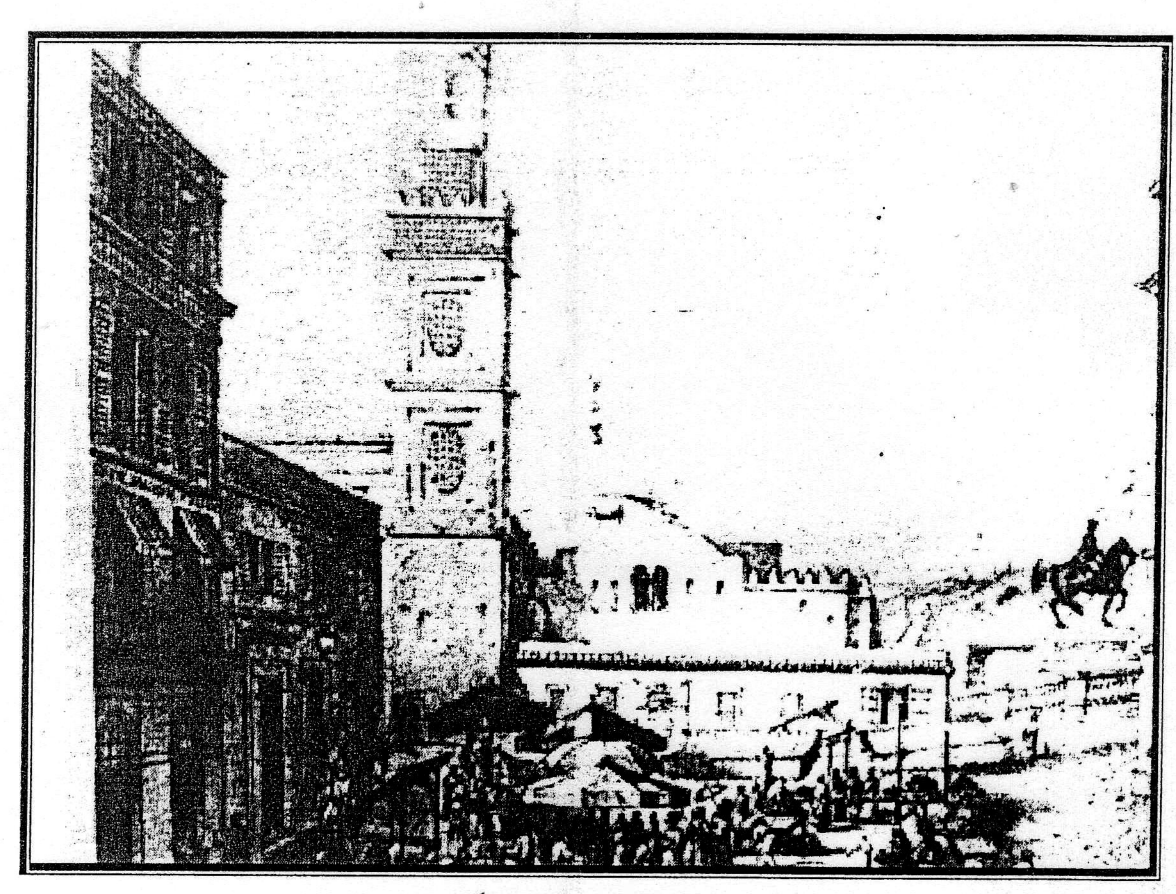
لـــوحة 62: زنجي كلاس



لــوحة 63: زنجي حمال الماء



لــوحة 64: القهواجي



لـــوحة 65: ساحة الحكومة

# قائمة المصطلحات

- قائمة المصطلحات التجارية.
- قائمة المصطلحات المحلية.
- قائمة المصطلحات الأجنبية.
- قائمة المصطلحات المعمارية.

## قائمة المصطلحات التّجارية

**الإقطاع:** هو ما يمنحه الإمام من الأرض لبعض الممتازين بفعالهم من الرّعية.

الأعشار: هي ضريبة على الأرض مقدارها عشر غلتها مالا، أو عينا.

**بيت المال:** خزينة الدّولة العامّة وموارده هي: الخراج والعشر والزّكاة والجزية والغنيمة والفيء.

**الجزية :** ضريبة مالية يدفعها أهل الدّمة، بناء على إتفاق بين الدّولة وأهل الدّمة مقابل الحماية، وكفالة العقيدة والعبادة.

**الجوالي:** المقرّرات السّنوية التّي كان يفرضها السّلاطين على أهل الدّمة وهي المعروفة بإسم الجزية.

**الخراج:** ضريبة على الأرض وهي فريضة مالية تحصل عليها الدّولة عن طريق التزام أصحاب الأراضي بالمساهمة في أعباء العامّة للدّولة.

**الدّيوان:** معناه سجل أو دفتر وأطلق مجازا على المكان الدّي تحفظ فيه السّجلات الرّسمية.

**الرّسوم:** هي ضرائب مال فيها ما يفرض، وما يجبى جبرا.

**الزّكاة:** ضريبة أو نصيب معلوم، يؤخذ من القادر على الدّفع لسدّ حاجة المحتاجين من الفقراء والمساكين وتحقيق أمنهم ورعايتهم إجتماعيا وصحيّا.

**السّمسرة:** هو البحث عن مشتري لسلعة أحد الأشخاص مقابل أن يتقاضى أجرا عليه.

**الصّدقات:** وهي ما يؤخذ من المسلمين من أنعامهم وهي الإبل والبقر والغنم على حساب معين من نقودهم من الفضّة والدّهب أو من أموال تجاراتهم.

**الصّيرفة أو الصّرف:** بيع النّقود بالنّقود (بيع الثّمن بالثّمن) بالتّقابض أو بإستبدالها نقدا بنقد.

الضّرائب: إقتطاع مالي تقوم به الدّولة جبرا عن الممول، يدفعها وفقا لمقدرته التّكلفية مساهمة منه في الأعباء العامّة، وتستعمل حصيلة الضّريبة في تغطية المصاريف الشّرعية لها .

**العقود:** إتفاق بين طرفين يلتزم بمقتضاه كلّ منهما تنفيذ ما أتفق عليه، كعقد البيع وغيره.

**المكوس:** ضريبة يأخذها المكاس ممن يدخل البلد من التّجار، والفلاّحين على البضائع القادمين بها وتطلق أيضا على ضريبة الجمرك.

**المخزن:** هو المكان الدّي يخزّن فيه الشّيء، ثم أطلق في أوائل العصر الموحدي على مخازن الدّولة، أي الخزائن التّي حفظ فيها ما تجمعه من مال أو عروض ذات قيمة.

**القبالة:** مال يدفعه النّاس لمتقبل الضّرائب في النّاحية، أي لمن يتعهّد بجمعها.

**المقايضة:** بيع سلعة بسلعة بالتّراضي.

**المصطلحات المحلّية:**

أسطى: المعلم.

البابونجية: صانعو البابوش (الخَف) وهو حذاء للرجال.

البرادعية: صانعو البردعة أو الجلال (أحملة الأحمرة).

البرانيس: جمع برنوس، معطف ذو قلمونة و هو رداء مغربي محلّي للرجال.

البشماقجية: صانعو البشماق وهو الخف أو البابوش بألوان مختلفة وتتكون من كلمة بشماق كلمة تركية .

البلاصة: الساحة.

البلاغجية: صانعو البلغة وهو حذاء القضاة و مدرّسي المساجد والمدارس.وتشبه البابوش وتتكون من الكلمة العربية بليغة.

البمباجية: صانعو القنابل، مشتقة من كلمة فرنسية Bombe (قنبلة).

البوزا: خمر مصري.

تبارن: جمع تبرنة بمعنى الحانة، مشتقة من الفرنسية Taverne.

تيبرغوتين: كلمة بربرية تعني البرغوث.

تريق: طريق بالعامية الجزائرية.

التماخون: صانعو التماغ وهو حذاء الفارس.

الجبّانة: المقبرة.

الجبيلة: تصغير للجبل.

الجقماقجية: صانعو بطاريات البنادق.

الجنينة: الحديقة الصغيرة، مفرد جنان.

الحاكة: صانعو الحايك وهو اللحاف الذي تلبسه المرأة عند خروجها من المنزل كما يطلق أيضا على نوع من الأغطية المحلية.

الحاشيات: جمع حاشية وهو الشريط الذي تضعه النساء فوق شعورهن.

الحصّارون: صانعو الحصير.

الحلفاجية: صانعو ضفائر من الحلفاء للسجّادات.

الحميّر: تصغير لكلمة حمار.

خبز الردوم: وهوخبز كان اليهود يرمونه امام ابوابهم أيام أعياد معينة من أعيادهم كعادة قديمة متوارثة.

الخرازون: صانعو أحذية الرجال.

الدّروج: السّلالم.

الدّزيرة: الجزيرة.

الدّلالة: البائعون المتجولون.

الديّاسون: الإسكافيون.

زكّارفانو: كلمة تطلق على الحرير غير المصبوغ.

الزندانة: السّجن.

الزنيقة: تصغير لكلمة الزنقة (الشارع).

الرّقاقون: صانعو القرب .

الرقاعون: وهم الخرازون.

الروز: الأرز.

السّرايرية: صانعو خشب البنادق و أغمدة السيوف الخشبية.

سركاجي: صانع الخلّ وهي كلمة تركية تعني الخل .

السكّاكون: صانعو السكاكين.

السكّة: الطريق.

السّواس: وهم العزارة أي الفرسان الذين يمشون في

الشباغلية: صانعو الشبغل وهو خفّ النساء.

الشوّاش: صانعو الشاشية وهي الطاقية.

الطبقة: الطابق.

طحطحة: فراغ أو مساحة واسعة فارغة من أي بناء.

طوبانات: المدفعية.

عرباتجي: سائق العربات.

العرص: جمع عرصة وهو العمود الذي يحمل العقد.

العزارة: بناؤو الساس.

العلوي: الطابق العلوي.

العليّة: العالية.

الغرابلية: صانعو الغربال الذي يحضر به الكسكسي .

الغلياطة: نوع من السفن.

الفحص: هي المناطق الشاسعة والمشجرة التي تحيط بالمدينة أي تكون خارج الأسوار وتبنى فيها المباني الجميلة للراحة والإستجمام.

الفراغية: صانعو الأقفال وحلقات ربط الماشية.

الفرينة: تصغير لكلمة الفرن.

الفوارة: النافورة.

الفورنية: نسبة إلى مدينة ليفورن بإيطاليا.

الفويطة: تصغير لكلمة فوطة وهي سترة الحمام.

القرب: جمع قربة وهي كيس من جلد الماعز يحفظ فيها الماء للتبريد لأن جلدها غير مسامي ويعزل الحرارة.

القزادرية: هم صانعو آنية حديدية لخمل الأكل فيها ولهل مقبض .

القنداقجية: صانعو الأسلحة.

القنطرة: الجسر.

الكبايطية: صانعو الكبّوط وهو معطف للرجال.

كتشاوة: رحبة الماعز وهي كلمة تركية بحتة.

الكرموس: كلمة بربرية وهي تعني التين.

صاباط: ممّر.

اصبانية: إسبانيا.

الصقاح: فراغ يغطيه الصخر المسطح وجاءت من كلمة الصفيح.

الصفارون: هم النخاسون، يصنعون الصينيات و الأباريق و مختلف الأواني النحاسية.

لالة: السيدة .

لالاهوم: سيدتهم.

لويات: إنعراجات.

اللّنجور: نوع من البارود .

امسيد: كامة اندلسية تعني المدرسة.

المقفولجية: صانعو المكاييل.

الهجاجل: النساء الأرامل.

الولال: نوع من الطيور له عنق طويل.

الوصفان: العبيد.

# قائمة المصطلحات الأجنبية

| | |
|---|---|
| Agoranome (L') : | ناظرالسوق |
| Aleayt de la Duvana : | قائد الديوانة |
| Almotacen : | المحتسب |
| Annibal : | حنا بعل(أطلق على شارع) |
| Arsenal : | دار الصناعة بالفرنسية |
| Basileus : | إسم إمبراطور روما نسبت إليه البازيليكا |
| Batterie : | بطارية أو برج |
| Bazar : | سوق |
| Casseries : | ثكنات |
| Cardo : | الشارع المستقيم |
| Cérès : | إلاهة الزراعة عند الرومان |
| Césarée : | شرشال في العهد الروماني |
| Contrepoids : | مكيال الحبوب |
| Darcinoth : | دار الصناعة بالإسبانية |
| Décumanus : | الشارع المتعامد |
| Dogana : | الديوانة |
| Dolia : | آنية فخارية لحفظ الحبوب والزيت |
| Farendo : | الفندق |

Forum : السّاحة المركزية

Fromento : الحبوب

Gabellot : مدير الجمرك

Gazelle : الغزالة(أطق على شارع)

Horrea : الفندق

Kogia : خوجة

Licorne : نبيذ

Maeniana : حوانيت

Moneta : النقود

Nef : ساريّة

Octroi : الضريبة

Overo : المكس

Opus Tesselatum : تقنية البناء

Ordre des Mercédaires : نظام أوروبي لعتق الأسرى

Palmier : النخيل (أطلق على شارع)

Pomone : آلهة الزّراعة

Ponderarium : أوزان مكاييل

Portique : رواق معمّد على بازيليكا

Rabba : الرّحبة بالألمانية

Reconquista : إعادة فتح الأندلس من طرف الإسبان

Sérail des Chrétiens : فندق النّصارى(الفندق)

Synagogue : بيعة اليهود أو معبد اليهود

Tabernae : الحانات القديمة

Telonium : مكتب الديوانة في العهد الروماني

Transit : العبور

Trésorerie : مركز المالية

Turkish kanghauss : دارالصرف التركية

Voutes solides : أقبية محكمة

Zezeria : قيسارية بالإيطالية

Zocco : سوق بالإيطالية

قائمة المصطلحات المعمارية :

ازار : شريط من ألواح رقيقة من الخشب عادة أسفل السقف مباشرة بأعلى الجدار بقوائم خشبية توضع بين المداميـــك بشكل رئيسي على مسافات متساوية و في الأركان و أحيانا يخزف.

افريز : طنف أي ما برز من المبنى، و هو حلية بارزة أسفل السقف غالبا تحيط المكان

اصطبل : محل موقف الخيل و هي معربة من أصل اغريقي

اويمة : تطلق على الزخارف التي تحفر في جدران الغرف و على واجهات البيوت أو على الحفر في الخشب

باب مقنطر : و هو باب قمته العليا على شكل عقد أي مان نوعه سواء كان نصف دائري ام على شكل حذوة الفرس ام عقد مخمس مدبب القمة .

بادستان : سوق مغطى.

بلاط : تطلق على الحجارة التي تفرش بها الأرضية أو الآجر.

جلسة : كتلة بنائية واحدة تتكون من مجموعة من المداميك الحجرية المتجلورة أو المتداخلة ترفع على جانبي المداخل.

حانوت : مبنى قائم بذاته أو يوجد أسفل المباني يستخدم لخزن و عرض و بيع مختلف السلع و البضائع و فيه مصطبة و داخل و درايب.

خوخة : هي المخترق بين شقتين سواء بين دارين أو بين طرفين و تطلق ايضا على كوة تدخـــل الضوء الى البيت كما تدل على باب صغيرة في الباب الكبير للمبنى أ, فتحة في الجدار او السور لتسهيل دخول و خروج الناس.

خوشك : فتحة تعلو الباب و مكملة له إما مربعة أو معقودة

درابة : إحدى مصراعي الباب الذي ينطبق أحدها على الآخر.

درب : الأبواب و الطرق الموصلة أو المسلوكة و تعني باب الحارة.

درفة : مصراع الباب الخشبي.

دعامة : هو ما يقوى به البناء أو مايقام به السقف ليرفع على دعائم.

دكان : الحانوت أو المصطبة.

دكة : مقعد يجلس عليها في الأسواق كما تتسعمل لعرض السلع.

دهيشة : مباني تجارية أسفلها حوانيت و علوها وحدات سكنية .

رحبة : هو فراغ مكشوف و قد يكون مسقفا.

رفرف : و هو ما يثبت في البناء من الخارج، فيطلق أساسا على سقف خشبي مائل يحمل على كوابيل مثبتة بالحائط فوق المصاطب.

رواق : يعني وحدة سكنية.

روشين : خرجات تستخدم للبروز بالعمارة وزيادة سطح الأدار العليا.

سقيفة : خشبة عريضة أو حجر عريض يمكن ان يسقف به، و تدل على سقف يعلو طريق أو ممر.

سنجة : قطع من الحجارة مشطورة ذات جانب اعرض من جانب يوضع الجانب الأعرض متجاوزا ليكون عقد البـاب أو شباك.

صاري : عيدان من الخشب تثبت في أعلى خوذة المئذنة والطرف العلوي لكل صاري مثلث يعلق به تريات.

صهريج : خزان المياه يبنى بالأجر و الخفاقي في تخوم الأرض لحفظ المياه و يغطي أحيانا بقبة ضاحلة.

طاحونة : وحدة معمارية تعني مكان الطحن و تعني الرحى أيضا.

عارضة : عرض خشب يمتد من حائط إلى حائط لتركب عليها ألواح السقف.

عتبة : أسكفة الباب العليا و السفلى.

فرن : وحدة معمارية تشتمل على زلافة او بيت نار و قاعة العجين و سطح مرافق .

فناء : ساحة مكشوفة تتوسط أي مبنى.

قيسارية : مصطلح دخل العربية بالتقادم مشتق من اسم قيصر بمعنى سوق صغير و هو مؤسسة واسعة مخصص لبيع سلعة معينة .

كوة : ثقب في الحائط.

متراس : خشبة توضع خلف الباب لغلقه بها و لافعها عندما يراد فتحه.

مدماك : الساف من البناء وكل صف من اللبن أو الطوب أو الحجارة.

مزلاج : يغلق به الباب و يفتح بلا مقناج.

مصطبة : بناء مرتفع قليلا يجلس عليها

# قائمة المصادر
# و المراجع

## قائمة المصادر :


1- الإدريسي(الشريف): وصف إفريقية الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المطبعة الرسمية، الجزائر، 1957

2- الإصطخري : المسالك و الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحسيني، مصر 1961

3- ابن الأبار (ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي البلنسي)، كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق الفرد بل و ابن ابي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر 1919، ط. 3

4- ابن حوقل (أبوالقاسم النصيبي)، كتاب المسالك و الممالك و المفاوز و المهالك مأخوذة من صورة الأرض

5- ابن حيان (أبو مروان القرطبي)، المقتبس، الجزء الخامس، نشره شالميتا(ب)،المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الأداب بالرباط، مدريد 1979

6- ابن الخطيب (لسان الدين)، تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام، تحقيق و تعليق ليفي بروفنسال، دار الكشوف، بيروت 1956

7- ابن خلدون (عبد الرحمان):

أ) المقدمة، الجزء الثاني، تحقيق أم كاترومير، مكتبة لبنان، ط. 1، باريس 1858

ب) كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، المجلد السادس، القسم الأول، الجزء 11، دار الكتب اللبناني ط. بيروت 1978

8- ابن الربيع ، المسالك في تدبير المماليك نقله و حققه عثمان عبد الستار، ضمن سيلسة العمران عند ابن الربيع.

9- ابن عذارى (المراكشي):

أ ) البيان المغرب في ذكر الأندلس و المغرب، الجزء II ، بيروت 1983 ، تحقيق كولان وبروفنسال

ب) نفس المصدر، قسم الموحدين، تحقيق الكتاني، دار الغرب الإسلامي، ط.1،بيروت1985

10- ابن منظور، لسان العرب المحيط، تحقيق يوسف خياط،المجلد 3، بيروت 1988

11- اسبنسر (وليام)، الجزائر في عهد رياس البحر

12- البكري (محمد أبو عبيد الله)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، الجزائر 1957

13- الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت 1957. ط.1

14- الزبيدي (محمد مرتضى)، تاج العروس، مجلد 5، بنغازي 1966

15- شالر (وليم)، مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، 1816-1824، تعريب اسماعيل العربي الجزائر 1982

16- العبدري (البلنسي محمد)، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، نشر كلية الأداب الجزائرية.

17- العمري (ابن فضل الله)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تاريخ إفريقية والأندلس، ترجمة عبد الوهاب حسن، تونس.

18- الغبريني (أحمد)، عنوان الدراية فيمن عرف في العلماء في المائة السابعة لبجاية، تحقيق رابح بونـــار، الجزائـــر 1970

19- الفلقشندي (أحمد)، صبح الأعشي، ج. 5

20- القيرواني (بن ابي دينار)، المؤنس في أخبار إفرقية و تونس، تحقيق محمد شمام، تونس 1387هـــ.

21- مجهول ، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق، سعد زغلول، الإسكندرية 1958.

22- المقدسي (شمس الدين ابو عبد الله)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط.2، مطبعة برلين-ليدن 1906

23- المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الثاني دار صادر، بيروت 1988

24- الوزان (محمد الشريف حسن)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي و محمد الأخضر، الجـــزء I ، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983

25- الونشريسي (أحمد بن يحي)، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية و الأندلس و المغـــرب، دار الغرب الإسلامي، ج. 9 ، ط.1 ، بيروت 1981

26- اليعقوبي (أحمد) ، وصف إفريقية الشمالية من كتاب البلدان، ط.2 ، بريل - ليدن، 1892

# قائمة المراجع :


1- إدريسي (الهادي روجي)، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بن زيري، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط.1 ، مجلد 2 ، بيروت 1992

2- أحمد موسى (عز الدين): أ) النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي من خلال القرن 6هـ/12م، دار الشرق، ط.1 1983

ب) الموحدون في المغرب الإسلامي، تنظيماتهم و نظمهم، دار المغرب الإسلامي، ط1- بيروت 1991

3- باشا (نجاة)، التجار في المغرب الإسلامي من القرن 4هـ/10م إلى 8هـ/10م ،الجامعة التونسية، 1976

4- بن قربة (صالح)، المسكوكات المغربية في عهد الموحدين والحفصيين والمرنيين خلال القرون 6-7-8هـ/12-13-14م -دراسة حضارية، ج.1 ، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر 1995

5- بن يوسف (ابراهيم)، إشكالية العمران و المشروع الإسلامي، الجزائر 1991

6- بونار (رابح) ، المغرب العربي، تاريخه و ثقافته، ط.2 ، الجزائر 1981

7- تغلب (أحمد محمد)، المدينة الإسلامية، اليونسكو 1983

8- الجنحاني (الحبيب)، أ) دراسات مغربية في التاريخ الإقتصادي و الإجتماعي للمغرب الإسلامي، ط.1، بيروت1980

ب) المغرب الإسلامي، الحياة الإقتصادية والإجتماعية، 3-4هـ/9-10م، الدار التونسية للنشر تونس 1978

9- جودت (عبد الكريم يوسف)، الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994

10- الجيلالي(عبد الرحمان)، تاريخ الجزائر العام، ج.1، ط.2 ، بيروت 1952

11- حارش (محمد الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، رسالة ماجستير، الجزائر 1995

12- الحريري (محمد عيسى)، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني، ط.1 ، 1985

13- حسن (ابراهيم حسن)،:المعز لدين الله، ط.2 ، مصر 1963

14- حليمي (عبد القادر)، مدينة الجزائر، نشأتها و تطورها قبل 1830 ، ط.1 ، الجزائر 1972

15- الخربوطي (علي حسن)، الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة 1970

16- الخطيب (عبد الكريم)، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط.1 ، بيروت 1996

17- الزبيري (محمد العربي)، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط.2 ، الجزائر 1985

18- الزهار (أحمد الشريف)، : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب الإشراف الجزائر، تترجمة أبو العبد دودو.
ط. 2 - الجزائر 1980، ص.24.

19- زيدان (جرجي)، تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد 2 ، ط. 3 ، بيروت 1983.

20- سالم (عبد العزيز)، أ) تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبـــــة، دار النهضة العربية، بيروت 1988

ب) بعض المصطلحات العربية للعمارة الأندلسية في بحوث إسلامية في التـــاريخ و الحضـــار والآثار، القسم الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992

ج) التخطيط و مظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى في، بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار، القسم الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992

21- سعد الله (فوزي )، يهود الجزائر، هؤلاء المجهولون، دار الأمة، ط.2، 1992

22- اسعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، ط.2 ، الجزائر 1985

23- سيسالم (عصام سالم)، جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، 9-8 م، ط.1، بيروت 1984

24- اطيبي (أمين توفيق)، دراسات و بحوث في تاريخ المغرب و الأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس 1984

25- عبد الستار (عثمان)، المدينة الإسلامية، الكويت 1988 ،

26- عبد القادر (نور الدين)، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، الجزائر 1965

27- العربي (اسماعيل)، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر 1980

28- عكاشة (ثروت)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، ط.1 ، بيروت 1994

29- الفاخوري (حنا)، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البونيسية، ط.10 ، 1980

30- فيلالي (عبد العزيز)، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، سلسلة الدراسات الكبرى الجزائر 1982

31- لقبال (موسى)، أ) الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها و تطورها، ط.1، الجزائر 1971

ب) دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصـــف القـــرن 5هـــ/11م، سلسـ الدراسات الكبرى، الجزائر 1972

32- لوبون (غستاف)، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ، ط.4 ، 1964

33- لومبار (موريس)، الإسلام في مجده الأول، القرن 2ه-5 هــ (8-11) ، ترجمة و تعليق اســـماعيل العربـــي،ط. الجزائر 1979

34- متز (آدم)، الحضارة الإسلامية في القرن 4هــ، ج.1 ، القاهرة 1940.

35- محمد (أمين محمد)، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (608-923) 1250-1517، القاهرة 1990

36- محمد (حسن زكي) ، أ) فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981

2) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت 1981

37-محمد (موسى رفعت)، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، دار المصرية اللبنانية، ط.1، القاهرة 1993

38- المدني (أحمد توفيق)، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984

39- مسلم (ليليان)، القصبة، الهندسة المعمارية و تعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر 1984 ، ط.1.

40- مؤنس (حسين)، تاريخ المغرب و حضارته، المجلد الأول، الجزء الأول، ط.1، بيروت 1992

41- نقادي (سيدي محمد)، التصميم العمراني لمدينة تلمسان و دلالته الإجتماعية، رسالة ماجستير، 1991

42- الولي طه (الشيخ)، المسجد في الإسلام، دار العلم للملايين ، ط.1، بيروت 1988

43- بن كردرة (زهية)، الكتابات التذكارية التركية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار، مذكرة ليسانس ، جامعة الجزائر 1986.

## المقالات :

1- باسكوال (جان بول)، "إسهام في الطبوغرافيا التاريخية لمدينة دمشق"، تعريب قاسم طوير، "نشوء السوق واضمحلاله في القرن 16م" في الحوليات السورية 1985 ص. 237.

2- التليلي (عبد الرحمان)، "وصف المدن المغربية"، من كتاب وصف صورة الأرض لابن حوقل في الكراسات التونسية ، رقم 137-138 ، 1986 ص. 11.

3- الجنابي (هاشم خضير)، "خصائص المدينة الإسلامية في العهد العثماني و بعده" مجلة أوراق، عدد 4، مدريد 1981 ، ص. 175-176-177.

4- حجي (حياة ناصر)، "أسواق القاهرة في القرن 8هـ-9هـ/14م-15م" في دراسات، ص. 106-107.

5- حليمي (عبد القادر)، "أثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر" في **مجلة الأصالة**، عدد 8، 1976. ص. 85.

6- دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد 12، ص.380.

7- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 4

8- الرباط (ناصر)، "مقدمة لدراسة تطور السوق في مدينة دمشق من القرن 7م حتى القرن 19م" ، في الحوليات السورية، 1985. ص.75، 76، 77، 78.

9- اسعيدوني (ناصر الدين)، أ) "الجالية الاندلسية بالجزائر،مساهمتها العمرانية و نشاطها الإقتصادي ووضعها الإجتماعي" ، مجلة أوراق، عدد 4 ، مدريد 1981. ص. 120، 121، 123.

ب) "قانون الأسواق"، تحقيق، حوليات جامعة الجزائر، العدد 5، 1990-1991، ص. 118، 121، 124.

10- الشيخ البلوى (خالد بن عيسى أبو البقاء)، "تاريخ المغرب بتحلية علماء المشرق"، مجلة الأصالة 1972، ص.61

11- عبد السلام (رؤوف)، "الملامح الإجتماعية لنظام الأصناف في العراق إبان العصر العثماني، في "الحياة الإقتصادية للولايات العربية و مصادر وثائقها في العهد العثماني"، عبد الجليل التميمي، ج.1 -2 ، 1986

12- لقبال (موسى) : "زناتة و الأشراف الحسينيون في مجال تلمسان و المغرب الأوسط" ،مجلة الأصالة ، عدد 26 ، جويلية - أوت 1975، ص. 67.

**Bibliographie** :


1- Allouche Benayoun- Bensimon , Juifs d'Algérie hier et aujourd'hui, mémoire et identité . B.U.P - Toulouse 1989

2- Amari, D. , quelques aspects de l'artisanat à Constantine -S.L 1976

3- Aumerat, X., Souvenirs Algériens, Blida 1898.

4- Ayoun, C., Les juifs d'Algérie- deux mille ans d'histoire judaïque, éd. Clattes -1982

5- Baude (Le Baron), l'Algérie, Tome II . Paris Bertrand, 1841

6- Beguin, F. , Arabisances, éd. Dunod, Paris,1985

7- Belhamissy, M., Histoire d'Alger par ses eaux XVI-XIX. Alger 1994

8- Bensimon et les autres, La régence d'Alger et le monde turc, S.L 1953-54

9- Berbrugger, A., Algérie pittoresque et monumentale, T.5- Paris 1843

10- Berque, A., L'intérieur du Maghreb, éd. Gallimard - Paris 1978

11- Blismon, Notice topographique sur le royaume et la ville d'Alger, 2ème éd. Paris1830

12- Boutemps, T., Manuel des institutions algériennes de la domination turque à l'indépendance -tome1- éd. Cujas 1976.

13- Boudhors, Souvenirs d'Afrique, R.C.A. 1838

14- Boutin, Reconnaissance des villes fortes et batteries d'Alger, publié par G. Esquer- Paris 1927

15- Boyer, P., La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Hachette-Paris 1963
- L'évolution de l'Algérie médiane de 1830 à 1950 -Paris 1960

16-Breugnot . A.L., Images d'alger , Alger 1951 .( photos )

17- Brunschvig, R., La berbérie orientale sous les Hafsides des origines à la fin du XVeme s - T I - Paris 1940

18- Burckhardt, L'art de l'islam - Paris 1985

19- Cathelineau, Confrontation des modèles juridiques sur l'espace urbain, le cas d'Alger de 1830 à 1853, D.E.S.S .

20- Chalmeta, P., EL senôr del zoco en Espana, Madrid 1973.

21- Chattant et Müller, F., Alger avant 1830 , S.D.L.N.

22-Chouraqui, A., La Saga des Juifs en Afrique du Nord, Hachette, Paris 1972

23- Clausolles, L'Algérie pittoresque. Histoire de la régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours , Toulouse 1843

24- Colin, G., Les inscriptions arabes et turques de l'Algérie, Alger 1901. èd. Leroux.

25- Courdouan et Letuaire, Alger et ses environs, lithographié par Canquoin à Toulon – S.D ( photos )

26- D'Ablancourt, N. P., L'Algérie de Marmol , Paris, MDCLXVII.

27- Dan (Le père) , Histoire de barbarie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, Paris 1842.

28- Dapper, d'ow., Description de l'Afrique, Amsterdam, MDCLXXXV.

29- D'Arvieux (le chevalier), Mémoires du chevalier d'Arvieux, T.5, Paris MDCCXXXV.

30- Day, I., Les Douanes de Gênes, 1376, 137, Tome I , S.E.H. P.E.N- Paris 1963.

31- De Fisquet, H., Histoire de l'Algérie depuis les temps anciens jusqu'à nos jours, Paris 1842.

32- De Galland, R., Métiers et types algériens, Alger 1895.

33- De Grammont, H.D., Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830) Paris1887

34- De Lagrèze, Pompéï, les catacombes, l'alhambra, Paris 1872.

35- De Mas Laterie, Traités de Paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique. Septentrionale au moyen âge, Paris 1866.
36- De Nicolas, P.d.'A., L'Afrique de marmol,T. II , Paris, MDCCLXVII.
37- De Paradis, N., Alger au XVIIIeme s- 2eme édition, S.D
38- De Raynaud, N.E.P., Annales algériennes, Tome 1- Alger 1854
39- Dermenghein, Le Culte des Saints, éd. Gallimard, Paris 1954
40- Destombes, cartes catalanes.
41- D'estry, ST., Histoire d'Alger de son territoire et de ses habitants, Tours-1841
42- De Tassy, R., Histoire du royaume d'Alger, 1 vol. 1725.
43- Devoulx, A., Alger (manuscrit) 1878
44- Dhina, A., Les états de l'occident musulman au XIII-XIV[e] et XV[e] S. Alger 1984.
45- Drouet, F., Au nord de l'Afrique, Nice 1896.
46- Doutté, E., Magie et religion en Afrique du nord, Paris 1908.
47- Dufourcq, ch., L'Espagne catalane et le Magrib au XIII[e] et XIV[e] S., P.U.F Paris 1966.
- La vie quotidienne dans les ports méditerranéens au moyen âge ,Paris 1975
48- Duval, N., Gui, J., et Caillet, JP., Basiliques chrétiennes de l'Afrique du Nord, Paris 1992.
49- Ennasiri, A.R., Récits historiques sur l'Afrique septentrionale, trad. par Arnaud, Alger 1885.
50- Esquer, G., Iconographie historique de l'Algérie , C.CA.Paris 1929.
51- Eudel, p., - L'orfèvrerie algérienne et tunisienne , Alger 1902
- Petits métiers algérois , Alger 1902
52- Fall, Y., L'Afrique à la naissance de la cartographie moderne-14[e]-15[e] siècles,Les cartes majorquines C.R.A UNESCO , Paris 1982
53- Feydeau, E., Alger (étude) , Paris 1884- N.E
54- Fiski, Histoire de l'algérie ,Paris 1842
55- Galibert, L., L'Algérie ancienne et moderne , Paris 1884 ( Photos)
56- Gardet, L., La cité musulmane , Paris 1976
57- Gaukler, Le port d'Alger 1530-1902, Alger 1902
58- Guion, P., Images du vieil Alger, Paris 1830
59- Golvin, L., Aspects de l'artisanat en Afrique du nord, Paris 1957
60- Gros, P., L'architecture romaine I-Les monuments publics du début du IIIéme S. avJ.- C à la fin du Haut- Empire ,éd. Picard 1996
61- Haëdo, F., Topographie et historie d'Alger .Trd. De Monrau et Berbrugger
62- Hakluyt, The principal navigations, voyages and traffiques of the english nation, éd. I.M. Dent. and Co. S.D -8 vols-.TIII
63- Hanoune, I., Aperçu sur les israélites algériens et sur la communauté d'Alger, Alger 1922, éd Carbonel
64- Heers, I., Gênes au XV[eme] s activités économiques et problèmes sociaux, C.R.H. S.E.V.P.E.N. Paris 1961.
65- Hubac,P., Les barbaresques , Paris 1949
66- Ibn Khaldoun, A., Histoire des berbères ,trad. De slane ,T. III -Alger
67- Jourdan, Croquis algériens , Paris 1880 (Photos).
68- Kaddache, M., L'Algérie durant la période ottomane , Alger S.D
69- Klein, H., Feuillets d'El djezaïr , Alger 1937

70- Kouaci, M., Algérie d'hier et Algérie d'aujourd'hui, E.N.A.L., Alger 1983.
71- Khaznadian, Atlas de géographie historique de l'Algérie, Paris 1930
72- Lattara.6, Dicocer Dictionnaire des céramiques (VII$^{éme}$S.av.n.è.VII$^{éme}$ S.de n.è.)en Mèditerranée Occidentale ,Provence-Languedoc-Ampurdan.Lattes 1993.
73- Lalloum et Allouche, Les Juifs d'Algérie, images et textes, Paris 1978.
74- Lazerges, I., Essai sur la boulangerie d'Alger, Alger 1943.
75- Lescki, L., Etudes d'épigraphie d'archéologie et d'histoire africaines, Paris 1957
77- Lespes, R., Alger, esquisse de géographie urbaine , Alger 1925
- Alger. Etude de géographie et d'histoire urbaine , Paris 1930
78- Lessore et Wylde, Voyage pittoresque dans la régence d'Alger , Paris 1835
79- Le Tourneau, R., - Les villes musulmanes de Afrique du nord, Alger 1957
- La régence d'Alger et le monde turc, Paris 1953-1954
- FES devant le protectorat .P.I.H.E.M .T XLV, Casablanca 1949
81- Maire, I., Souvenirs d'Alger, Alger 1884. (Photos)
82- Marçais, G., - Le costume musulman d'Alger , collection du centenaire de l'Algérie Paris MCMXXX.
- L'architecture musulmane de l'occident, Paris 1954.
83- Marnier, I., Sur Alger, Esquisses dessinées pendant un voyage à Alger, Berne 1839. (Photos)
84- Maunier, R., L'origine et la fonction des villes, Paris 1910.
85- Mazehary, A., La vie quotidienne des musulmans au moyen âge, X$^{e}$, XIII$^{e}$ - 1951
86- Merle, I, Anecdotes historiques et politiques de la conquête d'Alger en 1830, Paris DCCCXXXI
87- Migeon, G., Les arts musulmans, Paris 1935.
88- Miquel, A., L'islam et sa civilisation de XIIs a Xx s. Paris 1977.
89- Montagne, D.J., Physiologie morale et physique d'Alger, 1833, Alger 1834.
90- Montran, R., Istambul dans la seconde moitié du XVIII$^{ème}$ s, Paris 1926.
91- Mouline, S., La ville et la maison arabo-musulmane, Alger 1981.
92- Oliel, I., Les juifs au Sahara. Le touat au moyen âge ,éd. CNRS, Paris 1994.
93- OTTH, Esquisses africaines, Paris 1830.
94- Pananti, Relation d'un séjour à Alger. trad. Blaquière. Paris MDCCXX.
95- Pellegrin, Le vieux Tunis. Les noms des rues de la ville arabe, Tunis. S.D.
96- Peysonnel et Desfontaines, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger publiés par Dureau de la Malle. T.1.Paris 1838.
97- Philibert, M., - Alger ,Estampe du XVI$^{e}$ s, étude critique, Avril 1969.
- Alger- Vue perspective cavalière d'Alger-1688- par Andreas Mattheuws Wolfgang (1660-1735) étude critique. Alger 1975
98- Picard, ch., La mer et les musulmans d'occident au moyen âge VIII$^{e}$ -XIII$^{e}$ siècle P.U.F. éd. Paris 1997

99- Picard, E, La monnaie et le crédit populaire en Algérie depuis 1830, Paris1930
100- Picket, Ch, Aperçu histoire, statistique et topographique sur l'état d'Alger, Paris 1830
101- Piesse L, L'Algérie et Tunisie, Paris1889

105- Raymond, A., - Grandes villes arabes à l'époque ottomane, Paris 1985.
- Artisans et commerçant du Caire au XVIIème s. Paris 1973.
106- Receuil de photographies, conservé à la B.N. d'Alger. (Photos).
107- Renaudot, Alger. Tableau de la ville d'Alger, 4ème éd, Paris 1830.
108- Ressam et Zeghal, Système urbain et développement du Maghreb -OPU -Tunis 1983.
109- Revault, Le fondouk des français et le consul de France à Tunis (1660-1860). CNRS. Ed. recherches sur les civilisations, Mémoire n°48, Paris 1984.
110- Rozet, J., Voyage dans la régence d'Alger, Tome III. Paris 1833.
111- Saint Louis, N., Histoire des corporations de métiers, T1. Paris 1922.
112- Shaw, th., Voyage dans la régence d'Alger, Trad. I.M Carthy 2 éd. Tunis, S.D.
113- Shaler, W., Esquisses de l'état d'Alger ,Paris 1830
114 – Shuval, tal., La ville d'Alger à la fin du XVIIIème s ,.CNRS. 1ère éd- Paris 1999.
115- Sauvaget, J., Esquisse d'une histoire de la ville de Damas, Paris 1935.
116- Sourdel, D.J., La civilisation de l'islam classique, Arthand , Paris 1983.
117- Touati, H., Portefaix, chargeurs et déboucheurs d'Alger du XVIIème s, Alger 1982.
118- Un rédempteur, Le miroir de la charité chrétienne, Aix 1662.

## Articles

1- " L'Algérie en 1830 à travers les témoignages de l'époque" in., documents algériens n° 81 .septembre 1957

2-Les archives turques, Diwani Humayun Mühime. Defteri- Registre 32- n°22- 1981,p.130

3- Barkan, O.L., :- "quelques observations sur l'organisation économique et sociale des villes ottomanes des XVIème s et XVIIème s". in., R.S.J.B. VII, pp 230-

4- Bellaire, M., - "Le Gharb" in., Archives marocaines. Publication de la mission scientifique du Maroc Vol XX- Paris 1913, p. 224.

5- Berque, A., "La bourgeoisie algérienne" .in., HESPERIS 1948,p. 12.

6- Bleuchot, M.,"Institutions traditionnelles arabes,échange commercial et hiérarchies sociales" ,in S.I.,n=°80,1994,p.22

7- Brunschvig, R., " Urbanisme médiéval et droit musulman" in., R. E. I.,1947, pp. 132-133, 141-148.
- Histoire des foires à travers l'islam in., R.S.J.B., 1954. pp. 50,51,52.

8- Buthaud, "Le gardiennage des souks de Tunis" in., I.B.L.A., 1942,p.268.

9-Cabinete pedacogico del Museo de Cadiz. Espagna 1984

10- Cantineau et Leschi, :-"Monnaies puniques d'Alger", in., C.R.A.I. 1941, p 263.

11- Courtois, ch., " Remarques sur le commerce maritime en Afrique au XIème s in Mélanges d'histoire et d'Archéologie T. II- Alger 1957. pp. 53, 54, 55, 57, 58.

12- Cresti," Iconographie et description de la ville d'Alger" in., R.O.M.M., 1982, p. 9.

13- DeParadis, "Alger au 18 éme siècle" in., R Afr. n°39. 1895. pp. 247. 270.

14- Daremberg et Saglio," Basilique" ,in., Dictionnaire des Antiquités Grécques et Romaines,T.I,1ere partie,Paris 1887,pp.677-678

15- Daure, E., - "Création de la place du gouvernement" in., Bulletin municipal de la ville d'Alger, Mai 1951. n°5.

16- Devoulx, A., - "Alger, étude archéologique et topographique" in., R. afr. 1875-1876. pp. 520-523. 525.

17- Emerit, M., - "Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque" in., Algéria XXéme année nouvelle série, Janvier- février 1952,p.13.
- "un astronome français à Alger en 1729". Notes et documents in., R.Afr. n°184-1940,p.253.150

18-Einsenbth, M.,-"Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque (1516-1830)", in., R.Afr 1952,p.150

19-Feraud, ch., "Ephemérides d'un secrétaire officiel sous la domination turque à Alger de
1775 à 1805", in., R. Afr., 1874, T. 18, p. 299

20- Chentouf, T., " l'évolution du travail au XIXème S. La formation du salaria", in, R.O.M.M. 31, 1922, p. 89.

21- Franc, I., " La mitidja de l'antiquité à 1830" in., R.Afr., 1927, p. 429

22- Fournier, "Dans la lumière des cités algérienne" in., Encyclopédie d'outre mer-Paris 1956, p.6

23- Gautier, "Adieu à la rue des consuls " in., Amina, Mars -Avril 1942.

24- Gilissen, I., "Les institutions économiques et sociales des villes " in., R.S.J.B. , T.VII,p.16

25- Goitein, "Artisans en Méditerranée au haut moyen âge " in., Annales 1964. XIX.p.852-854-858

26- Granchamp, " Le fondouk des français à Tunis (1660-1861) extrait de La France au XVIIéme S. (1651-1660) tome X.

27-Haëdo,"Topographie d'Alger"in., R.Afr.T.14,1870,p.96,383,421et 1871 pp.392,552-553

28- Heers, I., " Le Sahara et le commerce méditerranéen à la fin du moyen âge" in., A.I.E.O ,T.16- Alger 1958,pp.247-248

29Joly, -« La tannerie indigène à Constantine", in., R.M.M.M., T. VII, 1909, p. 218.

30- Kaddache, M., "La casbah de nos jours", in., Documents algériens n°56 sept 1951
"La casbah sous les turcs" in., Documents algériens n°55 1sept 1951

31- Lagardère, V., "Structures étatiques et communautés rurales: Les impositions légales et illégales en El Andalus et au Maghreb (XI-XVéme S.) "in Studia islamica n°80-1994,p.61.

32- Lanfreducci et Bosio, "Costa e discorsi di barbia" in., R.Afr., 66e année n° 322 -1er trimestre 1925,p.337.

33- Leglay, M., "A la recherche d'Icosium" in., Antiquités africaines tome 2 –1968, pp. 8-25, 39-40

34- Lettelier, "Les noms des rues de l'Alger barbaresque" in., AMINA septembre, octobre, novembre 1941

35 - Le Tourneau, R.," Funduq", in., E.I, Nouvelle éd. T II. 1977,p. 967..

36- Marçais, G., "La conception des villes dans l'islam" in., Revue d'Alger 1945,pp.530-532,545
- "Considération sur les villes musulmanes et notamment sur le mohtasib" in., R.S.J.B 1ère partie.Bruxelles 1954,p.265-268
-" L'urbanisme musulman "in., R.Afr.,1949,p.27,32
-" L'Afrique du Nord musulmane du VII$^{éme}$ au XIX$^{éme}$", in., Algérie et Sahara,T.I,Encyclopédie de l'empire francais,Paris 1946,p.51

38- Molbert, M "L'urbanisme et son application à Alger" in., Bulletin municipal de la ville
d'Alger, Mai 1951 n°5, s.p.

39- Nizami, K.A., "Le suk", in., E.I., T IX Nouvelle éd. Brill 1998, pp.820-821.

40- Pasquali ,"L'évolution de la rue musulmane d'El djazaïr" in., Documents algériens 1955. pp 178-182.

41- Pergronnet, "La régence d'Alger" in., L' Armée Afrique., 1838

42- Raymond, A.,"Le centre d'Alger en 1830" in., R. O.M.M., 1981,
"-signes urbains et étude de la population à l'époque Ottomane", .in., B. E.O. pp. 186.
"Les caractéristiques d'une ville arabe moyenne au XVIII$^{éme}$siecle le cas de constantine". In. C.T. n° 137- 138, 1986,p. 183..

43- Quéméneur, "Contribution à l'étude des corporations tunisiennes,Les belghagia de Tunis" in., I.B.L.A,1942,p.

44- Sauvaget:-« Esquise d'une histoire de Damas" in R.E.I.,1934/4, pp. 423,454

45 - Streck (I) :-" Kaysariya" in E.I T IV. N$^{elle}$ éd. Paris 1978, pp. 873-874.

46- Talbi : "quelques données sur le vie sociale en occident musulman d'après un traité de Hisba du XV ème s" in : Arabica 1954-I,pp.269-298

47- Thédénat : "Le forum" in dictionnaire des antiquités grecques et romaines. T II. 2ème partie-Paris 1918,p.1295-1277

# الفهـــارس العامـــة

## فهرس الأعلام: الصفحـــة

**فهرس الأماكن:** **الصفحات**

# فهرس البلدان : الصفحة

**فهرس القبائل و الأمم :** **الصفحة**

- شارع La couronne :

- فندق الديوان و فندق المسلم الجديد بالقرب من مطحنة على اليمين في اتجاه شارع الديوان يســـكنه الأتراك و يحاذي سوق الكرموس او ديوان الكرموس
- مطحنة تسمى فرن الديوان بالقرب من شارع الديوان على اليمين

**فهرس الأفران و المطاحن و المقاهي و الفنادق :**

- **شارع باب الواد :**

• مقهان :

1- بالقرب من جامع بن نقرو.

2- في سويقة باب الواد.

• ثلاث أفران :

1- بالقرب من حمام باب الواد.

2- كوشة الشماعين على الدرب الثاني على اليمين بعد درب الغراب.

3- بالقرب من شارع التجارة

• مطحنة تحاذي فرن كوشة الكعك.

• فندق باب الواد أو فندق المكاويين قبالة مسجد بن نقرو بالقرب من شارع دوريا .

- **شارع لالاهوم :**

• فرن يوجد في حارة الجنان و يسمى الجكلاط.

• مطحنة على يسار أول درب من هذا الشارع.

- **شارع بن عدادة :**

• كوشة بن عدادة إليها نسب هذا الشارع ثم سمي بكوشة وريدة في حومة حارة الجنان

- **شارع العقرب :**

• فرن يحاذي حمام حارة الجنان و يسمى فرن قبودان محمد شلبي و يقال أنه كان في شارع الظلمة.

• مطحنة تسمى فرن توجد في بير الزقاق يستند إلى السور.

-**شارع بربروس :**

• فرن بناه محمد شلبي بن يوسف خيخة يحتله الجيجليون.

- **شارع الدب :**

• مطحنة تسمى فرن سيدي رمضان تقع في الزاوية اليسرى لشارع المغاربة.

- **شارع الزواوة :**

• فرن يحمل رقم 9 من هذا الشارع بني حبوسا.

- **شارع البطاريات :**

• المطاحن الهوائية.

- **شارع بونة :**

• فرن القصبة يملكه أحد المزابيين و يسمى إسماعيل بن محمد

- **شارع القصبة :**

- حوانيت الزيان
- مقهى أمام العين المزوقة
- أربع أفران:

1- فوق علي بتشين و هو مخزن في نفس الوقت

2- عند بير الرمانة و يسمى كوشة الزناتي

3- يسمى فرن بن شبانة

4- عند حوانيت الزيان

- **شارع سوق الجمعة :**

- فرن بن شاقور في عين الحامة و بعد 1830 سمي هذا الجزء من الشارع المحصور بين شارع Toulon و شارع L'intendance بشارع Lépante

- **شارع Salluste :**

- فرن على يمين أول درب من هذا الشارع

- **شارع Desaix :**

- حوانيت سيدي عبد الله
- كوشة علي و كانت تسمى بكوشة بن ساكو وكوشة الملبس، قبالة شارع الأسطى والي
- فرن شعلال في العين الجديدة.

- **شارع بولابة :**

- فرن يقع في نقطة إلتقاء شوارع L'intendant و سوق الجمعة و القصبة.

- **شارع الامبراطور :**

- فرن قبالة ضريح سيدي عبد المولى
- فرن أمام شارع النيل يسمى كوشة المسانين.

- **شارع الأسطى والي :**

- فرن يسمى كوشة غلياطة في درب Cagliata

- **شارع سيدي عبد الله :**

- حوانيت سيدي عبد الله
- مطحنة بن جاور علي توجد في درب على اليسار، يقابلها مصنع الصابون و كانت تسمى زنقة الفرينة.

- **شارع Annibal:**

- فرن الجمال

- شارع الغزالة :

- فرن اسعيد الفار تقع في القصبة الجديدة، ابتداء من الثلث الأول للقرن 18 و كـان يسـمى أيضـا كوشة الباري سنة 1817م-1818م

- شارع بن أشير :

- كوشة بن أشير

- شارع البرتقال :

- كوشة بن عدادة

- كوشة اسكندر من جهة شارع الزرافة

- شارع Les Abderrames :

- مطحنة تسمى فرن سيدي محمد الشريف

- شارع Denfreville :

- فرن

- مقهى

- شارع زاما :

- كوشة سيدي يوسف

- شارع Kléber :

- مخزن لطهي الصابون قبالة مسجد السفير

- شارع النخل :

- فرن علي أورشال الذي يعطي إسمه الى جزء من شارع النخيل

- شارع Sidney Smith :

- فرن جامع السفير يقع في درب القصير

- شارع Ximénès :

- حوانيت الغريبة

- شارع Condor :

- فرن أو كوشة الوكيل حسب وقفيات 1656و 1757-1758 لكنه تهدم قبل 1830

- شارع باب الجديد :

- العطارون اليهود

- شارع حنون :

- كوشة بن عودة حتى شارع La grenade

- فرن سوق السمن يقع في شارع الكساكسية على اليمين صعودا و كان يسمى قديما فرن أبي غـالب ويملكه عدة يهود.

• فرن يوسف الكواش يقع قبالة شارع Zama

- شارع **Chartes** :

• تبارن بن الأغا

• مطحنة بنيت سنة 1753 لطهي خبز الإنكشارية

• مطحنة أخرى

- شارع **Médée** :

• فرن

• حانوتان : ثم أصبحا فيما بعد امسيد دار الإنكشارية

• حوانيت بن رابحة

- **شارع سيدي ابراهيم باشا أو بن رمضان** :

• مقهان

1- في أعلى الثكنة السفلى

2- يحاذي الثكنة العليا

• مطحنة

• ثلاثة أفران

1- يسمى كوشة الخضارين (لطهي الخبز الإنكشارية)

2- يسمى كوشة الإنكشارية يقابل الأول

3- يسمى كوشة بن رابحة على يمين شارع التمر

- شارع **Nemours** :

• فرنان

1- كوشة حمام الفويطة على يمين شارع Du chêne

2- كوشة جامع البلاط

- شارع **Du chêne** :

• فرن تشلبي ابراهيم

- **شارع بالما** :

• فرن

- شارع **La grenade** :

• فرن يسمى كوشة بسبسى

- شارع باب عزون :

• فندق خوجة الخيل

• فندق العسل

• فرن كوشة العسل

• رحبة القمح

• فندق رحبة الشعير

• حانوت يحده شمالا رحبة الفحم، و شرقا شارع باب عزون

• فندق الروز

• خمس مقاهي

1- في شارع الصفارين

2- في شارع الخراطين

3- في فندق الزيت

4- في فندق الروز

5- في سوق اللوح و يسمى قهوة الخندق

• مطحنة بسوق الصفارين

• فرن في فندق العزارة

- شارع René Caillé :

• فرن زنقة الصراف

- شارع Scipion :

• فرن يسمى كوشة خيضر باشا

- شارع La Sainte :

• كوشة سبع لويات

- شارع du lauriers:

• مطحنة تحاذي حمام حمزة خوجة

- شارع السهم La flèche :

• مطحنة في سوق الصفارين

• حمام كان المزابيون يبيعون فيه الحمصة

• فرن أو كوشة الصفارين في زاوية شارع باب عزون

• مطحنة أو فرن اللبلايجي

• فندق الحوا كان يسكنه الأتراك

فهرس الخرائط:

فهرس المخططات :